من أعلام الجزائر

المقري
وكتابه نفح الطيب

تأليف

الدكتور محمد بن عبد الكريم

بحث لنيل دكتوراه من الدور الثالث





منشورات

بيروت







الاهـــداء

إلى تلمسان الجدار ، وفاس الباهرة ، ودمشق الفيحاء ؛ تلك مدن ثلاث ؛ طالما تغنّى المقّريّ بجمال طبيعتها ، ولهج بإحسان أهلها في الحلّ والترحال !!..

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

« الحمدُ للهِ الَّذي هدانا لِهذا ، وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لوْلا أنْ هدانا الله ! »

والصلاة والسلام على من نصح فقال : « العالم والمتعلم شريكان في الخير ، ولا خير في سائر الناس » ، وعلى آله الاطهار ، وصحابته الاخيار ، والتابعين لسنته في كل عصر وفي كل جيل .

وبعد : فحسبي أن أتناول — في هذه المقدمة — الحديث عن بحثي من حيث ست نقاط رئيسية :

النقطة الاولى : فكرة البحث .

النقطة الثانية : أهدافه .

النقطة الثالثة : دوافعه .

النقطة الرابعة : منهجه .

النقطة الخامسة : مصادره .

النقطة السادسة : الصعاب التي اعترضت سبيلي ، أثناء إعداده وتحريره .

أ – **فكرة البحث** : لقد خطر ببالي أن أكتب شيئاً عن شخصية أحمد المقري منذ ثمانية أعوام تقريباً ، أي منذ أواخر سنة ثلاث وستين وتسعمائة وألف الميلاد .

وقد بدأت هذه الفكرة تنمو في ذهني شيئاً فشيئاً ، وتختمر في نفسي كلما ازددت اطلاعاً على نتاج المقري ، واستفدت من مؤلفاته العلمية والادبية . وفي سنة ثمان وستين وتسعمائة وألف للميلاد ، نضجت الفكرة وشاء القدر ان تتقمص في رسالة جامعية ، عنوانها : « المقري وكتابه نفح الطيب » ، وأن يتم تسجيلها تحت جناح كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بجامعة الجزائر . وقد أراد القدر – أيضاً – أن يتم تحرير هذه الرسالة ، تحت إشراف الدكتور محمد إحسان النص ، الذي أذن بطبعها – كتابياً – أول ديسمبر ، سنة إحدى وسبعين وتسعمائة وألف الميلاد . ثم وضعت بصفة رسمية ، تحت تصرف عمادة كلية الآداب ، صباح يوم الجمعة ، في الثاني عشر من شهر جانفي ، سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وألف ، ونوقشت صباح يوم السبت فاتح جويليه ، في نفس السنة .

ب – **أهدافه** : تتجلى لنا أهداف هذا البحث من خلال عنوانه : « المقري وكتابه نفح الطيب » . إذ يتضح لنا من صيغة هذا العنوان أن البحث يرمي الى هدفين اثنين .

أحدهما : التعريف بشخصية المقري ، والكشف عن حياته الخاصة، ووصف التيارات التي تجاذبته هنا وهناك، وإبراز ألوان الثقافة

السائدة في عصره ، وفي الاقطار التي جابها ومكث بها ردحاً . ثم التعريف بآثاره العلمية والأدبية ، واخيراً القاء بعض الضوء على اتجاهاته الثقافية من خلال نصوصه النثرية والشعرية . وهذا ما يوحى به الشطر الأول من العنوان ، ويتضمنه القسم الأول من البحث .

ثانيها : التعريف بكتاب « النفح » ، وتحليل محتواه ، ودرس منهج تاليفه ، والكشف عن مراميه العلمية والأدبية ، واحصاء بعض ماله وما عليه . وذلك ما يشير اليه الشطر الثاني من العنوان ، ويحتويه القسم الثاني من البحث أيضاً .

ج — دوافعه: كان الدافع الى اختيار هذا البحث ، والاهتمام به ، وبذل الجهد فيه ، أسباباً متعددة ، منها اتصاله بشخصية لها منزلة رفيعة بين علماء العالم وأدبائه ، ومنها أن هذه الشخصية لها ميزات خاصة ، في سلوك تفكيرها وشعورها ، وكتاباتها العلمية والأدبية . ومنها ما لهذه الشخصية من علم غزير وأدب رقيق ؛ قلما نجدهما متوفرين في غيرها من سائر أبناء القطر الجزائري . ولا سيا في عصر قد ساد فيه الاضطرات ، واصيبت الثقافة بالشلل ، وجمدت المواهب وتحطمت المعنويات ، وغاب هدهد التفاؤل من سماء الأمـــل ، وحلق غراب التشاؤم مبشراً بالقنوط واليأس . ومنها أن صاحب هـذه الشخصية قد كان متصفاً بالشجاعة الأدبية ، والصراحة القلمية . وهـذا ما نراه جلياً فـيا ينقله إلينا ـ في كتبه ـ ، من نصوص الأدب المكشوف بدون تحفظ . ومنها أنـه لم يظفر بعناية جديرة بمنزلته العلميـــة

والأدبية ، ولم يحظ بدراسة جامعية أكاديمية ، ما عدا بعض المقالات السطحية في قليل من المجلات ، أو بعض الترجمات التقليدية في كتب التراجم العامة . نعم ، هناك بعض المعاصرين قد أفردوه بأبحاث حرة في كتب خاصـــة ، بيد أنهم ـ رغم اجتهادهم المشكور ـ لم يستقطروا أخباره ، ولم يقتلوا الموضوع بحثاً . بل لم يسلموا من بعض الأخطاء ، لعلها تمخضت عن عدم التروي في الأسباب والتقصير في استقصاء الأشياء . وربما كان ذلك أحد العوامـــل الرئيسية ، التي دفعت بي الى الخوض في خضم هذا البحث ، والكتابة فيه .

د ـ منهجه : لقد انتهجت في بحثي هـــذا منهج الدراسات الحديثة ، من حيث سبر الأفكار المتسلسلة . وتتبع تأثير الأسباب في المسببات ، واستخراج النتائج على ضوء تحليل النصوص ، ثم اصدار الحكم على الأشياء ، بعد عرض الآراء ومناقشتها .

أما فيما يخص خطة البحث وترتيب عناصره ، فقد سلكت في ذلك مسلكاً منطقياً وأكاديمياً أيضاً .

إذ بدأت بحثي بـ «تمهيد» ـ بعد المقدمة ـ تناولت فيه عصر المقري : السياسي والاجتماعي والثقافي ؛ عمـــلا بالرأي الذي يقول : إن الشخص ليتاثر بعصره ، كما يؤثر هو ـ بدوره ـ فيه . ولم أقتصر في ذلك على مسقط رأس المقري فحسب ، بل تناولت الأقطار الثلاث : الجزائر ، والمغرب والمشرق ، لأن صاحب البحث ولد بتلمسان الجدار ، وفيها استبـدل ثنايا

اللبن ، ثم انتقل إلى فاس الباهرة ، حيث صلب عوده واكتهل ، ثم نزح الى المشرق العربي ، وألقى عصا الترحال بمصر القـــاهرة ، حيث نضج عقله ، واستكمل تجاربـــه ، ونام نومته الأخيرة في مقبرة المجاورين . ثم انتقلت إلى دراسة شخصية المقرى ، وما يتصل بحياته الخاصة ، فتناولت - في الفصل الأول من الباب الأول - الحديث عن اسرته وأعضائهــــا الأقربين ، وعن مقرهم ومدفنهم قديماً وحديثاً .

وفي الفصل الثاني ، عرفت به وبنسبه ، ثم تطرقت إلى بلدة « مقرة » - مقرا سلافه - ، وأشبعت الكلام عما جاء في ضبط قافها قديماً وحديثاً . ثم حققت تاريخ ولادته ، وأزلت بعض الغموض عن مراحل نشأتـــه وقراءته ، وتحديد منشئه .

وفي الفصل الثالث تحدثت عن رحلتيـــه : - الأولى والثانية - إلى المغرب الاقصى ، وبينت أسبابها ، ثم تتبعت حركات المقرى وسكناته في غضون هاتين الرحلتين ، ثم ختمت هذا الفصل ببيان حظه في المغرب وما لقيه هناك من تبجيل وتعظيم .

وفي الفصل الرابع ، تحدثت عن رحلتـــه من المغرب إلى المشرق وأوضحت الأسباب التي دعت إليها، ثم واكبت شخصية المقرى في المشرق العربي ، حيث كانت هذه الشخصية تتنقل ما بين مصر والحجـــاز والقدس والشام ، ثم ختمت هذا الفصل ببيان حظه في المشرق ، ولم يفتني تحقيق وفاته زماناً ومكاناً . وفي الفصل الأولي من الباب الثاني ، تناولت

الحديث عن ثقافته ، وكشفت الغطاء عن عناصرها ومظاهرها، وفصلت ذلك تفصيلاً لا مزيـــد عليه . وفي الفصل الثاني ، تحدثت عن دلالات شخصيته العلمية والأدبية ، ومكوناتها عن طريق الوراثـة والاكتساب . وفي الفصل الثالث ، تحدثت عن منزلته لدى علماء عصره شرقاً وغرباً ودعمت ذلك بنصوص من إنشائهم وانشادهم في مدحه واطرائـــه . وفي الفصل الأول من البـاب الثالث ، انتقلت بحديثي الى القسم الثاني من بحثي ، وهو دراسة كتاب « النفح » ، وتحليـل محتواه . فبينت أسباب تاليفه ، وأوضحت أغراضه ، وحققت عنوانه ، وحددت تاريخ تسويده وتبييضه . وفي الفصل الثاني ، لخصت محتواه ، تلخيصاً قد يغني القارىء المستعجل عن مطالعتـه برمته . وفي الفصل الثالث ، تحدثت عن منهـج تاليفه ، وميزاته وخصائصه ، وطريقة ـ الترجمة بالنسبة ـ الى الأشخاص المذكورين فيه ، وهلم جراً ... وفي الفصل الرابع ، تحدثت عن اسلوبيه : العلمي والأدبي . وأبديت رأيي فيما له وما عليه . وفي الفصل الخامس تحدثت عن المصادر التي اعتمدها المقرى في نفحه بما فيها المصادر الاثرية والعيانية ، والشفاوية ، والرسائل ، والكتب . وقد توصلت الى اثبات ما لا يقل عن مائتين وتسعة وأربعين مصدراً، مرتبة كلها حسب الحروف الهجائية ، مع ذكر مؤلفيها وتاريخ وفاة كل منهم .

ثم ختمت هذا الباب بفصل سادس، تناولت فيه نقد كتاب « النفح » فبينت شيئاً من محاسنه وعيوبه . ثم ختمت هذا البحث بـ « خاتمـــة » لخصت فيها النتائج التي استطعت ان اتوصل اليها من خلال دراستي





























عصر الباشوات

لما أحس مراد الثالث بنفوذ حكام الجزائر وتفردهم بالسلطة ، قرر أن يغير نمط التولية هناك ، فحدد مدة الوالي بثلاث سنوات ، ثم يحل مكانه وال جديد أو شخص آخر تقدم لـه ان ولـي هناك • وعـدد الباشوات الذين ولوا بالجزائر ثلاثة وعشرون واليا ، منهم من ولي مرة ومنهم من ولي مرتين أو ثلاثا أو أربع مرات • وأولهم محمد باشا (١) ، وآخرهم علـي باشا •

وفي عصر الباشوات اشتد ساعد القرصنة البحرية ، وكثرت الاسرى في الجزائر ، واختل نظام الحكم هناك ، ودب سرطان الخلاف بين الكراغلة والاتراك ، وكثر التهويش في قبائل العرب والبربر • وسعى الثـوار في الافساد والتخريب •

ففي سنة ٩٩٧ هـ (١٥٨٩م) نزح دالي أحمد باشا من الجزائر صوب طرابلس ، لقمع ثورة المرابط يحيى التي اودت بحياة رمضان باشا صاحب تونس ، فكان مصير دالي احمد مصير صاحب تونس • ومـا بين سنتي ٩٩٧ هـ (١٥٨٩م) — ١٠٠٠ هـ (١٥٩٣م) اشتغل خيضر باشا باخماد ثورة

---

١ — في بعض كتب التاريخ : اولهم : دالي احمـد . والصحيح ان دالي احمد هو ثاني الباشوات .

بني عباس الذين كانوا يتحينون فرص التمرد منذ سنوات . وفي النهاية توصل الباشا الى قمعهم وعقد صلح مع رئيسهم أمقران ، بعدما خضع هذا الاخير لاداء غرامة .

وفي بحر هذا العصر غير التونسيون نمط حكومتهم ، فرفعوا من درجات البايات فوق درجات الباشوات ، فاراد الجزائريون تقليدهم ، بيد أنهم لم ينجحوا ، لكون مجتمع هؤلاء مخالفا لمجتمع أولئك في الطبيعة والعوائد .

وفي عهد خيضر باشا قل نفوذ الانكشارية ورياس البحر . ولهذا رفض الديوان تجديد الحكم له بعدما أتم مدته ومن سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢م) ـ الى سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٥م) كانت حكومة شعبان باشا هادئة شيئا ما . ثم عادت الاضطرابات واشتدت الثورات وعمت الفوضى البلاد . فأدى ذلك الى تمرد قبائل جرجرة ووصول مناوشاتهم الى أبواب مدينة الجزائر ، بل قد حاصروها اياما سنة ١٠٠٨ هـ (١٦٠٠م) وفي السنة التي تليها غزا الاسبان الجزائر فخاب في غزوته . وبعد ذلك بسنتين أعاد الكرة الى غزوها بقيادة الاب (ماتهيو) (Mathieu) الذي نزل بجيشه على شواطيء القبائل ، ليستعين بهم على احتلال مدينة الجزائر ، فحملوا على جيشه حملة رجل واحد ، فافنوه عن آخره بما فيه قائده المذكور . وفي سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٤م) تجددت العلاقات الفرنسية الجزائرية ، ولم يوقع الطرفان عليها الا في سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٨م) ٠وفي سنة ١٠١٣ هـ (١٦٠٥م) أطلق سراح المساجين الفرنسيين بمدينة الجزائر بأمر السلطان العثماني : أحمد الاول . وفي السنة التي بعد هذه شن الباشا مصطفى كوسه حملة على مدينة وهران ، ولكنه لم ينجح في ذلك ، لان قبائل بني عامر كانوا الى جانب الاسبان هناك (١) وفي سنة

---

١ ـ انظر (بهجة الناظر ..) لعبد القادر المشرفي ، تحقيق محمد بن عبد الكريم . بيروت : مطبعة دار الحياة ، ١٩٧١ م.

١٠١٥ هـ (١٦٠٧م) أغار الايطاليون على مرسى عنابة وسلبوا سكان ضواحيه واتلفوا أرزاقهم ، ثم عادوا الى مرفأ «ليفورن» (Livourne) سالمين غانمين . وفي سنة ١٠١٨ هـ (١٩٠٩م) حلت الكارثة بمن تبقى من الاندلسيين المسلمين بالاندلس ، وطردوا من هناك بطريقة بالغة أشدها في القساوة . وقد ضاع الكثير منهم أثناء هذا الطرد . ثم وصل بعضهم الى شواطيء المغرب الاقصى ، وبعضهم الى شواطيء المغرب الاوسط ، بضواحي وهران ، حيث سلبتهم قبائل تلك الضواحي ومثلت بهم ،لا سيما قبيلة «هبرة» التي بقرت بطونهم ، لاخراج ما ابتلعوه من النقود الذهبية كما توهمت هذه القبيلة .واما الذين وصلوا الى تونس فقد وجدوا صدرا رحبا ومعاملة لائقة بمقامهم ، عرف التونسيون كيف يستغلون مهارة الاندلسيين وصناعاتهم وثقافتهم باحسانهم اليهم . وفي نفس السنة الفارطة انقطعت العلاقات الفرنسية الجزائرية ، لاسباب يطول الحديث عنها . وفي سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠م) عين مصطفى كوسة باشا على الجزائر للمرة الثانية ، وحاول — مرتين — أنْ يقمع ثورة قبائل جرجرة التي تسببت في قطع اتصالات الجزائر مع ضواحي قسنطينة منذ زمان ، وقد باءت محاولته الاولى بالخسران . أما الثانية فقد نجحت وفي عهد حسين باشا (الشيخ) سنة ١٠٢٢ هـ (١٦١٣م) ازدادت القرصنة شدة وخطورة ، فراحت مرسيليا تنظم اسطولا تحت قيادة «سيمون دانسير» (Simon Danser) وانضمت اليه مراكب ايطاليا ، واخذ الجميع يصطادون مراكب الاتراك في عرض البحر ، ويستولون على ما فيها ومن عليها .وفي سنة ١٠٢٦ هـ (١٦١٧م) عاد مصطفى كوسة الى الحكم للمرة الثالثة بالجزائر ، ولكنه فقد سلطته على رياس البحر . وفي نفس السنة حاولت فرنسا ان تعيد حركة وكالتها التجارية بـ «القالة» ، فلم تنجح في محاولتها ، وفي سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٩م) انعقد صلح بين الجزائر وبين فرنسا ، وقبل التوقيع على شروطه حدث عارض تسبب في ابطاله ، ومنذ

ذلك الحين استمرت المناوشات بين الطرفين حتى سنة ١٠٣٥ هـ (١٦٢٦م).

وفي سنة ١٠٢٧ هـ (١٦٢٠م) وقف أمام الجزائر اسطول انجليزي يريد محاربتها ، ثم انكفأ راجعا دون ان يقع حرب . وبعد سنتين وقف أسطول هولاندي قرب مرساها مرتين ، يطالب الحكومة الجزائرية بتسليم الاسرى المسيحيين اليـه في مقابل أن يسلم ـ هـو ـ اليهـا الاسرى المسلمين ، فرفضت في المرة الاولى ثم استجابت في الثانية . وفي سنة ١٠٣٣ هـ (١٦٢٤م) اكتسـح مرض الوباء جميع افريقيا الشمالية.وربض هناك الى أوائل النصف الاخير من القرن الحادي عشر الهجري (أوائل النصف الاول من القرن السابع عشر للميلاد) . وفي نفس السنة جهـز خسرف باشا جيشا ووجهه الى تلمسان وضواحيها ، لاثبات سلطة الاتراك وتصحيح نظامهم هناك ، ثم التفت الى صاحب «كوكو» بالقبائل الكبرى فهزمه وأرغمه على الخضوع . وفـي سنة ١٠٣٥ هـ (١٦٢٦م) اجتمـع الاتراك واتفقوا على ان لا يسمحوا للكراغلة والجزائريين بأن يشغلوا مناصب في الجهاز الحكومي ، لانهم يعملون فـي خفاء ، من أجـل الاستيلاء على الحكم وابعاد الاتراك عنه ، ثـم اخراجهـم من الجزائـر بالقوة . ورغم ذلك فان الكراغلة والجزائريين لم ييأسوا من ارجعهـم الى مناصبهم الحكومية ؛ ولذلـك اخذوا يترددون الى مدينة الجزائر . ثم اجتمع الاتراك مرة ثانية وقرروا : أن كل كرغلي أو جزائري يجدونه في المدينة سيرمونه في البحر . وقد رموا ـ بالفعل ـ مائتي شخص . وفي سنة ١٠٣٦ هـ (١٦٢٧م) توفي خسرف باشا واستخلفه حسين باشا ، فقطع العلاقات مع حكومة تونس ، بسبب اختلافهما في تعيين الحـدود الجزائرية التونسية . ثم التقى جيشا الطرفين على الحدود ، وكان النصر حليف الجيش الجزائري ، ثم اصطلح الفريقان واتفقا علـى وضع حدود للبلدين . وهذه هي المرة الاولى التي حارب فيها التركي أخاه .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على بدء فتور السلطة العثمانية في افريقيا الشمالية • وفي سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٨م) تم توقيع العلاقات الفرنسية الجزائرية على أن تدفع فرنسا الى الجزائر ستة وعشرين ألف «دبلون» ، ستة عشر الفا الى الانكشارية والباقي الى خزانة الدولة بـ «القصبة» • وفي سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٩م) فاجأ خمسون رجلا من الكراغلة والجزائريين مدينة الجزائر ودخلوها مسلحين متنكرين ، فقتلوا حراس المدينة ، ثم تسربوا الى «القصبة» حيث استعملوا بعض الاشارات الى من كان هناك من اخوانهم• أما من كان خارج المدينة فقد أعانوه بواسطة طلقات مدفعية ، ولكن لسوء الحظ انهم وجدوا ابواب المدينة موصدة ، فعندئذ طوقت الانكشارية اولئك الخمسين رجلا من كل جهة وجانب ، فلما ألفوا أنفسهم مقبوضين لا محالة ، عمدوا الى خزان البارود وأضرموه نارا ، فتسبب في قتل ستة آلاف شخص وتدمير خمسمائة منزل • ولو تسلم الكراغلة مقاليد الحكم لسطروا في التاريخ ، مدنية رائعة وحضارة تبقى عبر الاجيال ، لانهم كانوا ذوي ثقافة متينة وفكر ناضج • وفي سنة ١٠٤٢ هـ (١٦٣٣م) حدثت فوضى كبيرة في الجزائر ، بسبب خلاف وقع بين رياس البحر وبين ضباط الجيش البري • وقد عجز الباشا عن تسويةهذا الخلاف ، اذ فقدت كلمته وزنها لدى الديوان • وفي السنة التي بعدها انقطعت العلاقات الجزائرية الفرنسية ووقعت بينهما مناوشة بحرية • وفي سنة ١٠٤٦ هـ (١٦٣٧م) ثار سكان الاقليم القسنطيني على باي قسنطينة ، بسبب لقاء حتف محمد الصخري (شيخ العرب) وعائلته على يد الباي المذكور • وفي سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨م) طلب الباب العالي من تونس والجزائر ان يشاركا بمراكبهما في حرب ضد المسيحيين ، فتحرك الاسطول الجزائري بقيادة الرايس (بتشني) ، فانكسر الاسطول العثماني قرب ميناء «فالون» Valon على يد القائد البندقي «كابيلو» (Capello) ، وقد خسر الجزائريون

ثمانية عشر مركبا • وفي السنة التي تلتها تحسنت ـ شيئا ما ـ العلاقات الفرنسية الجزائرية ، وعادت حركة الوكالات التجارية الفرنسية بالجزائر • وفي نفس السنة ثار سكان قسنطينة وضواحيها على الباي، فأرسل علي باشا جيشا لاخماد هذه الثورة ، فانكسر قرب «ميلة» • وفي سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠م) سمح الاتراك للكراغلة بان يسكنوا على ضفة «وادي الزيتون» الذي يصب في «وادي يسر» • وفي سنة ١٠٥١ هـ (١٦٤١م) جهز الباشا أبو جمال يوسف جيشا وتوجه به الى قسنطينة برا وبحرا ، فاخضعها ، وبعد عوده قبض عليه جنود الانكشارية وسجنوه ، اما سكان القبائل الكبرى فمنذ موت رئيسهم أحمد بن القاضي تكسرت شوكتهم وضعفت ارادتهم واصبحت ثوراتهم على الاتراك لا تعدو ان تكون مناوشات غير نظامية • وفي سنة ١٠٥٥ هـ (١٦٤٥م) طلب الباب العالي من الجزائر أن تشارك الاسطول العثماني في الهجوم على (مالطة) لاخضاعها ، فرفضت الجزائر طلبه • وهذا ان دل على شيء فانما يدل على بدء فقدان الباب العالي سلطته على افريقيا الشمالية • وفي سنة ١٠٥٧ هـ (١٦٤٧م) تجاسر مولاي محمد الشريف فتحرك بجيشه من «سجلماسة» وهزمهم عند أبواب تلمسان ، ثم رجع الى «وجدة» ، حيث قضى فترة الشتاء ، ثم تحرك صوب الجنوب الجزائري فاستولى على «عين ماضي» و «الاغواط» ، ثم عاد الى «سجلماسة» : حيث وصل وفد جزائري ليتفق مع المغاربة على وضع حدود قارة بين الجزائر وبين المغرب ، ولم يجد جديد فيما تبقى من عصر الباشوات الذي بانتهائه تبدلت أسس الحكومة التي وضعها الاخوان : عروج وخير الدين (١) •

وعلى ضوء ما تقدم يتجلى لنا أن عصر المقري السياسي قد كان

---

١ ـ وقد اشبعنا الكلام عن النظام الاداري ـ على عهد الاتراك ـ في مقدمة كتاب «التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية» . بيروت : مطبعة دار الثقافة ١٩٧٢ م .

مفعما بالحروب الخارجية والثورات الداخلية التي جرت وراءها التشاؤم المقيت واليأس المشؤم ، كما يتجلى لنا ـ أيضا ـ أن الاتراك كان شغلهم الشاغل غزو الثغور، وصد الغارات ، وقمع الثورات ، وكانوا مستبدين بالسلطة والحكم . أما الجزائريون فقد كانوا بمعزل عن ذلك، بل كانوا منزوين على أنفسهم مشتغلين بقوت يومهم وشؤون عيالهم .

الحياة الاجتماعية في الجزائر[1]

لكل مجتمع بشري اهداف يرمـي اليها ، واسس ينبني عليها ، وعناصر يتالف منها ، وطبقات يتميز بها وموارد اقتصادية يستمد منها .

اهداف المجتمع الجزائري

أهداف هذا المجتمع – على عهد الاتراك – هي نفس اهداف سائر المجتمعات الاسلامية شرقا وغربا ، فهي تتمثل في الذب عن حياض الدين والحريم ، وصون العرض والمال ، والسعي وراء قوت العيال ، وتوثيق عرى الالفة بين أفراد الاسرة والجماعة .

اسســه

بنيت أسس المجتمع الجزائري على افراد الاسرة ، ثم القبيلة ثـم الجماعة . ولكل أسرة أو قبيلة أو جماعة عوائد تخصها وطبائع تميزها عن غيرها . وليس هنـاك رابط يربط أفـراد المجتمع الجزائري سوى القرابة والدين . ولا يزال التعصب العائلي والقبلي ماثلا في المجتمـع الجزائري الى يومنا هذا ، فمن لم تكن له عائلة يركن اليها أو قبيـلة يحتمي بها عاش وحيدا منزويا على نفسه ، منفردا عن مجتمع الاسـرة والقبيلة . وهذه الظاهرة يفسرها القول السائر فـي الغرب الجزائري : «قصعتي ومطرقي وغاشي» : كناية عن الكرم والقوة وكثرة أفراد الاسرة

---

١ – لقد اشبعنا الحديث عن الحياة الاجتماعية في كتابنا : (حمدان خوجة الجزائري ومذكراته) بيروت : مطبعة دار الثقافة ١٩٧٢م.

قبيلة . ولعل السبب في نزوح المقري من مسقط راسه الى المغرب
ى ، شعوره بالوحدة عندما انحلت عرى اسرته بتلمسان حيث
ظاهرة التعصب للاسرة والقبيلة منتهاها آنذاك ، ولا سيما بين
والبدو ، وبين الكراغلة والاتراك ، وبين هذين الاخيرين والعرب
. وقد عكر هذا التعصب المقيت الجو على اللاجئين الاندلسيين ،
ا تلمسان غير آسفين . والى ذلك يشير أبو حيان الاندلسي
الوادي آشي في ابيات لهما أنشداها في هجو سكان تلمسان (١)

عناصره

ما هذه العناصر سوى الاجناس البشرية التي حلت بهذا القسم
سيطة واتخذته سكنا . وقد انهى بعض الباحثين هذه الاجناس
ن وعشرين جنسا (٢) ، غير أنها ــ لطول العهد ومرور الزمن ،
ب طبيعية وعوائد اقليمية وطقوس دينية ومؤثرات اجتماعية ــ
بعضها في بعض . واجتمعت في العناصر التالية :

ــ العنصر السوداني :

لسودانيون هم أول شعب نزح من « اثيوبيا » (الحبشة) الى
حوالي ٨٠٠٠ سنة قبل المسيح .

ــ العنصر البربري :

لبربر هم أناس شاميون من الفرع الكنعاني، يعرفون في كتب

ــ ابن رويلة : قدور. وشاح الكتائب. تحقيق محمد بن عبدالكريم
: الشركة الوطنية ١٩٢٨ م ، ص : ٧٧ (هامش) .

التاريخ بـ «الفاعنين» نزحوا من الشام الى الديار المصرية حوالي ٢٠٠ قبل المسيح ، ومن هناك فرت طائفة منهم الى سواحل افريقيا الشمالية، بما فيها سواحل الجزائر، واستقرت هناك، وهم الذين لقبهم (بطليموس) بـ « أمازيغ» أو « مازيغ » ، ومعناه : نبيل وشريف ، وصاحب سطوة وامتيـــاز •

٣ ـ العنصر الاسرائيلـــي :

وهم بنو اسرائيل ، الذين فروا الـــى افريقيا الشمالية حوالي ٧١٧ سنة قبل المسيح ، بعد اندثار ملكهم على يد الجبار : (طيطش) ملـــك الـــروم •

٤ ـ العنصر العربي الاسلامي :

وقد بدأ نزوح العرب الى افريقيا الشمالية تدريجيا ، منذ أوائل العهد الاموي الى زمان الوليد بن يزيد حيث تم ذلك بصفة رسمية •

٥ ـ العنصر التركـــي :

وأول تركي وطئت أقدامه الجزائر الاخوان : عروج وخير الـــدين ومن رافقهما سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢م) ، كما تقدم الحديث عن ذلك مفصلا في الحالة السياسية •

٦ ـ العنصر الكـــرغلي :

والكراغلة هم أناس أمهاتهم جزائريات وأباؤهم أتراك، وقد تكون هذا العنصر في ارض الجزائر منذ استقرار الاتراك هناك •

٧ ـ العنصر الافرنجي :

والدانماركيين وغيرهم . وكان أغلب افراد هذا العنصر – على عهـــد الاتراك – تجارا وارباب صناعة .

طبقاته

والمجتمع الجزائري يضم عدة طبقات ، وهي :

١ – طبقات العلماء : ويمثلها رجال الدين فـي المساجد وشيوخ الطرق في الزوايا . وكانت هذه الطبقة تتمتع باحترام تام وتقدير وتبجيل لدى حكام الاتراك والرعية .

٢ – طبقة الحكام : ويمثلها – في العصر الاول – اقحاح الاتراك، أما فيما بعد فقد أصبحت خليطا .

٣ – طبقة الجنود : ويمثلها خليط من أتـراك وعـرب ، وبعض المرتزقة من الاعاجم والافرنج الذين اعتنقوا الاسلام .

٤ – طبقة العبيد : ويمثلها السود من افريقيا السوداء وجل اساري الحـــرب .

٥ – طبقة الصناع : ويمثلها اللاجئون الاندلسيون وبعض الافرنج القاطنين في القطر الجزائري ، وتنفرد اليهود بمهنة الحدادة والصياغة .

٦ – طبقة التجـار : ويمثلها – بالدرجة الاولـى – اليهود ثـم الاندلسيون ، ثم بعض أصحاب البلاد ، من غير الاشراف .

٧ – طبقة الفلاحين : ويمثلها العوام من سكان القطر ، ما عـــدا الاشراف .

موارده الاقتصادية

يعتمد المجتمع الجزائري على ستة موارد أساسية آنذاك .

١ ـ الثروة الفلاحية :

لا ريب في أن أغلب تربة القطر الجزائري صالح للزراعة والتشجير . وقد جنح سكان هذا القطر الى ممارسة هذه المهنة لبساطتها. اذ لا يحتاج من يتعاطاها الى اجهاد فكر أو بذل أموال ، فهي ملائمة للطبيعة البشرية موافقة لميول العوام من الناس . فالجزائري ميال بطبعه الى الفلاحة ، لانه ليس لديه من الصنائع الاخرى ما يشغله عنها ، فهو أقرب الى البداوة منها الى الحضرة . وانواع المزروعات ــ آنذاك ــ موسمية ، مثل : البر ، والشعير ، والحمص ، والعدس ،والذرة،والفول وهلم جرا ... ويوجد في القطر الجزائري من الاشجار المثمرة ما هو كاف لسد حاجة أهل البلاد ويزيد ، كأشجار الزيتون ، والتين ، والبلوط ، والخروب ، والتفاح ، والاجاص ، والنخيل ، والكروم ،وهلم جرا ... ولسنا بمغالين اذا ما صرحنا بأن الجزائر كانت أهراء للرومان فيما مضى ، وأصبحت اهراء لاوروبا في عهد الاتراك . وهذه النعمة هي التي جرت عليها نقمة فرنسا ، اذ لولا حبوب الجزائر التي قدمتها لها سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٧م) لما كانت حادثة المروحة ، التي اتخذها الفرنسيون مبررا للاستيلاء على الجزائر سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠م) .

٢ ـ الثروة الحيوانية :

كان اعتناء الجزائريين بتربية الحيوانات المستأنسة منذ عهدقديم. وأهم الحيوانات التي تربى بالقطر الجزائري هي : الغنم والابل ،واغلبها في الجنوب الصحراوي . والماعز ، وأغلبها في الشمال الجبلي . وأما البقر والخيول والبغال والحمير فهي متفرقة في أنحاء كامل القطر .

٣ ـ الثـروة البحـرية :

كانت ـ ولا تزال ـ شواطيء القطر الجزائري غانية جدا بشتـى انواع السمك والحيتان ، والاحجار الثمينة ، مثل : الاصداف والمرجان بدلت نجد الاتفاق الاسباني الجزائري المبـرم سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١م) يسمح للاسبان بالتقاط المرجان في الشواطيء الغربية الجزائرية ، كمـا كانت الوكالات التجارية الفرنسية مشتغلة بنفس العرض على الشواطيء الشرقية مـن القطـر .

٤ ـ الثـروة المعدنيـة :

في الجزائر معادن نفيسـة ، مثل : الذهـب ، والفضة ، والماس ، والنحاس ، والحديد الصلب ، والرصاص ، والزرنيخ ، والعقيق الجيد ، وحجر البلور ، وهلم جرا ..

٥ ـ الثـروة الصنـاعية :

تقدم لنا ان الشعب الجزائري كـان ـ على عهد الاتراك ـ الـى البداوة اقرب منها االى الحضارة . وبما ان الصناعة تقوم علـى تثقيف الشعوب وتعليمهم فاننا نجد الجزائريين بعيدين عنها كل البعد ، الا مـا هو بسيط منها جدا ، فدفعتهم الى ممارسته شدة الحاجة الضرورية لهذه الحياة ، كدباغة الجلود ، وحياكة الاغطيـة ونسج الاعبـئة والبرانس الصوفية ، ونجارة الصناديق والابواب المنزلية ، وحرفة الحدادة وصناعة الاحذية البسيطة ، وهلم جرا ...

٦ ـ الثـروة التجارية :

كانت التجارة فـي الجزائر ـ غالبا ـ محصورة فـي المنتوجات مثل الحبوب الزراعية شتى أنواعها ، وانواع التمور والتين والزيت ،

والمنسوجات المحلية والصناعة التقليدية ، والحيوانات المستأنسة وهلم جرا ...

اما الوردات الخارجية ، فقد كانت قليلة جدا ، نظرا الى كثرة الفتن وتفاقم الحروب الخارجية . وكانت مراكز التجارة الداخلية اسواقا أسبوعية ، لها يوم معلوم تقام فيه بكل بلدة ، مثلما هوجار الآن في بعض مدن القطر وقراه، وكانت في المدن الكبيرة ـ زيادة على الاسواق الاسبوعية ـ أسواق أخرى يومية . وقد هدمت جلها السلطات الفرنسية اثر الاحتلال .

الحياة الثقافية في الجزائر [1]

بدأت الجائحة تسرب الى بذور الثقافة في الجزائر أواخر عهد الزيانيين غربا ، والحفصيين شرقا ، بسبب تنازعهم وتفرقهم أشياعا . وفي أوائل عهد الاتراك أصبحت الثقافة رهن فراش الاحتضار تلفظ نفسها الأخير . ولم نرم شيئا نكرا اذا ما اعتقدنا ان الاتراك ليسوا مثقفين ولا دعاة ثقافة ، وانما هم رجال حرب وكفى ، وقد اتوا الى الجزائر لطرد الاسبانيين والايطاليين من بعض مراسيها ومدنها ، ولحمايتها من غارات الافرنج وكافة المسيحيين . اذن ، فمن الصعب جدا أن نصف شعبا ــ تحت حكم الاتراك ــ بانه مثقف ثقافة تستوجب من العلماء الاقرار ، اذا كان ملوكه خلوا منها . وقديما قيل : « الناس على دين ملوكهم » ، و «فاقد الشيء لا يعطيه» . ولسنا بمغالين اذا ما قلنا : ان معظم القرى والمداشر وبعض المدن الجزائرية كانت ــ ابان حكم الاتراك ــ تتخبط في جهل دامس ، وتتردد في عقائد فوضوية ودين طغت عليه الخرافات الدالة على جمود الفكر وتخدير الشعور . ودليلنا على ضآلة الثقافة في الجزائر ــ على عهد الاتراك ــ عدم شهرة

---

١ ــ لقد بسطنا الحديث عن أدوار الثقافة بالجزائر على عهد الاتراك ، في مقدمة كتاب (التحفة المرضية ..) . بيروت . ١٩٧٢م . مطبعة دار الثقافة .

مراكزها ، وقلة رجالها ، وندور نتاج أصحابها ، تلك ثلاثة مظاهر للثقافة لا يمكن بدونها ان توصف الشعوب بها • فليس من مراكز الثقافة فـي الجزائر ما يشبه «جامع القويين» بفاس أو «جامع الزيتونة» بتونس ، او «جـمع الازهر» بالقاهرة، او «الجامع الاموي» بدمشق، بل لا تعدو ان تكون هذه المراكز بعضا من مساجد المدن والقرى ، وزوايا اللاجئين من الفقراء والمساكين،وكتاتيب القرآن،ومنازل بعض العلماء ووجهاء اهل البلاد ودكاكين التجارة ، حيث يجتمع الناس ليلا ليقرأوا بعض الغزوات أو القصص او السير • وكان الهدف من هذه القراءة التسلية لا غير، بدليل ان أغلب المستمعين قد كانوا أميين • اما رجال الثقافة في الجزائر فانهم اقل من قليل بالنسبة الى أقرانهم في المغرب الاقصى والمشرق العربي • وأما نتاج علما الجزائر وأدبائها فقد كاد يفقـد قيمته العلمية والادبية ، زيادة على ضآلته ، بالنسبة الى نتاج علمـاء المشرق والمغرب وادبائهما آنذاك • ورغم ذلك فحظ هذا القطر مـن الثقافة يتمثل فـي حركتين اثنتين : علمـية وأدبية •

الحركة العلمية

لم نرم بالحركة العلمية الى مفهـومها في العصر الحاضر ، من حيث اختراع الاشياء التي لم تكن لغير مخترعها في الحسبان ، مثل : اختراع طاقة الذرة ــ مثلا ــ وانما نرمي بذلك الى العلوم المنقولة، بل الى الحركة الدينية ، ان صح هذا التعبير ، لكون مفهوم العلم في ذلك العصر كان اتقانا لفهم آي الذكر الحكيم ، ومرويات الحديث الشريف واستظهارهما، ومعرفة للعقائد والفقهيات والاصول ، وجميع ما يتصل بعلوم الشريعة• وكان رجال الدين في نظر المسلمين هم العلماء بحق ، وكانت الحركـة العلمية ــ في آن واحد ــ دينية تمت الى العلم الظاهرة ، وصوفية تمت الى العلم الباطن ، بيد ان كلتيهما ضئيلتان جدا فـي القطر الجزائري • فالدين الظاهر قد اصبح تقليدا اعمى ، معتمده الحفظ الجاف للنصوص

الفقهية . وكان جل علماء ذلك العصر لا يحكمون العقل بل ينحون نحو التسليم لمن سبقهم من رجال التقليد ، ويرون الاخذ بالمنقول هو أصوب منهجا لمن ينتهج سنة الله ورسوله . أما التصوف فقد تحول الى دروشة تتبلور في التوسلات بالاضرحة والقبور ، والتسلي ببسط الاكف عند المزارات ، والركون الى الخرافات الخيالية ، فكل من يتصفح مؤلفات ذلك العصر الخامل ، يجد نفسه يعيش في عالم الاموات ، فهذا يرقب خروج الدجال من المشرق ، وذلك ينتظر ظهور الدابة ، وذلك يتوقع انقضاء الدنيا وفناء المادة والنفخة الاولى في الصور ، ومن ظفر بكتاب ابن سيرين لتأويل رؤياه ، فقد فاز بكل ما يتمناه . وكانت الحركة الدينية يتزعمها شيوخ الزوايا وأئمة المساجد ومفاتيها ، وقضاة المحاكم، وكان هؤلاء العلماء موزعين على بعض مدن الجزائر وقليل من القرى والمداشر ، توزيعا لا يفي بحاجات اهل القطر لدينهم الضروري ، اذ ربما قطع سكان بعض القرى او المداشر أكثر من مرحلة ، ليستفتوا في مسألة دينية تعرض لهم ، ولم يكن لديهم فقيه يفتيهم فيها .

الحركة الادبية

اذا كانت الحركة العلمية ضئيلة في الجزائر ، فان الحركة الادبية أشد ضآلة وأندر وجودا هناك ، وذلك راجع الى سببين اثنين حسبما نرى .

أولهما : ان الدولة التركية الجزائرية كانت عجمية اللسان، لا تفقه شيئا مما ينشده الشعراء او يتفصح به الخطباء ، فهي لا تهتم سوى برجال الحرب الذين يحسنون ضرب السيف، وقدح الزناد، لان العصر عصر حروب وانتقام وجميع دول الافرنج واقفون لها بالمرصاد ، وبالاضافة الى ذلك فان الثورات الداخلية كانت تشتعل من حين الى آخر في كامل القطر ، اذن فليس من الممكن ان تجد الدولة ، لديها من

الوقت الذهبي لتصرفه في سماع القصائد، ثم تجيز اصحابها بما يحفزهم الى المضي في التنزه في حدائــق ألوان الأدب ، والتجول فــي رياض فنــونه •

ان الادب نافلة تتنفل به الشعوب التي انتهت من اداء واجبهــا ، فمن أين تفاجىء فكرة الادب شعبا مثل شعب الجزائر ، قد كان مشتغلا بقوت يومه وشؤون عياله ، فكيف يهدأ باله ويسمح له ضميره ان يركن الى الادب ، بينما هو يقاسي في مسقط راسه الأمرين : من حيث تتابع الثورات الداخلية وتوالي الهجومات الخارجية ، فقد تحطمت معنوياته، وتكبلت مواهبه ، فاصبح رهن القلق والاضطراب المتولد عنهما القنوط واليأس والشقاء والبأس •

ثانيهما: ان التوجيه التعليمي كان دينيا أكثر منه أدبيا، ولا سيما في الزوايا التي لم تؤسس سوى لتكون مرتعا للعلــوم الدينية الاسلامية حسب ذلك العصر •

وفي اعتقادنا ان الادب الممتاز قد اصبح ــ ابان حكم الاتراك في الجزائر ــ شاذا هناك ، وأشد منه شذوذا النبغاء فيه • وعلى رأس هؤلاء النبغاء في القرن الاول من حكم الاتراك أبو العباس أحمد المقري صاحب هذه الدراسة، واما في القرنين التاليين فلم نجد من يستحق الرتبة الثانية بعد أبي العباس سوى الحاج أحمد بن عمار الجزائري (١)، صاحب كتاب «نحلة اللبيب بأخبار الرحلة الى الحبيب» • وقد منحنا الاولوية لهاتين الشخصيتين ، دون غيرهما من سائر الشخصيات الجزائرية الذين كانوا

---

١ ــ هو الحــاج احمد بن عمــار الجزائري ، مفتــي المالكية بمديــنة الجزائر . كان نابغة زمانه في العلوم النقلية والعقلية ، وفي السنون الادبية ايضا . تولى الافتاء سنة ١١٨٠ هـ (١٧٧١م) ولم نهتد الى زمان وفاته •

يعاصرونهما ، لكونهما قد جمع — لادبهما الممتع — علما غزيرا ودراية واسعة النطاق ، وموهبة وقادة ، وشهامة فذة • وقد تفرد المقري بحافظة لاقطة وذاكرة عديمة النظير •

وليس معنى هذا ان القطر الجزائري قد خلا كليا في ذلك العهد من الادب والعلم ، بل هناك أدب ، بيد انه ما زال فجا جامدا ، لم يبلغ النضج العقلي ، ولم يندلع عن الشعور الحي والخيال الجوال • وهناك علم ، ولكنه جترار وتقليد في كل ما هب ودب ، وكلامنا فيما يخص الادب المكتسب «أدب الدرس»•اما أدب المواهب الطبيعية «أدب النفس» فهو اكثر من كثير بالقطر الجزائري ، لا سيما الشعر الملحون المعبر عنه الان بـ « الادب الشعبي » • وليس معنى ذلك — أيضا — ان القطر الجزائري قد اقفر من الادباء والعلماء آنذاك ، بل هناك علماء ، لكنهم ليسوا مجددين في افكارهم وأقوالهم ، بل هم الى الجمود اقرب والى الخمول اركن• ثم هناك أدباء، غير انهم لم يتركوا لنا ادبا خصبا ونتاجا سنيا يستوجب منا ان نرتب أصحابهما في صفوف النبغاء من أدباء العصر وعلمائه •

ولعلنا لسنا بمخطئين اذا ما قلنا : ان الثقافة في القطر الجزائري قد كانت — على عهد الاتراك — جهوية اقليمية اكثر منها قطرية عمومية، اذ انها كانت محصورة في اماكن محدودة ، مثل : تلمسان ، والجزائر ، وبجاية ، وقسنطينة ، وقليل من الزوايا المتجافية عن السواحل ، كما انها كانت تتمثل في بضعة أشخاص معينين • والثقافة اذا كانت في مثل هذه الصورة ، اصبحت عاجزة عن التأثير الذي هو شرط أساسي لتثقيف الشعوب •

وكانت الثقافة في الجزائر مزيجا من ثلاثة عناصر : اندلسية ، مغربية ، شرقية • وكانت تلمسان ميالة الى العنصرين الاولين •

الحالة السياسية في المغرب الاقصى

لما عجز الوطاسيون (١) عن مقاومة (البرتغال) ورده عن سواحل بلاد المغرب ، واشتغلوا بالكيد لبعضهم بعض ـ حبا في الرياسة وهياما بالجلوس على الكراسي والعروش ـ ثارت الرعية المغربية بأجمعها على هذه الاوضاع المؤلمة وتحمست لوطنها المفدى ، الذي أصبح فريسة بين أنياب العدو الحقود ، وراح ضحية من أجل مصالح بعض الافراد المغرضين ، فاجتمع ـ اذ ذاك ـ علماؤه وأعيانه ، وجعلوا يفكرون في المسلك الذي يؤدي بهم ـ الى نجاة الرعية وانقاذ الـوطن • ثم اتفقوا على وجوب نصب رجل منهم ، وتسليمهم اليه قيادة الشعب المغربـي وأمور بلاده المغصوبة ، واقترحوا ان يكون هذا الرجل ذا عزم صارم ، وحزم وكرامة ، وعلم وصلاح ، ودراية وعفة ، وارادة وبسالة ، فوقـع اختيارهم على رجل من أشراف السعديين ، عرف بين الناس بسيرتـه المحمودة ، ونخوته المتوثبة ، ذلك هو ابو عبد الله ، القائم بامر الله ، أصله من «ينبع النخل»• وكان يقطن «درعة» موطن أسلافه وأجداده: « وهؤلاء السادة أصلهم من الحجاز دخل جدهم أحمد بن محمد بـن

---

١ ـ الوطاسيون : فرقة من بني مرين . ولما دخل بنو مرين المغـرب واقتسموا اعماله ، كان للوطاسيين الريف .
(محمد المؤقت ، ارشاد الشيخ والشـارخ ، القاهرة : مطبعـة الحلبي ١٣٤٩ ص : ١٨١) .

القاسم الى المغرب في المائة السادسة ، ونزل درعة ، وتزوج بها ، وولد له أولاد ، انشئوا بدرعة ، وتناسلوا بقرية «تاقمادارت» ولم يزل الطعن فيهم من شرفاء «تافلالت» ، لنفور اتصالهم بهم في النسبة وقال الشيخ ابن سودة : سمعت من شيخنا أبي العباس المقري أنه قال وجد بخط الامام ابن عرفة ثبوت نسبهم ..» (٢)

بايع أهل سوس أبا عبد الله القائم بامر الله على السمع والطاعة، عندما غزاهم (البرتغال) وطوقهم بجيشه من كل جهة وجانب ، وكان «ذلك سنة ٩١٥ هـ» (١٠٠٩م) (١) ، فنادى القائم بامر الله في الرعية بالجهاد فاجتمعت اليه من كل صوب وحدب ، ونهض بهم الى (تاورنت) فاستولى عليها • ثم زحف بجيشه صوب (أغادير) ، فالتقى هناك بجيش (البرتغال) ، فتقاتلا مدة لم يحز فيها القائم بامر الله نصرا ، فاقترح على الرعية تسليم الامر الى ولده أبي العباس الاعرج ، فقبلوا منه اقتراحه، وبايعوه سنة ٩١٨هـ (١٠١٣م) (٢) • فنهض المبايع له بجموعه وحمل على (البرتغال) حملة رجل واحد ، فاخرجه من عدة مراكز واحرز على الظفر والنصر المبين ، وسرعان ما طار خبر انتصاره في انحاء المغرب كله ، فراسله علماء مراكش ووجهاؤها ملتمسين منه الدخول تحت لوائه المظفر ، فلبى طلبهم ، ودخل مراكش سالما أمينا ، وجعلها دار امارته ، ومركز مدده • ثم لم يلبث الحسد أن دب بينه

---

٢ ــ ل. بروفنصال، نخبة تاريخية جامعة لاخبار المغرب الاقصى (شالون : مط. برطرند ١٩٢٣) ص: ٨٨ .

١ ــ محمد المؤقت ، ارشاد الشيخ والشارخ ، ص: ٢٧٣ .

٢ ــ م. س. ص: ٢٧٤ .

وفي تحفة الزائر : ان مبايعة ابي العباس الاعرج كانت سنة ٩٢٢ هـ. (الامير ، محمد تحفة الزائر ، بيروت : مطبعة دار اليقظة ، ١٩٦٤ م. ج: ١ ص: ٥١) .

وبين أخيه أبي عبدالله (الشيخ) ، فتنازعا الملك ، وكانت الدائرة على الاعرج وقبض عليه أخوه ووزيره السابق، وأودعه السجن مع أولاده ، وانفرد بالملك • ثم استولى على مدينة فاس سنة ٩٥٦ هـ (١٥٤٩م) ، بعد ما حاصرها سنة أو يزيد • ثم أخرج منها جميع الوطاسيين ونفاهم الى مراكش ، بعدما قتل ابا حسون الوطاسي ، وهو آخر ملوك الدولة الوطاسية بالمغرب الاقصى • ثم سولت له نفسه ان يجمع المغرب الاوسط تحت لوائه ، فاستعد لما عزم عليه ، ونزح بجيشه صوب تلمسان فاستولى عليها ، بعد محاصرته لها تسعة أشهر ، ونفى الاتراك منها الى الجزائر • ثم لم يلبث الاتراك أن كروا عليه مرة ثانية وأخرجوه منها مطأطيء الرأس ، فعاد الى مدينة فاس ليستعيد قوته لغزو المغرب الاوسط مرة ثانية ، بيد انه باء بالفشل الذريع والخسران المبين بعد ان حاصر تلمسان اياما معدودات • وقد قتل – اغتيالا – سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٨م) (١) •

عبدالله الغالب

استخلف ابو عبد الله الشيخ ولده عبدالله فبايعه أهل فاس ومراكش ثم انتهز الفرصة خليفته القائد ابو الحسن علي بمراكش، فقتل ابا العباس الاعرج واولاده • وبعدما استقر عبد الله الغالب ، وخضعت له البلاد ودنت له الاسياد ، فاجأه حسن بن خير الدين التركي بجيشه

---

١ – كان ابو عبدالله الشيخ عالما بفنون زمانه ، اديبا ممتازا ، فقيها لا يشق له غبار في استنباط الاحكام . وكان ينتقد غالبا القضاة ، وينقد احكامهم ، فيرجعون عنها ويحكمون بمقتضى راي الشيخ . وكان مولعا بالمشاورة ويوصي بها حاشيته. وكان واسع الصدر ، رزين الحس، صبور النفس ، يتحمل الملمات بثغر باسم ، وصدر رحب . وكان يقول : «ينبغي للملك أن يكون طويل الامل ولا يحسن ذلك الا منه ، لان رعيته تصلح بطول أمله » .

من المغرب الاوسط يريد ان يستولي على مدينة فــاس ، فخــرج اليه عبدالله الغالب بجيشه ، ودارت رحى الحــرب بين الفريقين ، فانتصر عبد الله الغالب ، ورجع الحسن بن خير الدين الى تلمسان دون أن يحصل على طائل قد تمناه ، وعاد عبدالله الغالب بالله بجيشه الى مدينة فاس ، رافع الراس ، باسم الثغر ، مطمئن الضمير ، وريثما وصل أمر بقتـــل أخيه عثمان انتقاما منه • ثم وجه ابن أخيه محمد بن عبد القادر الــى مدينة (شفشاون) ، ففاجأها واستولى عليها بعدما غادرها صاحبها الامير ابو عبدالله ، وركب البحر بأهله وأولاده قاصدا المدينة المنورة ، وبقي هناك مجاورا حتى وافاه أجله • « وهو آخر امراء بنــي راشد فــي (شفشاون) » (١) • ثم جهز الغالب بالله جيشا عرمرما تحت قيادة ولده محمد الملقب بـ« المسلوخ » ودفع به الى (البريجة) المسماة بـ« المدينة الجديدة » ، التي بناها (البرتغال) ، غير أنه لم يتيسر له فتحها بعدمـا حاصرها ستين يوما • وفي سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٤م) توفي عبدالله الغالب بالله بمدينة مراكش واستخلفه ولي عهده محمـــد المتوكل علــى الله ، وكان ــ اذ ذاك ــ بمدينة فاس، فارسلت اليه البيعة منمدينة مراكش•

محمد المتوكل على الله

اعتلى المتوكل على الله الحكم ، فالتفت حوله الرعــية المغربية ، وسار في الناس سيرة أبيه • ولكن أباه لم يترك الملك مسلما لابنه غير منازع فيــه •

فها هما رجلان شهمان قدكانا مختفيين، ليرقبا عن كثبمتى تسنح لهما الفرصة باسترداد عرش ابيهما الاعرج المقتول في سجنه مع اولاده ظلمـــا وعدوانـا •

ذلكما الرجلان الشهمان هما الغازي ابو مروان عبد الملك، الملقب

---

١ ــ الامير ، محمد • تحفة الزائر ، ج: ١: ص: ٥٢

ب «المعتصم بالله»، وابو العباس احمد المنصور، الملقب بـ «الذهبي».
وكان الرجلان مختفيين في (سجلماسة) طوال أيام ابيهما . ولما تولى الغالب بالله فرا الى تلمسان مستنجدين بصاحبها حسن باشا ابن خير الدين التركي ، وطلبا منه أن يمدهما بجيش وعتاد حتى يستردا ملك ابيهما المغصوب ، فاشار عليهما بالذهاب الى سليم خان الغازي بالقسطنطينية ، لان الامر كله بيده ، فسار الاخوان الى سليم خان ، فوجداه مشغولا بتجهيز أسطول لغزو تونس ، فانضم عبد الملك الى اسطول الدولة العثمانية ، وابلى بلاء حسنا في معركة تونس .

وبعد ما فتح الاتراك تونس رجع عبد الملك الى القسطنطينية وطلب من السلطان سليم خان قضاء مأربه ، فرحب السلطان بطلبه ، وارسل الى والي الجزائر وأمره أن يقف بجانبه ، ويعززه بما يحتاج اليه من جند وذخيرة . ولما وصل عبد الملك الى الجزائر ارفقه والي الجزائر بجيش كثيف العدد ، متين العتاد ، فنزح به صاحبنا ، وانزله بضواحي فاس ، فخرج المتوكل على الله للقائه ، ودارت رحى الحروب بين الفريقين ، وفي اثنائها هم بعض جند المتوكل بالغدر به ، ففطن للمكيدة وعاد القهقري ،وأضرم خزائن البارود نارا ، وفر هاربا الى مراكش .

ابو مروان عبد الملك

استولى ابو مروان على فاس بعد فرار المتوكل على الله الى مراكش ، وأعطى جنود الاتراك ما اتفق معهم عليه من المال ، وزاد أن تكرم عليهم بتحف وهدايا ثمينة ، ثم رافقهم ــ عند رجوعهم الى الجزائر ــ الى « نهر سباو » فودعهم هناك ، وقفل راجعا صوب مراكش يقتفي أثر المتوكل على الله ، والتقى الجمعان بـ« خندق الريحان » من أحواز « سلا » ، فانتصر ابو مروان ، ودارت الدائرة

على المتوكل على الله ، ففر الى سوس ، ودخل ابو مروان مراكش • ثم رجع المتوكل على الله يريد مراكش ، بعد ما التفت حوله جموع قد جمعها من جبال سوس، فخرج اليه ابو مروان يريد لقاءه خارج المدينة، بيد ان المتوكل على الله اخذ طريقا غير طريق ابي مروان ، ودخل مراكش بمعونة اهلها ، فحاصره أبو مروان فيها وبعث الى أخيه احمد المنصور ــ وهو اذ ذاك خليفة بفاس ــ أن يمده بجيش ، ويقوده هو بنفسه ، فوافاه أخوه بطلبه ، وارغم المتوكل على الخروج من مراكش فارا الى سوس ، فطارده أحمد المنصور وكانت بينهما معارك ضارية اسفر النصر فيها لاحمد المنصور • ثم هرب المتوكل على الله الى باديس ومنها الى سبتة، ثم الى طنجة، حيث اتفق مع حاكمها ان يمده بجيوشه، شريطة ان تكون سواحل المغرب الاقصى تحت سلطة (البرتغال) فامده بمائة وعشرين الفا من الجنود ، مضافة الى جيشه ، البالغ عدده ثلاثمائة مقاتل • وزحف الجميع من هناك الى ان عبروا « وادي المخازن » ، فعلم ابو مروان بالامر المبرم ، والمكيدة المدبرة ، فاسرع وزحف بجيش المسلمين نحوهم ، وبعد ما عبر الوادي بجيشه ، امر بنسف الجسر ، ليقطع على العدو خط الرجعة • ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين ، وحمي وطيس القتال ، وفي اثناء المعركة اشتد مرض ابي مروان ، فتوفي ، وكتم حاجبه وقائد محفته خبر وفاته عن الجيش ، وتقدما به محرضين الجيش على القتال ، فانتصر المسلمون على عدوهم نصرا باهرا ، ولقي قائد (البرتغال) حتفه غريقا في الوادي • اما المتوكل على الله ، فقد اخرجه جيش المسلمين من الوادي قتيلا ، فسلخوه ، وحشوا جلده تبنا ، ثم أخذوا يطوفون به في مدن المغرب الاقصى • وقد دامت هذه المعركة خمسا واربعين ساعة ، وهي اكبر معركة عرفها المغرب الاقصى في ذلك العصر : « وكان من نتائج انتصار المغرب في هذه المعركة القضاء على الحملات الاستعمارية ، التي كان (البرتغال) يشنها

على المغرب تحت ستار الحروب الصليبية ، واسرعت (اسبانيا) الى عقد اتفاق مع المغرب ، واعادت اليه مدينة اصيلا ، وتم اتفاق مع تركيا على اقرار علائق حسن الجوار ..» (١)

ابو العباس احمد المنصور

توافدت الوفود من طرف ملوك الدنيا يهنئون ابا العباس المنصور ــ بعد مبايعة اهل المغرب الاقصى له ــ يحملون اليـه في حقائبهم الهدايا السنية ، وفي ايديهم التحف الثمينة ، وفي ألسنتهم أحر التهاني باسمي العبارات، ومن بين اولئك الوفود وفد من حضرة السلطان مراد خان، ووفد من حاكم الجزائر، وآخر من ملك (البرتغال) و (الاسبان).
ولما استقر على عرشه عقد العهد لابنه : محمد الشيخ ، الملقب بـ« المأمون » ولكن الحياة لم تصف له ، كما أن الملك لم يلق اليه بمقاليده . فهذا ابن اخيه داود بن عبد المؤمن يثور عليه من جبل (سكسيو) . ويدعو لنفسه بالخلافة ، فيجهز احمد المنصور جيشا ويصوبه نحوه . فيفر الثائر المنهزم الى عرب البوادي ، ويبقى هناك الى أن يموت كمدا .

وبموته تاقت نفس المنصور الى فتح السودان ، ففتحه واستولى عليه وعلى (توات) ، وادخل تحت لوائه (برنو) وضم اليه مدينة (كاغو) . بعد ان قتل صاحبها اسحاق . وما كاد المنصور ينتهي من قمع بعض العناصر الخارجية عليه ، والمخالفة لرايه ، حتى ثار عليه الناصر ابن الغالب بالله ببلاد الريف ، فجهز اليه المنصور جيشا كثيفا ووجهه لقمعه ، فانتصر الناصر عليه وكسره ، واستفحل امره في بلاد الريف . ثم تلا في المنصور هزيمة جيشه بارسال ابنه وولي عهده من فاس ،

---

١ ــ الشرقاوي ، محمد ،المغرب الاقصى ،القاهرة : دار القاهرة للطباعة) ص: ٢٣

يقود جيشا اكثر من سابقه نحو هذا الثائر الناجح في ثورته ، والمتمرد على حكم المنصور . وبعد قتال شديد انتصر والي العهد وقبض علـى الناصر وحز راسه وبعث به الى أبيه المنصور بمراكش وما عتم المامون ان ركب راسه ، وسولت له نفسه ان يثور على ابيه المنصور ويخـرج على حكمه ، فبعث اليه ابوه ينصحه ويحذره شر عواقب التمرد ، فابى واستكبر ، وكفر بنعمة الابوة ، فـزحف اليه ابوه باثنـي عشر ألـف مقاتـل صوب فـاس . فلمـا سمع المأمـون بنزوح ابيه صوبه ، فر من فاس الى قشتالة ، فقبض عليه ـ هناك ـ أنصار أبيـه ، وأرسلوه مكبلا بالاصفاد الى المنصـور ، فسجنـه في مكناسه وانتهت حيـاة المنصور بعد هذه الحادثة ، فتوفي سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٣م) بالوباء في فـاس .

ابو المعالي زيدان

ما كاد أهل فاس ينفضون أيديهم من تراب قبـر المنصور حتـى بايعوا ابنه ابا المعالي زيدان، وما كاد زيدان يجلس على عرش ابيه حتى طار اليه الخبر بمبايعة أهل مراكش لاخيه ابي فارس ، فقام زيدان لهذا الامر وقعد ، ثم شمر عن ساعد الجد لمحاربة أخيه الثائر عليه والمتمـرد عن حكمه ، وقصده في الحين الى مراكش في جيشه ، فانتحل لـه ابو فارس مكيدة ، فاخرج أخاه المامون من السجن ليكون في صفه . ثـم جهز له جيشا لملاقاة أخيه زيدان ، والتقى الجمعان خارج مراكش ولمـا دارت رحى الحرب بين الفريقين ، تفرق جيش زيدان عليه وفر ـ هو ـ الى فاس وتحصن بها ، فلحقه المامون ، فوجد أهل فاس في انتظاره، فرحبوا به وسهلوا عليه دخول فاس ثم تملص زيدان وفر الى تلمسان، حيث استنجد بحاكم الجزائر على عدوان أخيه ، فلم يمد اليه حاكـم الجزائر يد المساعدة واضطر ان ينكفيء من تلمسان الى سوس ، وبقي

هناك ينتظر الفرص المواتية له • ثم تمرد المأمون على أخيه ابي فارس وارسل لمقاتلته جيشا من فاس بقيادة ابنه عبدالله ، فدخل مراكش بعد معركة حاسمة ، واباح المدينة ثلاثة ايام ، ولم تحمد سيرته في الناس مدة استقراره بماراكش، وقدجر ذلك الى مكاتبة اهلها ابا المعالي زيدان بسوس مطالبين اياه بمبايعتهم له ، فلبى طلبهم ، ودخل مراكش باعانتهم ، وفر عبدالله الى ابيه بفاس ، فارجعه بجيش عرمرم ، وامره ان يبلي في الحرب حتى يدخل مراكش او يموت ، والتقى الفريقان بـ « راس العين » وكتب النصر لعبدالله ، وفر زيدان ، ودخل عبدالله مراكش وما كاد يحط رحله ويستقر حتى ثار عليه ابو حسون محمد بن عبد المؤمن (١) ونزح اليه من «جبل حليزة» صوب مراكش ، فخرج اليه عبدالله ، وبعد معركة حاسمة انتصر ابو حسون واستولى على مراكش ، الا ان استيلاءه عليها كان بقدر ما يستعد للخروج منها لان أهل مراكش بعثوا الى أبي المعالي زيدان يطلبون منه ان يدخل الى مراكش وسيمهدون له الطريق بجميع الوسائل ، فجاءهم زيدان بجيشه ، وأنزله خارج المدينة ، فخرج ابو حسون اليه بمثل ما جاء به، ودارت رحى الحرب بين الجيشين ، فكان النصر حليف زيدان، واستولى على مراكش واستقر بها ، ثم وجه جيشه بقيادة مصطفى باشا الى فاس، فدخلها ، وفر عبدالله الى القسطنطينية يستمد من سلطانها المعونة ، فلم يلق رحبا ولا سهلا • اما زيدان فقد التحق بفاس ، وبينما هو بها اذ بلغه ان اناسا قد ثاروا عليه بناحية مراكش ، فخرج لمحاربتهم وفي أثناء ذلك سمع بان قائده المطواع مصطفى باشا قد قتل ، فعاد من فوره الى فاس • ثم أخذت الحوادث تأخذ بأعناق بعضها بعض فهذا (الاسبان) قد استولى على العرائش بدسيسة من عبدالله السالف

---

١ ـ محمد بن عبد المؤمن : من اولاد ابي العباس الاعرج كان مختفيا بـ (جبل حليزة) •

الذكر . وهذا ابو الليث يفتك به ويقتله مع بعض اولاده . ثم ثـــار الفقيه احمد بن عبدالله السلجماسي الملقب بـ «ابي المحلي » واستولى على سجلماسة ، ودرعة ، ومراكش ، واشتدت شوكته ، وصلب عوده. ولما أعجز زيدان امره استنجد بالفقيه زكريا الحاجـي صاحب « جبـل درن » ، فنزل عند رغبته وخرج الى ابي المحلي في جموعه ، فالتقـى الجمعان وحمي وطيس القتال ، وكانت الدابرة على ابي المحلي ، فقتل وحز رأسه وعلق على سور مراكش . وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين والف هجرية . ثم عاد زكريا بجيشه الـى بلاده ، وجنح الـى العفة ، واعتزل الملك والامور الدنيوية بعد أن استقر أياما بمراكش ، وكـان لزيدان صدوقا حميما يسترشده فيرشده ، ويستنجده فينجده ، الى ان مات زيدان سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٨م) .

باقية ملوك المغرب الاقصى

بويع لعبد الملك بعد وفاة أبيه زيدان، وانتصر على الوليد واحمد الثائرين عليه ، وهزمهما شر هزيمة . ثم دخل فاس رافع الهامة ، شامخ الانف وضرب السـكة باسمه ، بيد أن دولته قد عاجل زهرتها ابن عمـه محمد ابن الشيخ وقتله غدرا .. ثـم بويـع لاخيه الولـيد ، واقتصر سلطان هذا الاخير على مراكش واحوازها ، كما كانت لابيه وأخيه من قبله . واستولى ابو عبد الله العياشي على فاس وسائـر انحاء المغـرب الاقصى ، واستولى ابو حسون ، المعروف بـ « ابي دميعة » علـــى سوس ودرعة وسجلماسة . وفي سنة خمس واربعين وألف قتل الوليد على يد احد جنوده الغادرين به . وكان الوليد يتظاهر بالتقى والديانة بيد انه يغدر بالاشراف ويقتلهم دون ذنب ارتكبوه ، سوى انهم مــن بني عمه وشركائه في دمه . ثم أخرج أخوه محمد الشيخ من السـجـن وبويع له ، فحكم بالناس بالعدل والانصاف ، وسار فيهم سيرة حسنة. ثم تمرد عليه ثائر من (هشتوكة) واستمر في مناوشته ، وتأليب الرعية

عليه حتى فرق جمعه وقص أطرافه ، وما كاد ينتهي من هذا حتى ثار عليه أهل زاوية الدلائي بـ « جبال تدلا » ، ولما استفحل امرهم وقويت شوكتهم دعا اليه قاضيه الفقيه محمدا الزوار المراكشي وطلب منه أن يسعى في توحيد كلمة الناس حتى لا يخرجوا عليه . فلما أيقن أنهم مصرون على عنادهم، اخذ يراودهم ويلاينهم الى ان قتل بمراكش ، ثم خلفه ابنه ابو العباس احمد ، فسار في الناس سيرة ابيه ، بيد ان أحمد قد كان له أخوال ينافسونه في الملك ، وهم حي من (الشبانات) ، فناهضوه وحاصروه بمراكش ، ولما رأت والدته ما رأت خافت على ابنها ، فأرشدته أن يتوجه الى اخواله ويصالحهم ويمحو ما في نفوسهم من غل عليه ، ولما وصل اليهم قتلوه غيلة ، واستولوا على مراكش، واتخذوا عبد الكريم ابن ابي بكر أميرا عليهم . وبقتل ابي العباس امحت دولة السعديين من المغرب الاقصى . وكان ذلك سنة ١٠٦٩ هـ (١٦٥٩م) .

الحياة الاجتماعية في المغرب الاقصى

اذا كان الشعب الجزائري بعيدا عن ميدان السياسة ، منعزلا عن حكام الاتراك ، فالشعب المغربي بعكس ذلك ، فانه غارق في خضم السياسة الى أذنيه ، ملازم لأعتاب ملوكه وحكامه .

فكل فرد من الشعب المغربي مطلوب بمبايعة الملك ، سواء كانت تلك المبايعة مباشرة أو بواسطة أهل الحل والعقد من العلماء ، ووجهاء البلاد ، وغاية ما في الامر ان الشعب المغربي كان يعرف معنى البيعة ومن يبايعه بها . فاذا نظرنا الى هذين السببين وجدناهما نقطتي انطلاق لاتصال الشعب بالحكومة اتصالا لا غنى له عليها ، ولا غنى لها عليه . فالملك يصلي الجمعة ، ويؤم الناس ، ويخطب فيهم بلسانهم العربي ويخاطبهم بلغتهم القومية، ويستشير العلماء والمفكرين في امور الدولة،

ويستنصح لمن نصحه منهم ، ويسمع الشعر ويجيز عليه منشده ، وربما كان الملك نفسه شاعرا مفلقا وعالما تشد اليه الرحال ، وقد جمع احمد المنصور الذهبي علما غزيرا ، وشاعرية صادقة ، وخيالا جوالا • وقد كان له مجلس كل يوم أربعاء يجمع فيه العلماء على مختلف طبقاتهم ، ويتباحث معهم في شؤون الدين وسياسة الدولة • وكان العلماء همزة وصل بين الملوك وبين الشعب المغربي ، فان استقام الملك على سنة الله وسنة الرسول دعوا له بطول حياته ، وان حاد عن الطريق السوي ألبوا عليه الشعب ، وطلبوا بمبايعة غيره ممن هو بالعرش جدير ، ونلاحظ هذا في الثورات التي قادها علماء المغرب وفقهاؤه ضد كل من لم تحمد سيرته — من الملوك — في الرعايا المغربية •

عناصر الشعب المغربي وطبقاته

يتألف الشعب المغربي من ثلاثة عناصر • اولها : العنصر البربري، وثانيها : العنصر العربي •وثالثها : العنصر اليهودي • وكان العنصران البربري واليهودي — كلاهما — خاضعين للعنصر العربي— تقليدا وقالبهما ، لانهما يريان فيه الكمال من ناحيتي الدين والنسب • لهذا نجد البرابرة يقفون الى جانب السعديين الاشراف ويحاربون اخوانهم الوطاسيين • ولم ينحازوا الى ما تقتضيه عصبية النسب ، واللغة ، والقومية من الاحتماء لهم والدفاع عن سلطانهم أن يزول • وفي زواله فشل أمرهم ، وذهاب ريحهم • اما طبقاتهم فتنقص طبقات المجتمع الجزائري بواحدة • فهي ثلاث طبقات• اولاها : طبقة الاشراف ، ويمثلها رجال الدولة واحبار العلم ، وشيوخ الزوايا ، وقد يوجد علماء وشيوخ زوايا من الطبقة البربرية • ثانيتها : طبقة الجنود ، ويمثلها خليط من برابرة ، واندلسيين لاجئين ، وبعض قواد الاتراك • ثالثتها : طبقة الخدام ، وهي من تبقى من الرعية ، التي كانت — وما تزال — رهن اشارة ملوكها وعلمائها •

الحركة الاقتصادية

كانت الحركة الاقتصادية على عهد السعديين ، رائجة رواجا حسنا بالنسبة الى غيرها من الاقطار العربية الاخرى .

ففي عهد عبدالله الغالب بالله كثر البنيان ، واستبحر العمران ، فكان شغوفا بالعلم، وبتشييد المباني والمساجد والمدارس، فقد جدد بناء المدرسة التي انشأها ابو الحسن المريني بفاس ، وبنى جامع الاشراف بمراكش ، وأسس المارستانات ، وأوقف عليها أوقافا عظيمة الافادة لأئمة المساجد والمدرسين والقائمين بشؤون الدين .« وكان محبوبا من الشعب بجميع طبقاته ، ونشطت الحركة الاقتصادية في زمانه نشاطا يستحق الذكر ، وكانت أيامه كلها أيام دعة وأمن ورخاء وعفة ». (١)

وقد بلغت الحركة الاقتصادية أوجها في عهد ابي العباس المنصور من ناحية العمران ، فراح هذا الملك ينشيء العمارات العسكرية مثل الحصنين الكبيرين ، اللذين انشأهما بمدينة فاس .

اما العمارات المدنية فهي اكثر من كثير، ونخص منها بالذكر «قصر البديع » الذي شيده بمدينة مراكش . « وقد استغرق بناؤه عدة سنين دون انقطاع ، وعمل فيه الصناع ورجال الفن من مغاربة واوربيين ، وجلب اليه من الرخام المختلف الالوان من اوربا ». (٢) و(المسرة)، و(المشتهى) :

« بستان حسنك ابدعت زهراته	ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى
وقوام غصنك بالمسرة ينثني	يا حسنه رمانة للمشتهى»

---

١ ـ كنون ، عبدالله ، النبوغ المغربي ، في الادب العربي (بيروت: دار الكتاب ١٩٦١) ص: ٥٣٥ .

٢ ـ وهبي ، محمد ، خلاصة تاريخ المغرب (مط. الوحدة العربية ١٩٤٤ م. ص: ٣٢ .

ولولا خوف الاطالة المفضية لذكرت من محاسن مولانا امير المؤمنين المنصور — رحمه الله تعالى! — بعض ما أؤدي بهحقه، سقى الله تعالى عهاده ! وقد بسطت الكلام على السلطان المذكور في كتابي : « روضة الآس العاطرة الانفاس ، في ذكر من لقيتهم من اعلام مراكش وفاس » (١)». وكان المغرب ينعم في عهد المنصور بالرفاهية والازدهار، فقد كان الذهب يحمل اليه بالاحمال من السودان ولذا لقب : «الذهبي» وكان في دار سكته اربعمائة والف مطرقة مشتغلة — يوميا — بضرب الدينار الوهاج ، هذا من غير المصنوعات والحلي ، ومما زاد في اقتصاد البلاد زراعة قصب السكر لاول مرة في بلاد المغرب ، وقد نجحت زراعته نجحا كبيرا .

فاشتهرت له مصانع ببلاد سوس ومراكش ، وانتجت مقادير هائلة وكمية كبيرة ، حتى رخصت اسعاره ، وكثرت عليه الطلبات من البلدان الاوربية ، فاستبدلته الحكومة المغربية بالرخام من(ايطاليا) لتشييد المباني المغربية . وقد نال المغرب الاقصى حظا وافرا من الصنائع المختلفة ، وذلك لارتباطه بالاندلس ارتباطا وثيقا في السياسة والاجتماع . «وكانت منسوجات كثيرة الانوا تصنع بمدينة فاس من الحرير والكتان ، والادم ، وان أهل مراكش اشتهروا بالحذق في صناعة الصياغة ، وامتازوا عن العالم بالدباغة ، فهم يجعلون جلود الاسود بيضاء كالثلج ، ولامعة مثل الحرير . واما البسط فاكثرها يصنع في الولايات الجنوبية». » (٢) واما التجارة فكانت رائجة نعايته ، في الواردات الاجنبية ، والصادرات الداخلية . وكانت

---

١ — المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج: ٩، ص: ٢٨٦ .

٢ — بيهم ، محمد جميل ، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب (القاهرة: مط. مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٠) ص: ١٨٥ .

مراكزها اسواقا موزعة في أنحاء القطر المغربي ، واكثرها في الجنوب حيث المواشي ومنتوجات النخيل .

الصناعة الفنيه

كانت الصناعة الفنيـة في المغرب الاقصى صورة صادقـة لعصر السعديين ، توحي بتقدمهم في الفن . فقد كانت الموسيقى المغربيـة مزيجة بالموسيقى الاندلسية ، بل قد حافظت على جميع الحانهـا وانغامها ، وقطعها ، وأدواتها الطربية . وكذلك تفنن المغرب في النقش والطرز والفروش والاثاث على وجه العموم ، وقد كانت حيطـان المغاربة تلبس بلباس خاص يطلق عليه اسم « اللباس الحائطي » وقـد صنع للمنصور لباس خاص يدعى بـ «المنصورية» . ويقال له ايضا « قلب حجر » وقد انشد المنصور في « منصوريته » :

وصفوا اشتيـاقي للحبيب وسرهم قـول الحبيب : انـا انافيـه
قلبي لـه حجر ، فقلت مغـالطـا للعـاذل المؤذي : انـا فيـه (١)

وهكذا كـان المغرب الاقصى ــ على عهد السعديـين ــ محـط انظار العالم العربي ، من حيث تقدم الفن وازدهار الرفاهية . وهـذا مما جعل صاحب كتاب « زهرة الشماريخ » يتهم المنصور بانه : « كان قليل الاسفار ، وانما سافر لفاس مرتين لا غير، وكان مستفرغ للذات، مكبا على شهواته ايام خلافته » . (٢)

الثقافة في المغرب الاقصى

كانت عجلة الثقافة ــ على عهد السعديين ــ سائرة الـى الامام

---

١ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج: ٩، ص: ٢٨٦ .
٢ ــ الافراني محمد الصغير ، نزهة الحادي في اخبار ملوك القـرن الحادي (باريس ، مط . باريس ، ١٨٨٨م) ، ص: ١٢٠ .

في طريقي العلم و لادب على احسن ما يرام ، وذلك راجع الى ثـلاثة اسباب رئيسية ، حسبما ارتأيناها .

أولها : ان الشعب المغربي لم تدخل صفوفه عناصر عجمية منـذ الفتح الاسلامي ، بل بقي عربيا في لغته وأخلاقه ، محافظا على كيـان قوميته وعوائده الاقليمية .

ثانيها : ان جل ملوكه كانوا علماء مثقفين .

ثالثها : ان جامعة القرويين قد حفظت للشعب المغربي تراث العرب ومجد الاسلام ، فقد كانت له بمثابة المعين الصافي ، والينبوع العذب ، يرده كل من احس بعطش الى العلم الشريف ، فيجـد فيه مـا يروي غليله ويبرد كبده .

الحركـة العلميـة

كانت الحركة العلمية ــ هناك ــ منتعشة في جميع اصقاع القطر موزعة في المساجد والمدارس والزوايا توزيعا تثبته لنا المؤلفات ، التي الفت لذلك العهد في شتى العلوم ، فقد نقل الينـا عبدالله كنون في كتابه « النبوغ المغربي عشرين تأليفا في التفسير والحديث وتوابعهما ، وثمانية وسبعين تأليفا في الفقه والتصوف وما يتصل بهما .. وثمانية عشر تأليفا في المنطق وعلم الكلام وما يمت اليهما .. وثلاثة وعشريـن تأليفا في علوم النحو والتصريف والبيان وما اليها .. وواحدا وعشرين تأليفا في الرحلات والتراجم والتاريخ ، وعشرة تواليف في الادب العربي وشعره ، وستة وعشرين تأليفا في علوم الطب والهيئة والحساب ومـا الى ذلك » (١)

ولم ينقل الينا عبدالله كنون تواليف لغير المغاربة ، وان كانت قد

---

١ ــ كنون ، عبدالله ، النبوغ المغربي ، ص: ٢٥٦ ــ ٢٦٠

ألفت بالغرب الاقصى ، مثل « أزهار الرياض » لابي العباس احمد المقري ، فقد ألفه في فاس ما بين سنتي ألف وثلاث عشرة وألف وسبع وعشرين للهجرة النبوية • فهذا العدد الوافر من التواليف يدل دلالة واضحة على اعتناء علماء المغرب الاقصى بالحركة العلمية ، وان كانت عديمة الابتكار فهي مفيدة من حيث شرح الغامض ، او اختصار المطول او تقييد الحوادث•• وبكل صراحة فان الحركة العلمية في المغرب الاقصى ، كانت في القمة بالنسبة الى الاقطار العربية الاخرى ، مثل الجزائر وتونس ، وطرابلس الغرب ، والشام ، وحتى مصر بأزهرها المعمور ، واما علماء المغرب الاقصى — في عهد السعديين — فانهم كثيرون جدا ، فلنترك احصاءهم الى كتب التراجم والوفيات فانها قد ألمت بما يحتاجه الباحث عن مهمته المنشودة •

الحركة الادبية

نهضت الحركة الادبية من مرقدها على عهد السعديين ، بعدما خمدت جذوتها في عهد الوطاسيين • وكانت متمشية تدريجيا الى ان بلغت اوجها في عهد المنصور الذهبي ، فقد اجتمعت في بلاطه علماء المشرق والاندلس بعلماء المغرب الاقصى والاوسط ، واكتظ قصره بادباء الاقطار العربية،فراحوا يحيون سنة الامويين والعباسيين باجتماعهم حول ملك عارف بدروب فنون الشعر ، بصير بمذاهب الفقهاء والمفسرين مطلع على طرق الرواة والمحدثين • فكان يبارى الشعراء بأشعاره ، ويجازيهم على اشعارهم باموال قد اطلقت السنتهم في مدحه بسطوات الحسام، وكان يستشير العلماء في شؤون الدولة ، ويستفتي الفقهاء في اشياء • ثم يبدي رأيه الخاص ، فيجدون الحق معه والصواب حليفه ، فيرجعون اليه لا عن رهبة من سلطانه ، او رغبة في احسانه ، بل لانه اجتهد فأصاب ، فله اجران • ومن بين هؤلاء العلماء والادباء الذين كانوا مرموقين بعين الاعتبار عند المنصور الذهبي وحاشيته ، عالمنا

وأديبنا أبو العباس المقري صاحب بحثنا هذا ، فقد كان له شأن بين الادباء ، ومكان مرموق عند العلماء ، في بلاط ابي العباس المنصور . وكثيرا ما يحدثنا المقري في مؤلفاته عن المنصور وأدبه الرفيع ، وعن شعرائه المادحين له في شتى المناسبات . « ومن مآثره ــ نصره الله ــ التي اختص بها ولم يشارك فيها اكرامه للفقهاء ، لا سيما الوافدين على مقامه من البلاد الشاسعة ، فتعم جميعهم آلاؤه الواسة ، ولذلك تجدهم قد وفدوا عليه من أقاصي الارض : كالشام والعراق ومصر والحجاز وغيرها، ومن غرائب ذلك انه اجتمع يوما بين يديه ــ نصره الله ــ ثلاثة اعلام ، كل واحد من اهل المدن الثلاث ، التي تشد اليها الرحال احدهم من مدينة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والاخر من مكة ــ زادها الله تشريفا ــ والثالث خليلي من بيت المقدس يقال له « امام الدين » ، فألقي في خاطر الخليلي المذكور ما اتفق من اجتماعهم في حضرة مولانا ــ نصره الله ــ فأنشأ بيتين في الحال ، وقام على قدميه وانشدهما امير المؤمنين ــ نصره الله ــ وهما :

ان امير المؤمنين احمد	بحر الندى وفضله لا يجحد
مكة وطيبة اهلهما	والمسجد الاقصى بذاك شهدوا

فلما بلغ قوله : «فمكة» و «طيبة» اشار الى كل من صاحبيه ، ولما بلغ قوله : « والمسجد الاقصى » ، اشار الى نفسه ، ثم قال : ــ نصرك الله ! ــ لم يتفق مثل هذا لملك قصدت ايالته قبلك ، فتبسم لذلك ابقاه الله ! ــ واجزل لهم في العطاء ... » (١) .

ولسنا بمغالين ان قلنا ان المغرب الاقصى ــ على عهد السعديين ــ

---

١ ــ المقري ، احمد ، روضة الاس ، العاطرة الانفاس ، في ذكر من لقيتهم من اعلام الحضرتين مراكش وفاس (الرباط: المطبعة الملكية ١٩٦٤م) ص: ١٤ ــ ١٥ .

قد كان كعبة للادباء والعلماء بالنسبة الى العالم العربي ، وذلك لانــه لم ينطو تحت جناح العثمانيين العجم ، مثلما انطوى تحت جناحهم سائــر البلاد العربية الاخرى • وهذه العلة هي التي ابقت على المغرب الاقصى، من حيث محافظته على رونقه العربي في لسانه واخلاقه وعوائده وقوميته وحتى في سياسته • ولولا الفتن الطاحنة ، التي نشبت بين أولاد المنصور بعد وفاته ، لخلق السعديون ادبا وافرا لا ينضب معينه ، وعلمــا غزيرا لا يستغنى عنه في جميع العصور ، بيد ان شره أولاده قد عجل بملكهم، وأودى بعلمهم وأدبهم ، فتحول جل العلماء صوفيين يبتغون فضلا مــن الله ورضوانه ، وراحوا يبتعدون عن المجتمع ابتعاد النون عــن البيداء ، وانقلب الادباء يبكون أدبهم بقلب محرور وعين عبرى ، ثم اتخذوا طريق الفن للفن ، بعدما كانوا أدباء يعملون من أجــل المجتمع اينمــا كانوا ، وحيثما وجـــدوا •

واما الادباء الذين كانوا يمرحون في رياض دولة السعديين فــانهم كثيرون ، نذكر منهم أبا العباس المقري ، الذي فارق مسقط رأسه تلمسان وقصد المغرب الاقصى حبا في العلم والعلماء ، وهياما بالادب والادبــاء، وقد اخذ بلبه علماء هذا القطر ، واستولى على مشاعره ادباؤه بما فيهــم ملكهم المنصور المطاع • وفي مقابلة الحفاوة التي لقيها المقري الصغير في المغرب الاقصى ، والاحسان الذي غمره به الملك والرعية ــ قرر عنــد رجوعه الى بلده تلمسان ان يؤلف كتابا في شأن ملك هذا القطر وبعض الادباء الذين اتصل بهم في رحلته وسمى هذا الكتاب « روضــة الاس ، العاطرة الانفاس، في ذكر من لقيتم من اعلام الحضرتين مراكش وفاس» • وقد ذكر فيه تسعة وثلاثين أديبا ، اجتمع بكل واحد منهم ، واخذ عــن بعضهم كما اخــذوا عنه ، واطرى المنصور الذهبي اطراء لا مزيــد عليه • وذكر من بين اولئك الادباء احد الاصدقاء للمقري ، والمشاركين له فــي

فتوته الادبية،وهو عبد العزيز القشتالي (١) ، الذي يقول فيه ابن معصوم: « فاضل زهت به الاقلام والاعلام •• وهو اذا نثر افحم الورقـــاء ذات السجع ، واذا نظم اقحمت أفكاره دراري السماء ذات الرجع ، فجاء بما شاء وكيف شاء ، من محاسن الاشعار والانشاء ، اتصل بالمنصور السعدي فولاه رياسة الانشاء في بلاطه ، وقـال فيـه هذا السلطان ــ على ما ذكره المقري في عرف الطيب ــ : ان القشتالي نفتخر به على ملوك الارض ونباري به لسان الدين ابن الخطيب » (٢) •

---

١ ــ توفي سنة ١٠٣١ هـ (١٦٢٢م) .

٢ ــ ابن معصوم ، علي صدر الدين ، سلافة العصر ، فـي محاسن الشعر بكل مصر (القاهرة : مطبعة مصر ١٣٢٤م) ص: ٨٥٢ .

— ج —

الحالة السياسية في المشرق العربي

لقد اجتازت السياسة ــ أثناء حكم الاتراك في مصر ، وسوريا ، والجزيرة العربية ــ مرحلتين قبل الحملة الفرنسية على مصر .

أ ــ مرحلة الباشوات

وتبتديء من سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) الى سنة ١١١٩ هـ (١٧٠٧م) وفي اثناء هذه الفترة من مرحلة الباشوات ، كانت البلاد ترزح تحت الحكم العثماني المباشر . وقد تعاقبت عدة ولاة على مصر ، يبلغ عددهم ثمانية وستين من الباشوات . أولهم « خير بك باشا » واخيرهم « حسن باشا كاتخذ» (١) وكان تعيين الباشا من طرف السلطان مباشرة ، على أن يعاونه الكاهيا . والسلطان هو الذي يعين ضباط السويس ، ودمياط والاسكندرية ، أيضا . اما البكوات فانهم يسمون من طرف الديوان المصري ، ويترك امر تعيينهم الى الباشا ، وللسلطان القول الفصل في شأنهم ، ان شاء أثبتهم ، وان شاء أبعدهم ، غير ان مصر لم تكن تتمتع بالاستقرار من جراء تنافس القوى الثلاث وتتابع الفتن ، كما ان الباشوات لم يكونوا مطمئنين في مناصبهم ، بل هم

---

١ ــ المؤقت ، محمد المراكشي ، ارشاد الشيخ والشارخ لملخص بعض التواريخ ، ص : ٢٩٨ .

معرضون للعزل بين عشية وضحاها ، الا من رحمه السلطان ممن كان طوع امره فيما يشير عليه • ولهذا السبب بلغ عدد الباشوات ثمانية وستين خلال ست وتسعين ومائة سنة (٢) •

وكانت خزانة مصر مرتبطة بخزانة الدولة العثمانية مباشرة • وكانت ولاية مصر عونا للدولة العلية على قمع الثوار الذين ثاروا عليها في اليمن وسوريا خلال هذه الحقبة • ولما ضعفت الدولة العثمانية من جراء الحروب التي واصلتها مع(أوربا)تجرأ عليها أمراء الاجنادوالمماليك وارغموها أن تحول الباشوات ، ثم أدى الامر الى ان أصبح النفوذ بايدي الاجناد والمماليك ، فاستولوا على الادارة مباشرة ، ولم يبق في وسع السلطان الا موافقتهم، لانه أحس بدبيب الضعف يسري في كيان عرشه•

ب – مرحلة حكومة الامراء والمماليك

وتبتديء من سنة ١١١٩ هـ (١٧٧٥م) • كان الباشوات الذين تعاقبت ولايتهم على مصر بعيدين عن الشعب ملازمين قلعتهم ، فلا يهمهم من الامة سوى قبض الضرائب الفادحة التي اثقلوا بها كواهل أهل البلاد، تاركين شؤون الامة – التي لا تدر عليهم نفعا – في ايدي غيرهم من الاجناد والمماليك ، المنقسمين الى حزبين ، حزب المماليك القاسمية ، نسبة الى شيخ البلد قاسم (عيوظ بك) الذي استفحل امره في عهد السلطان أحمد الثالث ، وصارت له الكلمة العليا ، والتصرف التام ، وحزب المماليك الفقارية وهكذا غدت مصر فريسة بين انياب هذين الحزبين اللذين ظلا في طغيانهما يعمهان ، لا يرحمان صغيرا ، ولا يوقران

---

٢ – ذكر محمد جميل بيهم انه قد بلغ عددهم ٧٦ واليا في حقبة قدرها ١٩٦ سنة فقط .

انظر الحلقة المفقودة في تاريخ العرب القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٠م) ، ص : ١٧ .

كبيرا ، عملهم الفساد في اخلاق الشعب والعبث في أرض مصر ، الى ان غزاهم « نابليون بونابرت » في عقر دورهم ، واطاح بعرشهم ، واخـــذ بخناق قوتهم ، فندموا على ما فعلوا « ولات ساعة مندم » •

الهيئــة الاداريــة

نهجت الحكومة التركية في ادارة بلاد المشرق العربي منهج النظـام الاسلامي ، من حيث الاعتماد على الخطة اللامركزية ، فعينت حكاما مـن زعماء الامصار التي استولت عليها ، رهبة من بطشهم، لا رغبة في اصلاح البلاد ، ولذا نجد السلطان سليم الاول قد اشرك المماليك فـي الحـكم بمصر ، ورتب هيئات الادارة الى ثلاث طبقات :

١ ــ طبقة الباشوات : وهم أعلى منزلة فـي الحكم بعد السلطان ، فهم أمناؤه ، لا يعصون أمره ويفعلون ما يامرهم به •

٢ ــ طبقة الوجاقات : وهم الجنود ، ووظيفتهم حفظ البلاد، وجباية الخراج ، ومنهم تتكون جماعة الشورى للباشوات •

٣ ــ طبقة المماليك : وهذه الطبقة جعلها السلطان لتحافظ علـى التوازن بين الباشوات وبين الجنود ، فهي بمثابـة اللسان للميزان بيـن الفريقين ، فاراد السلطان ان يفعل من المماليك رقباء على المستبدين مـن الباشوات او الاجناد ، فيردون منهما الباغي على الآخر•ولما ارتقى سليمان القانوني الى العرش اطمأن الى المماليك، واضاف اليهم وجاقا سابعا واثني عشر بيكا آخرين ، وأحدث لهم وظائف يشغلونها ، ومنحهم حق الترقيـة الى رتبة الباشا • وقد غلط الاتراك غلطة لا مرد لها قـد سجلها عليهـم التاريخ في سجل هفواتهم ، حينما اطلقـوا السلطة فـي ايدي المماليك ، واعتمدوا عليهم في شؤون دولتهم في مصر ، فان وقفوا بجانبهم ابـان قوتهم وشبيبة حكومتهم فقد خذلوهم فـي ايـام ضعفهم ، واستبدوا بالحكم في وادي النيل •

الحياة الاجتماعية

اذا كانت مصر شريكة سوريا في الحكم العثماني وشقيقتها في السراء والضراء ، فانها تتأثر بما تأثرت به سوريا والعكس بالعكس .

وهذا « جان سوفاجيه » يعطينا نظرة عامة على الحياة الاجتماعية في سوريا على عهد الاتراك ، قال المذكور أعلاه : « لم يغير خضوع سوريا لسلاطين القسطنطينية شيئا مهما في النظام الاجتماعي ، الا في ما خص مبدأ الحكم . فان الباشوات لم يكونوا ـ على الغالب ـ أقل جهلا ، ولا شراسة ، ولا اضطرابا في مراكزهم من حكام المماليك، ولا أبعد عن النهم في المال بفضل ما كانوا يفرضونه على السكان من الضرائب والغرامات ، بسبب وبغير سبب . وان يكن جمهور الجيش أبعد عن اثارة الفتن من الجيش المملوكي. فان هناك فرقتين متنازتين، هما : الشرفاء ، والانكشارية ، اذ كانتا تتنافسان دائما في التفوق وبسط النفوذ . وكثيرا ما كانت تنتهي منافساتهما بالعراك المسلح . أما خارج المدن فلم يبق من سيادة للامن ، وها أن البدو وقطاع الطرق ينهبون القوافل ولا يخشون عقابا . ولكن لم يكن لهذه المظاهر المحلية من تأثير عام . فان تطور دمشق ، في هذا العصر ، تأثر بعوامل أهم مما تقدم ، هي تلك العوامل التي كانت تهم الامبراطورية باسرها . وأولها كيان تلك الامبراطورية نفسها الشاملة شرق البحر المتوسط بكامله ... (١)

يتبين لنا من خلال هذا النص أن الحياة الاجتماعية لم تتحسن

---

١ ـ جان سوفاجيه ، دمشق الشام ، ترجمة فؤاد افرام البستاني (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٦م) ، ص : ٤٢ .

من ناحية النظام الداخلي ، بل بقيت على ما كانت عليه زمان استبداد المماليك . ومما زاد في الطين بلة — أيام حكم الاتراك — نشوب معارك طاحنة بين الاشراف وبين الانكشارية . ورغم أن حكم الاتراك كان حكما اسلاميا . فانه يختلف كثيرا عما سبقه ، من حكم العرب والمسلمين في القرون الماضية ، فقد أهمل الاتراك كل اصلاح يتناول النواحي الاجتماعية ، او الاقتصادية ، او الثقافية ، بل تغافلوا عن اصلاح المرافق العامة . ومما زاد في كوارث العالم العربي اكتشاف «راس الرجاء الصالح» سنة ٩٠٣هـ (١٤٩٧م) وتحول التجارة قبيل الفتح العثماني اليه . فقد أدى هذا التحول الى خسارة كبيرة لحقت بالعالم العربي ، وعمه الكساد ، وسقطت مكانة مصر التجارية . وعوض أن يقيل العثمانيون العرب من عثراتهم ، ويأخذوا بايديهم حتى ينعشوهم، فانهم عملوا على محوما تبقى من الصناعات التي كانت مزدهرة في مصر ، ونقلوا كثيرا من الصناع المهرة الى القسطنطينية (٢) ، وتركوا مصر في ظلمات تعمه . وأهمل العثمانيون تطهير الترع حتى جفت ، وترميم الجسور حتى انهارت ، وألزموا الفلاحين بضرائب فادحة قصمت ظهرانهم ، وحطمت آمالهم ، وتركوا الرعية تتخبط في الفقر والمرض المنتشر من جراء اهمال المرافق الصحية . ولم تجد الرعية في وسعها سوى الركون الى الاولياء وشيوخ الطرق ، لانهم كانوا محظوظين عند الدولة وكانت هذه الرعية الجاهلة هي التي تقوم بنفقات هؤلاء المحظوظين ، وتكرمهم باحياء الموالد والولائم ، جاعلة فيهم كل الثقة ، ملتمسة منهم الدعاء الصالح . ولم يبق في مصر من مراكز

---

٢ — وقد قدرهم ابن اياس بما يربو على ١٨٠٠ صانع .
انظر بدائع الزهور في وقائع الدهور (القاهرة: مط. بولاق ١٣١٢هـ) ج: ٣ ص: ١٢٢ .

العلم سوى الازهر الشريف والكتاتيب القرآنية ، وانتشر الجهل ، وعمت الخرافات ، واضطرب الامن ، واعتدى الجنود على الرعية ، فسلبوها اموالها ، وازهقوا أرواحها ، فضاقت بهم الارض بما رحبت، وراحوا يلتمسون من الله انقاذهم من مخالب هذا الحيوان المفترس .

قال العياشي : « ... فبشاواتها وسناجقها وولاتها وحكامها ، بل وسائر جندها وعسكرها فيما يظهر لنا ، ليس فيهم الا من أعماه حب الدنيا وأصماه ، وختم على سمعه وقلبه ، لا يرحمون ضعيفا ، ولا يوقرون كبيرا ، انما تبدولهم صبابة من الدنيا وثبوا عليها ، ان كان صاحبها حيا تسببوا له بدنى سبب حتى يأخذوا ماله . اما مع رقبته ، او بدونها ان كان في العمر فسحة ، وان كان ميتا ورثوه دون بنيه وبناته . وأما رعيتها فلا تسأل عما يلاقون من الجند ، من الظلم وما هم فيه من الاهانة والاحتقار ، تضرب ظهورهم وتؤخذ اموالهم ، ولا مشتكى لهم الا لله ، ومن تجاسر منهم واشتكى ضعف عليه العذاب الاليم » (١) . هذه شهادة رحالة مغربي في القرن الحادي عشر ترينا ما كان يقاسيه الشعب المشرقي من استبداد الاتراك واجنادهم السفاكين . وهذا الاعتداء لم يكن مسلطا على الطوائف الدينية ، واصحاب العصبيات من اشراف ، وشيوخ الطرق ، ورؤساء القبائل ، وزعماء العشائر والمماليك ، فهؤلاء قد ظلوا يتمتعون بالحرية المطلقة في ظل السيادة التركية ، لانها اصطنعتهم كأدوات في خدمة حكومتها ، فعهدت اليهم بجمع الضرائب وجمع الرجال في اوقات الحروب ، وربما وجدت هذه الطوائف ـ اثناء تمتعها بسيادتها في حكم الاتراك ـ فرصا انتهزتها للثورة على الدولة ، والخروج على سلطانها .

---

١ ـ العياشي ، عبدالله ، ماء الموائد ،
فاس ، طبعة حجرية ، ١٣١٦ هـ ج: ١ ص: ١٢٢ .

ولا ننكر ان الاتراك قد مهدوا الطريق للحجيج ، وحفروا الابار في احضان الصحراء المترامية الاطراف ، وسهلوا لمن رام بيت الله الحرام كل صعب يعترضه في طريقه ماديا او معنويا . ولا شك ان هذا الوازع الديني له محمدة في تواريخ الاديان ، ولهذا نجد كثيرا من النـاس لم يكتفوا في ذلك العهد بحجة الفرض ، بل يحجون مرات معدودات وهذا ابو العباس المقري صاحب بحثنا يحج بيت الله الحرام خمس مرات . ولولا تـوفر الاسباب له ما كان يستطيع ان يحج سوى حجة الفرض ولولا حرية الدين في ذلك العصر ، وامداد الحكومة اهله ، ما اطلـق العلماء ألسنتهم في آل عثمان ، بالثناء عليهم في أنديتهم وكتبهم، والدعاء لهم على أعمدة المنابر بدوام سلطانهم .

وقال قطب الدين الحنفي : « ... ولقد حكت علماء أمة الاسلام، واتفق قول الائمة الاعلام ـ رضوان الله عليهم اجمعين،وشملهم برحمته ـ انه أرحم الراحمين ! ـ أن سيوف الحق أربعة ، وما عداها للنار : سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين ، وسيف أبي بكر رضي الله عنه في المرتدين ، وسيف القصاص بين المسلمين ، اقول وسيوف بني عثمان رحمهم الله تعالى ، وابقى الملك فيهم وفي عقبهم الى يوم القيامة، ان شاء الله تعالى ! اذا اعتبرتها وتأملتها لا تخرج عن هـذه السيوف الاربعة . فانهم ما زالوا من أول أسلافهم ـ رحمهم الله تعالى ! ـ الى الان يجاهدون الكفار والمشركين ، ويقاتلون الملحدين والباغين ، ويقيمون شعائر الدين . فالله تعالى يمد سلطانهم على المسلمين ، ويؤيد بهم أهل السنة ، ويقمع بهم كفار الملحدين ! وهذا دعاء مجاب ، يدعو لهم بـه طوائف المؤمنين ، فانهم وسبب قيامه عباد الاسلام ، وقوام هذا الدين المتين ، وسبب قيامه بين الانام . والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعـاء لاهل الاسلام واعزاز لدين الله تعالى ونصرة سيدنا محمد ، عليه أفضل

الصلاة والسلام ، وتأمين البلاد وتطمين العباد ، وتوهين أهل السنة الفساد وقطع جادة الالحاد ، وقمع جميع ارباب البغي والفساد (١) » .
من هذا النص نستخرج أن علماء الدين كانوا راضين بالحكم التركي رضاء لا رجوع فيه ، وذلك لان الاتراك لم يمسوا الشعائر الدينية بسوء . بل أعانوا اهل الدين والمتصوفة ، واطلقوا فيهم أموالا ، وبنوا لهم معابد ومساجد لتقام فيها تلك الشعائر الدينية ، وقد حارب الاتراك الشيعيين ، ونصروا السنيين .

قال الحصري : « ان الشاه اسماعيل الصفوي جعل نفسه داعيا للمذهب الشيعي ، وحاميا للشيعة ، واكتسب أنصار كثيرين من الاتراك أنفسهم ولكن السلطان سليم تولى زعامة السنة ، واستحصل على فتوى تعتبر الشيعة خارجين على الدين الاسلامي ، وتقرر وجوب محاربتهم وقتلهم ، ولذلك أمر بقتل كل من كان معروفا بالتشيع ــ داخل بلاده ــ وأعد جيشا قويا لمحاربة الشاه اسماعيل الصفوي ، والقضاء على دولته ومذاهبه (٢) » .

عناصر المجتمع في المشرق العربي

كان المجتمع في المشرق العربي أخلاطا من عناصر كثيرة ، غير اننا نستطيع ان نرجعها الى أربعة عناصر باختصار .

١ ــ العنصر العربي : ويتفرع منه المسيحيون وأكثرهم في بلاد

---

١ ــ الحنفي ، قطب الدين ، كتاب الاعلام ، باعلام بيت الله الحرام القاهرة . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . ص : ١٧٨ .
٢ ــ الحصري ، ساطع ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت مطبعة دار العلم للملايين . ١٩٦٠ م . ص : ٤٠ .

الشام ، والمسلمون وهم من تبقى من العرب ، وفيهم طوائف عديدة ، ومذاهب كثيرة ، منهم الشيعة ومنهم السنيون ، ومنهم الدروز وجلهم يقطنون بلاد الشام .

٢ ــ العنصر الاسرائيلي : وهم أشتات في أرجاء البلاد واكثرهم في القدس .

٣ ــ العنصر القبطي : وهم المصريون الاصليون بمثابة البربر في الشمال الافريقي ، وكلهم مسيحيون .

٤ ــ العنصر التركي : وهم حكام البلاد ودينهم الاسلام .

طبقاته

واما طبقاته فخمسة :

١ ــ طبقة الحكام ، وهم أقحاح الاتراك .

٢ ــ طبقة المماليك ، وهم زعماء أهل البلاد .

٣ ــ طبقة الاجناد ، وهم خليط من مختلف العناصر .

٤ ــ طبقة المثقفين ، وهم رجال الدين ، والمتصوفة ، وشرذمة قليلة من أدباء العصر .

٥ ــ طبقة الخدام ، وهم اكثر من كثير في مجتمع المشرق العربي ، جلهم أميون فلاحون .

الحياة الاقتصادية

لئن ضعفت التجارة في بلاد النيل لاسباب طبيعية واخرى اصطناعية

فانها في بلاد الشام وجزيرة العرب ، كانت ــ نسبيا ــ على أحسن مــا يرام ، وذلك راجع الى موقعهما الجغرافي • فجزيرة العرب تقع بين افريقيا وحوض البحر الابيض المتوسط ، وبين البحر الهندي وخليج فــارس ، وبفضل هذا المركز الجغرافي الممتاز استطاعت الجزيرة العربية ان تلعب دورا هاما ، في ميدان الاقتصاد ايام ان كان الامم يعتمدون على القوافل والسفن الشراعية • وكانت الجزيرة العربية تصدر كثيرا من منتوجاتهــا ، منها : التمر ، والبن ، واللؤلؤ ، والمرجان ، والعاج ، والبخور • وتستورد المأكولات ، والمنسوجات ، والمواعين • وكانت القوافل بين الحجاز وبين الشام ذاهبة عبر الصحراء وآيبة • وكانت الموانيء عامرة بالتجار الاجانب ، ولا سيما عندما عقد السلطان سليمان القانوني معــاهدة مــع فرنسا تقضي بمساعدة التجارة الفرنسية وترويجها في الشرق الاوسط • وكانت هذه المعاهدة مصدرا للامتيازات التي أصبحت خلال عهد الانحطاط العثماني ذات طابع خاص • غير انه جعل الاجانب فوق القانون حتى في المكوس والضرائب ، وحاطهم بهالة من الميزات المبجلة ، واصبحت هذه الميزات والامتيازات من جملة الاسباب لنجاح الاجانب دون العثمانيين • وهــذا « جان سوفاجيه » يكشف لنا بعض نواحي الحياة الاقتصادية في المشرق العربي على عهد الاتراك • بقوله : « ••• أصبح ممكنا لكل فرد مــن رعية السلطان الاعظم أن يسافر من الدانوب الى الاوقيانوس الهنــدي ومن بلاد العجم الى المغرب ، دون أن يخرج عن الشرائع نفسها ، ولا عن النظام الاداري الذي اعتاده ، بدون أن يضطر الى استعمال لغة جديدة ، ولا أن يحتاج الى الاخذ بقطع من النقود غير التي عرفها في بلاده ، وهي حالة لا تخفى أهميتها في سبيل تعزيز حركة التجارة الداخلية ، حتى ان المكوس والرسوم المتعددة واستبداد الموظفين ، واضطراب الامن فــي الطرقات لم تتمكن من عرقلتها ، لانها كانت تمد تجارة خارجية وافــرة الارباح ، وذلك ان الموافقة على « الامتيازات الاجنبية » فتحت المرافيء

التركية لتجار اوربا ، فاخذوا يصدرون اليها الكميات الهائلة من المصنوعات على اختلاف انواعها ، ويستوردون منها كميات كبيرة من المواد الاولية • وكان أكثر الناس فائدة من هذه الحركة نصارى البلاد، فان معرفتهم بالعادات المحلية سهلت لهم أعمال الوساطة والسمسرة والترجمة ، وقد استفادت دمشق فائدة جليلة من هذه الحركة التجارية المزدوجة بفضل قربها من اسكلة «صيدا» الفرنسية، على ان حركتها المهمة كانت تتجه ناحية أخرى وذلك بفضل موقعها الجغرافي على طريق الحج ••• (١) »•

الحياة الثقافية

تقدم لنا أن قلنا ان الاتراك رجال حرب ، لا رجال ثقافة ، وان مهمتهم الاستيلاء على البلاد وتوسيع سلطانهم، لا تثقيف الشعوب ونشر العلوم في دور البلاد التي استولوا عليها • ولسنا بذاهبين مذهب بعض المؤرخين ، من أن الاتراك قد استغلوا الدين الاسلامي كوسيلة لتحقيق أهدافهم ، وتثبيت سلطانهم ، لان هذا يقتضي وصفهم بالنفاق المقيت ، والتنكر للاسلام بعد قضاء مأربهم ، وهذا شيء لم يسجله عليهم التاريخ ولم توعز به علماء الاسلام • ونحن لا ننكر أن بعض سلاطين الاتراك كانوا مثقفين وأدباء ، كمحمد فاتح «القسطنطينية» ، فانه كان يتقن خمس لغات فضلا عن معرفته للعلوم الرياضية، وقد أنشأ في القسطنطينية مدارس متعددة ومنها مدرسة دار الفنون ، وكان معنيا بالعلوم والعلماء وكذلك السلطان سليم الاول فقد كان له آثار في الشعر الفارسي والعربي • وقد نقل مؤلفات الاقطار الثلاثة ، مصر، والشام، والعراق الى بلاده ، واستقدم اليها الادباء والصناع ، ثم اقتفى أرثه ولده سليمان

---

١ ــ جان سوفاجيه . دمشق الشام . ص : ٤٢ .

القانوني ، ولقب بالقانوني لانه سن قوانين الدولة ونظمها . أما بعد سليمان فان الاتراك قد صرفوا همهم الى الحرب ، والتوغل في فنونها، وقد ضربوا رقم القياس في مهنة القرصنة ، وجعلوا نصب أعينهم غزو بلاد الافرنج ، والاستيلاء على ذخائرهم، ثم أرادوا ان يرثوا العرب في حضارتهم ، ولكن طبعهم الفظ الغليظ لم يتذوق الحضارة العربية ، ولهذا أخذوا في تهديمها من حيث لا يشعرون ، ولنستمع الى الدكتور « غوستاف لوبون » يحدثنا في هذا الشأن بعض الحديث عندما يقول :

« الترك هم ورثة العرب في مصر وقسم كبير من المشرق كما هو معلوم، واذا ما نظر المرء الى الترك من الناحية السياسية ، أدرك أنه كان لهم دور كبير من العظمة ، فقد ارتعدت فرائص أقوى ملوك أوربا ، زمانا طويلا، فرقا من سلاطينهم الذين قاموا مقام القياصرة ، واحلوا الهلال محل الصليب الاغريقي فوق «أياصوفيا» وبسطوا نفوذ الاسلام في الافاق، بيد ان عظمة الاتراك لم تكن في غير الحرب،فالترك ــ وان استطاعوا أن يؤسسوا دولة كبيرة ــ أثبتوا عجزهم عن ابداع حضارة في كل زمان ، وكان أقصى جهودهم أن يستفيدوا مما أصبح تحت أيديهم من علوم العرب وفنونهم ، وصناعتهم وتجارتهم ، ولم يقدر الترك أن يتقدموا خطوة واحدة في هذه المعارف ، التي ازدهرت أيام سلطان العرب ، والامم ، اذ كانت ترجع الى الوراء ، حتما ، اذا لم تتقدم لم تلبث ساعة انحطاط الترك أن دقت ... وكان الانحطاط عميقا في مصر على الخصوص ، وبدأ هذا الانحطاط عندما جعلت انتصارات السلطان سليم منها ولاية من الدولة العثمانية فقد أخذت الفنون والصناعات تنطفيء فيها شيئا فشيئا ، وكان يدير مصر في العهد العثماني ولاة متقلبون غير مفكرين ، في غير الاعتناء بسرعة ، ولم تلبث مصر ان وقعت في ضنك العيش كبقية الولايات العثمانية التابعة للاستانة ، وزال رونقها القديم عنها ، وصارت لا تقوم فيها عمارة جديدة ، واصبحت مبانيها القديمة

مهملة ، ولم يبق منها غير ما سمح به الدهر ... » (١) .

ان الدولة العثمانية اقامت حكمها على اساس أن لا تتدخل في حياة الناس ونظمهم الاجتماعية ، فما دام العرب باقين على ولائهم وخضوعهم ، منصرفين الى حياتهم المألوفة ، وما داموا - أيضا - يقدمون الاموال التي تطلب منهم ، ظلوا بمأمن من سلطان الدولة ، ولا تمتد اليهم أيدي عمالها . وهذه الظهيرة قد حفظت للعرب كيانهم ونظمهم وتقاليدهم الاجتماعية وقوميتهم العربية ، وتركت فيهم - رغم عدم اكتراث الدولة بالثقافة - شعورا ببذور ثقافة ماضيهم المزدهر ، فأخذوا يسقونها بعبراتهم ، ويغذونها من دمائهم طوال أربعة قرون . والفضل العظيم في هذه القرون المظلمة يعود الى المعاهد الدينية ، وفي طليعتها الازهر المعمور صاحب القدر المرفع ، واليد البيضاء على العالم العربي .

الحركة العلمية

قلنا فيمامضى اننا نعني بالحركة العلمية ، التعليم الديني والعلوم الشرعية ، وقد منيت هذه العلوم - ابان الحكم العثماني - بتحجرها وتوقف أفكار الاستنباط فيها ، فقد ضيق عليها الخناق ، وحصرت في اختصار كاد يشبه اللغز للسطولات ، أو شرح المصنفات ، أو تحشية الشروح .

ولا يخفي علينا أن المشرق العربي كان ملتقى المذاهب الاربعة . وان الحكومة العثمانية كانت تعتنق مذهب أبي حنيفة ، وان أبا حنيفة قد بنى مذهبه على القياس ، وفيه كثير من الرخص التي لم توجد في باقية

---

١ - غوستاف لوبون . حضارة العرب . ترجمة عادل زعيتر . القاهرة . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . ١٩٥٦ م . ص ٥٨٧ .

المذاهب الثلاثة . وكان الحكام يغرون بعض العلماء لينزلوا عند رغباتهم ببعض الفتاوى ، تكون لهم عونـا على تنفيذ مرغوبهم في الرعية التي طالما اتقدت الى الحكام بواسطة علماء الدين وقد تقدم لنا ان السلطان سليم قد حصل على فتوى تبيح له استئصال الشيعة ومحـو مذهبهم . وما عدا هذا الاستنباط المغرض الاثيم ، فان الحركة العلمية قد وقفت عجلتها ونفـدت طاقتها ، واصبحت اجترارا فـي العقائـد والفقهيات ، وتزويقا في العبارات ، وتقليدا للسابق ولـو كان مخطئا ، وكفرانا للاحق ولو كان مصيبا ، وساد النقل ، ونبذ العقل ، هذا بالنسبة الـى الرعية ، التي رضعت أفاويق ثقافتها من مختلفات تراثها العربي والاسلامي معاء اما الرعية التركية فقد كانت أدهى وامر بكثير من غيرها في الناحـيـة العلمية . قال « كارل بروكلمان » : « كانت حياة العثمانيين العلمـيـة خلوا ، أو تكاد ، من الاصالة والابداع . فهي تتخذ سبيلها في مجاري التقليد والاتباع الثابتة . ذلك أن العلم لم يكن يعني ، عند المسلـم ، اكتساب معرفة جديدة ، بل التمكن الى أقصى حد مستطاع من المادة التي انتجتها الاجيال السالفة ، وكان أعظم القدر والاعتبار يخلع علـى التفقه في الدين والشرع الاسلامي ، الذي لم يكن ليفصل عن القانون المدني ، والذي طغى على هذا القانون أيضا . واذا كانت أمهات الكتب القانونية موضوعة بالعربية ، فقد اصطنع العلماء العثمانيون ، في آثارهم التشريعية هذه اللغة أيضا ، والاعم الاغلب ، ولم يكتب باللسان الوطني غير بعض الكتب الوعظية الموضوعة لعامة القراء . والواقع أن فضيلـة العلماء العثمانيين ، ليست في عمق التفكير وجراءته، ولكنها في الذاكرة الجامعة والتطبيق الجد الصبور » (١) .

---

١ ــ كارل ، بروكلمان . تاريخ الشعوب الاسلامية . ترجمة امين فارس ومنير البعلبكي . بيروت . مطبعة دار العلم للملايين . ١٩٦١ م . ج ٣ . ص : ١٠٥ .

كغيرها في المغرب العربي ــ منقسمة على شطرين من العلماء ، شطر مشتغل بما خلفه له الماضون من نوازل فقهية ، وعقائد توحيدية ، لا يريم عن رايهم فيها قدر أنملة ، وقسم راح يدعي الولاية ، ويقدم الحقيقة على الشريعة ، فالتفت حول الاول أتباع ، وانتصرت للثاني أشياع ، وكان الجامع الازهر محط رحال هذين الشطرين من الفقهاء والمتصوفة ، وكانت حلقات الدروس والاذكار ، لا تنقطع آناء الليل واطراف النهار .

أما علم القراءة والتجويد ، فقد كان محبوبا لدى المجتمع العلمي غير أن علماءه قليلون ، بالنسبة الى غيره من الفنون ، وهذه فقرات للعياشي تعطينا صورة عن عظمة العلماء في ذلك العصر ، واخلاقهم ، وندارتهم في بعض الفنون : « وزرنا في يومنا ذلك شيخ القراء بالقاهرة ، ورئيس أهل التجويد بلا مرافعة ، الشيخ سلطان ، ودعا لنا ، وكانت في خلقه ــ رضى الله عنه ! ــ شدة ، لا يترك أحدا يقبل يده غالبا ، وان ألح أحد في طلب الدعاء انتهره ، ويمضي ويتركه ، ولا يتحمل للطلبة الذين يقرأون عليه أدنى غلط يقع منهم ، بل يبالغ في التقريع والتوبيخ ، بل ربما زاد الى الشتم ، والناس يحتملون ذلك منه لتحقيقه وانفراده بذلك ، مع تقشفه وورعه ... » (١) .

الحركة الادبية

تقدم لنا أن الامة لا تركن الى الادب ، ولا تتذوقه الا اذا كانت متقدمة في العمران ، متوغلة في الحضارة ، لان الادب نافلة تؤدي بعد كثير من الواجبات ،فكيف بالمشرق العربي ، وهو يرزح تحت نير ضغط الاتراك واستبدادهم المستمر أن ينتج أدبا ، وشعوره غير شعور الادباء ؟!

---

١ ــ العياشي ، عبدالله . ماء الوائد . ج : ١ ص : ١٢٢ .

ان الادب العربي ـ في عهد الاتراك ـ انحط الى أسفل الدركات، ولا سيما في مصر التي قد كانت الحياة الاجتماعية فيها تنطوي على ضنك وقلق ، مما آل بالناس أن يعتنقوا نزعتين في معترك الحياة ، نزعة اباحية، تمثل الطيش والتهور ، ونزعة زهدية ، تمثل التشاؤم والانزواء على النفس والتخلي عن حطام الدنيا ، والتسلي بالصلحاء المنكوبين في الدار الفانية .

أما النزعة الادبية فانها أصبحت أضأل بكثير من النزغتين الفقهية والصوفية المتقدمين فيما سلف لنا عند كلامنا عن الحركة العلمية .

ان الادب في مصر كان متبلوا في ألفاظ ، مزركشة المباني ، مبتذلة المعاني ، ركيكة الاسلوب، لا تجديد فيها ، ولا توليد . فالشعر استحال نظما يجاري به الفقهاء بعضهم بعضا ، وتضبط به تواريخ الحوادث على طريق الحروف الجملية ، واحسنه مدائح نبوية وقصائد تعبدية . ومما يزيد في دعم ما ذهبنا اليه ، أن أبا العباس المقري لم يحدثنا في كتبه التي هي بين أيدينا ، عن أية مطارحة أدبية جرت بينه وبين الادباء ابان اقامته بمصر . « وقد عظم الامر في هذا الاوان ، وكثر المزدري والساخر مع أن أسواق الدفاتر كاسدة ، وأمزجة المحابر فاسدة .

والدهر دهر الجاهلين وأمر أهل العلم فاتر لا سوق أكسد فيه من سوق المحابر والدفاتر » . (١)

فالمقري صورة صادقة لعصره ، ولا سيما أنه مغربي يعيش في مصر ، والمغاربة معروفون بالصراحة لدى المشارقة ، فاذا كانت سوق العلم كاسدة ، وتجارة الجهل رائجة ، فلا شك أن بضاعة الادب مفقودة

---

١ ـ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج : ١ ص : ٧٩ .

وهذا الخفاجي يصارحنا في «ريحانته» ــ عندما يترجم المقري ــ بأن مصر محط الحسد والنفاق ، والادب فيها مجهول والاديب فيها غريب، لا يلتفت اليه ، ولا يحتفل به • وهذا ما دفع بابي العباس الى عقد عزمه على مغادرة مصر الى بلاد الشام ، لولا المنية قد حالت بينه وبين دمشق المحبوبة : « ولما راى (المقري) ما بمصر من الحسد والنفاق ، وتجارة الادب ليس لها بسوقها نفاق ، ارتحل الى الشام ذات العماد•••»•(١) ويقول ــ ايضا ــ : « ••• الا أن الادب في هذه الاعصار ، قد هبت على رياضه ريح ذات اعصار ، حتى أحلقت عرى المحامد ، واسترخى في جريه عنان القصائد ، وتقلصت أذيال الظلال ، وخطب البلاء على منابر الاطلال ، وعفا رسم الكرام ، فعليه مني السلام »•(٢)

هذه شهادة تغنيناعن استقطار اخبار الحركة الادبية بمصر، لانها فاه بها عالم جليل ، بلاده مصر ، ومولده القاهرة • « واهل مكة أدري بشعابها » •

وأما الشام فرغم ما أصابها من خمول في العقول ، وصناعة تقليدية في الاساليب ، فانها بقيت فيها حشاشة أدبية تستوجب منا التنويه بذكرها ، وذلك راجع ــ فيما نظن ــ الى مخالطة اهلها بالقبائل العربية المنتشرة فيضواحيها• ويكفي دلالة علىان الشام بقيت فيهحشاشة أدبية ، أنها أوحت الى المقري أن يكتب موسوعة أدبية ، كانت الرائد الاوحد لتاريخ الاندلس وادبائها : « ان الداعي لتأليفه أهل الشام ، أبقى الله مآثرهم•••»•(٣) والمقري ينوه بذكر الشام وآداب اهلها:

---

١ ــ الخفاجي ، احمد. ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا . القاهرة مطبعة مصرية . ١٣٠٦ هـ• ص ٢٢٢ •

٢ ــ م• س• ص ٤ •

٣ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ١ . ص ١١٧ .

« وكنا في خلال الاقامة بدمشق المحوطة ، واثناء التأمل في محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة ، كثيرا ما تنظم في سلك المذاكرة درر الاخبار الملقوطة ، وتتفيأ من ظلال التبيان ، مع أولئك الاعيان ، في مجالس مغبوطة ، تتجاذب فيها اهداب الاداب...»(١)

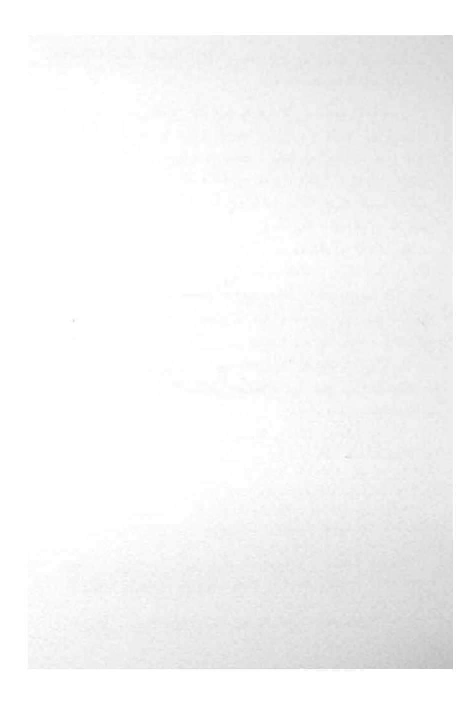
ويفيدنا المقري فيما كتب ، بمعلومات كثيرة عن الحياة العلمية بدمشق بالشام ، وعن الادباء والعلماء الذين لقيهم ، وسمع منهم ، أو سمعوا منه ، وأجازهم . وذلك ما دفع به أن يشد العزم الى دمشق لولا المنية قطعت امله وابقته في بلاد ما احب ان يسكنها حيا ، فكيف به وقد سكنها ميتا في تربة المجاورين ؟!

---

١ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٧٦ .

القِسْمُ الأول

المقري



الباب الأول

حياة المقري

الفصل الاول

اسرة المقري

جده ـ عمه ـ أبوه ـ أمه ـ زوجاته ـ أولاده ـ

مقر الاسرة ـ مدفن الاسرة

لا خلاف في أن أسرة المقري من أصل عربي بحت ، وانما الخلاف في نسبتها الى قبيلة قريش أو الى احدى القبائل العربية الاخرى • وسنشبع الكلام عن ذلك عندما نتعرض لذكر نسب صاحب الترجمة •

وبعد البحث الدقيق في المظان الموثوق بها ، لم نعثر على تحديد السنة التي نزحت فيها أسرة المقري من الجزيرة العربية الى افريقيا الشمالية حيث القت عصا الترحال واستقرت ببلدة « مقرة » برهة ، ثم في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) انتقل من هناك عبد الرحمن المقري (الجد الخامس للأسرة) قاصدا مدينة تلمسان

صحبة شيخه سيدي ابي مدين العوث ، (١) واتخذها سكنا له ولعائلته ومستقرا لأبنائه من بعـده .

وغاية ما علمناه عن الاسرة أن ذرية عبد الرحمن قـد اشتغلـوا بالتجارة عبر الصحراء ، فربحت تجارتهم ونمت ثروتـهم ، واكتسبوا جاها رفيعا ، وشدوا من العلم ما جعلهم مرموقين بسقلة الاحترام وعين الاعتبار . ولنترك الكلام الى علم من اعلام الاسرة المقرية ــ وهو ابو عبدالله محمد المقري الكبير ــ ليروي لنا قصة أجداده . وصاحـب الدار أدري بما فيها . قال المقري الكبير : «... ثم اشتهرت ذريته (٢) ــ على ما ذكر من طبقاتهم ــ بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفـر الآبار وتأمين التجار ، واتخذوا طبلا للرحيل ، وراية تقدم عند المسير . وكان ولد يحيى ــ الذين أحدهم ابو بكـر ــ خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه علـى السواء بينـهم والاعتدال . فكان أبو بكر ومحمد ــ وهما أرومة نسبي مـن جميع جهة أبي وأمي ــ بتلمسان ، وعبد الرحمن ــ وهو شقيقهما الاكبر ــ بـ «سجلماسة» ، وعبد الواحد وعلي ــ وهما شقيقاهما الصغيران ــ

---

١ ــ هو شعيب بن الحسين الاندلسي المعروف بـ« ابي مدين»، اصله من حصن يقال له (منتوجب) بناحية (الشبيلية) ، توفي في طريقه مـن بجاية الى مراكش سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨م) . ودفن بقرية (العباد) علـى مقربة من تلمسان ، وما زال قبره يزار حتى الان .

ــ ابن مريم ، محمد . البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان . تحقيق محمد بن شنب . الجزائر . المطبعـة الثعـالبية ، ١٩٠٨م. ص ١١٤ .

الغبريني ، احمد . عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية . تحقيق محمد بن شنب . الجزائر ، المطبعة الثعالبية ، ١٩١٠ م. ص : ٥) .

١ ــ الضمير يعود على عبد الرحمن المقري الجد الخامس للاسرة .

بـ (ايوالاتن) . فاتخذوا بهذه الاقطار الحوائط والديار ، وتزوجوا النساء ، واستولدوا الاماء . وكان التلمساني يبعث الى الصحراوي بما يرسم له من سلع ، ويبعث اليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر . والسجلماسي كلسان الميزان ، يعرفهما بقدر الخسران والرجحان . ويكاتبهما باحوال التجار واخبار البلدان ، حتى اتسعت أموالهم ، وارتفعت في الضخامة أحوالهم ... ولما درج هؤلاء الاشياخ جعل ابناؤهم ينفقون ما تركوا لهم ، ولم يقوموا بامر التثمير قيامهم ، وصدفوا توالي الفتن ، ولم يسلموا من جور السلاطين ، فلم يزل حالهم في نقصان الى هذا الزمن . فها أنا ذا لم أدرك من ذلك الا أثر نعمة، اتخذ فضوله عيشا، واصوله حرمة، ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ، وأسباب كثيرة تعين على الطلب . فتفرغت ــ بحول الله عز وجل ! ــ للقراءة ، فاستوعبت أهل البلاد لقاء ، وأخذت عن بعضهم عرضا والقاء ، سواء المقيم القاطن ، والوارد والضاعن...»(١)

فمن خلال هذا النص يتضح لنا جليا ان جذور الثقافة قد كانت متأصلة منذ زمن بعيد في أسرة أبي العباس المقري . فوراثة جده أبي عبدالله محمد المقري الكبير لـ «خزانة كبيرة من الكتب» دلالة واضحة على أن العلم قد كان منتشرا في أفراد هذه الاسرة . ولولا ذلك ما كانت خزانة كتب ولا توارثها الاحفاد عن الاجداد .

وأبرز هذه الاسرة ثقافة ودراية ، وأغزرها علما ومعرفة ، واشهرها صيتا وسمعة ثلاثة اعلام :

أولهم : أبو عبدالله محمد المقري الكبير ، شيخ لسان الدين ابن الخطيب واستاذ عبد الرحمن بن خلدون وغيرهما . وقد تولى منصب

---

١ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب . ج : ٧ . ص: ١٣١ ــ ١٣٢ .

قاضي الجماعة بفاس على عهد السلطان ابي عنان فارس المريني الذي بنى له « المدرسة المتوكلية » الشهيرة بـ (الطالعة الكبرى) في مدينة فاس . توفي يوم الاربعاء في التاسع والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ٧٥٩ هـ (٢٨ أفريل ١٣٥٩م) . ودفن بمدينة فاس وبقي مدة سنة في قبره ، ثم نقلت رفاته الى تلمسان ، حيث ولادته ومقر أسلافه (١) .

ثانيهم : أبو عثمان سعيد المقري ، عم صاحب دراستنا هذه ، وشيخه ومربيه ، واستاذ محمد بن مريم صاحب كتاب « البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان »، وعالم علماء تلمسان قاطبة في عصره، ومفتيها ستين سنة . وخطيب مسجدها الاعظم خمسا واربعين سنة . ولد بتلمسان في حدود ٩٢٨ هـ (١٥٢٢م) . وكان حيا سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٣م) . وقد أخطأ اليفراني في زمان وفاته، حيث جعلها سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠٣م) (١) بدليل ان ابن مريم يذكره في « بستانه » فيقول : وكان حيا سنة احدى عشرة والف — رحمه الله ! ورضي عنه ! ».(٢) ثم ان محمدا الوجدي يبعث برسالة الى احمد المقري في هذه السنة

---

٢ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج:٧ . ص:١٢٩ .
— ابن مريم ، محمد . البستان ، ص : ١٥٤ .
— ابن القاضي ، احمد . جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس . فاس . مطبعة حجرية ١٣٦٩ هـ. ص: ١٨٨ — ١٨٩ .
— ابن خلدون ، عبد الرحمن . التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا . تحقيق محمد بن تاويت . القاهرة . مطبعة لجنة التاليف والترجمة . ١٣٧٠ هـ. — ١٩٥١ م. ص: ٥٩ — ٦٦ و٢٤٧ .

١ — اليفراني ، محمد الصغير . صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر . فاس مط . حجرية . ص: ١٧٢ .
٢ — ابن مريم ، محمد . البستان . ص : ١٠٥ .

بالذات ويسلم فيها على عمه سعيد المذكور(١) ويبدو من عبارة ابن مريم قد اتم كتابه « البستان » في أواخر هذه السنة وقد أخطأ كذلك « ليفي بروفانصال » (Levi - Provençal) في دائرة المعارف الاسلامية ، ومحمد بن شنب في دراساته لاشخاص « اجازة الشيخ عبد القادر الفاسي » ، حيث جعل كل منهما وفاته سنة ١٠٣٠ هـ (١٦٢١م) بدليل ان أحمد المقري يذكر عمه سعيدا — في كتابه « أزهار الرياض »، الذي اتمه سنة ١٠٢٧ هـ (١٦١٨م) — في عبارة توحي بوفاته : « عمنا مفتي تلمسان سيدي سعيد بن أحمد المقري — رحمه الله ! — » . (٢)

ثالثهم : أبو العباس أحمد المقري ، ذو الأدب الرقيق والعلم المتين ، وهو الذي يشغل الفكر والقلم في هذه الدراسة التي نحن بصددها .

ابــوه

لم نعلم عن أبي المقري شيئا غير اسمه ، أو ثلاث اشارات خفيفة، قد اشير بها اليه في ثلاث مظان :

المظنة الاولى : كتاب « البستان » حيث يقول صاحبه — عند ترجمته لسيدي حدوش بن تيرت العبد الوادي — (٣) : (... حكي

---

١ — المقري ، احمد . روضة الآس . الرباط . المط . الملكية ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤م . ص: ٩٥ .
٢ — المقري ، احمد . ازهار الرياض . تحقيق محمد السقا وغيره القاهرة مط. لجنة التاليف والنشر ، ١٣٦١ هـ. ص: ٣٠٨ .
٣ — وقع في النص بعض اللحن ، من حيث مطابقة الضمائر للتثنية والجمع . وقد اثبتنا النص كما هو ، محافظة على امانة النقل .

لي بعض من أثق به وهو سيدي محمد المقري شقيق سيدي سعيد المقري ، قال لي : كنت في «السماط» مع سيدي حدوش بن تيرت، فقبلت يده ، ووقفت معه ، ودعا لي بخير وبيده قفة وطبيقتان من دوم (١) يبيعها . فاذا برجلين او ثلاثة من الحجاج ، يقول احدهما للاخر : هو ! ويقول الآخر : ليس هو . ثم اتفقوا على أنه هو . فلما سمعهم هرب منهم ، وجعل يقول : ليس هو ... وطلع في مدارج « باب القسارية » وترك القفة والطبيقتين بيد رجل يساومها . ثم قلت للحجاج اين تعرفانه ؟ قالا لي : نعرفه بمكة ، يصلي معنا كل يوم جمعة (٣) ». انتهى النص .

ونحن على يقين بان محمدا المقري لم يكن عالم زمانه — يشار اليه بالبنان — مثل شقيقه سعيد ، ولعله كان أحد حفظة القرآن المتمسكين باذيال التصوف ، اذ لو كان فقيها او اديبا لذكرته كتب التراجم ونوهت باسمه وتناجه ، لا سيما محمد بن مريم الذي أودع كتابه « البستان » جميع فقهاء تلمسان وصوفيتها، وحتى الدراويش الاميين قد ترجمهم أيضا . ومع ذلك فقد أغفل ترجمة محمدالمقري ولم يذكره الا عرضا ، عندما ترجم سيدي حدوش كما تقدم أعلاه . ولعلنا قد استفدنا من عبارة ابن مريم فائدتين اثنتين :

احداهما : ثقة ابن مريم بمحمد المقري فلولا صلاحه وتقواه ما كان يثق به ، ولا احتج بقوله في « بستانه ».

ثانيتهما : سذاجة تصوف محمد المقري التي تتبلور في تقبيله يد سيدي حدوش .

---

١ — الدوم : نوع من النبات الليفي ، تصنع به القفف والاطباق .
٢ — ابن مريم ، محمد . البستان ، ص : ٩٣ .

المظنة الثانية : رسالة محمد الوجدي الغماد التي بعث بها من المغرب الاقصى الى صديقه المقري بتلمسان سنة احدى عشرة وألف هجرية (١٦٠٢م) جاء فيها : « وسلم منا — أيها الأحب — سلاما رحب الساحة ، بتقبيل الانامل والراحة ، على العم الارضي ، الفقيه القدوة والاحظى ، المفتي الخطيب البليغ سيدي سعيد ... وعلى سيدنا الاجل الاسعد العابد ، الخير سيدي محمد الوالد ...» (١) .
ف«محمد الوالد » هو — لا شك — أبو المقري . ويستفاد من هذا النص — زيادة على ما سبق من أجله — فائدتان اثنتان :

احداهما: أن أبا المقري كان ناسكا متبتلا خيرا في اعتقاد الناس.

ثانيتهما : أنه كان في قيد الحياة سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٢م) . اما سنة وفاته ، فما زال التاريخ ضنينا علينا بها .

المظنة الثالثة : النصوص المكتوبة على مشاهد قبور المقريين جاء في نص مشهد من تلك المشاهد ما يلي :

« الحمدالله ! هذا قبر الشاب الاجل ، التالي لكتاب الله عز وجل ! أبي عبدالله محمد ابن العالم السيد محمد المقري . توفي — رحمه الله ! — أواخر جمادي الاولى عام أربعة وخمسين والف . » (١٦٤٤م). (٢)

فيبدو لنا أن محمدا — الثاني في النص والموصوف بالفقه والعلم والسيادة — هو أبو مترجمنا نفسه ، وان محمدا — الاول في النص

١ — المقري ، احمد . روضة الآس .

2 — Ch. Brosselard. « Tombeaux des familles el Makkari et El Okbani ». Revue Africaine. Tom V. (Novembre) p. 409.

والمكني بـ«أبي عبدالله» — هو أخو صاحب بحثنا بذاته ، لأن منطق التاريخ ينطبق على ما ذهبنا اليه ، سواء من حيث زمان الاعمار او من حيث صيغ الاسماء .

أما كون محمد المقري — أبي مترجمنا — قد كان عالما وفقيها وسيد الناس ، حسبما جاء في نص المشهد ، فهذا شيء قد سكتت عنه كتب التراجم ، ولم يصرح بذلك ولده أبو العباس المقري ، مع أنه كان فخورا بذكر محاسن أقربائه في جميع المناسبات حريصا على التنويه بما لهم من المناقب . وكفى تنويهه بمناقب جده أبي عبدالله محمد وعمه أبي عثمان سعيد — حجة قاطعة ودليلا مزكيا . ولم نعثر على عبارة واحدة في كتب المقري تشير الى أبيه ، ما عدا لفظة اسمه ، عند ذكر سياق نسبه . ولعل اغفال المقري ذكر ابيه قد كان عن عمد لا عن نسيان ، لانه قد كان مولعا — في كتبه — بذكر العلماء العظام والادباء الفطاحل الذين خلفوا تاجا بايدي الناس أو أنجبوا تلامذة بررة يترحمون على شيوخهم النصحاء ، ويفتخرون بما أخذوه عنهم من علوم غزيرة وآداب تتبلور في نياط النفوس الحساسة، فتدفع بالمشاعر الحية الى ابراز ما تكنه الضمائر السليمة . ولطالما ترحم أبو العباس على عمه سعيد ، فراح يكيل له قفزان المدح ، كما يزن له أطنان الاطراء ، لانه كان شيخه المبجل ومربيه الاوحد ، حسبما نستوحيه من عبارات المقري الصغير في جميع مؤلفاته . ومن المستغرب أن نجد مؤنس يصف أبا المقري بـ« العلم والدراية» ويؤكد بان ابنه المقري قد ذكر أباه في مؤلفاته وروى لنا « كيف أخذ عنه علما كثيرا » اذ يقول : « وكان أبوه محمد بن يحيى من أهل العلم والدراية والمقري يذكر أباه في مؤلفاته ويروي كيف أخذ عنه علما كثيرا » (١) . ولو أرشدنا

---

١ — مؤنس ، حسين . «المقري» ، مجلة العربي . ٥٢ : ٣ (مارس ١٩٦٣م) . ص: ٤٥ — ٥١ .

مؤنس الى هذه المؤلفات لكان قد فعل خيـرا وأزال غموضا ولكـن مؤنسا لن يستطيع ذلك لان القدر شاء أن لا يكون أبو المقري عالمـا كما وصفه ، وشاء ـ أيضا ـ أن لا يخلد اسمه في مؤلفات ولـده . والحقائق التاريخية شاهدة على ما نقول .

امــه

لم نعلم شيئا عن أم أبي العباس سوى تحديد زمان وفاتها بسنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٩ ـ ١٦٢٨ م) ، فقد ذكرت ثلاث مرات ضمن رسائل قد ارسلت الى المقري وهو بمصر .

احداها : بعث بها عبد الرحمن العمادي مفتي الحنفية بـدمشق. جاء فيها : « ... ثم أحسن لكم جميل العزاء فيمن ذكرتم من كريمتي الاصل والفرع ... » . (١)

ويراد بـ «الاصل» امه وبـ «الفرع» بنته من زوجته المصرية كما سيأتي تفصيل الكلام في هذا الشأن . وكانت وفاة الام والبنت فـي سنة واحدة ، الا أن وفاة الام أسبق ، حسبما يبدو من النصوص .

ورسالة العمادي حررت يوم الاثنين ١١ من جمادي الاخرة سنة ١٠٣٨ هـ (٥ فيفري ١٦٢٩م) .

ثانيتها : بعث بها الشيخ يحيى المحاسني . جاء فيها : «... غير أنه قد ساءنا ما اتصل بمولانا من نفوذ قضاء الله تعالى الذي يعم ، في البنت والام فجعل الله تعالى في عمر سيدي البركة ! وكان له فـي السكون والحركة ! ...» (٢)

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٣ . ص ٢٠٦ .
٢ ـ م. س. ج : ٣ . ص ٢١٤ .

وقد حررت هذه الرسالة في ٣ جمادي الآخرة سنة ١٠٣٨ ﻫ (٢٧ جانفــي ١٦٢٩م) .

ثالثتها : بعث بها المولى أحمد الشاهيني . جاء فيها :

«... ولقد كنت عزمت على ان أجعل في مصاب سيدي بامه .. قصيدة تكون مرثية ، تتضمن تسلية وتعزية ... وما ظننت أن بناني ، يساعدني على تحرير بياني ، لتعزية شيخي ـ حفظه الله تعالى ! ـ في أصله وفرعه ، وضرعه وزرعه ، وفرعه ونبته ، وأمه وبنته ، أما الوالدة الماجدة فاني ان أمسكت عن بيان كرم أصلها يسـم بها كرم فرعـها ونسلها ... وأما المخدرة الصغيرة ، فالمصيبة بها كبيرة ، اذ العمومة مقربة ، والخؤولة وقائية ...» (١) . وقد حررت هذه الرسالة يـوم السبت غرة جمادي الآخرة سنة ١٠٣٨ ﻫ (٢٦ جانفي ١٦٢٩م) .

زوجاتــه

يبدو لنا ـ مـن خلال نصوص الوثائق التـي بين أيدينا ـ أن المقري قد بنى بامرأتين اثنتين فقط :

أولاهما : مغربية ، وقد بنى بها إبام اقامتـه بالمغـرب الاقصى ، فولدت له أنثى ، ولما نزح الى المشرق في أواخر رمضان سنة ١٠٢٧ ﻫ (سبتمبر ١٦١٨م) تركها مع ابنتها تحت كفالة عائلته ورعاية أصهاره . فلما تعسر عليه الرجوع الى المغرب ملكهاأمرها (٢) فلم ترض بذلـك وبقيت رهن انتظار عودته . ولكن القدر لم يرض الا بانفصام عـرى القران وانصرام حبل الزواج ، رغم طول انتظارها وصدق حبها . جاء

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ٣ . ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ .

٢ ـ اي اعطاها حق الطلاق ، فتفك العصمة الزوجية ان هي شاءت .

في رسالة بعث بها المقري الى شيخه محمد ابن أبي بكر الدلائي من القاهرة سنة ١٠٤١هـ (١٦٣١م) : «... واما امها (١) فقد كنت ملكتها أمرها قبل ، فلم ترض ، والآن وقد غلب على الظن أني لا أقدر على القيام بما لها من فرض(٢) ، اذ قدومي متعسر ، والعكس متيسر ، ولا يليق تأخير العصر الى الاصفرار ، ولا الهروب من مواقف الابطال والفرار ، ولا ضرار ، والحزم عدم الاغترار ، فلها طلقة مملكة ان شاءت ... » (٣) .

ويبدو أن محل اقامة هذه الزوجة كان بمدينة فاس حيث تركها زوجها يوم توجه الى المشرق . وهذا ما نستوحيه من عبارة علي عبد الواحد الانصاري في رسالته التي بعث بها الى شيخه المقري بمصر سنة ١٠٣٨هـ (١٦٢٩ ـ ١٦٢٨ م) (٤) . جاء فيها : «... واهل داركم بفاس ـ بخير وعافية ، ونعم ضافية ، سوى ما أدركهم من طول الغيبة، نسأل الله تعالى ان يملأ بقدومكم العيبة !» (٥) ، فعبارة «اهل الدار» ـ عند المغاربة ـ اذا أطلقت انصرفت الى الزوجة .

---

١ ـ الضمير يعود على بنت المقري .

٢ ـ يبدو من خلال هذه العبارة ان المقري قد كان يقوم بنفقة زوجته ابان غيابه عنها .

٣ ـ مجموعة (رسالة المقري) ٤٧١ ك. الخزانة العامة . المغرب الاقصى. الرباط ٤٧ ـ ٥٣. مخ.

٤ ـ وقد حددنا زمان ارسال هذه الرسالة بالتاريخ المذكور في صلب الكتاب ، اعتمادا على عبارة المقري نفسه ، عندما اراد ان يدرج في «نفحه» هذه الرسالة وغيرها من الرسائل التي وصلته من المغرب ، اذ يقول : « وفي تاريخ ورود هذه المكاتيب الشامية علي ، اتفق ورود كتب من الغرب ، وجهها من اعيان المغرب الي ».

(المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٣ ص٢٢٩).

٥ ـ المصدر السابق . ج٣. ص ٢٣٧ .

ثانيتهما : مصرية من عائلة السادات الوفائيين (٤) • وقد بنى بها عند ما ألقى عصا الترحال بمصر ، فولدت له أنثى مثلما ولدت ضرتها المغربية • وقد قيل انه طلقها في أواخر حياته ، وعزم على النزوح الى الشام بقصد الاستيطان التام والاستقرار الدائم ، فعاجلته المنية قبل نيل مبتغاه • وقد أثبت هذا الزواج وهذا الطلاق كثير ممن قد ترجم أبا العباس • ونحن نقتصر على ما ذكره المحبي ، اذ يقول : «••• ثم طلق زوجته الوفائية واراد العود الى دمشق ، للتوطن بها ففجأه الحمام قبل نيل المرام •••» • (١) ورغم ذلك فنحن نستبعد صحة خبر هذا الطلاق المفاجيء ، حسبما بينا ذلك في الفصل الرابع من الباب الأول لهذا البحث •

اولاده

لم يثبت لدينا ــ بعد البحث الدقيق في المظان الموثوق بها ــ أن المقري قد أنجب ولدا ذكرا ، وهذا ما حز في قلب تلميذه أحمد الشاهيني ، فابتهل الى الله أن يرزق شيخه بذكر ويعوضه من ابنته الفقيدة بخليفة ، يرثه في العلم والأدب ، فيسطو باليراع ويصول بالحراب ، ويهتم بالكتاب : «••• أسأل الله تعالى ان تكون هذه الخطبة قافية الخطوب ، وهذا الندب المبرح آخر الندوب ، وان يعوض

---

٤ ــ نسبة الى محمد وفاء الامام المشهور المتصل النسب بادارسة ملوك الغرب الاقصى ، من آل الحسن بن علي ابن ابي طالب . وتاريخ انشائه بمصر من اوائل القرن الثامن حين انتقل اليها من المغرب . وكان لرجاله ــ من ذلك العهد ــ المنازل الرفيعة والمقامات السامية .

(البكري ، محمد توفيق . بيت السادات الوفائية . القاهرة : مط. مصرية . بدون تاريخ . ص ٨) .

١ ــ المحبي ، محمد. خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر. القاهرة. المطبعة الوهابية. ج١. ص ٣١٢.

سيدي عن حبيبه المبرقع المقنع ، حبيبا معمما تتحرى النجابة منه المصنع وان يبدله عــن ذات الخمار والخضاب بمــن يصول بالحراب ويسطو باليراع ويشتغل بالكتاب...»• (١)

وكل ما ثبت لدينا أن المقري لم يرزق طوال حياته ــ سوى بأنثيين اثنتين من زوجتين مختلفتين :

أولاهما : امها مغربية • وقد تركها أبوها بالمغرب مع امها يــوم نزوحه الى المشرق • وكان شديد الحنان عليها ، كثير الشوق الــى رؤيتها ، بيد أن الاقدار لم تساعده على مراده ، بل عزمت علــى صرم حبل الاتصال بينه وبين فلذة كبده ، وابت سوى الفراق الدائم حتــى يجمعهما الله في دار القرار • ولنلق السمع الــى هــذا الاب الحنون يحدثنا عن شأن بنته ، في رسالة بعث بها من القاهرة الى شيخه محمد ابن أبي بكر الدلائي بالمغرب سنــة ١٠٤١ هـ (١٦٣١م) : جــاء فيها : «••• نعم بقلبي ــ يا سيدي سلمكم الله ! ــ حسرة جلت ، وحيــرة حلت ، خلفته في كربة ، في بلاد غربة ، وتخلت ، وهي أمر البنت التــي بفاس ، وقد ضاقت ــ وحق لها ــ من أجلها الأنفاس ، اذ لــم يمكــن اليها الوصول ، وتعسر مجيئها على تزويجها بلائق من حضر ، وهــذا غاية المقدور بل ومنتهى المرام ونفثة مصدور ، وكم حسرات في نفوس كرام• وقد ارسلت اليها مع النجل الاجل سيدي محمد (٢) ــشــكر الله سعيه ! ــ سبعة وثلاثين ريالا كبيرة، جهد المقــل تراكمت عليه ــ لولا تثبيت الله ــ أمور مبيرة ، والقصد ارسالها اليها بفور بلــوغه

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ٣ . ص ٢٢٤ .

٢ ــ هو الحاج محمد بن محمد بن ابي بكر الدلائي . كان قد اجتمع بالمقري في القاهرة سنة ١٠٤١هـ (١٦٣١م) ، عند مروره بهــا قــاصدا المغرب ، بعد اداء فريضة الحج ، فحمله بالرسالة المذكورة الى ابيه .

بالسلامة ، واذا أبرم القدر شيئا فلا عتاب ولا ملامة ، وقد ارسلت الى لاصهار والفقيهين : سيدي عبد الواحد بن عاشـر وسيدي محمد بن سودة ببيع الكتب على طريقة الاذاعة والاظهار والنداء عليها في محـل الرغبات . ومظان الطلبات ، ودفع ثمنها في مؤن هذه البنت ، التـي بوجودكم عليها أمنت ...» (١) . فمن خلال هذا النص يتضح لنا ان المقري لم يكن له ذكر في أسرته بفاس ، يجعل فيه الثقة على بنته ، والا لا كلف محمدا الدلائي بتزويجها بمن يليق بها . ويبدو أنها كانت تحت وصاية اسرة امها المعبر عنهم المقري بـ «الاصهـار» في نص رسالته . وذلك ما دفع بأبيها ان يأمر ببيع كتبه ودفع ثمنها لهؤلاء الاصهار فـي مقابل مؤونـة بنتـه .

ثانيهـا : أمها مصرية من أسرة الوفائيين الشرفاء وقد توفيـت هذه البنت في حياة ابيها بعد قليل من وفاة جدتها أم أبيها سنة ١٠٣٨ ﻫ (١٦٢٩ ـ ١٦٢٨م) وبهذه المناسبة قد تلقى المقري سيلا مـن رسائـل التعازي في مصابه من مختلف الأنحاء . وقد نقلنا نصوصا من بعـض الرسائل المتعلقة بوفاة أمه وبنته عندما تناولنا الكلام عن أمه ، فـلا داعي لنـا لاعادة نقلهـا هنا (١) .

مقر الاسرة

كان مقر أسرة المقري مدينة تلمسان مسقط راسه ومرتع نشأته ، ومنتهى طواف جده عبد الرحمن الاول خادم سيدي ابي مدين الغوث

---

١ ـ مجموعة (رسالة المقري) . ١٤٧١ك. الخزانة العامـة . المغرب الاقصى . الرباط . ٥٣٠ . مخ.

٢ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٣ . ص ٢٠٦ ـ ٢١٤ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٤ .

وتلميذه البار . انتقل اليها صحبة هـذا الشيخ النصوح سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨م). ومن يومئذ اصبحت مدينة تلمسان مستقرا لأسرته ومقاما لذريته من بعده . قال أبو عبدالله محمد المقري الكبير : «... وكان الذي اتخذها من سلفنا قرارا ، بعد ان كانت لمن قبله مزارا ، عبد الرحمن ابن ابي بكر بن علي المقري ، صاحب الشيخ ابي مدين الذي دعا له ولذريته مما ظهر قبوله وتبين ، وهو ابي الخامس ...» (١) . وقد بحثنا عن منزل هذه الأسرة بتلمسان وتقصينا الاخبار وغربلنا روايات الاحياء الى أن توصلنا الى الحقيقة التي طالما بحثنا عنها في مختلف المظان ، وتلك أن هذه الأسرة قد كانت تملك منزلا لسكناها ، يحتوي على عدة غرف وحجرات. وقد تحقق لدينا أن هذا المنزل يوجد في درب بني زيان رقم (١٠) ، وهو – الآن – في أيدي عائلة السقال. وقد زرناه يوم أن زرنا تلمسان سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥م) والتقطنا عنه عدة صور (فوتوغرافية) ، سيجدها القراء ضمن صفحات هذا الكتاب ان شاء الله !

مـدفن الاسرة

يبدو من خلال نصوص الوثائق التي بين أيدينا ان الأسرة المقرية كانت تدفن موتاها بمقبرتين :

احداهما : تحتل مكانا ببستانهم المجاور لمنزل سكناهم بدليل ان أبا عبدالله محمدا المقري الكبير المتوفي سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٩م) بفاس قد نقلت رفاته من هناك – بعد سنة – الى تلمسان ، حيث دفن في البستان المذكور . قال أبو العباس المقري – نقلا عن أبي العباس أحمد الونشريسي – : «... انه توفي – رحمه الله تعالى ! – يوم

---

١ – المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٧ . ص ١٢٩ .

الاربعاء التاسع والعشرين من جمادي الاولى عام تسعة وخمسين وسبعمائة بمدينة فاس المحروسة • ثم نقل الى تلمسان محل ولادته ومقر أسلافه • ودفن بها في البستان الملاصق لقبلي داره الكائنة «بباب الصرف» من البلد المذكور • وهو الآن على ملك بعض ورثة الشيخ ابي يحيى الشريف » (١) • وقد ذهب رونق البستان فيما بعد واكتفى بالبنيان والمساكن • أما القبور فقد بقيت هناك ؛ حيث بنى السكان عليها بعض جدران منازلهم ؛ حسبما استقيناه ممن يسكن الآن تلك المساكن • وقد اخذنا ــ أيضا ــ عن أحد الجدران صورة (فوتوغرافية) بمناسبة زيارتنا لمدينة تلمسان كما تقدم ذكره •

ثانيهما : تحتل مكانا ضمن (مقبرة القاضي) «بالعباد» قرب ضريح سيدي ابي مدين ، بدليل ان أحد المعمرين الاسبانيين قد اكترى ــ اثناء الاحتلال الفرنسي ــ قطعة من الارض «بالعباد» ليجعلها بستانا ؛ وفي اثناء الحفر عثر على واحد واربعين مشهدا من مشاهد القبور الموجودة هناك ، من بينها ثلاثة مشاهد لقبور الاسرة المقرية •
جاء في المشهد الأول : « الحمدالله ! هذا قبر الشاب الاجل ؛ التالي لكتاب الله عز وجل ، أبي عبدالله محمد ابن الفقيه العالم السيد محمد المقري • توفي ــ رحمه الله ! ــ أواخر جمادي الأولى عام أربعة وخمسين والف(٢) » • (١٦٤٤م) •

وجاء في المشهد الثاني : « الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، خاتم النبيئين وامام المرسلين ، ورضي الله تعالى عن أصحاب مولانا رسول الله اجمعين ! وبعد : فهذا قبر الفقيه

---

١ ــ المقري ؛ احمد . نفح الطيب . ج٧ . ص ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(2) Ch. Broseelard. « Tombeaux des Familles EL - Makkari et EL - Okbani » . Revue Africaine. Tome V. p. 407

السيد العالم العلامة المحدث السيد محمد العربي ، نجل الولي الصالح البركة ، شيخ الاسلام ، ومفتي الانام، العالم العلامة ، الحسيب الاصيل النحوي الفرضي المدرس ، فريد عصره المرحوم ــ بكرم الله عز وجل! ــ سيد سعيد المقري • أفاض الله علينا من بركته ! وكان يوم وفاته ــ رحمه الله ! ــ أوائل شوال ، منسلخ عام أربعة وتسعين والف » (١)• (اواخر سبتمبر ١٦٨٣م) • وجاء في المشهد الثالث : « الحمدالله ! أما بعد : فهذا قبر الحرة الجليلة ، الحسيبة الأصيلة • أمة الله شاشة بنت الفقيه الاجل السيد العربي ، نجل الفقيه العلامة سيدي سعيد المقري ، أفاض الله علينا من بركاته ! وتوفيت في شهر الله المحرم سنة ١١٠٧ هـ» (٢) (١٦٩٥م) •

ولعل الأسرة المقرية كانت منقسمة الى عائلتين اثنتين ، احداهما تدفن امواتها بالبستان الملاصق لمنزلها ، والاخرى تدفن امواتها بـ «مقبرة القاضي» بـ «العباد» ، او كانت الاسرة مجموعةفي عائلة واحدة تدفن جميع امواتها بالبستان المذكور الى زمان خروج هذا البستان من يدها ــ بالوراثة او البيع ــ الى يد الشيخ أبي يحيي الشريف • ويبدو من خلال نص أحمد الونشريسي المتقدم ان هذا البستان ما زال على حاله المذكور ولم يحول الى مساكن ايام حياته • والونشريسي توفي سنة ٩١٤ هـ (١٥٠٨م) •

---

١ ــ م• س• ص ٣٠٨ •
٢ ــ م• س• ص ٣٠٨ •

الفصل الثاني

التعريف بالمقرّي

نسبـــه ــ ضبط لفظة «المقرة» ــ زمان ولادته

نشأته ــ منشؤه ــ قراءته

نسبـــه

هو شهاب الدين أبو العباس ، الشيخ أحمد بن محمد بن احمـــد ابن يحيى بن عبد الرحمن ابن ابي العيش ابن محمد بن محمد بن احمد ابن ابي بكر ابن يحيى بن عبد الرحمن ابن ابي بكر ابن علي ، المقري ، التلمســاني .

١ ــ شهاب الدين

هذا لقب طريف يلقب به أعظم الشخصيات البارزة عند العرب ، «والشهاب ــ في الاصل ــ كل مضيء مولد من نار ، ثم اطلق على كل شخص شجاع مقدام مكر ، عند نشوب الحــرب ، وقــد شبه الفارس بالشهاب لانه ينقض على عدوه مثــل انقضاض الشهاب مــن السماء ، ولذا قالوا : « فلان شهاب حرب » (١) ، اذا كان ماضيا فيها مأخوذ من

---

١ ــ رضا ، احمد . معجم متن اللغة . بيروت . مط. دار صادر، ١٩٦٠م، ج٣ . ص ٣٨٤ .
ــ البستاني ، عبدالله . البستان . بيروت . المطبعة الاميركية. ١٩٢٧م، ج١ . ص ١٢٧ .

الكوكب المنقض • ويبدو لنا ان العلماء قد شبهوا بالشهب لانهم كواكب الارض ، من حيث اضاءتهم طريق الهدى لمن ضل سبيلا ، مثل اضاءة كوكب السماء سبل السائرين ليلا • ومن بين اولئك العلماء الهادين شهاب الدين المقري الصغير (١) ، صاحب القدر الرفيع في كل قطر نزل به •

ب ـ ابو العباس

هذه كنية شرفية لعالمنا وأديبنا المقري وليس لدينا نص صريح يثبت لنا ان له ولدا ، اسمه « العباس » أو غير «العباس» بل لم يكن له من صلبه سوى اثنين اثنتين ، كما تقدم الكلام عنهما ابان حديثنا عن «الاسرة» وانما ـ حسبما في علمنا ـ أن كل شخصية بارزة تمنح كنية شرفية تمتاز بها عن سائر الناس ، وجل من اسمه أحمد ، من العظماء والعلماء يكني بـ«أبي العباس» كأبي العباس احمد الفيومي صاحب كتاب « مصباح المنير » في اللغة كما ان من اسمه عبد الرحمن يكنى بـ «ابي زيد» مثل ابي زيد عبد الرحمن الثعالبي ، مؤلف كتاب « الجواهر الحسان في تفسير القرآن » وأبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون مؤلف « كتاب العبر » في التاريخ ، وهلم جرا ••• ويبدو لنا ان المقري قد منح هذه الكنية أيام كان صغيرا وقبل زواجه ، لاننا نجد محمدا الوجدي يكنيه بها في احدى رسائله التي بعث بها اليه من المغرب أوائل سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٢م) على اثر عودة المقري الى تلمسان من رحلته الاولى الى المغرب الاقصى ، جاء في اثناء الرسالة ما نصه :

« اليك (ابا العباس) سقنا مطيا ـ على خطر تفلي فلا المهمه القفر » (١) • ونجد الوجدي ـ أيضا ـ يجمع الاشعار التي انشده

---

١ ـ اما المقري الكبير فهو ابو عبدالله محمد ، وقد اسلفنا عنه الذكر في حديثنا عن «الاسرة» •

٢ ـ المقري ، احمد ، روضة الآس ، ص ٩٢ •

اياها المقري ايام اقامته بالمغرب الاقصى سنة ١٠٠٩ ــ ١٠١٠ هـ (١٦٠٠ ــ ١٦٠٢م) ويسمى هذا المجموع : « العنبـــر الشحري ، فيما انشدنيه صاحبنا ابو العباس المقري » (١)٠

ج ــ الشيخ

هذا لقب ثان ــ بعد الكنية ــ تحلى بـه ابـو العباس المقري ، تعظيما لمكانته وتوقيرا لشخصيته الفذة • وكلمة « شيخ » عند العرب ــ تطلق على كل من طعن في السن ، ثم استعيرت لكبير القوم ورئيس الصناعة واستاذ العلم ولمن كان كبيرا في أعين الناس ، من حيث العلـم والفضيلة ، والمقام الرفيع ، جاء في « معجم متن اللغة » : « والشيخ من القاب العلماء والصلحاء ، وأصله الطاعن في الســن ، انما لقب به العلماء للتوقير كما يوقر الشيخ الكبير» (٢) • وجاء في « دائرة المعـــارف الاسلامية » : « واطلاق الشيخ على الاستاذ والعالـم ، وكبير القـــوم ورئيس الصناعة ، انما هو باعتبار الكبر في العلم والفضيلة والمقـــام ونحو ذلك ••• » •(٣)

د ــ القرشي

نسبة الى القبيلة العربية المشهورة بـ« قريش » والتي خصها اللـه بسورة من كتابـه المبين (٣) •

وقد وقع خلاف بين المؤرخين وعلمـاء الانساب فـي نسبة اسرة

---

١ ــ المقري احمد ، روضة الاس ، ص ٩٩ .

٢ ــ رضا ، احمد ، معجم متن اللغة ، ج٣ ، ص ٢٩٢ .

٣ ــ البستاني ، المعلم بطرس ، دائرة المعارف الاسلامية (ترجمة) . بيروت ، مط، بيروت ، ١٨٧٦م، ج١ ، ص ٦٤٤ .

٤ ــ هي السورة السادسة بعد المائة من سور القرآن ، وآياتهـا اربع ، نزلت بعد «سورة التين» ، وهي مكية .

المقري الى «قبيلة قريش» ، بيد ان أكثرهم قد اثبت قريشه جده ابي عبدالله المقري الكبير .

ومن بين هؤلاء المثبتين لسان الدين ابن الخطيب في كتابه « الاحاطة »، وعبد الرحمن بن خلدون في مؤلفه « كتاب العبر » ، وابن‌الاحمر في كتابه «نثير الجمان» ، وابن مرزوق في «شرح البردة» عند قوله : « لعل رحمة ربي حين ينشرها ... » ، والشيخ ابن غازي ، واحمد الزروق ، واحمد الوانشريسي ، وابو الفضل ابن الامام التلمساني . « وكفى بلسان الدين شاهدا مزكى (١) » . وممن اثبت قرشيته – ايضا – احمد بابا التنبكتي (٢) ، وابن فرحون (٣) ، وابن القاضي (٤) ، وابن مريم (٥) . وقال القادري : « والقرشية من متحد الانساب في كنانته لكن وقع نزاع كبير في اي ولد كنانة هو ، وحقق الزبير بن بكار انه فهري من مالك ، وقال – ردا على من خالفه ، بعد ان حكى الخلاف في ذلك – : فنحن اعلم بامورنا وارعى لمآثرنا ، واحفظ لاسمائنا (٦) ». اما المقري الصغير ، فانه يذهب‌الى اثبات هذه

---

١ – المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٧ . ص ١٣٠ .

٢ – التنبكتي ، احمد بابا . نيل الابتهاج بتطريز الديباج . فاس. مط. حجرية . ص ٢٥ .

٣ – ابن فرحون ، علي . الديباج المذهب في معرفة اعيان اهل المذهب . فاس . مط. حجرية . ص ٢٥ .

٤ – ابن القاضي ، احمد . جذوة الاقتباس . ص ١٨٨ – ٣٢٢ . المقري ، احمد . روضة الاس . (اجازات احمد بن القاضي ورسائله) . ص ٢٦٥ – ٢٦٧ – ٢٩٥ .

٥ – ابن مريم ، محمد . البستان . ص ١٥٤ .

٦ – القادري ، محمد الطيب . نشر المثاني لاهل القرن الحادي والثاني . فاس . مط. حجرية . ١٣١٠هـ. ص ٦٠ .

النسبة حسبما يبدو من خلال كلامه ، عند ترجمته لجده المقري الكبير، بل يصفه بـ «القرشي» كلما ذكره في كتبه (١) •

هـ ـ المقري

نسبة الى قرية من قرى «الزاب» ، يقال لها «مقرة» بفتح القاف المثناة وتشديدها اوبتسكينها ، كما سيأتي بيان ذلك • وتقع هذه القرية بين بريكة والمسيلة ، وتبعد عن المسيلة بنحو خمسة وخمسين كيلومترا شرقا ، وعن بريكة بنحو اربعين كيلومترا شمالا وغربا ، وعن سطيف بنحو سبعة وسبعين كيلومترا جنوبا • واول منذكرها من رحالة المسلمين اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤هـ (٨٩٧م) اذ يقول : «ومدينة يقال لها «مقرة» لها حصون كثيرة والمدينة العظمى (مقرة) أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر يقال لهم بنو زنوج ، وقوم يقال لهم طريرة (٢) •

وهناك عالم من علماء العصر الحاضر(٣)، يذهب بنسبة المقري الى قرية «مقر»(٤) القريبة من وادي ريغ ، بناحية «سوف» • ونحن ـ مع

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٧ . ص ١٢٩ ـ ٢٠١ .
ـ المقري ، احمد . أزهار الرياض . ج١ . ص٥ ـ ١٨٨ .

٢ ـ اليعقوبي ، احمد . كتاب البلدان (وصف افريقيا الشمالية) تحقيق هنري بيريس . الجزائر . المطبعة الرسمية ١٣٨٠هـ . ١٩٦٠م . ص ١١

٣ ـ هو الشيخ البشير الابراهيمي . وقد جرت بيني وبينه محادثة حول شخصية المقري ، فابدى الاستاذ الكبير رايه في هذه الشخصية واعجابه بعلومها الغزيرة وآدابها الرفيعة . ثم نسبها الى قرية «مقر» ، التي بناحية وادي ريغ . وكان ذلك مساء يوم السبت ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٦٤م.

٤ ـ مقر : بفتح الميم والقاف المشددة .

احترامنا لهذا العالم الجليل ـ فاننا لانجاريه فيما ذهب اليه ، وحجتنا في ذلك ترتكز على أربعة ادلة :

الدليـــل الاول

ان معاجم البلدان والبقاع لم تذكر لنا «مقر» التي بناحية وادي ريغ • قال ياقوت الحموي : «مقرة ــ بقاف مسكنة وراء مفتوحة ــ مدينة في المغرب في بر البربر ، قريبة من قلعة بني حماد ، بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ • وكانت بها مسلحة للسلطان ضابط للطريق ، ينسب اليها عبدالله بن محمد المقري ، ذكره السلفي في تعاليقه » •(١) ومثل هذا جاء في «مراصد الاطلاع» للبغدادي (٢)• وقال الشريف الادريسي : «وتخرج من المسيلة الى مقرة مرحلة •• ومن مقرة الى طبنة مرحلة••• » • (٣) فاذا كانت مقرة « قريبة من قلعة بني حماد » و«بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ»ـ حسبما في نص الحموي ـ فما أبعدها عن وادي ريغ واذا كان «•• من المسيلة الى مقرة مرحلة ومن مقرة الى طبنة مرحلة» ـ حسبما في نص الادريسي ـ فما أبعدها ـ أيضا ـ عن وادي ريـــغ •

الدليل الثاني

ان نصوص الجغرافيين والمؤرخين لتجعل «مقرة» في حوزة الزاب،

---

١ ــ الحموي ، ياقوت (يعقوب) . معجم البلدان . مط. المانيا . ١٨٦٩م• ج٤• ص ٦٠٦ •

٢ ــ البغدادي ، عبد المؤمن . مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع . القاهرة . مط. دار احياء الكتب . ١٩٥٥م• ج٣ • ص ١٢٩٩•

٣ ــ الادريسي ، الشريف . كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق (وصف افريقيا الشمالية والصحراوية) . تحقيق هنري بيريس• الجزائر . المطبعة الرسمية . ١٩٥٧ م• ص: ٣٤

و «مقـر» التي بناحية وادي ريغ لا تدخل ضمن حوزة الزاب .

قال اليعقوبي : «.. وطبنة مدينة الزاب العظمى . وهي في وسط الزاب وبها ينزل الولاة ، ومدينة يقال لها مقرة لها حصون كثيرة والمدينة العظمى (مقرة) أهلها قوم من بني ضبة .. (١) » .

وقال احمد بابا ــ نقلا عن أحمد الوانشريسي ــ : «... انهـا قرية (٢) من قرى بلاد الزاب من افريقية .. (٣) » . وقال احمـد المقري : «وهي (مقرة) من قرى زاب افريقية (٤)» .

الدليـل الثالث

اذا كانت «مقر» التي بناحة وادي ريغ فيها لغة واحدة ــ وهـي تشديد القاف المثناة من فوق مع فتحها ــ فما هي ــ اذن ــ الفائـدة من الخلاف الجاري بين العلماء في ضبط لفظة «مقرة» ؟ أهي بسكـون القاف المثناة من فوق وفتح الراء المهملة ، ام بتشديد القاف المثناة مـن فوق وفتحها مع الراء المهملة أيضا ؟ وسنشبع الكلام عن هذين المذهبين عندما نتناول الحديث عن ضبط لفظة «مقرة» .

الدليـل الرابع

ان قرب المسافة بين بجاية وبين مقرة التي فيحوزة الزاب قدمكن عبد الرحمن المقري من التردد الى شيخه ابي مدين ايام اقامته ببجاية ، ولازم هذا التردد الى أن انتقل مع شيخه الى تلمسان كمـا سبقـت

---

١ ــ اليعقوبي ، احمد ، كتاب البلدان ، ص ١١ .
٢ ــ الضمير يعود على «مقرة» .
٣ ــ التنبكتي ، احمد بابا ، نيل الابتهاج ، ص ٢٥ .
٤ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج٧ ، ص ١٣٠ .

الاشارة الى ذلك . فلو كان مسكن عبد الرحمن بقرية «مقر» التي بناحية وادي ريغ لما أمكنه هذا التردد الى بجاية ، لبعد المسافة بينهما. ونفس هذه الادلة تنطبق بحذافيرها على قول من ذهب بنسبة المقري الى مدشرة «مقرة» التي بـ «وادي أنبر» قرب تلمسان وهي تبعد بحوالي ٢٤ كلم عن مدينة «سيدي بلعباس» (١) ، ويضاف دليل آخر الى ما تقدم، وهو أن هذه حديثة العهد وتلك قديمة العمران .

ضبط لفظة « مقرة »

انقسم العلماء في ضبط لفظة «مقرة» قسمين :

القسم الاول :

يرى انها بفتح الميم وسكون القاف المثناة من فوق وفتح الراء المهملة . وجل علماء هذا القسم ـ أن لم نقل كلهم ـ كانوا قبل عصر ابي العباس المقري نذكر منهم : ياقوت الحموي (٢) ، وعبد المؤمن البغدادي (٣) ، ومحمد بن مرزوق (٤) ، ومحمد الذهبي (٥) . وابن الاحمر ، واحمد زروق (٦) .

---

١ ـ ومن الذين قالوا بهذا القول محمد المحبي (خلاصة الاثر . ج ١ . ص ٣١٢) . وابراهيم المراكشي (الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام . فاس . المطبعة الجديدة. ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م ج ٢ . ص١٠٦ .

٢ ـ الحموي ، ياقوت. معجم البلدان . ج ٤ . ص ١٠٦ .

٣ ـ البغدادي ، عبد المؤمن . مراصد الاطلاع . ج ٣ . ص ١٢٩٩ .

٤ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ٧ . ص ١٣ .

٥ ـ الذهبي ، محمد . المشتبه في الرجال : اسمائهم وانسابهم . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة . مطبعة البابي الحلبي وشركاه. ١٩٦٢م. ص ٦٠٩ .

٦ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٧ . ص ٢٠١ .

القسم الثاني :

يرى انها بفتح الميم وتشديد القاف ، المثناة من فوق وفتحها مع الراء المهملة أيضا .

وعلماء هذا القسم فيهم القدماء وفيهم المحدثون بيد ان المحدثين اكثرهم عددا ، ان لم نقل كلهم . ونعني بالقدماء جميع من كان يعيش قبل عصر ابي العباس المقري ، وبالمحدثين جميع من كان يعيش في زمانه او بعده . فمن القدماء : الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في كتابه :«العلوم الفاخرة في النظر في أمور الاخرة» . واحمد الوانشريسي في بعض فوائده وفي كتابه «الزهر الباسم» (١) . ومن المحدثين : احمد بابا في كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» (٢) . ومحمد العربي الفاسي في كتابه «مرآة المحاسن من اخبار الشيخ ابي المحاسن» (٣) . فقد جاءت لفظة «المقري» مشكولة هناك . ومحمد بن مريم في كتابه «البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان» (٤) . ومحمد المحبي في كتابه «خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر» (٥) . ومحمد اليفراني في كتابه : «صفوة ما انتشر من اخبار صلحاء القرن الحادي عشر» (٦) . و «الوشي العبقري في ضبط لفظة المقري» (٧) . واحمد

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ٧ . ص ١٢٠ ــ ٢٦١ .

٢ ــ التنبكتي ، احمد بابا . نيل الابتهاج . ص ٢٥ .

٣ ــ ابو حامد ، محمد العربي. مرآة المحاسن من اخبار الشيخ ابي المحاسن . فاس ، مط. حجرية. ١٣٢٤هـ. ص ١٦٣ .

٤ ــ ابن مريم ، محمد . البستان . ص ١٥٤ ــ ١٥٥ .

٥ ــ اليفراني ، محمد الصغير . صفوة ما انتشر من اخبار صلحاء القرن الحادي عشر . ١٧٤١ . المكتبة الوطنية. الجزائر. ٣٤ ــ ٥٧ . مخ.

٦ ــ ابن سودة ، عبد السلام . دليل مؤرخ المغرب (المغرب الاقصى). مط. دار الكتاب. الدار البيضاء ١٩٦٠م. ج ١. ص ٢٤٢ .

ــ الكتاني ، عبد الحي . فهرس الفهارس. فاس ، المط. الجديدة ١٣٤٦م. ج ٢. ص ١٥.

٧ ــ القادري ، احمد . نفح الطيب . ج١ . ص ١٠٥ .

افندي الشاهيني في قصيدة يمدح بها المقري ويستجزه ما وعده به من تآليف في آثار لسان الدين بن الخطيب ـ من بحر السريع ضربه مكسوف مطوي ـ جاء فيها :

اقسمت بالبيت العتيق الذي حجت اليه الناس والمعشر
ما للملا والعلم الا ابو الـ عباس شيخي احمد « المقري »(٨)

فلو سكنت قاف «المقري» من التفعيلة الاخيرة للشطر الثاني من البيت الثاني لاختل الوزن والقافية .

ومحمد الوجدي الغماد في قصيدة يمدح بها المقري ـ من بحر الطويل مقبوض العروض والضرب ـ جاء فيها :

«تحية اخوان معطرة النشر تخص الامام الاوحد السامي القدر
ويغشى الجناب « المقري » عبيرها وتوليه منا اطيب الحمد والشكر»(١)

فلو سكنت القاف في الشطر الاول من البيت لاختل الوزن .

واحمد بن القاضي في جذوته ، عندما ترجم ابا عثمان سعيدا المقري (٢) ، وفي قصيدة ضمنها اجابة تلميذة المقري عن لغز خاطب به هذا الاخير محمدا الوجدي ـ من بحر المتقارب التام ـ جاء فيها :

هو « المقري » سما في قريش وقدحاز في العلم اسنى المراتب»(٣)

فلو سكنت قاف «المقري» في الشطر الاول من البيت لاختل

---

٨ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٣ . ص ٢٤٠ .
١ ـ المقري ، احمد . روضة الاس. ص ٩٢ .
٢ ـ ابن القاضي ، احمد . جذوة الاقتباس . ص ٢٢٣ .
٣ ـ المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٢٦٥ .

الوزن • ومن خلال هذا البيت يتضح لنا ــ ايضا ــ مذهب ابــن القاضي في قرشية المقري •

وجاء لابن القاضي ــ أيضا ــ في قصيدة يهنىء بها ابا عثمان سعيدا المقري في أخيه أحمد المقري الصغير ، ويعجب بذكائه الوهاج وعلومه الغزيرة ، رغم صغر سنه وطراوة عودة ــ من بحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب ــ :

«ضاءت بكم يا (مقري) سما العلا وعلت بكم بين الورى اقوام»(١)

فلو سكنت قاف «مقري» في الشطر الاول من البيت لاختل الــوزن •

ومن هذه الفئة المقري نفسه ، جاء في خطبة «نفح الطيب» :

آ ــ «يقول العبد الفقير ، الذليل المضطر الحقير ، من هــو مــن صالح الاعمال عري : احمد بن محمد المقري •• » (٢) •

ب ــ «فيقول العبد الحقير ، المذنب الذي هو الى رحمة ربــه الغني فقير••• من هو من لباس التقوى عري ، احمد بن محمد بن احمد الشهير بالمقري •• » (٣) •

فطريقة السجع التي درج عليها ابو العباس في أسلوبه تقتضي تشديد القاف مع فتحها • وجاء في مقدمة «ازهار الرياض» ــ مــن مجزوءه الصحيح العروض والضرب ــ :

«فيقول احمد ذو القصــو ر (المقــري) إذا انتسب

---

١ ــ المقري ، احمد ، روضة الاس ، ص ٢٧٠ •
٢ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج١ ص ١٧ •
٣ ــ م• س• ج١ ، ص ٢٨ •

جـبر المهيمن صدعـه ووقاه سيء ما اكتسب». (١)

فلو سكنت قاف «المقري» في الشطر الثاني من البيت الاول لاختل الـوزن .

وجاء في افتتاح منظومة «اضاءة الدجنة» في عقائد أهل السنة» — على وزن الرجز التام الصحيح العروض والضرب — :

« يقول احمد الفقير المقري المغربي المالكي الاشعري »(٤)

فلو سكنت قاف «المقري» في الشطر الاول من البيت لاختل الوزن . وجاء في اجازته لمحمد المحاسني — على وزن الرجز التام الصحيح العروض والضرب — :

« وخطّ هذا (المقري) عن عجل مؤملا من ربه عز وجل »(٥)

فلو سكنت قاف «المقري» في الشطر الاول من البيت لاختل الوزن . وقد رجح بعض المعاصرين مذهب الحموي وأتباعه . فقالوا «مقري» بفتح الميم وسكون القاف المثناة من فوق . وفي مقدمة هؤلاء المعاصرين الاستاذان : عبد الوهاب بن منصور (١) ؛ وعبد القادر زمامة، الذي أنتقد أبا العباس المقري في ترجيحه لتشديد القاف المفتوحة في لفظة «مقرة» ، واتهمه بانه «جاري الواقع الذي وجده .. وأيده

---

١ — المقري ، احمد . ازهار الرياض في اخبار عياض . تحقيق مصطفى السقا وغيره . القاهرة . مطبعة لجنة التالف والترجمة ١٣٥٨هـ ١٩٣٩ م. ج ١ . ص ٣ .

٢ — المقري ، احمد . اضاءة الدجنة في عقائد اهل السنة . ٥٦٠٠ المطبعة الوطنية فرنسا . باريس ورقة : ١ .

٣ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٢ ، ص ١٣٦ .

٤ — ابن منصور ، عبد الوهاب . مقدمة روضة الاس . ص: ح .

ودعمه (٢) ، كأنه يريد منه أن ينبذ صيغة اللفظة الجارية على ألسنة أهل بلده والمتوارثة في أسرته ، ويأخذ برأي الحموي الذي لم يعرف بلدة «مقرة» شخصيا ، ولم يضبط لفظها سوى عن طريق « تعاليق السلفي» ! !

وخلاصة القول في ضبط قاف «مقرة» : انها جاءت على وجهين : سكونها عند الاقلية من قدماء العلماء ، وتشديدها مع الفتح عند جميع المحدثين — الا النادر منهم — واذا كان ابو العباس في مقدمة هؤلاء المحدثين ، ولم يثبت عنه أنه كتبها أو قرأها بالسكون ، فدن على مذهبه سائرون وبأقواله متمسكون ما دامت نسبته في كتبه ثابتة الشكل متحوتة الحرف «وأهل مكة ادرى بشعابها» .

و — التلمساني :

نسبة الى «تلمسان» — بكسرتين وسكون وفتح ثم ألف ساكنة بعدها نون — محل ولادته ومرتع نشأته ومنتهى طواف جده عبد الرحمن المقري — كما سلف ذكر ذلك (٣) — ومن يومئذ أصبحت مدينة تلمسان مستقرا ملائما ومقاما محمودا لأسرة أبي العباس التي غدت تتمتع — هناك — بسمعة طيبة واحترام تام وسيرة مرضية ، وصيت عم

---

٢ — زمامة ، عبد القادر . تحقيقات لغوية لكلمات مغربية . مجلة (اللسان العربي . ذو القعدة ١٣٩٠ هـ / يناير ١٩٧١ م) . ج ٨ ج ٢ . ص ١٧ .

وقد نشر نفس المقال — بتوسع — مرتين في مجلتين : اولاهما : مجلة (مجمع اللغة العربية بدمشق) الصادرة في نفس السنة ، تحت عنوان (المقري والمقري) . مج ٤٦ . ص ٩٩ . وثانيتهما : مجلة (دعوة الحق) المغربية الصادرة في ربيع الاول سنة ١٣٩١ هـ / ماي ١٩٧١ م . تحت عنوان (المقري والمقري) — ايضا — العدد الخامس . ص ١٦٠ .

٣ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ٧ . ص ١٢٩ .

جميع أسقاع العالم الاسلامي ، لأنها كانت مبعث علم غزير ومنبع ثقافة متينة ، قد ورثها الصغير عن الكبير • وتواصلت حلقاتها من السلف الى الخلف •

ومن المستغرب أن نقرأ لشخصين بارزين : كون أبي العباس المقري فاسي المولد وأندلسيا قحا • فهذا الدكتور علي ابراهيم حسن يذكر في كتابه «استخدام المصادر وطرق البحث» : «ان شهاب الدين أحمد المقري ولد بفاس » (١)• وهذا محمد رضا الشبيبي يذكر في محاضراته التي جمعها في كتابه «أدب المغاربة والأندلسيين» : أن «المقري المؤرخ الأديب ، مصنف نفح الطيب ، وأزهار الرياض ، أندلسي قح ، شديد الاعتزاز بأندلسيته والاشادة بذكر بلاده » (٢) •

ونحن لا نود أن نستدل على مكن ولادة المقري الا بكلام المقري نفسه ، فان فيه الدواء الشافي والجواب الكافي • قال في مقدمة كتابه نفح الطيب : «••• فيقول العبد الحقير ••• أحمد بن محمد بن احمد •• التلمساني المولد والمنشأ والقراءة ••» (٣) وقال في نفس المصدر ــ أيضا ــ : « وبها (٤) ولدت أنا وأبي وجدي وجد جدي ، وقرأت ونشأت ، الى ان ارتحلت عنها في زمان الشبيبة الى مدينة فاس سنة تسع وألف » • (٥) وقال في سنده:«يقول عبيد الله احمد بن محمد

---

١ ــ حسن ، علي ابراهيم • استخدام المصادر وطرق البحث • القاهرة • مطبعة السعادة • ١٩٦٣ م• ص ١٢٣ •

٢ ــ الشبيبي ، محمد رضا • أدب المغاربة والاندلسيين • القاهرة مطبعة الرسالة • ١٩٦٠ م• ص ١٦٠ •

٣ ــ المقري ، احمد • نفح الطيب • ج١ • ص ٢٧ ــ ٢٨ •

٤ ــ الضمير يعود على (تلمسان) •

٥ ــ م• س• ج٩ • ص ٣٤٢ •

المقري التلمساني مولدا ودارا ..» (١) وقد لمح ـ في جميع كتبه ـ الى مولده ونشأته بتلمسن ، لا سيما في مقدمة كتابه «أزهار الرياض» ، حيث يقول : «انه لما سبق القضاء وجرت الأقدار بارتحالي عن الوطن المحبوب والقرار ، ... ونزحت عن بلد ، به الوالد وما ولد ، محل قطع التمائم ، وفتح الكمائم .. والحنين الى الوطن مجال لكل حر ومضمارا ... وليس بمستنكر حنين الناب (٢) الى عطنه (٣) . والمرء الى محل نشأته ووطنه (٤) » . فكلمات « الوطن » و « القرار » و « بلد به الولد وما ولد » و « محل قطع التمائم ، وفتح الكمائم » تدل دلالة واضحة على مدينة تلمسان التي طالما تشوق اليها المقري بقلب محرور ، وبكي عليها بعين عبري ، لانها مسقط رأسه وقرار أسلافه من قبله .

---

١ ـ المقري ، احمد . سند المقري . ٥٩٧ دار الكتب المصرية . مكتبة تيمور (مصطلح الحديث) . مصر . القاهرة . ١ مخ .

٢ ـ الناب : الناقة المسنة ، وهي مؤنثة وقد اعاد الضمير عليها مذكرا ، نظرا الى الاصل ، وهو الناب من العظم الذي غلب عليه التذكير عند اللغويين .

٣ ـ العطن : موطن الابل ومبركها حول الماء .

٤ ـ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج١ . ص ٣ ـ ٦ .

زمان ولادته

٩٨٦ هـ (١٥٧٨ – ١٥٧٩ م)

لم يكن المقري ضنينا علينا بشيء مثل ضنه بتحديد زمان ولادته . ولعل ذلك راجع الي اقتفائه ببعض السلف الصلح الذين كانوا يخفون تاريخ ولادتهم عن عمد ، ومن بين هؤلاء السلف جده أبو عبدالله محمد المقري الكبير ، اذ كان يجيب من يسأله عن سنه بقوله : « كان مولدي بتلمسان آيام ابي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان ، وقد وقفت على تاريخ ذلك ، ولكني رأيت الصفح عنه ، لان أبا الحسن ابن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه ، فقال : أقبل على شانك ، فاني سألت آبا الفتح ابن زيان عن سنه ، فقال أقبل علي شانك ، فاني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه ، فقال اقبل على شانك ، فأني سألت حمزة بن يوسف السهمي عن سنه ، فقال اقبل على شانك ، فاني سألت أبا بكر محمد بن عدي المقري عن سنه ، فقال اقبل على شانك ، فأني سألت أبا اسماعيل الترمذي عن سنه ، فقال أقبل على شانك ، فأني سألت بعض اصحاب الشافعي عن سنه ، فقال أقبل على شانك ، فأني سألت الشافعي عن سنه ، فقال أقبل على شانك ، فانى سألت مالك بن أنس عن سنه ، فقال أقبل على شانك ، ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه» (١) . ثم يتابع المقري كلامه – بعد سرده لرواية

١ – المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٧ . ص ١٢٢

– ابن القاضي ، احمد . جذرة الاقتباس . ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

جده ، فيقول : «... ولما تذاكرت مع مولاي العم الامام ــ صب الله تعالى على مضجعه من الرحمة الغمام ! ــ هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجد ــ رحمه الله تعالى ! ــ أنشدني لبعضهم :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة سنّ ومال ما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة بمكفر وبحاسد ومكذب (١)

واذا كان المقري قد أخفي علينا تاريخ ولادته كتابة وتدوينا . فانه قد باح بذلك ــ شفويا ــ لاحد أصدقائه ، وهذا ما سنعرفه ــ ان شاء الله ! ــ بعد مناقشتنا لآراء أصحاب التخمين والحدس في تحديد زمان ولادته . ولم يكن أحد من هؤلاء المخمنين يعاصر المقري أو يعيش بعده بقليل ، بل كلهم من المتأخرين المعاصرين لنا ، نذكر منهم أربعة أشخاص بارزين .

أحدهم : محمد بن أبي شنب (١) .

ثانيهم : « ليفي بروفانصال » (Levi - Proveçal) (٢) . وهذان الباحثان يتفقان على تحديد ولادته بحوالي سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩١ ــ ١٥٩٢ م) .

ثالثهم : محمد عبد الله عنان (٣) . فقد ذهب بزمان ولادته الى

---

٢ ــ المقري ، احمد نفح الطيب ، ج ٧ ، ص ١٣٢ .

(2) Bencheneb, Mohamed : Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjazadu cheikh add - el quadir el Fasy. France-Angers: Im. A - Burdin et cie. 1907. 151

٣ ــ ليفي ، بروفانصال (levi-provençal) ــ نخب تاريخية . جامعة لاخبار المغرب . باريس . مطبعة «لاروز» (Larose) ، ١٩٢٣ م. ص ٩٣ .

٤ ــ عنان ، محمد عبدالله . تراجم اسلامية شرقية واندلاسية . القاهرة . مطبعة دار المعارف . ١٩٤٧ م. ص ٢٤٥ .

حوالي سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٥ — ١٥٨٤ م) •

رابعهم : عثمان الكعاك (١) ، فقد استنبط من تخمينه ان ولادته كانت حوالي سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ — ١٥٨٣ م) ، وفي رأينا أن جميع هذه الاقوال التخمينية لم تصب الهدف • فمما يؤكد بطلان القولين الاولين — اعني تحديد زمان الولادة بحوالي سنة ألف هجرية — ما يلـي :

١ — ان المقري يروي لنا أنه قد نزح عن مسقط رأسه تلمسان الى المغرب الاقصى سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) زمان شبيبته ، اذ يقول : «•• وقرأت بها (تلمسان) ونشأت الى أن أرتحلت عنها في زمان الشبيبة سنة تسع وألف » (٢) • وهل يعقل ان يجهل أديب مثل المقري معنى لفظة الشبيبة فيجعل مدلولها تسع سنوات ؟ وهي عند اللغويين من سن البلوغ الى الثلاثين ، وما بعدها فهو كهل ، ثم شيخ (٣) • ويقول — ايضا — : «وبعد ما نعمنا برهة من الزمان ، في ظلال الامان ، وقطعنا نبذة من الشباب في مواطن الاحباب ••» (٤) • وهل في امكان العقلاء أن يتصوروا طفلا لا يتجاوز سنة تسع سنوات يكون قد قطع «نبذة من الشباب في مواطن الاحباب» ؟ ! ان هذا لشيء عجاب ! !

٢ — ان المقري يصرح في كتبه — عدة مرات — بانه قد قرأ على

---

١ — الكعاك ، عثمان . المقري . تونس . مطبعة الشركة التونسية ١٣٧٤ هـ . ص ٨ .

٢ — المقري احمد . نفح الطيب . ج٩ . ص ٣٤٢ .

٣ — قال احمد رضا : الشباب والشبيبة الفتاء والحداثة . قيل هو في الانسان من سبع عشرة سنة الى احدى وخمسين وما بعدها فهو شيخ ، او الى الثلاثين كاملة او الى اثنتين وثلاثين وما بعدها كهل (متن اللغة . ج ٣ . ص ٢٦٤) .

٤ — المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج: ١ ص : ٩

عنه سعيد المقري ـ مفتي تلمسان ستين سنة ـ صحيح البخاري سبع مرات ، وهل في امكان طفل لا يتجاوز سنه تسعة أعوام أن يختم البخاري سبع مرات ؟ ! مع ان العرف في ذلك العصر يقضي بتعليم الطفل الحروف الهجائية أولا ، ثم تحفيظه القرآن الكريم ثانيا ، ثم تلقينه فرائض الدين والعبادات وعقائد أهل السنة وهلم جرا ..

٣ ـ أن ابن مريم يفيدنا ـ عند ترجمته لسعيد المقري العم ـ «ان من جملة من تخرج على يديه احمد بن محمد المقري ولد أخيه ».(١) ونحن نعلم ـ حسبما هو في كتب اللغة ـ ان كلمة « تخرج » تدل على معنى تعلم وتدرب وانتهى من طور التلمذة وارتقى الى دور المدرسين والاساتذة ، كما نعلم أن ابن مريم قد انتهى من تحبير كتابه «البستان» في غضون سنة احدى عشرة والف للهجرة (١٦٠٢ م) حسبما هو مذكور في خاتمة كتابه . فهل يمكن لصبي قد بلغ من العمر احد عشر عاما أن يتخرج وينهي دروسه في جميع الفنون الاسلامية والادبية لذلك العصر؟! ان هذا لم يجر به العرف ولم تسمح به طبيعة البشر في عصر ابي العباس، كما لا يطمئن اليه ضمير الباحث المتقصي لحقائق التاريخ .

٤ ـ ان المقري يحدثنا ـ في كتبه (٢) ـ انه قد اجتمع ـ اثناء رحلته الاولى الى المغرب الاقصى ـ باساطين العلماء وفطاحل الادباء ، وجال معهم في رياض الادب، وخاض في بحر العلوم ، وأفاد واستفاد،

---

١ ـ ابن مريم : محمد . البستان . ص ١٠٤ .

٢ ـ ولا سيما كتابه « روضة الآس » العاطرة الانفاس في ذكر من لقيتهم من اعلام الحضرتين : مراكش وفاس » . وقد اغنى هذا العنوان عن دلالة موضوعه . وكتاب « نفح الطيب » وكتاب « ازهار الرياض »، وقد تعرض فيهما عدة مرات لذكر رحلته هذه .

وانشد الشعر وصوب أخطاء بعض العلماء (١) واجازه آخــرون (٢) كمــا اجتمع ــ أيضا ــ بالسلطان أحمد المنصور السعدي ، وانشـــده شعرا (٣) ونال عنده حظا وافرا وتقديرا عظيما ، وأعجب السلطان بعلمه وادبه ، فهل يسكن لطفل ذي تسعة أعوام ان يجالس السلاطين ، ويتباحث مع العلماء في المسائل العلمية والنوازل الفقهية ، ويباري الادباء فــي اشعارهم الرقيقة وأسجاعهم الفنية ، فيجب نتاج هذا ويعلق على بضاعة ذاك ؟ ! .

ونود أن نذكر ــ هنا ــ نموذجين أثنين ، أحدهما يدلنا على رسوخ قدمه في الفقه وكيفية المناظرة في مسائله حينذاك ، وثانيهما يرشدنا الى ذوقه الادبي آنــذاك :

النموذج الاول :

قال المقري : «وأول يوم دخلت فاسا ــ حاطها الله ! ــ رابع صفر من عام تسعة وألف (٤) ، حضرت مجلس صاحب الترجمة (٥) فــي

---

١ ــ انظر « روضة الاس » . ص ٣٣٣ ــ ٣٣٤ .

٢ ــ وممن أجازه في هذه الرلحة احمد بن القاضي . واحمــد بابا التنبكتي السوداني . ومحمد القصار القيسي . (المقري ، احمــد . روضة الاس . ص ٣٨٩ ، ٣٦٤ ، ٣١٦) .

٣ ــ م. س. ص ٣٣٣ ــ ٣٣٤ .

٤ ــ الموافق لـ (١٥ او ت ١٦٠٠ م) .

٥ ــ هو القاضي المفتي ابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمــد ابن عمران السلاسي ، ولد بفاس سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٣م) وتوفي مسموما في جامع المشور بفاس في سجن السلطان زيدان بن احمد المنصور في ربيع الاخر سنة ١٠١٨ هـ (جويليه ١٦٠٩م) .

د ــ المقري ، احمد . روضة الاس. ص ٣٣٢ ــ ٣٣٥ .

ــ القادري ، محمد الطيب . نشر المثاني . ج١ ص ١٠٤).

مختصر خليل وبحلقته جمع وافر من نجباء الفقهاء فوجدته في القراءة عند قول صاحب المختصر (١) — في الفريضة المنبرية — : «لقول علي — رضي الله عنه ! — : صار ثمنها تسعا» . فنقل هذا المترجم له هناك ما ذكره الشراح . ثم استطرد ما ذكره العقباني بلدينا الامام القاضي سيدي سعيد — رحمه الله ! — وبعد ذلك قال : ان الضمير في قوله «ثمنها» يعود على الزوجة ، فسلمه جميع الحاضرين ، وكنت وراءهم لست في الحلقة الاولى ، لكوني غريبا لم أتجرأ أن أجلس معهم في الحلقة ، لقصور باعي في العلم بالنسبة الى أولئك ، فقلت : — حفظكم الله ! — ان الضمير يعود على الفريضة لا على الزوجة ، فقال بعض الحاضرين : لا خصوصية اذن للثمن ، لأن كل فرض في مسائل العول ينقص صاحبه منه ، فقلت وهذا مشترك الالزام ، فلا خصوصية للزوجة كما هو ظاهر ، على أنا نقول : انما خص الثمن بالذكر لقوله فيه : «صار تسعا» ، وذلك أن علي بن أبي طالب — رضي الله عنه ! — كان يخطب في خطبة فاصلة العين ، فلما سئل عن هذه المسألة قال : «صار ثمنها تسعا» على فاصلة خطبته ، ومر في خطبته . فقال الشيخ صاحب الترجمة : ما ذكرته حسن ان كان ثم ما يعضد ان الضمير يعود على الفريضة لا على الزوجة ، فقلت هذا أبو اسحاق التلمساني (٢) صاحب الرجز يقول :

كزوجة وأبوين وابنتين	فاعلم فان العلم للانسان زين
وهي التي يدعونها للمنبر	دونها فاعلمن بها واذكر

---

١ — هو مختصر خليل بن اسحاق المشهور في مذهب الامام مالك ابن انس .

٢ — هو ابراهيم بن عبدالله بن موسى الانصاري التلمساني الوشقي كان اديبا وفقيها . ولد بتلمسان سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٠م) وتوفي بـ(سبتة) بعد سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١م) . (ابن مريم ، محمد . البستان ص٥٥–٥٦)

وقال صار ثمنها تسعها	لحكمة بالغة جمعها
اذ سائل سال عليا خاطبا	عنها فأفتاه عنها مجاوبا

فقال : الصواب ما ذكرت ، فأراد بعض الحاضرين المعارضة ،فقال له : الحق ما ذكر ، وليس اعتراضك بشيء ..» (١) .

النموذج الثاني :

قال المقري ـ عند ما طلب منه أن ينشد أبياتا في مدح أبي العباس المنصور ـ :

« سعد الزمان بدولة المنصور	وغدا الورى في غبطة وسرور
فخر الخلائق من ذؤابة هاشم	سبط الرسول فحسب كل فخور
أنشا واتقن من ذؤابة هاشم	قصرت مرين عنه أي قصور
هذا وكم أبدى مآثر شادها	ضربت بها الامثال في المعمور
لازالت الايام طوع يمينه	والنصر يخدمه ممر دهور» (٢)

وهل يمكن لابن تسعة أعوام أن يفوه بمثل هذين النموذجين الدالين على نضج العقل وعمق التفكير ، وطول الزمن ، وكثرة التجربة !!

٥ ـ ان المقري يحدثنا بأنه كانت له مع محمد الوجدي مراسلة قبل سفره الاول الى المغرب الاقصى ، وأنه قد بعث اليه هذا الاخير بأبيات تتضمن لغزين أحدهما في لفظة (الباذنجان) والآخر في اسم (أحمد) وقد أجاب المقري عن هذين اللغزين بابيات مطابقة للسؤال في البحر والقافية (٣) .

---

١ ـ المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .
٢ ـ المقري ، م. س. ص ٢٤ .
٣ ـ م. س. ص ٨٥ ـ ٨٦ ، ٢٨٥ .

فهل يمكن لابن تسع سنوات ــ أو أقل ــ أن يسأل عن الألغاز نظماً ويجيب عنها نظماً ؟ !

٦ ــ ان المقري ينقل الينا ثلاثة عشر بيتاً ، أنشدها أحمد ابن القاضي في مدح صاحب الترجمة يوم ان كان مقيماً بالمغرب الاقصى في سفرته الاولى ، وبعث بها الى العم سعيد المقري بتلمسان ، يشكره فيها على ما أسداه الى المغرب الاقصى حيث أتحفه بابن أخيه صاحب العلم الفياض والادب الجذاب ، والذي « يفوق علمه علم بهرام » (١) : (عبد الله الديري) • فهل يمكن لابن تسعة أعوام أن ينال مثل هذا الاعجب من عالم زمانه وأديب أوانه أحمد بن القاضي ؟ !

٧ ــ ان محمداً الوجدي قد بعث برسالة طويلة من المغرب الاقصى الى صديقه المقري بتلمسان بعد عودته ــ بقليل ــ من سفرته الاولى التي قام بها في المغرب • جاء في بعض فقراتها : «•• وقد انهي الينا (جوابكم) ما تلقاكم به أعيان ذلك البلد (تلمسان) من الترحيب والتبجيل الذي لم يعهد ،فمثلكم بالتكبير جدير ، ومثلهم بأثمان الأعلاق بصير •• وما بالك ــ أنعم الله ارتقاءك ! ــ لم تخبر اخوتك بما خولك من جزيل الفائدة ، والنعمة الزائدة فقد أخبرنا الغير أنكم توليتم استغلال الجنان بـ « الحنايا » (٢) المحتوي على أشجار الزيتون التين ، وأن غلتــه في كل سنة تساوي المئين ، فسررنا بذلك ، واغتبطنا بصلاح أحوالك ، اذ نحن شركاء في البؤس والانعام ، تآلفنا على نسب كريم من رحم الاقلام •• (٣) » •

١ ــ المقري ، احمد ، روضة الاس، ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠ .
٢ ــ الحنايا : قرية بضواحي تلمسان ، وهي تبعد عنها بحوالي ١٠ كلم شمالا .
٣ ــ المقري ، احمد ، م. س. ص ٩٤ ــ ٩٥ .

فهل من الممكن أن تحتفل أعيان تلمسان ووجهاؤها بانهاء سفرة صبي يبلغ من العمر أحد عشر عاما على الاكثر آنذاك ؟ ! وهل يستطيع ان يتولى هذا الصبي ـ في مثل هذا السن ـ تسيير ذلك «الجنان» واستغلال فوائده ؟ ! وهل ..؟ ! وهل .. ؟ !وهل ... ؟!

٨ ـ جدارة المقري بالتأليف ومباشرته للتصنيف سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٣ م) ، فقد صنف في هذا التاريخ كتاب «روضة الآس» الذي طبع ونشر ،وأصبح من أهم مراجعنا لدراستنا هذه ، كما شرع في تأليف آخر . أسماه «أنواء نيسان في انباء تلمسان» . وذلك قبل مغادرته تلمسان الى المغرب الاقصى ، جاء في نفح الطيب : «وقد كنت بالمغرب (١) نويت ان أجمع في شأنها (تلمسان) كتابا ممتعا ، أسميته : بـ «أنواء نيسان في أنباء تلمسان» ، وكتبت بعضه ثم حالت بيني وبين ذلك العزم الاقدار ، وارتحلت منها (تلمسان) الى حضرة فاس حيث ملك الاشراف ممتد الرواق فاشتغلت بأمور الامامة والفتوى والخطابة وغيرها » . (٢) فهل في امكان صاحب احد عشر عاما ان يحرر التآليف المفيدة ويؤلف التصانيف المعتبرة في مثل هذا السن ؟ ! فاذا صح هذا فانه معجزة وهي لا تكون سوى من الانبياء ، ومشيئة الله أبت ان يكون المقري نبيا . أما ما يؤكد بطلان القولين : الثالث والرابع ـ أعني تحديد زمان الولادة بحوالي سنة ٩٩٢ و ٩٩٠ للهجرة ـ أنهما مبنيان على التخمينات والافتراضات والاحتمالات الوهمية ، بينما تحديد أعمار النسمات متوقف على النقل الصحيح والرواية الصادقة ورغم ذلك فان هذين القولين أقل خطأ بالنسبة الى القولين السابقين .

---

١ ـ يريد بـ (المغرب) المغرب الاوسط ، بما فيه تلمسان . حسبما يفهم من سياق نص كلامه .

٢ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٩ . ص ٣٤٢ .

وأما ماباح بـه المقري في شأن ولادته ، فهو ما يحدثنا به رفيقه في الدراسة ابو حامد محمد العربي بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي (١)• اذ يقول : «حدثني الفقيه الفاضل سيدي محمد بن مبارك الكفيف الزعري أنـه سأل سيدي أحمد المقري عن مولده ، فقال له : «ولـدت سنة ست وثمانين وتسعمائة » • (٢) •

ويبدو لنا ان هذا التاريخ هو الصحيح ؛ لكونه متمخضا عـن دليلين اثنين حسبما نظن • أحدهما عقلي وثانيهما نقلي ، فالدليل العقلي يجعل المقري في سن ثلاث وعشرين سنة يوم أن قوض الرحيل الاول الى المغرب الاقصى سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) ونحن على يقين بأن صاحب هذه السن يمكن له أن يتصف بصفات العلماء ويعمل عملهم ويفكـر تفكيرهـم •

أما الدليل النقلي فيتبلور في وصول هذه الرواية الينا عن طريق عالمين معاصرين لصاحب الترجمة ومرافقين له • ولا يمكن لنا أن نطعـن في خبرهما مـا داما منفردين به دون سواهما •

ولا يفوتنا أن نفيد القراء بأن «كناشة» ابي حامد الفاسي السالفـة الذكر هي المصدر الوحيد لجميع الكتاب المعاصرين الذين قد حددوا زمان ولادة المقري بسنة ٩٨٦هـ (١٥٧٨ ــ ١٥٧٩ م) ، سواء منهم من اعتمد عليها مباشرة أو غير مباشرة • فاما الذين اعتمدوا عليها مباشرة فهمـا اثنـان :

---

١ ــ قال ابو حامد المذكور : (وفي سنة ثمان عشرة والف حضرنا عليه (اي على قاضي الجماعة ابي القاسم بن محمد بن ابي نعيم) تلخيص المفتاح ، كان يجلس له بعد العصر في المسجد المجاور لداره بالعقبـة الزرقاء ، وكان يحضره العلامة واحد عصره ابو العباس احمد بن محمد المقري) • (ابو حامد محمد العربي مرآة المحاسن ، ص ١٦٢ ــ ١٦٣)•

٢ ــ ابو حامد محمد العربي ، كناشة ، مخ ، محمد العابد الفاسي ،

أحدهما : مالكها ، وقد ذكر ذلك في مقال له بـ « مجلة المغرب الجديد» (١) •

وثانيهما : عباس ابراهيم المراكشي في تاريخه (٢) • وقد أنبأنا الاستاذ محمد الفاسي – عندما زرنا فاسا سنة ١٩٦٤ م – بانه قد أطلع المراكشي على هذه «الكناشة» في شأن تاريخ ولادة المقري • وأما الذين اعتمدوا عليها غير مباشرة ، فهم ثلاثة – حسبما بلغنا – :

أولهم : عبد الرحمن الجيلالي في تاريخه (٣) •

ثانيهم : عبد الوهاب بن منصور في مقدمته لـ «روضة الآس» (٤)• والمرجح لدينا أن هذين الشخصين قد اعتمدا في نقلهما على المراكشي • لانه أسبقهما من حيث ذكر هذا التاريخ ونشر ترجمة صاحبه ضمن تاريخه المطبوع سنة ١٩٣٦ م •

وثالثهم : عبد القادر زمامة في مقال لـه بـ «مجلة المجمع العلمي العربي (٥) » • وقد اعتمد في نقله على مقدمة عبد الوهاب بن منصور لـ «روضة الآس» حسبما صرح بذلك زمامة نفسه •

---

١ – الفاسي ، محمد العابد . (المقري التلمساني) . مجلة المغرب الجديد . (١٩٣٥ م) • ١٧ – ٢٧ •

٢ – المراكشي ، عباس ابراهيم . الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام . فاس . المطبعة الجديدة . ١٩٣٦م ج ٢ . ص ١٠٦ •

٣ الجيلالي ، عبد الرحمن . تاريخ الجزائر العام . الجزائر . المط . العربية . ١٩٥٥ م • ج ٢ . ص ٢٨٥ •

٤ – ابن منصور ، عبد الوهاب . مقدمة روضة الاس . ص :

٥ – زمامة ، عبد القادر . (ابو العباس المقري) مجلة المجمع [illegible] ص ٣٤٢ •

ومن الجدير بالانتباه اليه أن الاستاذ محمدعبد الله عنان قد عدل عن رأيه الاول الذي أثبته في كتابه «تراجم اسلامية شرقية واندلسية»، من أن المقري ولد حوالي سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٥ – ١٥٨٤ م) ، بل قد جزم في مقال نشره في « مجلة العربي » بأن المقري ولد سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٦ م) .

جاء فيها : «.. وقد وفقت لحسن الطالع بعد بحوث جمة في مكتبة القرويين الى تحديد هذا التاريخ (تاريخ ولادة المقري) بصفة قاطعة ، وذلك من العثور على نص ورد في كتاب «مرآة المحاسن» للشيخ العربي الفاسي ، يذكر فيه أن المقري أخبره أن مولده كان في سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٦ م) (١) .

ومن خلال هذا النص يبدو لنا أن الاستاذ عنان قد وقع – مرة ثانية – في خطأين اثنين ، رغم اصابته في تحديد تاريخ الولادة .

الخطا الاول :

ان تاريخ ولادة المقري لا وجود له في كتاب «مرآة المحاسن» ، سواء في النسخ المخطوطة او المطبوعة طبعة حجرية . وانما هو موجودفي كناشة لابي حامد محمد العربي الفاسي المذكور ، حسبما بينا ذلك في الفصل الثاني من الباب الاول لدراستنا هذه .

الخطا الثـــاني :

ان الراوي عن المقري مباشرة ليس هو محمد العربي الفاسي – كما يظن الاستاذ عنان – وانما الراوي هو محمد ابن مبارك الكفيف الزهري ، كما أشرنا الى ذلك فيما سبق أيضا .

---

١ – عنان ، محمد عبدالله . (رحلة الى تلمسان والى دار ابنها المقري صاحب نفح الطيب) . مجلة العربي ، ٢٧ جمادي الاخرة ١٣٨٧هـ (اكتوبر ١٩٦٧ م) . ص ٩٢ .

نشأ المقري بمسقط رأسه تلمسان حيث السماء الصافيـة ، والطبيعة الضاحكة والجو الطلق ، والهواء الشافي ، والهدوء الوافـي ، وحيث الجنان المفوفة والمياه العذبة المنسكبة . ولقد اصاب المحز أبـو زكريا يحيى بن خلدون حيث قال ـ متمثلا ـ : «فأنا أنشد ساكنهـا (تلمسان) قول ابن خفاجة ـ لاستحقاقها اياه عندي ـ :

ما جنة الخلد إلا في دياركم وهذه كنتلو خيرت أخترا
لا تتقوا بعدها ان تدخلوا سقرا فليس تُدخل بعد الجنة النار » (١)

وقد ربي المقري بين أحضان المدنية العريقة ، والحضارة المتأصلة ، والعلم المتوارث ، والجاه المتعارف . فتفرغ هناك لاغتراف العلوم فـي حلقات الهدى وارتشاف المعارف من أفواه الثقات : « ما بين دراسـة ودراية ورواية ، وممارسة أمور تبعد عن طرق الغواية ، وتحبير طروس ، وملازمة دروس ، ومثول بين يدي أشياخ ، مجالستهم نامية الغروس ، وخصوصا شيخهم الذي فضله لا يفتقر الى دلالة ، عمنا مفتيها (٢) سيدي سعيد بن أحمد المقري ـ شكر الله خلاله ! ـ فهو شيخ أولئك الاعلام الذين ورثوا العلم عن غير كلالة ، وعمروا ربوع المجد وتفيأوا ظلالـه ، وأرشدوا الى سبل الهدى وأزاحوا عن الضلالة ، وعمرت أرضهم بكل مجد وجلالة » . (٣) .

وهكذا كانت نشأة المقري هادئة البال مطمئنة الضمير ، محفوفـة بالسعادة يقودها الامل ، ويصحبها التفاؤل ، لا يكدر صفوها اشتغـال بكسب المعاش ، ولا يخمد من نشاطها بريق الثمرة المقيت وسراب الطمع

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٩ . ص ٢٤١ .
٢ ـ الضمير يعود على مدينة تلمسان .
٣ ـ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج ١ . ص ١٠ .

المشؤوم : «فآها على ذلك العصر ما أبهاه وأجمله ! واتمه وأكمله ! عصر يكاد يكلمنا فيه الجماد وتروينا الثماد ،وتحيينا العشيات والبكر ، ولا تتابنا التعلات ولا الفكر ، فان سألنا فعنه في الحقيقة ، وان صرحنا أو كنينا فنعني حماه وعقيقه» (١) .

ونجد المقري يحصر تعلمه في مسقط رأسه تلمسان ، ويخصها بقراءته ، في جميع المناسبات التي يحدثنا فيها عا نسبه او بلدته ، دون اشراك سواها من سائر البلدان التي ارتحل اليها وحل بها (٢) .

ثم يحدثنا ــ أيضا ــ بأنه قد قرأ بتلمسان على شيوخ أعلام ، قد كانوا هدى لمن استهدى بهديهم ونورا لمن استضاء بنورهم ، بيد أنه لم يبح باسم أي شخص من هؤلاء الاعلام ما عدا عمه المبجل وشيخه الاوحد : أبا عثمان سعيد المقري . فقد نوه باسمه وأقر بجميله في جميع تواليفه .ولم ندر ما السحر الذي كبل لسان ابي العباس ، فلم يفصح عن أشياخه الآخرين من غير عمه (٣) . ولعل سر ذلك راجع الى سببين اثنين :

أحدهما : أنه لم يأخذ عنهم من العلوم الا شيئا نزرا لا يطمئن اليه ضميره الا بعد تصحيحه على يد عمه ، ولذا وصفه بأنه : «شيخهم الذي فضله لا يفتقر الى دلالة » (٤) .

والحق يقال : انه لم يكن في عصر أبي العباس ــ لا سيما بتلمسان ــ عالم يضاهي عمه سعيدا ، ولو كان بها من يستحق منزلة

---

١ ــ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج ١ . ص ١٠ .
٢ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ١ ــ ٩ . ص ٢٤٢،٢٨ .
٣ ــ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج ١ . ص ١٠ .
٤ ــ م. س. ج ١ . ص ١٠ .

ذلك العم لما تلكأ المقري عن التنويه بشخصيته والاشادة بعلمه وتتاجه، وقد لازم أبو العباس الجلوس الى عمه حتى ارتوي من زلال علومه وتخرج عليه ، وأجازة في جميع الفنون التي قرأها عليه . وقد أنبأنا المقري غير مرة عن روايته المتصلة بعمه ، اذ يقول : «.. وتتصل روايتي عن الامام ابي حيان من طرق عديدة منها عن عمي ولي الله العارف به شيخ الاسلام ، ومفتي الانام ، الخطيب الامام ، ملحق الاحفاد بالاجداد ، سيدي سعيد بن أحمد المقري التلمساني ، عن شيخه العالم أبي عبدالله التنسي ثم التلمساني الاموي ، عن عالم الدنيا أبي عبد الله ابن مرزوق، من جدة الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق . عن الاثير أبي حيان بكل مروياته » . (١) .

وكثيرا ما نجد المقري يعدد طرق مروياته في كتبه لا سيما عندما يجيز تلامذته أو من يلتمس من العلماء اجازته ، تبركا واعترافا له بعلمه وثقته ومن ذلك اجازته لمحمد المحاسني رجزا ، التي يقول فيها :

« وقد أخذت جامع البخاري	ومسلم عن حائز الفخار
عمي سعيد وهو عمن يدعي	بالتنسي قد أفاد الجمعا
عن حافظ الغرب الرضا أبيه	عن ابن مرزوق عن النبيه
الحافظ المبجل العراقي	وقد سما في سلم المراقي
وما له من الروايات علم	من كتبه التي حوت خير الكلم » (٢)

وفي كتب التراجم أن المقري قد قرأ على عمه صحيح البخاري سبع مرات (٣) . وفي كتب المقري أنه كان يروي عن عمه الأشعار الأدبية ،

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ٣ . ص ٢٣١ .
٢ ــ م. س. ج ٣ . ص ١٩٦ .
٣ ــ المحبي ، محمد . خلاصة الاثر . ج ١ . ص ٣٠٢ .

فمن ذلك أبيـات تقي الدين الواسطي التي نظمها تجاه الكعبة المشرفة في مدح مجد الدين .

« الفيروزا بـادي » صاحب « القاموس المحيط » (١) . روي عنه بيتين في رموز : «القامـوس» كما روي عنه بيتين في كتم سر السن والمال والمذهب (٢) .

وكان المقـري ــ أيضـا يقوم بـدوره ويروي لعمـه ما علـق بحفظه من الاشعار التي يجدها في بطون الكتب والامهات ، فمن ذلك قصيدة سيدي ابراهيم التازي وتخميسها حتى اهتز عمه عند انشادهـا وانفعل لمضمونها (٣)

واذا كان المقري لم يفصح لنا عن كثير الفنون التي تلقاها عن عمه، ففي استطاعتنا أن نطلع على أغلبها من خلال قراءة عمه لها وحصوله عليها واتقانه اياها اتقانا خول له ان يبثها في صدور طلبته .

قال ابن مريم ــ اثناء ترجمته لهذا العم ــ : «وكان علامة فـي التوحيد والفقه .. أتقن كل علم ، حافظا اللغة العربية والشعر ، والامثال، وأخبار الناس ومذاهبهم .. أما ما في العلوم العقلية كلها : حسابـا ، ومنطقا وفرائض ، وهندسة وطبـا ، وتشريحا ، وتنجيما ، وفلاحة ، وبناء، وكثيرا من العلوم القديمة والحديثة ..» (٤) . فاذا ثبت ما حدثنا بـه ابن مريم ــ وهو صحيح لا ريب فيه ــ فان العم لا يبخـل على ابـن أخيه بمـا انعم الله بـه عليه ، من علوم موهوبـة ومعارف مكتسبـة

---

٤ ــ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج ٣ . ص ٤٧ ــ ٤٨ .
٥ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ٧ . ص ١٣٢ .
١ ــ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج ٢ . ص ٣٠٩ .
٢ ــ ابن مريم ، محمد . البستان . ص ١٠٤ .

لا سيما انه قد وجد فيه ذكاء حادا وفهما وقادا ، كما قد ألفي فيه حافظة لاقطة ، لا تدع كبيرة ولا صغيرة تمر بها دون أن تلتقطها بشهية الجوعان وشره اللهفان ، ثم تكتنزها في طي شاشتها الى وقت معلوم ، حيث يبثها هو الآخر في أفكار من يريدها . ومن المؤكد أن المقري قد حصل على جميع العلوم التي نبغ وبرز فيها عمه . وربما فاقه بموهبة أدبية وحافظة نادرة ، ولعله قد حصلت له ملكة التصرف في هذه العلوم ، فراح يزداد نورا على نور بكثرة المطالعة والسهر على استيعاب ما تحتويه الكتب وغربلته وما لا نرتاب فيه أن المقري قد بدأ صيته يشق آفاق المغربين ، الاوسط والاقصى ، اثناء قراءته بمسقط رأسه تلمسان وقبل أن يقوض الرحيل الاول الى مدينتي فاس ومراكش سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) . والدليل على ذلك مراسلاته التي كانت مع بعض العلماء في المغرب الاقصى آنذاك ، ومن بين تلك المراسلات مراسلته مع صديقه محمد الوجدي التي ضمنها أبياتا يلغز فيها ، ويطلب من صديقه المقري حل لغزها وازاحة ستار غموضها ، فامتثل المقري لصديقه ، وحل هذا اللغز بابيات مماثلة لأبيات الوجدي في البحر والقافية ، قال المقرى : «وكتب الي (محمد الوجدي) وأنا بتلمسان المحروسة قبل أن أعمل الرحلة الى حضرة الامامة ــ حاطها الله ! ــ بهذا اللغز في اسم «برنية» (باذنجان) :

اسم التي تيمني حبها ... تصحيفه تربية الهوى

فبعضها وصف امرىء صالح ... لوالديه طائع ما غوى

وبعضها الآخر من فعلها ... لكن بتصحيف يزيد الجوي

فوقع الجواب مني بما نصه :

يا كاتبا على الكمال احتوى ... وبارعا من البيان ارتوى

لغزكم تصحيفه ان بــدا　　　يزينه بشر عليـــه انطوى
فالبعض وصف لمسيح الهوى　　　والبعض مثل مصدر من نوى
تصحيفه تيه نعش آمنـــا　　　وقاك ربي كل مـــا يجتوى

وكتب الي — ايضا — لغزا في اسم أحمد :

أسائل حبرا حل بلدة العلى　　　تلمسان دار العلم خير مدينة
عن اسم بقلبي ما حييت معظم　　　وان زال منه الصدر أخمد لوعتي
ولكن بتصحيف وان زال ثالث　　　فوصف اله العرش تلك عقيدتي
وان زال ثان من حروف فانه　　　يصير دمافي القلب من أجل عشقتي
فبين لنا من كلفت بحبـــه　　　ومن حبه فرضى ونفلي وسنتي
فلا زلت في فن البلاغة كعبة　　　ولا زالت في حل اللغوز وسيلتي
وعش سالما ما أنشد القوم منشد　　　نعم بالصبـــا قلبي صبا لأحبتي

فصدر الجواب مني بما طال العهد به ، وأوله :

أيا ماجد قد حاز أشرف خطة　　　ببلدة فاس في سرور وغبطة
أتيت بلغز كاللآلي منظم　　　قصدت به من حلّ في ارض طيبة

ولم يحضرني الآن تـــام القطعة التي حصل الجواب بها ، ولم أجد الا ما ذكرت » . (1) . فقد استفدنا من هذه المراسلة — بالاضافة الى مـــا نحن بصدده — فائدتين اثنتين :

أحداهما : منزلة المقري العلمية والادبية عند علمـــاء المغـــرب الاقصى وادبائه على حداثـــة سنة . ويبدو ذلك جليا في الشطر الاول من

---

1 — المقري ، احمد . روضة الآس . ص 85 — 86 .

بيت السؤال الثاني وفي البيت السادس منه أيضا ، كما نستوحي وجهة المقري الادبية من خلال عذوبة لفظه وسلاسة أسلوبه اللتين قد جاء بهما في جوابه •

وثانيتهما : الثقافة الموحدة بين تلمسان والمغرب الاقصى وقتئذ ، سواء من حيث التفكير أو التعبير • ولعل اتحاد الاتجاه الثقافي الذي ربط بين البلدين قد أصبح سببا من الاسباب التي دفعت بالمقري الى النزوح الى المغرب الاقصى حيث افاد أكثر مما استفاد • وسنعود بكلامنا الى هذا الموضوع عندما تتناول الحديث عن حياة المقري بتلمسان بعد عودته من رحلته الى المغرب الاقصى •

الفصل الثالث

رحلته الاولى الـى المغرب الاقصى

١٠٠٩ هـ (١٦٠٠م)

**اسباب الرحلة ـ المقري في فاس ـ المقري في مراكش ـ
المقري يعود الى فاس ـ المقري يعود الى تلمسان
رحلته الثانية الى المغرب الاقصى ـ اسبابها
المقري يستقر بفـاس ـ حظـه في المغرب .**

اسباب الرحلـة :

ليس من الغريب أن يكتم المقري عنا أسباب رحلته هذه ، ما دام كاتمـا عنـأسباب رحلته الثانية الى المغرب والثالثة الى المشرق مثلما كان كاتمـا لزمان ولادته وأسرار شؤونه . ولعله قد أشار الى أسباب هذه الرحلة في القسـم الاول من كتابه (روضة الآس) ، ولكن من سوء الحظ أن يضيع ذلك القسم من هذا الكتاب ، ويبقى مبتور الأول ، بـل ومن أدراانا بهذا الافتراض ، لو وجد الكتاب كاملا غير مبتور ، ولكنه خال من ذكر هذه الاسباب التي لم يفصح عن أمثالها في جميع كتبه التامة التي بين ايدينـا ؟

ورغم ذلك كله،ففي امكاننا ان نكشف عن بعض الاسباب الرئيسية لهذه الرحلة من خلال نصوص صاحبها العفوية ، التي قد تحدث بها عـن

اقامته في المغرب الاقصى ، الذي وجد فيه مرغوبه المنشود وحظي — هناك — بمطلوبه المحبوب . وفي امكاننا — ايضا — ان نكشف عن ذلك من خلال تاريخ اسرته ، التي طالما غرب علماؤها ونالوا حظا وافرا وصيتا ذائعا هناك :

السبب الاول :

زيارة الاولياء والصالحين المقبورين هناك . فقد كان أبو العباس المقري — كما يبدو لنا من خلال نصوص مؤلفاته — زوارا للاولياء محبا للصالحين . منذ حداثة سنه حتى وفاته . فها هوذا يزور قبر أبي العباس احمد بن جعفر السبتي الخزرجي مرارا : «وقبر أبي العباس الخزرجي مشهور مقصود باجابة الدعاء ، وقد زرته مرارا كثيرة ، فرأيت عليه من ازدحام الناس ما لا يوصف وهو ترياق مجرب» . (١) ويزور ضريح أحمد بن عاشر في «سلا» فيرى الناس تأتي لزيارته من أقصى المغرب الى أقصاه : «وقد زرته (أحمد بن عاشر) — ولله الحمد ! — عند توجهي الى حضرة مراكش سنة ألف وتسعمائة والناس يشدون الرحال اليه من اقطار المغرب» . (٢) ولعل المقري كان يرى الخير في جميع المسلمين احياء وأمواتا ، ولو لم يشتهروا برسوم الولاية وسمات الصلاح ، ولذلك نجده يزور ضريح المهدي بالله السعدي ويدعو الله عنده : «قلت : وقد زرت هذا الضريح (ضريح المهدي بالله) الكريم ، ودعوت الله عنده وبما أرجو قبوله ..» . (٣) . ومثل هذه النصوص في شأن زيارة الاولياء والصالحين أكثر من كثير في مؤلفات المقري . ولعل ذلك ميزات عصر مترجمنا في جميع اسقاع العالم الاسلامي .

---

١ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ١٠ . ص ١٢٧ .
٢ — م . س . ج ٧ . ص ٢٧٥ .
٣ — المقري ، احمد . روضة الآس . ص ١٥٣ .

السبب الثاني :

رؤية آثار الهندسة الفنية التي شيدتها الحضارة الاسلامية بالمغرب الاقصى ، ولا سيما مساجد الصلوات ومدارس العلوم ، وقصور الملوك ، ومن بين المباني التي زارها المقري خلال سفرته هذه مبنى المسرة التي شيدها أحمد المنصور السعدي بحضرة مراكش . «وقلت : زرتها (المسرة) في اواسط رمضان المعظم من عام تسعة والف فرأيت العجب العجاب»(١).

السبب الثالث :

طلب العلم مباشرة من علماء المغرب الاقصى وأخذه عنهم مشافهة في حلقات دروسهم ، ولا سيما بجامع القرويين الذي كان محط الانظار لعلوم الدين وفنون العصر ، ومجمع العلماء الفطاحل ، ومرتع الطلبة المتعطشين . وهو ثالث ثلاث جامعات اسلامية : جامعة الأزهر بمصر ، وجامعة الزيتونة بتونس ، وجامعة القرويين بفاس .

السبب الرابع :

الحصول على اجازات من بعض العلماء ، وان كان لم يقرأ عليهم . وقد كان في ذلك العصر ــ مثل الذي قبله وبعده ــ تمنح الاجازات الاكفياء ولو لم يتتلمذوا لمن يمنحونهم اياها . والادلة على اثبات هذه الاجازات كثيرة . نذكر منها على سبيل المثال اجازة سعيد المقري لأحمد ابن القاضي الذي لم يتلمذ له مباشرة (٢) . وسنتناول الحديث بالتفصيل عن السبب الثالث والرابع عندما نشرع في وصف رحلة صاحب الترجمة الى المغرب الاقصى ، لأن موضوعية البحث العلمي تقتضي ذلك .

---

١ ــ المقري ، احمد ، روضة الآس ، ص ٢٥ .
٢ ــ م. س. ص ٢٦٦ ــ ٢٦٩ .

السبب الخامس :

الاطلاع على المخطوطات المتوفرة بالمغرب الاقصى والتي لا وجود لها بتلمسان ، ولا سيما المخطوطات الاندلسية التي كانت هي الغرض المقصود والطلب المنشود لدى أبي العباس ابنما كان وحيثما بان ،وحتى بعض المخطوطات الفقهية قد كانت عديمة الوجود بتلمسان ، وهذا ما يحدثنا به المقري نفسه عندما أهدي لـه عبد الواحد الركراكي (حواشي الشيخ اللقاني) المفقودة بتلمسان : «وهب لي الراكراكي — حفظه الله ! — حواشي اللقاني على توضيح الامام خليل بن اسحاق المالكي — رحمه الله ! — وتلك الحواشي لم يرها أهل تلمسان قط ، وقد قدمت معها بعدة كتب غرائب ، جمعت من الفنون نظيما ونثيرا.. (1) » . وليس ببعيد ان يكون عمه سعيد المقري هو الذي قد شجع ابن أخيه على هذه الرحلة وحثه على الذهاب الى فاس ، حيث قرأ وتخرج ذلك العم ، وكون معارف واصدقاء وحيث كانت لـه علاقات حسنةوارتباط وطيد مع العلماء، من حيث مراسلات الفتاوى والتحقيقات العلميـة التي أصبحت رائحة غادية بين مدينتي فاس وتلمسان ، ولا سيما ان ابا عثمان سعيدا المقري قد كان يشغل منصب الامامة والافتاء بتلمسان . ولا شك أن هذين المنصبين الشريفين قد رفعا من قدره ونشر سمعته هناك ، ونال بهما ثقة تامة لدى علماء المغرب الاقصى ، حتى أن احمد بن القاضي طلب منه أن يجيزه دون أن يقرأ عليه .

ومما يدل على أن هذا العم هو الذي أوحي الى ابن أخيه بهـذه السفرة ما جاء ضمن رسالة بعث بها ابن القاضي الى هذا العم عندما وصل المقري الصغير الى فاس ، يشكره فيها على ما أسداه الىالمغرب الاقصى بارسال ابن أخيه الى هناك :

---

1 — المقري ، احمد . روضة الآس . ص 15 .2

« أرسلت للغرب القصي بدرة قد أبهرت وغلت لها الاسوام
جمع العلوم على حداثة سنه قد بارك الله به الاعلام » (١)

وسنتقل القصيدة برمتها ، عندما تأخذ في تفصيل الرحلة ووصفها .

ويرى الاستاذ عبد الوهاب بن منصور أن سعيدا المقري قد أرسل ابن أخيه الى المغرب الاقصى ليبوئه «مقعدا بديوان السلطان الجليل أبي العباس احمد المنصور الذهبي .. ويحله منه مكانا يضمن لـه راحـة النفس وتفتح المواهب وبسطة الكف مثلما حصل لجده القاضي محمد مع السلطان ابي عنان الذي صحبه معه ـ عندما بويع بتلمسان ـ الى فاس ...» (٢) .

ونحن لا نجاري الاستاذ عبد الوهاب في رأيه هذا ، ما دام لم يدل لنا بوثيقة تبرهن على صحة ما ذهب اليه . وما دام منفردا بهذا الرأي . ولم يشر اليه أي واحد ممن سبقه الى ترجمة المقري ، حسبما ثبت لدينا .

ولعل المقري لم يخطر بباله أن يحظى بلقاء السلطان احمد المنصور الا بعد ما استقر بفاس والتقى بالقائد ابي أسحاق ابراهيم الآيسي ـ الذي جاء الى فاس من أجل بناء سد «وادي بوطوبة» ـ فأخذه معه الى الحضرة المراكشية بعدما تم بناء ذلك السد وبعدما كلف المقري أن ينشد مع المنشدين شعرا في مدح المنصور (٣) . فلو جاء من تلمسان بنية لقاء أحمد المنصور بمراكش ، لما قطع سفرته ولما أقام بفاس حوالي سبعة أشهر ، قرأ خلالها عدة فنون على عدد من الشيوخ ، مثل ابي القاسم

---

١ ـ المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٢٧٠ .
٢ ـ ابن منصور ، عبد الوهاب . مقدمة روضة الاس . ص : ي .
٣ ـ المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٢٣٥ .

ابن أبي نعيم الذي قرأ عليه نصف التلخيص وأخذه عنه (١) قبل أن يشق طريقه الى مراكش . ولو ان المقري كان ينوي «ان يتبوأ مقعدا بديوان السلطان أحمد المنصور» ــ حسب تعبير الاستاذ عبد الوهاب ــ لحصل عليه بسهولة ، لأنه لم يكن أقل ثقافة من علماء المغرب الاقصى أو أدنى جدارة ممن تبوأوا مقاعد بديوان السلطان المنصور آنذاك ، بل لم يثبت عنه أنه شغل منصبا هناك طوال اقامته بالمغرب التي كادت تكون سنتين . ومما يؤيد رأينا في الموضوع كتابه «روضة الآس» الذي يعطينا صورة حقيقية عن غرض المقري من هذه الرحلة وعن شغله الشاغل المتبلور في المطارحات الادبية ، والمنافسات العلمية ، والزيارات الدينية والودية والاستطلاعية ، ولقاءاته لفطاحل العلماء وفحول الادباء وهلم جرا .. اما كون المقري قد نزح من تلمسان الى المغرب الاقصى ليحصل له مثلما حصل لجده المقري الكبير مع السلطان ابي عنان ، فهذا شيء لا نطمئن اليه ، لأن وجه المقارنة بين رحلة الشخصين لا تتفق تماما من حيث الدوافع . فالدافع الى رحلة المقري الكبير أمر سياسي بالدرجة الاولى ، اذ يحدثنا المؤرخون بانه : هو الذي كتب كتاب البيعة لابي عنان عند وصوله الى تلمسان وقرأه على الناس في يوم مشهود ، وبعد ذلك أخذه معه أبو عنان الى فاس (٢) ، حيث ولاه منصب قاضي الجماعة ، وأصبح مستشاره الخاص ، يصحبه معه اينما توجه ، أما المقري الصغير فلم يأخذ بيده الى هذه الرحلة غرض سياسي ، مثلما أخذ بيد جده ، بل لم يبلغ ــ آنذاك ــ درجة هذا الجد ، سواء من حيث نضج العقل أو غزارة العلم أو عجم عود التجارب . فشتان بين سفرة الجد وبين رحلة الحفيد ، فذاك قد ذهب ليتخذ فاسا سكنا ،

---

١ ــ المقري ، احمد . روضة الآس. ص ٢٣٥

٢ ــ ابن خلدون ، عبد الرحمن . التعريف بابن خلدون . ص ٥٩

وليبث فيها علومه الغزيرة وليشارك بآرائه المصيبة في سياسة الملك ، وهذا قد نزح بقصد تنمية علومه ، وزيارة أضرحة الاولياء والصالحين، ورحل بنية الاطلاع على نوادر المخطوطات وآثار الهندسة الاسلامية ، ولا سيما منهما الاندلسية ، ثم عاد الى مسقط رأسه ، بعدما أتم مآربه وحصل على مرغوبه •

وخلاصة القول أن المقري قد اقتدي — في رحلته الاولى — بعمه سعيد الذي كانت قراءته بفاس ، وتخرج عن علمائها هناك ، كما اقتدى — في رحلته الثانية — بجده الامام ابي عبد الله محمد ، وهذا ما سنبينه عند تناول الحديث عن رحلته الثانية الى المغرب الاقصى •

المقري في فـاس

في اليوم الرابع من شهر صفر سنة ١٠٠٩ هـ (١) (١٥ أوت ١٦٠٠م) حل المقري بأرض فاس الباهرة للمرة الاولى في حياته ، ونزل ضيفا على القاضي عبد الوهاب الحميدي (٢) الذي أول من بادر باكرامه وقضاء مآربه (٣) • وفي نفس اليوم توجه صوب جامع القرويين ، حيث حضر حلقة درس أبي الحسن علي ابن عمران السلاسي ، وناقشه في بعض المسائل الفقهية التي قد أخطأ في شرحها أبو الحسن اثناء درسه هذا ، ولم يزل المقري يدلي بحججه الدامغة حتى اقنع الشيخ ، فسلم اليه باصابة رأيه واعترف بخطئه في شرحه (٤) • ومن ذلك الحين انتشرت سمعة المقري العلمية بين علماء فاس ، وذاع صيت جرأته النقدية في صفوف طلبتها ، وحينما وصل الى فاس وجد شيخه احمد بن القاضي غائبا

١ — المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٢٢٤ — ٢٥٢ .
٢ — وقد خص هذا القاضي بترجمة في كتابه : (روضة الاس) . ص ٢٢٣ — ٢٢٥ .
٣ — م. س. ص ٢٢٤ .
٤ — م. س. ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

عنها بثغر «سلا» لأنه كان حينذاك ـ يشغل منصب القضاء هناك.
فلما عاد منها الى فاس وعلم بمقدم تلميذه من تلمسان اسرع الى استدعائه الى حضور مأدبة قد أقامها على شرفه . وزود رسوله اليه ـ في هذا الشأن ـ بثلاثة أبيات من بحر الكامل :

يا سيدا ان زرت عبداً يومه   في داره فالامر غير بعيد
شرفته بحضوركم لا منقص   بحضور سادات بدار عبيد
ان زرته ونقلت أقدام العلى   لمحله كانت له كالعيد (١)

فأجابه المقري ببيتين من بحر السريع :

القلب مني في جوى والتهاب   والجسم أضحى عرضة لانتهاب
وليل فكري مدلهم وما   أناره الا ضياء الشهاب (٢)

ثم علق المقري على هذه الابيات بقوله : «وانما أجبته ببحر مخالف لأبياته التي هي من الكامل ، اشارة اني لاجابة دعائه سريع وأنه كامل .. (٣)» .

واقام المقري بمدينة فاس نحو سبعة اشهر ، يفيد ويستفيد ويروي ويستجيز . ويروح ويغتدي الى مقامات الاولياء واضرحة الصالحين ، بقصد الزيارة لها والتبرك والتوسل بدفنائها الى الله المجيب . وسرعان ما لمع نجمه هناك وانتشر ذكره بين علماء تلك المدينة وأدبائها وساستها،

---

١ ـ المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٢٥٢ .
٢ ـ م . س . ص ٢٥٢ .
٣ ـ م . س . ص ٢٥٢ .

فتعرف بـه القائد ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الآيسي ، الذي أرسله المنصور الذهبي لبناء «سد بوطوبة» ، وأعجب بأدبه الممتع وعلمه المتين رغم حداثة سنة فطلب هذا القائد من المقري أن يصحبه معه الى الحضرة المراكشية ، عاصمة السعديين ، حيث كان بلاط أحمد المنصور غاصا بالعلماء الأعلام والادباء المصاقع ، فلبى المقري طلب هذا القائد بصدر منشرح وعزم ثابت وبقي ينتظر ــ بفارغ الصبر ــ ساعة الرحيل • ولعله كان ينوي زيارة مراكش ، قبل أن يطلب منه ذلك ، لأنها تحتوي على آثار تاريخية ومزارات تبركية ، وهذا ما نستوحيه من خلال عبارات نصوصه في جميع مؤلفاته التي بين أيدينا • ولما فرغ هذا القائد من بناء ذلك السد ، التمس من فقهاء مدينة فاس أن ينظم كل منهم ما استطاع في مدح السلطان المنصور فاستجابوا مسرعين • وكان من بين هؤلاء الملتمس منهم والمستجيبين ــ أيضا ــ أبو العباس المقري الذي نظم خمسة ابيات ، قد نقلناها برمتها في الفصل الثاني من الباب الاول لهذه الدراسة ، عند حديثنا عن تحديد زمان ولادته • ثم غادر المقري فاسا متوجها صوب مراكش صحبة القائد المذكور ، مارا برباط الفتح ، حيث قام بزيارة لضريح سيدي أحمد بن عاشر المدفون بـ «سلا» (١) •

المقري في مراكش

لم يحدد لنا المقري اليوم الذي قد وصل فيه الى مراكش بالضبط ، مثلما حدد لنا ذلك عند وصوله الى فاس • وانما يحدثنا في كتابه «روضة الآس» بأنه قد زار «المسرة» بمراكش «في أواسط رمضان من عام تسعة والف »(٢) للهجرة النبوية (٢٠ مارس ١٦٠١م) واراجع عندنا

١ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج ٧ ، ص ٢٧٥ .
٢ ــ المقري ، احمد ، روضة الاس ، ص ٢٥ .

أن يكون قد حل بمراكش في نفس الشهر المشار اليه ، لأن للمسرة شأنا عظيما في نفس المقري ، فلا يمكن أن يمضي اياما بمراكش قبل أن يبادر بزيارتها ويطلع على ما فيها من «العجب العجاب» . ولما وصل الى مراكش نزل ضيفا على أبي العباس أحمد بن محمد الآيسي (١) أمين بيت المال وشقيق القائد ابي اسحاق ابراهام الذي جاء بالمقري من فاس الىمراكش وكان همزة وصل بينه وبين المنصور الذهبي ، فهو الذي أدخله الى بلاطالأمير وقربه اليهوكان هوالسبب الأوحدفيما أغدق عليهمن نعم،جلى: «.. سيدي ابراهيم بن محمد الآيسي ـ أبقاه الله وحرس علاه ! ـ فهو الواسطة بيني وبين مولانا أمير المؤمنين ـ نصره الله ! ـ .. ذهب بي في صحبته الى الحضرة المراكشية وأدخلني الى أمير المؤمنين ، فيا لله ! من نعمة حصلت على يديه قد عظمت وجلت ، ومشاهدة لحضرة الامامة اناعت لها صروف الدهر واضمحلت (٢) » . فهناك وجد المقري ضالته المنشودة وحصل على مرغوبة وفتح عينيه على عظمة دولة السعديين : السياسية والعلمية والأدبية ، وألفى نفسه بين فطاحل العلماء ومصاقع الادباء ، وأكابر الساسة ، ولا سيما السلطان المنصور الذي راح يضرب بسهمه الأوفر في انشاد القصائد الشعرية ، ونسج الاسجاع الفنية ، وافتضاض المشاكل السياسية ، فانبهر المقري لذلك المظهر الجذاب ، وبالخصوص عندما شاهد حفلات المولد النبوي التي أقامها المنصور الذهبي في ربيع الاول عام عشرة بعد الألف من الهجرة النبوية (سبتمبر ١٦٠١م): «وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشرة وألف ـ قراءة كراسة الشيخ ابن عباد في المولد النبوي ـ على صاحبهالصلاة والسلام ! ـ بين يدي مولانا السلطان المرحوم أحمد المنصور الشريف الحسني رحمه الله

---

١ ـ وقد افرد المقري ، احمد . الايسي بترجمة في كتابه : (روضة الاس) .

٢ ـ المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٢٣ .

تعالى ! وقد احتفل لذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها . جازاه الله تعالى عن نيته خيرا ! .. (١) » .

وقد وصف لنا المقرى هذا الاحتفال - في كتابه : «روضة الآس» - وصفا دقيقا رائعا ، يجعل القاريء لنصوصه كانه عاشه وشاهد جميع ما احتوى عليه : من انشاد قصائد ميلادية ، وما يتلوها من تضرعات وابتهالات الى الله، ومن موائد لأصناف المأكولات والكوامخ والنقول، ومن اشعال شموع فيحجم الاسطوانات ورفعها علىشماعد من النحاس المحكم الصنع ، ويطاف بها في المدينة ، فترى صعدا في السماء مثل المنارات ، ومن أموال كثيرة وثياب متنوعة وجوائز ثمينة توزع كلها على العلماء والمسمعين والفقراء والمساكين وهلم جرا .. ولا شك أن المقري قد نال حظا وافرا لدى المنصور ، وفاز بمكافأة مالية ، قد أطلقت لسانه في مدحه ، ووجهت قريحته صوب اثرائه ، فراح يتمنى على الله أن يعيده الى جواره ، ويأخذ بيده الى كنف حضرته ، حيث يتبوأ تحت جناح عدله : «نسأل الله - سبحانه ! - أن يزعجنا عاجلا الى حضرته المقدسة الطاهرة من أدناس الجور والحيف ، فنطوف بكعبة العدلونرمي جمار الشوق بمنى اقباله ، وننزل بذلك الخيف بمن الله واكرامه (١)» .

وكان المقري - أثناء اقامته بمراكش - يغذيروحه بزيارةأضرحة الاولياء والصالحين كعادته ، ويمتع نظره - هناك - برؤية الآثار الاسلامية ، ولا سيما التي شيدها السعديون وعلى رأسهم المنصور الذهبي : صاحب الذوق السليم ، والعلم الغزير ، والأدب الجذاب ، والأمر المطاع ، والقدر الرفيع . وهناك كان المقري يكثر من مجالسات

---

١ - المقري ، احمد نفح الطيب . ج ٧ . ص ٢٧٠ .
٢ - المقري ، احمد . روضة الاس . ص ١١١ .

العلماء ومطارحات الأدباء ، ويتقصى نتاج أولئك وآثار هؤلاء ، ويقيد منثورهم ومنظومهم ، ليضم ذلك الى ما جمعه ــ وسيجمعه ــ عن علماء فاس وأدبائها ، ويؤلف من نتاج علماء الحضرتين وأدبائهما كتابه الموسوم بـ «روضة الأس العاطرة الانفاس ، في ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين : مراكش وفاس» .

والمقري لم يكن يجتمع في هذه الرحلة بعلماء المغرب وأدبائه فحسب ، بل قد اجتمع ــ أيضا ــ بعلماء الأقطار الاسلامية الأخرى وأدبائها الذين كانوا يفدون على بلاط المنصور ليمدحوا صاحب البلاط بأشعارهم ، ويطروه بما تجود به أفكارهم ، فيبسط اليهم يد جوده ويمدهم بجزيل أمواله . وما أصدق مما رواه المقري حين قال : «ومن مآثره ــ نصرة الله ! ــ التي اختص بها ولم يشارك فيها ، اكرامه للفقهاء ، لا سيما الوافدين على مقامه من البلاد الشاسعة ، فتعم جميعهم آلاؤه الواسعة ، ولذلك نجدهم قد وفدوا عليه من أقاصي الأرض : كالشام والعراق ومصر والحجاز وغيرها . ومن غريب ذلك أنه اجتمع يوما بين يديه ــ نصره الله ! ــ ثلاثة أعلام ، كل واحد من أهل المدن الثلاث التي تشد اليها الرحال ، أحدهم من مدينة النبي (١) ــ صلى الله عليه وسلم ! ــ والآخر من مكة (٢) ــ زادها الله تشريفا ! ــ والثالث خليلي من بيت المقدس يقال له : امام الدين (٣) . فألقي في خاطر الخليلي المذكور ما اتفق من اجتماعهم في حضرة مولانا ــ نصره الله ! ــ فأنشأ بيتين في الحال ، وقام على قدميه

---

١ ــ لم يذكر اسمه المقري .
٢ ــ هو ابو الفضل بن محمد العقاد .
٣ ــ هو امام الدين ابن محمد بن يوسف بن علاء الدين ابن قاسم انبطائحي الخليلي الخزرجي الشافعي الاشعري .

وانشدهما أمير المؤمنين ـ نصره الله ! ـ وهما :

أن أمير المؤمنين أحمد بحر الندى وفضله لا يجحد
فمكة وطيبة أهلها والمسجد الاقصى بذاك شهدوا

فلما بلغ قوله : «فمكة وطيبة» أشار الى كل من صاحبيه ، ولما بلغ قوله : «والمسجد الأقصى» أشار الى نفسه . ثم قال : نصرك الله ! ـ لم يتفق مثل هذا للملك قصدت اياالته قبلك . فتبسم لذلك ـ أبقاه الله ! ـ وأجزل في العطا .. (٤)» . ثم يتابع المقري سرد أشعار هؤلاء الاشخاص الثلاثة التي جاءت في مدح المنصور وغير ذلك . وكان المقري على اتصال مستمر مع زملائه وأصدقائه في فاس طوال اقامته بمراكش ، ومن بين هؤلاء الأصدقاء محمد الوجدي الذي بعث اليه برسالة مصدرة بهذين البيتين :

«أمولاي يا ذا الجود والفضل والمجد يناجيك قلب مستهام من الوجد
ويهدي على شط المزار تحية
إليك تباري المسك والعنبر الوردي» (٥)

ويحدثنا المقري بأنه قد شاهد كارثة الطاعون بمراكش ، وأنه قد عزى أسرة محمد بن عبد الواحد الحسني الذي قد توفي هو وأخوه أحمد بالطاعون في شهر ذي القعدة سنة ١٠٠٩ هـ (ماي ١٦٠١ م) وأنه كان كثيرا ما يحن الى أهله بتلمسان عندما رأى كارثة الوباء تذهب بالنفوس ، ولا سيما عندما يلتقي بشيخه أحمد بن القاضي الذي طالما

---

١ ـ المقري ، أحمد ، روضة الاس ، ص ١٤ ـ ١٥ .
٢ ـ م. س. ص ٨١ .

ركن اليه وتبادل معه قرض الشعر في هذا الشأن :

«ولقيته يوما بالمحلة المنصورة .. وكان اذ ذاك الوباء ، فتذاكرنا أوطاننا وأهلينا ، وأيامنا بفاس وليالينا ، فقال يخاطبني :

يا شهاب الدين هلاّ

فقلت :

«زرت اخوانا وأهلا»

فقال :

« بعـــدت عنّا ديار

جمعت بالقوم شملا »

فقلت :

« ليت شعري هل نراهم

فيعود الحزن سهلا »[1]

وكان ابن القاضي من أهل فاس ، وقد جاء الى مراكش كزائر فقط . واذا تمكن المقري من اتصاله بجل علماء مراكش وأدبائها ، فان مدة اقامته القصيرة لـم تسمح لـه بأن يتصل بجميعهم ، ويأخذ عنهم ما فـي امكانهم أن يعطوه اياه ، ولذلك نجده يأسف كثيرا علـى مغادرة البلاد دون أن يحصل الاتصال بالجميع والأخذ عن الجميع .

فهو يأسف لكونـه لم يأخذ شيئا عن قاسم ابن القاضي : «لـم آخذ عنه شيئا لضيق الوقت . ولعل الله ييسر لنـا لقاءه فـي جملة الأعلام الذين لم ألقهم أولا ــ بمنه ! ــ (٢)» . كما يأسف على عـدم

---

١ ــ المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

٢ ــ م. س. ص ٢٢٦ .

تمكنه من كتب بعض القصائد لأبي زيد عبد الرحمن ابن العلج (١) وعلى عدم تمكنه من الحصول على أجازة من لدن أبي فارس عبد العزيز الفشتالي كتابة (٢) وهلم جرا ..

المقري يعود الى فاس

وفي يوم السبت ١٥ ربيع الآخر سنة ١٠١٠ هـ (٣) (٣ سبتمبر ١٦٠١ م) غادر المقري مراكش قاصدا فاسا ، بعدما أقام هناك حوالي سبعة أشهر ، ملأ ـ خلالها ـ صدره علما وكيسه مالا ، واستقر في ذهنه جمال البلاد وكرم العباد . وقد زوده المنصور برسالة الى ولي عهده المأمون يؤكد فيها عليه الوصاة في شأن حاملها، ولما وصل المقري الى فاس ، وجد ما يرضيه : من جمال الطبيعة وما يقربه من سخاء أهل البلاد بما تمسكه أيديهم وما تكتنزه أفكارهم ، و لاسيما صديقه الأوحد محمد الوجدي ، الذي راح يسليه «عن الاصل والوطن والاخوان» ، والذي قد عزز رسالة التوصية بقصيدة يمدح فيها ولي العهد المأمون ويلتمس منه أن يقضي أوطار الوافد اليه من طرف أبيه . ومما جاء في هذه القصيدة :

«أما تلمسان فقد كلفت بكم — كلف الجديب المحل بالامطار
وافي إليك فقيها وأديبها — ونبيها المعدود في الاخيار
المقري على مقامك وافدا — ومؤملا ما عز من أوطار
ومقبلا هذا البساط ومادحا — بعلاك في الاسرار والاجهار
لينال من جدواك كل غنيمة — في حالي الايراد والاصدار»(٤)

---

١ – المقري ، احمد ، روضة الاس ، ص ١١٢ .
٢ – م . س . ص ١٦٣ .
٣ – م . س . ص ٣٠٢ .
٤ – م . س . ص ٧٣ – ٧٤ .

ولعلنا ندرك جيدا قيمة شخصية المقري ـ لدى المغاربة ملكا ورعية ـ في رسالة التوصية من لدن المنصور ، ومن هو هذا المنصــــور !!!
وفي البيت الثاني من هذه الابيات الذي ينعت بها المقري بأنـه فقيـه وأديب وذكي نبيه ويضعه في صفوف الأخيار من الأدباء والعلمـاء .
وهكذا عادالمقري الىفاس، حيثأتم استطلاعه واستوفي اطلاعه وتعرف مـا يجب أن تتعرفه شخصية مثل شخصيته التي طالما تعطشت الـى التجربة البشرية والتطبيق المفيد . وراح يواصل سعيه لطلـب العلم ويتقصى أثرهحيثما وجد،سواء فيحلقات الدروس أوفي مجتمعاتالعلماء أو في منتديات الأدباء حتى أعجب هؤلاء وأولئك بقوة ذكائـه وكثرة حفظه ومتانة رصيدة . ومن بين أولئك المعجبين شيخه أحمد ابن القاضي الذي يبدو اعجابه جليا في اجازاته له (١) ، وفي قصيدة قد بعث بها من فاس الى أبي عثمان سعيد المقري يشكره فيها على ما أسداه الى المغرب الأقصى بارساله ابن أخيه اليه . وكانت هذه القصيــدة ضمـن رسالة استجاز فيها ابن القاضي أبا عثمان المذكور :

«سعدت بغرة وجهك الأيام	يا سيد دانت له الاعلام
يا بحر علم ان طمت أمواجه	قذفت بدر شاده الاسلام
خطبته من حور العلاء عقيلة [illegible] عرفته	مذ حليت به الايام
فتبارك الله المعز لدينـه	بعصابة شرفت بها الاقلام
من ذا يساجل في العلاء حلاهم	هيهات ما البدر المنير يرام
أرسلت للغرب القصّي بدرّة	قد أبهرت وغلت لها الأسوام

١ ـ سنشبع الكلام عن الاجازات عندما نتناول الحديث عـن شيوخه في آخر ترجمته .

جمع العلوم على حداثة سنّه ... قد بارك الله به الأعلام

أكرم به من عالم علامة ... جمع العلى وزكت به الاحلام

بيت به طاق العلوم وأسرجت ... لهداية بمناره الأفهام

فجزيت خيراً يا سعيد عن الورى ... بابن الأخ العلامة الصمصام

أدبته هذّبته علمته ... ما أن يقاس بعلمه (بهرام)[١]

ضاءت بكم يا مقريّ سما العلى ... وعلت بكم بين الورى أقوام

دامت كرامتكم ودام الجد في ... أكنافكم ما جلت الاقلام»[٢]

وكان المقري كلما جمعته المجامع بعلماء المغرب الاقصى وأدبائه ، يشاركهم فيما هم خائضون فيه ، من حيث انشاد الاشعار ، وتحقيق المسائل الادبية ، وفك المشاكل الفقهية ، فنراه ينشد الاشعار تارة ويضمنها تارة أخرى (٣) ، ونراه يصوب خطأ شيخه علي بن عمران السلاسي ، فيعترف هذا الشيخ بخطئه ويقر باصابة تلميذه على مرأى ومسمع ممن حضر حلقة درسه (٤) ، ونراه لا يرضي باصلاح شيخه محمد القصار لأبيات العراقي في علوم الحديث : « وقد كان شيخنا مفتي مدينة فاس العلامة الشيخ محمد القصار القيسي الفاسي الغرناطي الاصل — كثير الاصلاح لأبيات العراقي في علوم الحديث ، وكنت لا أحب ذلك منه ، مع أن مقصده — رحمه الله ! — حسن والتسليم أسلم ... (٥) ».

---

١ — بهرام : هو ابو البقاء ابراهيم بن عبدالله الدميري احد كبار فقهاء المذهب المالكي ، توفي سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٣م) .

٢ — المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

٣ — م. س. ص ٢٤ ، ٥١ ، ٨٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ .

٤ — م. س. ص ٣٣٣ .

٥ — المقري، احمد. فتح المتعال في مدح النعال . ٢٧٨ السليمانية (مك. حميدي) . اسطنبول تركيا . ٥٧ .مخ.

ونراه يخطيء رأي الاديب ابن يعقوب المراكشي ، عندما اعترض هذا الأخير على جزم كلمة « افترقا » من قول المنصور الذهبي :

«أشكو نهاي وشوقي كيف(يفترقا) في أمره وكلا ذا زاد في تعبي»

فيقول المقري : « كيف يفترقا — فيه حذف النون من غير جازم ولا ناصب ، وذلك جائز عند بعض العرب ، كما نص عليه ابن مالك في شرح « الكافية » وغيره . قلت : وانما نبهت على هذا ، لاني رأيت بخط رجل من أهل مراكش ، يقال له : ابن يعقوب الاديب — على هذا المحل — : انظر كيف حذف النون أمير المؤمنين من غير موجب ، مع رسوخ قدمه في علم العربية . هـ .

ولم يعلم هذا المسكين أن ذلك جائز كما أشرنا اليه ، وان أمير المؤمنين — نصره الله ! — مصيب ، وهو مصاب (1) ».

ونراه أيضا في نفس الوقت لا يوافق المنصور الذهبي أن يكون من باب الاكتفاء بالتورية جملة « بالطرف قلبي رمى » في قول هـذا الاخيـــر :

«لم أنس اذ قال ألا تكتفي قلت بمن بالطرف قلبي رمى»

فيعلق المقري على ذلك بقوله : (لم أقف على مثل هذا العمل في الاكتفاء بالتورية على هذه الهيئة التي فعل هذا الامام — أيده الله ! — فيمكن أن يعد هذا من مخترعاتــه . انما غايــة المتقدمين أن يحدوا الاكتفاء بأنه حذف بعض الكلمة ، كقول الصفي الحلي في « بديعته »:

«قالوا : ألم تدروا أن الحب غايته سلب الخواطر والالباب قلت: لم»

أي : لم أدر . ثم ان المتأخرين لـم يعدوه مـن المحسنات الا اذا اشتمل علـى تورية ... (2) ».

---

1 — المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٤٤ .

2 — م. س. ص ٤٨ .

وأمثال هذه الملاحظات الدقيقة والتحقيقات المفيدة نجدها أكثر من كثير في كتب المقري ، وان دلت على شيء ، فانما تدل ــ بالدرجة الاولى ــ على عمق تفكير صاحبها ومكانته العلمية، وشجاعته الادبية، وثقته بنفسه . وسنعود الى الحديث عن هذا الموضوع ، عندما تتناول الكلام عن كتاب « نفح الطيب » ، لان دراسة هذا الكتاب جزء من بحثنا وقسم من رسالتنا .

المقري يعود الى تلمسان

في يوم ١٧ ذي القعدة سنة ١٠١٠ هـ (١) (٧ ماي ١٦٠٢م) نزح المقري من فاس عائدا الى مسقط رأسه ومحل قراءته ومرتع نشأته : تلمسان المحبوبة ، بعد ما استغرق غيابه عن الاهل والوطن زهاء واحد وعشرين شهرا : سبعة منها بفاس ــ أولا ــ وسبعة بمراكش ، ثم سبعة أخرى بفاس ثانيا عند عوده من مراكش . وقد أمضى المقري جميع هذه الشهور في اكتناز المعارف، وتوطيد العلاقات الوثيقة والاتصالات الودية ، التي هي اساس سعادة الانسان في كل زمان وفي كل مكان . وبما أننا تحققنا مدة اقامة المقري بالمغرب الاقصى ، واتضح لدينا عدد الشهور التي قضاها بين مراكش وفاس ، وعرفنا ــ بالضبط ــ تاريخ دخوله اليهما وخروجه منهما ، يجدر بنا أن نشير الى بعض الاخطاء التاريخية التي وقع فيها بعض العلماء الذين ترجموا المقري وتناول الحديث عن رحلته الاولى الى المغرب الاقصى ، ونذكر من بين هؤلاء العلماء ثمانية أشخاص :

أولهم : محمد الصغير اليفراني المراكشي (٢)

---

١ ــ المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٣٢٢ .

٢ ــ اليفراني ، محمد الصغير . صفوة ما انتشر . ص ١٧٢ .

ثانيهم : عباس بن ابراهيم المراكشي (١) .

ثالثهم : محمد الحفناوي (٢)

رابعهم : عثمان الكعال (٣)

خامسهم : محمد العابد الفاسي (٤) .

وهؤلاء الاشخاص قد وقعوا في ثلاثة أخطاء :

الخطا الاول :

اعتقادهم أن رحلة المقري من فاس الى مراكش كانت سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠٢ م) مع أنها كانت سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠١ م) .

الخطا الثاني :

اعتقادهم أن المقري قد أقام بمراكش سنتين وزاد الكعال فوق السنتين نيفا ، مع أنه أقام هناك حوالي سبعة أشهر فقط .

الخطا الثالث :

اعتقادهم أن المقري قد استقر بفاس ـ بعد عودته من مراكش ـ ولم يغادرها حتى سنة ١٠٢٧ هـ (١٦١٨ م) حيث نزح الى المشرق ؛ مع أنه قد غادرها عائدا الى مسقط رأسه تلمسان أواخر ١٠١٠ هـ (١٦٠٢ م) كما علمنا ذلك قريبا .

---

١ ـ المراكشي ، عباس . الاعلام . ج٢ . ص ١٠٦ .
٢ ـ الحفناوي، محمد . تعريف الخلف برجال السلف . الجزائر. مط. فونتانا . ١٣٨٠هـ ـ ١٩٠٦م . ج ١ . ص ٥٤ .
٣ ـ الكعاك ، عثمان . المقري . ص ١٣ .
٤ ـ الفاسي ، محمد العابد . المقري التلمساني . مج. المغرب الجديد . ١٩٣٥م. ص ١٧ .

سادسهم : الحبيب الجنحاني (١) ؛ اذ يجزم بأن المقري قد زار مراكش سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠٢ م) ، مع أنه قد ثبت دخوله اليها سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠١ م) كما تقدم ٠

سابعهم : محمد عبد الله عنان ، حيث يذكر أن المقري زار فاسالأول مرة سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠١ م) وقضي بها حينا في الدرس ، ثم زارها مرة أخرى في سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٣ م) (٢) ٠ مع أن المقري نفسه يخبرنا بأنه قد غادر عائدا الى تلمسان في ١٧ ذي القعدة سنة ١٠١٠هـ (٧ ماي ١٦٠٢ م) ٠ ولم يعد اليها الا في سنة ١٠١٣ هـ (١٦٠٤ ــ ١٦٠٥ م) حيث استقر مدة أربعة عشر عاما ٠

ثامنهم : محمد عبد الغني حسن ، حيث يذكر أن المقريقد زار فاسا سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠١ م) ثم عاد منها الى تلمسان «حيث قصد منها الى زيارة مراكش سنة ١٠١٠هـ (١٦٠٢م) (٣)» ٠ مع أن المقري لم يعد من فاس الى تلمسان الا بعد ما زار مراكش سنة ١٠٠٩هـ (١٦٠١م) كما تقدم تفصيل ذلك ٠

وخلاصة القول : أن المقري يخبرنا ــ في كتابه «روضة الآس» : بأنه دخل فاسا في ٤ صفر سنة ١٠٠٩ هـ (١٥ أو ت ١٦٠٠ م) وتوجه منها الى مراكش حيث وصل اليها في ١٥ رمضان (٢٠ مارس) من نفس السنة٠ وخرج منها ــ عائدا الى فاس ــ في ١٥ ربيع الآخر سنة ١٠١٠ هـ (سبتمبر ١٦٠١ م) ونزح من فاس ــ عائدا الى مسقط رأسه تلمسان ــ في ١٧ ذي القعدة سنة ١٠١٠ هـ (٧ ماي ١٦٠٢ م) (٤) ٠ وهذا هو المعول

---

١ ــ الجنحاني ، الحبيب . المقري صاحب نفح الطيب . تونس . مط. النهضة. ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م. ص ٣٥ .

٢ ــ عنان ، محمد عبدالله . تراجم اسلامية شرقية اندلسية . ص ٢٤٦ .

٣ ــ حسن ، عبد الغني . المقري صاحب نفح الطيب . القاهرة. الدار المصرية للتاليف والترجمة . ١٩٦٦م. ص ٢٦ .

٤ ــ المقري ، احمد . روضة الاس . ص ٢٥ ، ٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٣.

عليـه والموثوق بـه ، ومـا دون ذلك لا يلتفت اليه •

وبعد عودة المقري الى تلمسان ، بقي على اتصال مستمر معأصدقائه المغاربة وشيوخه • وكان كل من هؤلاء وأولئك يراسله ويزوده بأخبـار جـة ومعلومات مفيدة • وقد أشار هو نفسه الى بعضها في عدة مواضع من كتابه «روضة الآس» (١) ، بل أثبت هناك مقطعات شعرية ونصوصـا نثرية ، قد وصلته من لدن بعض أصدقائه وشيوخه (٢) بعد عودتـه من رحلتـــه •

ثم شرع المقري في تحرير كتابه «روضة الآس» الذي تناول فيـــه تراجم من اجتمع بهم من أعلام الحضرتين : مراكش وفاس وضمنه نتاج منظومهم ومنثورهم ، وذلك استجابة لضميره الحي، واعترافا بجميـل من ذكرهم فيه : من علماء المغرب الأقصى وأدبائـه ، وعلى رأسهـم سلطانهم المحبوب أبو العباس أحمـد المنصور الذي كان هو الحافز الأول لهذا التأليف • ولعل فكرة تأليف هذا الكتاب قد كانت تخامر قلبالمقري منذ أن كان يقوم برحلته في المغرب الأقصى ، بدليل أننا نجده ــ فـي ذلك الوقت ــ حريصـا على اقتناص الأخبار وجمع الوثائق من أفـواه الثقات وبطون الكتب، ونقل نقوش البنايات، وكان حريصا ــ أيضا ــ على حفظ الابيات الشعرية والنصوص النثرية أو تقييدها • ولم يفعل كل ذلك الا من أجل تأليف كتابه «روضة الآس» •

ولم نعلم بالضبط اليوم الذي بدأ فيه تحرير هذا الكتاب ، ولكننـا نراه يذكر أنـه شرع في تحرير ترجمة أحمد الآيسي أول شوال من عام ١٠١١ هـ (١٤ مارس ١٦٠٣م) (٣) أي بعد مرور عشرة أشهـر وثلاثـة

---

١ ــ المقري ، احمد . روضـة الاس . ص ١٩١ ، ٢١٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ .

٢ ــ م٠ س٠ ص ٩٢ ، ٦٤ ، ٢٦٥ .

٣ ــ م٠ س٠ ص ١٩١ .

عشر يوما منذ خروجه من فاس ، وقد تقدم هذه الترجمة ــ التي توجد في ص : ١٨٩ ــ عشر تراجم لأشخاص آخرين ، بالاضافة الى ما ضاع من الكتاب : كالمقدمة برمتها والباب الأول بأكمله وجزء من الباب الثاني. وبناء على هذا فانا نرجح أن يكون المقري قد شرع في تحرير كتابه «روضة الآس» بمجرد عوده الى تلمسان بعدما استراح من وعثاء السفر ، كما نرجح ــ أيضا ــ أنه قد أتم تأليف هذا الكتاب ، وأخرجه من مسودته ، خلافا لبعض العلماء المعاصرين (١) ، ولولا اتمامه لما ذكره عدة مرات في كتابه «نفح الطيب» ولما أحال عليه القراء هناك ، اذ كيف يحيل القراء على كتاب لم يفرغ من تأليفه وتبيضه ؟ !

وبقي المقري في تلمسان يجمع شمله ويستعد للعودة الى المغرب الأقصى ، حيث يلقي عصا التسيار وينزوي تحت ظل دولة المنصور الممتدة الرواق : « نسأل الله ــ سبحانه ! ــ أن ييسر علينا ما نحن بصدده من الأخذ في الانتقال الى حضرته العلية عاجلا (٢)» • وبينما المقري يعمل عملية الجمع اذ بالموت المفاجيء يطرح من نتيجته رقم أبي العباس المنصور ، فيصطدم بموته ويصله نعيه سنة ١٠١٢ ه (١٦٠٣م) ولكن المقري لم ينصرف عن مشروعه ولم يعدل عن عزمه ، بل استمر في خطته التي رسمها لنفسه بعد رجوعه من فاس الباهرة و «لكل أجل كتاب» •

---

١ ــ انظر الاستاذ عبد الوهاب بن منصور : مقدمة « روضة الآس » ، ص كه .

٢ ــ المقري ، احمد : روضة الآس ، ص ٧٠ .

رحلته الثانية الـى المغرب الاقصى

١٠١٣ هـ (١٦٠٥ - ١٦٠٤م)

اسبابهـا

لسنا بذاهبين مذهب من يرى في عودة المقري الـى فاس دوافـع سياسية ، اقتضت نزوحه عن مسقط رأسه ووطنه المهجـور . ومـن بين أصحاب هذا الرأي محققو «أزهار الرياض» (١) والحبيب الجنحاني (٢). الذين راحوا يبنون رأيهم على مجرد تخمينات . وافتراضات قد ولدوهـا من سياق نصوص المقري في مقدمة «أزهار الرياض» حينما غدا يحن فيها الى بلده المحبوب ، ويشكو لوعة الفراق لمرتع الصبـا ومقـر الأهل والأحباب . ويبدو لنا أنهم مخطئون في رأيهم هـذا ، وذلك لأمريـن اثنـين :

أولهما : أن المقري لم يكن رجل سياسة ولم يصب اليها منذ ولادته حتى وفاته ، بل لم يذكر لنا — هو — في كتبه ولا جميع من ترجم لـه أنـه كان بينه وبين الباشا فلان أو السلطان فلان اتصالات سياسية ،مثلما كان لابن الخطيب وابن خلدون مثلا . ومـا زهد المقري في السياسـة مأساة ابن الخطيب التي اختمرت في أفكاره لتتمخض عن موسوعة «نفح الطيب» المصدر بقصيدة «المقرية» (٣) في ذم السياسة والدار الفانية .

ومما يؤيد رأينا اختفاء المقري وموقفه الحيادي ، عندما أراد الأمير

---

١ — السقا ، مصطفى وغيره . مقدمة ازهار الرياض . ص: د.
٢ — الجنحاني ، الحبيب . المقري صاحب نفح الطيب . ص: ٢٦.
٣ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ . ص: ٣٢ .

السعدي محمد الشيخ الملقب «بالمأمون» اجبار علماء الدين على فتوى، تقضي بجواز تسليم ثغر «العرائش» الى الاسبان، من أجل اطلاق سراح أولاده وأهلة الذين قد تركهم بأيدي الاسبان كرهائن .

قال السلاوي: «.. وقد فر جماعة من تلك الفتوى: كالامام أبي عبدالله محمدالجنان صاحب «الطرعلى المختصر» وكالامام أبيالعباس أحمد المقري مؤلف «نفح الطيب». فاختفيا مدة، استبراء لدينهما، حتى صدرت الفتوى من غيرهما (١) ».

ثانيهما : أننا نجد في مقدمة (أزهار الرياض) بعض الفقرات تنفي كون الاسباب السياسية هي التي دفعت بالمقري الى مغادرة وطنه: «وكثيرا مـا يحرك ذلك مني كامن الشوق ، شب عمره عن الطوق وأجد من لواعج الأوار ، ما وجده الفرزدق عند مباينة «نوار» ...». فقد أشار بقوله: «ما وجده الفرزدق الخ ...» الى بيت الفرزدق المشهور ــ عندما طلق زوجته «نوار» ــ :

«ندمت ندامة الكسعي لمّا غدت مني مطلقة (نوار)»

وهل يندم الشخص على شيء لم يفعله مختارا ؟ ! فكيف يندم المقري على مغادرة وطنه ، اذا كان مقهورا على ذلك ولم يكن انتـزاحـه عنه باختيـــار ؟ !

ان ما نجده في مقدمة «أزهار الرياض» من تبرم المقري من سطوة الدهر وتشكيه من لواعج الفراق وصرم التلاقي ، لنجد نغماته ــ ايضا ــ في جل مقدمات كتبه لــدى مفارقته لأي بلاد حل بهــا ، سواء أحسن

---

١ ــ السلاوي ، احمد . الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى . الدار البيضاء . مط . دار الكتاب . ١٩٥٥م . ج : ٦ . ص: ٢٢ .

أهلها اليه أم أساؤوا الى معاشرته .

فها هو يتبرم ويتشكى عند مفارقة دمشق التي طالما مسك أهلهـا بأطرافه ، وكثيرا ما تضرعوا اليه أن لا يبرح منازلهم وأن لا يترك قلوبهـم منكسرة وعيونهم عبرى . فلمـاذا ــ اذن ــ فارقهم مختارا ، وهو ينشد ــ مضمنـا ــ :

سلا أحبته من لم يذب كمدا — يوم الوداع ان أجرى الدموع دما
يا من يعزّ علينا أن نفارقهم — من بعدكم هدّ ركن الصبر وانهدما
وان نأى الجسم كرها عن منازلكم — فالقلب ثاو بها لم يصحب القدما
وما نسينا عهودا للهوى كرمت — نعم قرعنا عليها سنّنا ندما
وأظلمت بالنوى أرجاء مقصدنا — وصار وجدان إلف غيركم عدما[1]

فيا ترى ! من أكره المقري على مغادرة دمشق ؟ ولماذا يغادرها مختارا حتى تبقى في قلبـه كية وفي لسانه لهفة ؟ أمن أجل أن يسمعنـا أسـاه ويقرع أسنانه ندمـا ؟ !

أن هذه الأنغام لنجدها كثيرا ما تحدو نصوص أبـي العباس فـي شتى المناسبات، انه لم يقصد تحديد مدلالوتها، والا لماكان أديبا خلاقاء ولما سجل اسمه فيديوان الأدباء المتازين. وغاية مافي الأمر أنالاسباب التي دفعت بالمقري الى مغادرة وطنه مرة ثانيـة الى فاس هي أسبابنفسية داخلية أكثر منها خارجية . ولعلها أسباب عائلية قد أجبرت المقري علـى اكتتامها وكبلت لسانه لئلا يبوح بهـا . ومع ذلك كله ففي امكاننـا أن نرجعها الى ثلاثة أسباب رئيسية :

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ١ . ص: ٩٤ .

السبب الاول :

اقتفاؤه بسلفة ، لا سيما جده أبو عبد الله محمد الذي قد نال حظا وافرا لدى المغاربة لا سيما السلطان ابو عنان الذي ولاه منصب قاضي الجماعة بفاس وبني له المدرسة المتوكلية هناك، وهذا ما صرح به المقري نفسه ، حيث قال : «فألقيت بها عصا التسيار ــ وقاها الله من الآفات والاغيار ! ــ واقتفيت في ذلك سنن بعض سلفي الأخيار ، اذ كان أشهر اسلافنا الشيخ الامام ، صاحب التصانيف الشهيرة التي اقتادت المحاسن بزمام ، القاضي الشهير العلامة الأظهر ، سيدي أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري القرشي التلمساني النشأة والقبر ــ أفاض الله مجال الرحمة على مثوى ذلك الحبر ! ــ انتقل اليها أيام السلطان المرحوم ابي عنان فارس ، فولاه قضاء جماعتها ، وبني له المتوكلية أعظم المدارس ، حسبما ذكر غير واحد من أهل الفهارس ، وأشار اليه الوزير ابن الخطيب في كتابه « الاحاطة » التي أحيت من التاريخ الرسم الدارس (١) ».

فالمقري ــ هنا ــ يصرح بأحد الأسباب الذي قدشجعه على رحلته الثانية الى فاس، وهو طموحه الى مرتبة جده المقري الكبير التي حظي بها لدى المغاربة ، فقد قدروا علمه واحترموا شخصيته . وكيف لا ؟ وقد أحس هو الآخر بشيء من التقدير والاعجاب يوم أنزار المغرب الأقصى للمرة الاولى سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠م) .

السبب الثاني :

تدهور الثقافة في تلمسان ، ونضوب معينها ، واعراض أهل البلاد عن طلبها ، لاشتغالهم بالحروب الداخلية وضروريات المعاش ، فلم يجد

---

١ ــ المقري : احمد . ازهار الرياض . ج : ١ . ص : ٥ .

المقري لبضاعته العلمية والأدبية رواجا في سوق الثقافة الكاسدة .وضاقت نفسه ، فطلبت الرحيل الى حيث يجد غذاء لفكره واطمئنانا لجنانه .

السبب الثالث :

احسان المغاربة اليه في رحلته الاولى ، واحتفال علمائهم وأدبائهم بشخصيته، كل ذلك قد جعله يحن الى لقائهم والعودة الى ديارهم، والى حضرة سلطانهم العالم النحرير والأديب الذواقة أبي العباس المنصور . وجعله يبتهل الى الله أن يعجل له بالعودة الى قطر طالما أحسن اليه وأكرم جده وعلم عمه : « نسأل الله — سبحانه ! — أن يزعجنا عاجلا الى حضرته (٢) المقدسة الطاهرة من أدناس الجور والحيف ، فنطوف بكعبة العدل ونرمي جمار الشوق بمنى اقباله وتنزل بذلك الخيف ، بمن الله واكرامه» (٣) . ويمكننا أن نعتبر السبب الثالث مبعثا لجميع الاسباب.

المقري يستقر في فاس .

وفي سنة ١٠١٣ هـ (١٦٠٤ — ١٦٠٥ م) عاد المقري الى فاس ، بقصد الاستيطان فيها والقاء عصا التسيار بها ، حاملا اليها والى أهلها أجل التقدير وأسمى الاحترام بين حناياه .

واستقر هناك معمرا أوقاته الذهبية بالتأليف والتدريس ، وقد ألفى — في ظل أبي المعالي زيدان — مكتبة حافلة بمخطوطات نادرة في شتى الفنون، فاستفاد منها استفادة عظيمة قد تبلورت في نتاجه ومؤلفاته الغزيرة المادة . وقد وجد جوا ملائما لمزاجه ، ومجتمعا عونا على تغذية

٢ — الضمير يعود على السلطان احمد المنصور .
٣ — المقري ، احمد . روضة الآس . ص : ١١١ .

فكره وارواء رياض ثقافته الخصبة : «حللت الحضرة الفاسية ـ حاطها الله ! ـ حيث المجالس غاصة ، بالعامة والخاصة ، والمساجد آهلة معمورة، والمشاهد بالزوار مغمورة ، وحلل المعارف فضفاضة ، والعوارف الجليلة مفاضة .. (١)» . وقد أسندت اليه وظيفة الافتاء في قضايا المسلمين والامامة والخطابة بجامع القرويين سنة ١٠٢٢ هـ (١٦١٣م) بعد موت شيخه محمد الهواري ، الذي كان يشغل نفس هذه الوظائف الثلاث قبل وفاته في نفس السنة المذكورة أعلاه . واستمر المقري في هذه الوظائف الثلاث الى أواخر رمضان سنة ١٠٢٧ هـ (سبتمبر ١٦١٨م) ، حيث توجه صوب الشرق بقصد أداء فريضة الحج . ولم يثبت عنه أنه اعتنق وظيفا رسميا في المغرب الأقصى قبل هذه السنة ، أي خلال السنوات التسع المتقدمة التي قضاها في حلقات الدروس ، يعطي ويأخذ ويفيد ويستفيد . وهذا ما صرح به المقري نفسه، حيث يقول : «توليت الخطابة والامامة بجامع القرويين من فاس المحروسة مضافين الى الفتوى .. وأقمت على ذلك خمس سنين وأشهرا ، ثم قوضت الرحيل الى المشرق .. (٢)» .

وقال المحبي : «.. ان الفتوى صارت الى المقري زمان المنصور السعدي .. (١)» وهذا غير صحيح ، لأن المنصور توفي سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٣ م) أي : قبل مغادرة المقري لتلمسان بسنة أو يزيد . فاعتناق المقري لهذه الوظائف بفاس ـ وهو لم يبرح تلمسان ـ مستحيل .

وقال محمد العابد الفاسي : «تولى الخطابة والفتوى سنة ١٠١٢ هـ» . (٢)، وهذا ليس بصحيح ، لأن المقري لم يدخل الى فاس الا بعد

---

١ ـ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج : ١ . ص : ٤ .
٢ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٧ . ص : ٢٦٥ .
١ ـ المحبي ، محمد . خلاصة الاثر . ج : ١ . ص: ٣٠٤ .
٢ ـ الفاسي محمد العابد . المقري التلمساني . مجلة المغرب الجديد (١٩٣٥م) . ص: ١٧ .

سنة من هذا التاريخ •

وقال عبد الرحمن الجيلالي : «ولاه السلطان أحمد المنصور الامامة والخطابة بجامع القرويين بفاس سنة ١٠٢٢ هـ ثم صارت اليه الفتوى في ايامه (٣)» • ومن خلال هذا النص نستخرج ثلاث غلطات :

أولاها : كون السلطان المنصور ما زال حيا يرزق سنة ١٠٢٢ هـ (١٦١٣ م) • وهذا غير صحيح لأنه قد توفي قبل هذا التاريخ بعشر سنوات •

ثانيتها : كون السلطان المنصور هو الذي ولى المقري هذه الوظائف • وهذا غير صحيح ، لأن السلطان قد توفي قبل اعتناق المقري لها بعشر سنوات أيضا •

ثالثتها : كون وظيفة الافتاء متأخرة عن وظيفتي الخطابة والامامة • وهذا ما لا نطمئن اليه ما دام الاستاذ الجيلالي لم يثبت رأيه بوثيقة تجعلنا نقول برأيه ونقف بجانبه ، وقال محمد الحجوي : «ان المقري تولى منصب الافتاء في عهد زيدان بن أحمد المنصور السعدي ، وبقي فيه ثلاث عشرة سنة (٤) • وقد عزز الحبيب الجنحاني (٥) قول الحجوي ، كما اعتمد عليه في الاستدلال : بأن المقري شغل منصب الافتاء قبل أن تسند اليه وظيفتا الامامة والخطابة بعدة سنوات ، وقد أيد رأيه هذا بعبارة المقري نفسه ، حيث يقول : «•• ومن منن الله ــ سبحانه ! ــ علي

---

٣ ــ الجيلالي ، عبد الرحمن . تاريخ الجزائر . ج: ٢ . ص: ٢٨٦

٤ ــ الحجوي ، محمد . الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي . الرباط . مط . الرباط . ١٣٢٠ هـ. ج: ٤ . ص: ١١١٠ .

٥ ــ الجنحاني ، الحبيب . المقري صاحب نفح الطيب. ص: ٢٨ .

أني سكنت محله (١) ، لما توليت الخطابة والامامة بجامع القرويين من فاس المحروسة ، مضافين الى الفتوى (٢)» • ونحن لا نرى ما يراه الحجوي أو الجنحاني ، لأن الأول لم يعزز رأيه بدليل نقلي يتصل بالمقري نفسه أو ببعض الثقات المعاصرين له • ولم ندر من أين أخذ هذا الرأي المنافي لنصوص المقري التي تنبئنا بأنه لم يشغل هذه المناصب سوى «خمس سنين وأشهر (٣)» •

اما الثاني فقد تكهن لذلك بعبارة المقري : « توليت الخطابة والامامة ••• مضافين الى الفتوى ••• »، فيستوحي من نص المقري انه كان يشغل وظيفة الفتوى قبل وظيفتي الامامة والخطابة ، مستدلا بقول المقري « مضافين الى الفتوى »•

وهذا رأي غريب ، يراه الجنحاني في سياق تركيب الجمل في اللغة العربية وحصر مدلولاتها في جانب واحد من شتى الاحتمالات ، اذ كيف يصح حصر عبارة المقري : « توليت الخطابة والامامة مضافين الى الفتوى » في جانب تقديم وظيفة الفتوى على وظيفتي الامامة والخطابة ؟! مع ان هذه العبارة تحتمل عدة احتمالات فيحتمل أنهما أضيفت الى الامامة والخطابة قبل أن يباشرها المقري ، ثم اسندت الوظائف الثلاث اليه بأجمعها ، ولا سيما أن ذكر « الفتوى » لم يسبق في عبارة المقري ، فأل هناك ليست عهدية ولا اختصاصية ، حتى تنصرف كلمة « الفتوى » الى الفتوى التي شغل منصبها المقري ، ومما يؤيد رأينا لفظ اسم الاشارة الذي جاء في عبارة المقري نفسها : « توليت الخطابة والامامة ••• مضافين الى الفتوى وأقمت على ذلك خمس سنين وأشهرا •• (٤) • فاسم الاشارة هنا يعود على الوظائف

---

١ ــ الضمير يعود على محمد بن عباد الرندي •
٢ ــ المقري ، احمد • نفح الطيب • ج: ٧ • ص: ٢٦٥ •
٣ ــ م• س• ج: ص: ٢٦٥ •
٤ ــ م• س• ج• د• ص: ٢٦٥ • (٤) م• س• ج: ٩ • ص: ٣٤٢

الثلاث ، فلو أراد تخصيص الخطابة والامامة دون الفتوى ، لقال : وأقمت عليها أو على الخطابة والامامة او نحو ذلك . ومما يدعم رأينا ان ترتيب الالفاظ ليس له اهمية في عبارة المقري السالفة . والدليل على ذلك ما جاء عنه في مكان آخر : « فشغلت بأمور الامامة والفتوى والخطابة وغيرها (١) ». فقدم الامامة وثنى بالفتوى ثم ثلث بالخطابة. ومما يقوي رأينا ما جاء عن اليفراني ــ نقلا عن المقري نفسه ــ : «.. وكان أبو العباس المقري يحدث عن عمه سعيد بكرامات ، منها أنه لما أراد أن يخرج من تلمسان قال له عمه : انك ستتولى الفتوى والخطابة بجامع القرويين خمسة أعوام وخمسة أشهر، فكان الامر كذلك (٢) ».

فهذا النص حجة على من يرى أن المقري تولى وظيفة الافتاء قبل وظيفتي الامامة والخطابة بتسع سنوات . ويؤيد هذا النص ما صرح به المقري نفسه في عباراته المتقدمة .

وخلاصة القول ان المقري قد تولى وظيفة الافتاء والامامة والخطابة بجامع القرويين في أوائل جمادي الاولى سنة ١٠٢٢ هـ

---

١ ــ اليفراني ، محمد الصغير . صفوة ما انتشر من اخبار صلحاء القرن الحادي عشر . فاس . مط. حجرية . بدون تاريخ . ص ٤٢ .

٢ ــ القادري ، محمد الطيب . نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني . فاس . مط. حجرية . ١٣١٠ هـ. ج: ١ . ص: ١٧٥ .

ــ اليفراني ، محمد الصغير . صفوة ما انتشر . ص: ٤٢ .

ــ المراكشي ، عباس . الاعلام . ج: ٢ . ص: ١٠٧ .

ــ زمامة ، عبد القادر . أبو العباس المقري . مجلة المجمع العلمي العربي . ص: ٣٩٩ .

ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ . ص: ٢٨ ج: ٧ . ص: ٢٦٥ . ج: ٩ . ص: ٢٤٢ .

(أواخر جوان ١٦١٣م) وبقي هناك شاغلا لها الى ان خرج للحج في أواخر رمضان سنة ١٠٢٧ هـ (سبتمبر ١٦١٨م) (٣).

واذا تحققنا هذا فما بقي لنا سوى انْنعرف أي سلطان من سلاطين السعديين أسند الى المقري هذه الوظائف ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال سيوقعنا في حرج ، لان ابا العباس المقري لم يشر — في جميع كتبه التي بين ايدينا — الى من ولاه هذه الوظائف ، وحتى كتب تواريخ المغرب الاقصى التي اطلعنا عليها ، فانها لم تشر الى ذلك بحال .

وكل ما نعلم عن هذا الشأن أن اسناد هذه الوظائف للمقري قد تم في عهد سلطنة عبدالله ابن المأمون على فاس وسلطنة ابي المعالي زيدان ابن المنصور على مراكش ، بيد أن الحبيب الجنحاني وعبد القادر زمامة ، كل منهما يرى أن وظائف المقري قد تمت بايعاز من عبدالله ابن المأمون (١) . ويعزز عبد القادر زمامة رأيه بدليلين اثنين :

١ — ان المقري لم يخرج من فاس قاصدا بيت الله الحرام سنة ١٠٢٧هـ (١٦١٨م) الا بعد ما اتهم بالميل الى «شراقة» . وهؤلاء هم جيش متكون من أهل المغرب الشرقي، الذين كان الامير عبدالله يعتمد عليهم كل الاعتماد في قمع ثورة زعماء الشعب .

---

٣ — القادري ، محمد الطيب . نشر المثاني . ص: ١٧٥ .
— اليفراني ، محمد الصغير . الصفوة . ص: ١٠٧ .
— المراكشي ، عباس . الاعلام . ج: ٢ . ص: ١٠٧ .
— زمامة ، عبد القادر . ابو العباس المقري . مج . المجمع العلمي العربي . ص: ٣٩٩ .
— المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ . ص: ٢٨ ج: ٧ . ص: ٢٦٥ . ج: ٩ . ص: ٣٤٢ .

١ — زمامة ، عبد القادر . ابو العباس المقري . مج. المجمع العلمي العربي . ص: ٤٠٠ .

٢ـ أن المقري أخذاذن الامير عبدالله قبل أن يترك «المنصب والاهل والوطن والاليف »، على حد تعبيره. ونحن لانطمئن الى هذين الدليلين وذلــك لعــدة أسباب :

١ـ أن اتهام المقري بالميل الى «شراقة» غير متفق عليه عند المؤرخين، ونحن مع من ينفي عن المقري هذه التهمة ، وسنبين رأينا فيها عنــد كلامنا عن رحلة المقري الى المشرق .

٢ـ أن الفوضى التي كانت بفاس زمان عبدالله ابن المأمون واستبداد الشعب برأيه وانقياده الى زعمائه دون أميره وسلطانه ، كل هذا يجعلنا نشك في وظائف المقري من قبل عبدالله ابن المأمون . ولماذا لم يكــن الشعب وزعماؤه هم الذين أوعــزوا بوظائف المقــري ، ولا سيما أن عبدالله ابن المأمون قــد كان فاسقا سكــيرا ومستهترا الــى أقصــى الاستهتار (١)، وهذه وظائف دينية وصاحبها متمسك بالشريعة المحمدية تمسكا لا تنفصم عراه ، فكيف تكون بايعاز من فاسق مخالف لاوامــر الله ؟! وكيف يرضى المقري بهذا وهو الرجل الدين الغيور على حدود اللــه .. ؟!

٣ـ أن المقري لم يصرح في استئذانه عندما أراد النزوح الى الشرق باسم عبدالله ابن المأمون كما زعم عبد القادر زمامة ، وانما كل ما في الامر أن كتب التراجم تخبرنا بأن المقري طلب مــن صاحب مراكش ان يسمح له بمغادرة المغرب الاقصى الى حج بيت الله الحرام . وكــان صاحب مراكش واحوازها اذ ذاك السلطان زيدان ابــن المنصور ، لا عبدالله ابن المنصور . قال المحبي : « وأنشد (يعني المقري) صاحــب مراكش ـ متمثلا ـ قول علي بن عبد العزيز الحضرمي :

---

١ ـ المؤقت ، محمد . الاستبصار ، في ذكــر حوادث الأعصار . القاهرة . مط. البابي الحلبي . ١٣٤٩ هـ. ص: ٢٨ .

محنتي تقتضي مقامي وحالتي تقتضى الرحيلا

فأجابه صاحب مراكش بقوله :

« لا أوحش الله منك قوماً تعودوا صنعك الجميلا »[1]

وبقي لنا شيء يتصل بحياة المقري العائلية ، لا بد من ذكره ، وهو هل المقري كان يعيش بفاس منفردا وبعيدا عن عائلته وأهله ، أم كانت تعيش معه هناك حيث تشاطره السراء وتقاسمه الضراء ؟

انا على اليقين بأن عائلة المقري قد كانت تعيش معه بفاس أيام أن كان بها وبقيت هناك في انتظاره بعد ان رحل الى المشرق .

ودليلنا على ما ذكرنا وثيقتان :

الوثيقة الاولى :

ما جاء في قول أبي العباس نفسه : «.. انه لما قضى الملك ... برحلتي من بلادي ، ونقلتي عن محل طارفي وتلادي ، بقطر المغرب الاقصى ... وذلك أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الالف ، تاركا المنصب والاهل والوطن والالف (١) ». فذكره للاهل مع المنصب والوطن والالف يستلزم وجود أهله معه أيام اقامته بفاس .

الوثيقة الثانيـة :

ما جاء ضمن رسالة بعث بها علي بن عبد الواحد الانصاري تلميذ المقري بالمغرب الاقصى الى هذا الاخير حينما كان بمصر : «... وأهل

---

٢ ــ المحبي ، محمد ، خلاصة الاثر ، ج: ١ ، ص: ١٤٠ .
١ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج: ١ ، ص: ٢٨ .

داركم بفاس بخير وعافية ، ونعم ضافية ، سوى ما أدركهم من طـول الغيبة ، نسأل الله تعالى أن يملأ بقدومكم العيبة (١) »• وكان المقري يسكن منزل محمد بن عباد الرندي بجوار جامع القرويين ، ويعـرف هذا المنزل بـ« دار الشيخ ابن عباد » (٢)•

ويبدو لنا أن المقري كان لا يخطب ارتجالا يوم أن كان خطيـا بالقرويين ، بل يحرر خطبه تحريرا • ولدينا دليلان على ذلك :

الدليل الاول :

عثورنا على نص احدى خطبه بمكتبة «مدريد» فـي « اسبانيا » تحـت رقـم (٥١٠٣) •

الدليل الثانـي :

ما ذكره محمد الغدامسي في مقدمة شرحه على « اضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة » للمقري صاحب الترجمة ، قال الغدامسي: «•• وكان خطيبا بجامع القرويين بفـاس ، فيجلس علـى المنبر فما يفـرغ المؤذنون من الآذان الا ورتب خطبته في غاية ما يكون (٣) »• وليس معنى هذا أن المقري كان عاجزا عن ارتجال الخطـب المنبرية وغيرها • بل لان تحرير الخطب الدينية مستحب لدى الفقهاء •

وكان المقري يتحرى في افتائه أشد التحري ، فلا يعدل عن رأي ارتآه أول مرة ولا يفتي في نازلة يقتضي الجواب عنها مخالفة لرأيـــه

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب ج٢ . ص: ٢٣٧ .
٢ ــ م• س• ج: ٧ . ص: ٢٦٥ .
٣ ــ الغدامسي ، محمد . مقدمة شرح اضاءة الدجنة . ٢٠٤٧ . مك. جامع الزيتونة . تونس . مخ .

الاول . قال العياشي : «ذكر بعض مشايخنا أن سيدي أحمد المقري لما ولي الافتاء بفاس كان لا يجيب في نازلة ، قد تقدم له جواب عنها بما يخالف مقتضى السؤال الثاني . ويقول : ان ذلك مما يوجب الطعن في المفتي عند كثير من الناس ، فربما يقذف من أجل ذلك بألسنة الذم ، ويلحف برداء الحيف . والذي يظهر لي ـــ وان كان لما ذكر وجه ـــ أن الاولى الجواب عن السؤالين (١) ».

ونحن نميل كل الميل الى ما ذهب اليه المقري ما دام العياشي نفسه يعترف بأن ما ذهب اليه ابو العباس له وجه في الشريعة المحمدية ، لان الطعن في المفتي سبب في عدم الثقة برجال الدين. وهذا يؤدي بالعوام الى ركوب رؤوسهم ، وانحلال دينهم وفساد أخلاقهم ، وما يؤدي الى ذلك وجب تركه ، لان الاتيان به سبب في المفاسد . و «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ».

حظه بالمغرب

في امكاننا أن نحصر حظ المقري هناك في ثلاثة موارد :

١ ـــ حالته المادية .

لا شك في أن المقري قد كانت حالته المادية حسنة للغاية ، بدليل أنه لم يشك ـــ قط ـــ فقرا ، طيلة وجوده بالمغرب الاقصى ، بل قد صرح بأنه خرج قاصدا المشرق « من حضرة فاس ، الطيبة الانفاس ، تاركا الولد والمال والمنصب (٢)» . تلك ثلاثة لم تجتمع لأي شخص

---

١ ـــ العياشي ، عبدالله ، ماء الموائد . (الرحلة العياشية) . فاس ، ط. حجرية ، ١٣١٦ هـ. ج: ١ ، ص: ٢٢ .

٢ ـــ المقري ، احمد ، فتح المتعال في مدح النعال ، ص: ٢ ـــ ٣ .

كان الا عاش سعيدا، في أي مكان وفي أي عصر • وأكثر من هذا أن يسره قد شجعه أن يطلب من أمرأة بفاس أن تبيع منه حجرا بوزنه مرتين ذهبا • «وقد رأيت بمدينة فاس عام ستة وعشرين وألف (١) حجرا أسود قدر الكف مكتوبا فيه بقلم القدرة : «لا اله الا الله» فـي ناحية و «محمـد رسول الله » من الناحية الاخرى • ولون الكتابة أسود ، وقد ثقب بعض الناس منه حرفا ــ للاختبار ــ بآلة حديد حتى نفذت من الناحية الاخرى • فكان ذلك من زيادة تصحيح أنه بقلم القدرة • وقد أعطيت فيه مالكته ــ وهي امرأة من فاس ــ وزنه مرتين ذهبا ، لتبيعه منـي بذلك ، فامتنعت ، فرغبتها بكل وجه ممكن ، فلم تفعل ، وبقي عنـدي أياما ورددته لها ، وهو مشهور بفاس ، يأخذه النساء الحوامل لتسهيل الولادة • وذكرت صاحبته أنها رأته في سحال المحيط بهذه الازمان القريبـة (٢) »•

٢ ــ **استفادته العلمية •**

لقد ازداد المقري علما بفاس حيث وجد خزائن الكتب مكتظة بنوادر المخطوطات ، التي تحتوي على تواريـخ الاندلس وأدبائها وعلمائها ، وعلى نتاج هؤلاء وأولئك ، لا سيما خزانة السلطان زيـدان ابن أحمد المنصور السعدي التي كانت تعتبر أكبـر خزانة بالمغـرب الاقصى آنذاك • وقد وجد المقري هناك ــ أيضا ــ فطاحل ــ العلماء ومصاقع الادباء ، فاخذ عنهم ما ليس عنده وأعطاهم ما ليس عندهم فأصبح ــ في آن واحد ــ طالبا بارا وشيخا عطوفا : « حيث المجالس غاصة ، بالعامة والخاصة ، والمساجد آهلة معمورة ، والمشاهد بالزوار معمورة، وحلل المعارف فضفاضة، والعوارف الجليلة مفاضة •• (٣)»•

---

١ ــ الموافق لـ (١٦١٧م) •
٢ ــ المقري ، احمد . فتح المعال في مدح النعال . ص: ١٢٩ •
٣ ــ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج ص: ٤ •

ولعل ثمرة هذه الاستفادة تظهر جلية في كتابه « أزهار الرياض ، فـي أخبار عياض » الذي حوى من الكتب أجلها ومـن المعارف أندرها . ولا ننس أن المقري قد كان يعتمد في تأليف كتابه هـذا علـى أقوال الثقات المعاصرين له ونتاجهم ، مثلما كان يعتمد علـى أمهات الكتب ، فنجده يعتمد علـى قول حسين الزرويلي في تحقيق الدار التي نزل بها القاضي عياض عندما دخل فاسا (١) ، كما نجده يثبت عدة قصائد فـي مدح نعال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ! ــ أنشدها اياه مشافهة أبو الحسن علي بن أحمد الشامي الخزرجي (٢) ، وهلم جرا ...

٣ ــ منزلته الاجتماعية .

كان المقري يحظى بتقدير كبير واحترام عديم النظير لدى المجتمع المغربي ، سواء في ذلك الراعي والرعية ، ولولا ثقتهم التامة به لما رضوه ان يكون لهم مفتيا في قضاياهم ، واما مـا لصلواتهم ، وخطيبا فـي جمعاتهم وأعيادهم .. ولولا مكانته الاجتماعية التي فاز بها في صفوف المغاربة ، لما توسل اليه السيد والمسود ــ عندما أزمع الرحيل الـى الشرق ــ أن يبقى بين ظهرانهم وان لا يغادر البلاد . فهذا أبو الحسن علي الخزرجي يبعث بقصيدة الى المقري يمدح فيهـا كتابه « أزهـار الرياض » ويطعمها ببيتين فيهما استياؤه لما بلغه عن رحلته :

« بحق الله لا تبغي دجاهـا   بغيبة بدركم بعد اتقاضي
ولا تهمل شفاعة مستهام   صدوق الود في آت وماضي ! »[٣]

ويبعث اليه ــ أيضا ــ بأبيات أحمد بن خاتمة ، يتوسل بها اليه

---

١ ــ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج: ١ . ص ٢٤ .
٢ ــ م. س: ج: ٣ . ص ٢٧٢ ، ٢٨٢ .
٣ ــ م. س: ج: ١ . ص: ٢٠ .

أن لا يغيب عن البلاد وأن لا يكون سببا في قيام القيامة ! :

« أشمس الغرب حقاً ما سمعنا؟   بأنك قد سئمت من الاقامة
وأنك قد عزمت على طلوع   الى الشرق سموت به علامه
لقد زلزلت منا كل قلب   بحق الله لا تقم القيامة ! (٤)

واذا كان هذا من الرعية ، فالراعي لا يقل عنها شعورا واحساسا بالثلمة التي سيتركها غياب المقري في صفوف المجتمع المغربي .

فها هو المقري يتمثل بأول بيت من أبيات ثلاثة (٢) لعلي بن عبد العزيز الحضرمي ويبعث بها الى السلطان زيدان صاحب مراكش عندما أراد النزوح الى الشرق :

« محبتي تقتضي مقامي   وحالتي تقتضي الرحيلا » (٣)

فاجابه صاحب مراكش :

« لا أوحش الله منك قوماً   تعوّدوا صنعك الجميلا »

---

١ ـ انشد ابن خاتمة هذه الابيات ، لما بلغه ان القاضي ابا البركات محمد بن الحاج البلفيقي عازم على الرحلة الى المشرق . ولما وصلت ابا البركات حلف ان لا يرحل من اقليم فيه من يقول مثل هذه الابيات .
(ـ المحبي ، محمد . خلاصة الاثر . ج: ١ . ص ٢٠٢ .
ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ٧ . ص: ٤٠٢ ـ ٤٠٣)

٢ ـ والبيتان التاليان هما :

هذان خصمان لست أقضي   بينهما خوف أن أميلا
فلا يزالان في خصام   حتى أرى رأيك الجميلا

٣ ـ وقد كتب الحضرمي بهذه الابيات الثلاثة الى مخدومه : عز الدولة ابن سقمون .

٤ ـ المحبي ، محمد . خلاصة الاثر . ج: ١ . ص: ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

ولما نزح المقري الى الشرق ، بقي الشعب المغربي يكن له أعــز التقدير وأسمى الاحترام وأجل التعظيم ، ولا سيما تلامذته الذين قــد جاد عليهم بما منحه الله من علم نافع وأخلاق كــريمة وسيرة مرضية . وكانت مراسلة هؤلاء التلامذة مستمرة بينهم وبين شيخهم . فقد جــاء في رسالة لعلي بن عبد الواحد الانصاري ــ تلميذ المقري ــ : «... ان أهل المغرب الادنى والاقصى حاضرة وبادية ، كلهم يتفكهون ، بــل يتقوتون بذكركم ويتشوقون لرؤية وجهكم ، ويتلذذون بطيب أخباركم ... (١) ». وكان المقري ــ هو الآخر ــ لا يقل حسرة علــى مغادرة الديار ومفارقة ساكنيها وهذا ما نلمسه في مقدمة كتابه: «فتح المتعال»

«أرض سقتها الغوادي بكل مزن يسيل
مواطني وبــلادي وظل عيشي الظليل» (٢)

كما نجد ذلك ماثلا فــي نصوص كتابه : « نفــح الطيب » ، ولا سيما المقدمة التي خصص جزءا منها لما لا يقل عن مائتين وأربعين بيتا، كلها شوق وحنين الى أرض الوطن :

«لم أنس معهداً والشمل مجتمع والعيش غض وروض الانس معطار
فيا أنا بعد بعد عنه في قلق وقد نبت بي أرجــاء وأقطار
تقضي الليالي وأشواقي مجددة وماانقضت لي من الأحباب أوطار (٣)

ولما حل بالمشرق ازداد حنينه الى لقاء شعبه الكريم ، ورؤيــة بلده المحبوب ، فقد كان يذوب حسرة كلما سمــع لفظ بلاده أو جاءه

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ٢ . ص: ٢٣٧ .
٢ ــ المقري ، احمد . فتح المتعال . ص: ٣ .
٣ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ . ص: ٣٩ .

خبر منها أو ذكر شيئا عنها أو لقي شخصا من هناك رمت بـه الاقدار ، ليذكي لوعة شوقه ويثير مكامن حزنه : «وأضرع الى الله ــ سبحانه ! ــ في تيسير العود الى أوطاني ، ومعهد الذي مطايا العز أوطاني (١) ، وأن يلحقني بذلك الافق الذي خيره موفور ، وحق من فقيه معروف لا منكـر ولا مكفـور :

« اذا ظفرت من الدنيا بقربهم   فكل ذنب جناه الدهر مغفور»(٢)

وكان للمقري بالمغرب الاقصى أصدقاء كثيرون في شتى أنحـاء القطر ، يتراسل معهم ويتزاور ، أمثال الوزير عبـد العزيز القشتالي ، ومحمد بن يوسف التاملي وكلاهما كان بمراكش . وكان المقري يتردد على زوايا العلم والمعرفة ، مثل زاوية محمد بن أبي بكر الدلائي الذي أخذ عنه المقري وقرأ بزاويته ، كما سنبين ذلك عند سرد شيوخه .

ورغم ذلك ، فلم يسلم المقري من بعض الحسدة بالمغرب الاقصى الذين اعتبروا حلمه جبنا واتخذوا صفحه ضعفا ، فراحوا يدسون عليه، ويكيدون له ويختلقون عليه الاكاذيب ، ويقفون في سبيل عمله الخير كحجر عثرة ، ليصبح القلب منه « حليف أشجان وأوصاب ، والفكـر أليف غصص تجرع منها جني حنظل أوصاب ... (٣) وضاعف ما بـه كذب حاسد افتراه ، يأكل المحاسن ويجهل بمساويه أن يحاسن ، ويعيد الحق باطلا والحالي عاطلا ، ويقلب المنحة محنة ، ويرى المصافاة احنـة يخاتل الذئب ، ويكدر مناهل الخلوص والتهذيب ويقابل الحق الواضح

---

١ ــ (اوطاني) : اصلة اوطاني بهمزة قطع، بمعنى مهدها لي وذللها، نقلبت الهمزة ؟ الفا نزولا عند رغبة السجع .
٢ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ . ص: ٤٤ .
٣ ــ الصاب : شجر شديد المرارة .

بالتكذيب ، ويشتغل بما لا يعنيه ، ويعرض عما يقربه الى ربه ويزلـفه ويديـنـه :

ولیس للكذاب حيله م ينـ فيمن حيلة لي
من كان يخلق مـا يقو ل فحيلتي فيه قليله

الى الله المشتكي من هـذا وأضرابه ، ممن لـم تصف موارده شرابه ... (١) ». ولعل هؤلاء الحسدة هم الذين افتروا على المقري وراحوا يطلقون ألسنتهم بما يدنس عرضه ويلوث سمعته ، فدفع بـه ذلك الى ان قال ـ عند خروجه من فاس ـ كلمته المشهورة : « دخلت كنائها وخرجت كمائها » . ولعله يقصد بذلك : دخلتها نقيـا طاهـرا وخرجت منها ملوثا وسخا، مثلماء واديها المعروف بـ« وادي بوخرارب» الذي يشق مدينة فاس ، فيدخل نقيا طاهرا ويخرج قذرا وسخا ، لانـه يمر بأرجبة المدينة وقنوات الاقذار .

وهكذا انتهت اقامة المقـري بفاس الباهـرة ، حيـث استغرقت حوالي أربعة عشر عاما ، كلها في طاعة الله وفي خدمة العلم الشريف ، سواء في السراء والضراء ، ومهما استطاع الى ذلك سبيلا .

---

١ ـ المقري، احمد، ازهار الرياض ، ج: ١ ، ص: ١٢، ١٣، ١٤ .

الفصل الرابع

رحلته الى المشرق

١٠٢٧ هـ (١٦١٨م)

اسبابهـا ــ المقري بين المغرب والمشرق ــ المقري في مصر ــ المقري في الحجاز ــ عودتـه الى مصر ثانيا ــ المقري في بيت المقدس ــ عودتـه الى مصر ثالثا وتردده الى الحجاز ــ المقري في غزة ــ المقري يصنع الكسكس ــ عودته الى بيت المقـدس ثانيا ــ المقري في دمشق ــ عودتـه الى مصر رابعـا ــ عودته الى دمشق ثانيا والى بيت المقدس ثالثا ــ عودته الـى مصر خامسا واخيرا ــ حظ المقري بمصر ــ طلاقه لزوجته وعزمه علـى ارتحالـه الى الشام ــ وفاته .

اسبابهـا :

طالما اضطربت أقوال المترجمين واختلفت آراؤهم فـي الاسباب التي من أجلها غادر المقري فاسا قاصدا المشرق العربي . وأصحاب هذه الآراء متفقون ــ جميعهم ــ على أن السبب الواحد الذي أرغم أبـا العباس على ترك المغرب الاقصى ووظائفه هناك ، هو أمـر سياسي لا ريب فيه . فبعضهم يرى أن الذي الجأه الى هذه الهجرة ، امتناعه عن الفتوى التي طلبها المأمون محمد الشيخ ابن أحمد المنصور ، من علماء فاس في شأن تسليم ثغر « العرائش » الى (الاسبان) ليطلـق سراح

أولاده المرهونين عنده (١) .

وبعضهم يرى أن السبب الذي حمله على مغادرة المغرب الاقصى اتهامه بالميل الى قبيلة «شراقة» (٢) ـ وهم عرب مـن بادية تلمسان ، سموا بهذا الاسم لانهم كانوا يقطنون في ناحية الشرق الاقصى. ويقول اليفراني : «... اتهم بالميل الى جماعة «شراكة» واضرابهم على مـا كانوا عليه من الفساد بفاس .. فلما رأى ذلك خاف على نفسه من أهل فاس ، فخرج منها مزعجا ، فهو الذي قال ـ عند خروجه ـ : « دخلت كمائها وخرجت كمائها » مشيرا لذلك (٣) » أي : مشيرا الى الاتهـام الذي ألصق بـه .

وبعضهم يرى أن الاسباب السياسية هي التي ارغمته على مفارقة الاهل والمنصب والوطن ، بيد أن أصحاب هذا الرأي قد أجملوا قولهم ولم يبينوا السبب الرئيسي من هذه الاسباب ، لانهم استوحوا رأيهـم من سياق نصوص المقري المتذمر بهافي مقدمة كتابه «نفح الطيب» (٤).

---

١ ـ مخلوف ، محمد . شجرة النور الزكية فـي طبقات المالكية . القاهرة . مطبعة مصر . ج: ١ ص: ٣٠٠ .

٢ ـ حجى ، محمد . الزاوية الدلائية . الرباط . المط. الوطنية . ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م . ص : ١٠٩ .

ـ المراكشي ، عباس . الاعلام . ج: ٢ . ص: ١٠٦ .

ـ الجنحاني ، الحبيب ، المقري صاحب نفح الطيب. ص : ٤٢ .

ـ اليفراني ، محمد الصغير . صفوة ما انتشر . ص: ٤٢

ـ الحنفاوي، محمد. تعريف الخلف برجال السلف. ج: ١ ص: ٥٤

ـ زمامة ، عبد القادر . ابو العباس المقري . مجلة المجمـع العلمي العربي . ص : ٤٠٠ .

٣ ـ اليفراني ، محمد الصغير . الصفوة . ص: ٤٢ .

٤ ـ عنان ، محمد . عبدالله . تراجم اسلامية شرقية اندلسية . ص : ٢٤٥ .

ـ ادهم ، علي . بعض مؤرخي الاسلام . القاهرة . مط. الرسالة. (سلسلة من التاريخ) . عدد ٣ . ص: ١٤٣ .

ـ ابن منصور ، عبد الوهاب . مقدمة «روضة الاس» . ص : يد

وقبل أن نناقش أصحاب الرأي الاول نترك الكلمة للمؤرخ السلاوي يحدثنا عن قضية «العرائش» ، لنستخرج من نصه خطأهم وعدم اصابتهم ، قال السلاوي : «قد تقدم ما كان من خبر الشيخ المأمون ، من أنه فر الى « العرائش »، ومنها ركب البحر الى طاغية (الاسبنيول) مستصرخا به على أخيه السلطان زيدان ، فأبى الطاغية أن يمده ، فراوده الشيخ على أن يترك عنده أولاده وحشمه رهنا ، ويعينه بالمال والرجال حتى اذا ملك أمره بذل له ما شرطه عليه ، ولم يزل به الى أن شرط عليه الطاغية أن يخلي له «العرائش» من المسلمين ويسلمه اياه ، فقبل الشيخ ذلك والتزمه ، وخرج حتى نزل « حجر بديس » في ذي الحجة سنة ثمان عشرة وألف (١) ثم تقدم فنزل ببلاد الريف . ولما سمع ذلك أهل فاس خافوا من شوكته ، وذهب جمع من علمائهم وأعيانهم ... لملاقاته وتهنئته بالقدوم .. ثم ان الشيخ انتقل الى القصر الكبير ، وهو قصر كتامة وقصر عبد الكريم فأقام به مدة ، وراود قواده ورؤساء جيشه أن يقفوا معه في تمكين النصارى من « العرائش » ليفي له الطاغية بما وعده من النصرة ، فامتنع الناس من اسعافه في ذلك ، ولم يوافقه على غرضه الا قائده الكرني ، فانه ساعده على ذلك ، فبعثه الشيخ اليها وأمره أن يخليها ولا يدع بها أحدا من المسلمين . فذهب الكرني المذكور وكلم أهلها في ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها ، فقتل منهم جماعة وخرج الباقون ... ولما خرج منها المسلمون أقام بها القائد الكرني الى ان دخلها النصارى واستولوا عليها في رابع رمضان سنة تسع عشرة والف (٢) . ووقع في قلوب المسلمين من الامتعاض لأخذ «العرائش» أمر عظيم ، وقام الشريف ابو العباس احمد بن ادريس العمراني ، ودار على مجالس العلم بفاس ، ونادى

---

١ ــ الموافق لـ فيفري ــ مارس ١٦١٠م .

٢ ــ الموافق لـ ٢٠ نوفمبر ١٦١٠م .

بالجهاد والخروج لاغاثة المسلمين بالعرائش ... وكان الشيخ لما خاف الفضيحة وانكار الخاصة والعامة عليه اعطاءه بلدا من بلاد المسلمين للكفار احتال في ذلك وكتب سؤالا الى علماء فاس وغيره ، يذكر لهم فيه أنه لما وغل في بلاد العدو الكافر ، واقتحمها كرها باولاده وحشمه منعه النصارى من الخروج من بلادهم حتى يعطيهم ثغر « العرائش » وانهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك لهم اولاده رهنا على ذلك .

فهل يجوز له ان يفدي أولاده من ايدي الكفار بهذا الثغر ، فأجابوا بان فداء المسلمين ، سيما أولاد أمير المؤمنين ، سيما اولاد سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم ! — من يد العدو الكافر باعطاء بلد من بلاد الاسلام له جائز ، وانا موافقون على ذلك ، ووقع هذا الاستفتاء بعد ان وقع ما وقع ، وما أجاب من أجاب من العلماء عن ذلك الا خوفا على نفسه . وقد فر جماعة من تلك الفتوى ، كالامام ابي عبدالله محمد الجنان صاحب « الطرر على المختصر » ، وكالامام ابي العباس احمد المقري مؤلف « نفح الطيب » ، واختفيا مدة استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما ... (١) » .

في هذا النص حجتان دامغتان على من علل رحلة المقري من المغرب الاقصى الى المشرق العربي بامتناعه عن الفتوى في شأن ثغر « العرائش » .

الحجة الاولى :

ان قضية « العرائش » قد وقعت سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠م) ومغادرة المقري للمغرب تمت سنة ١٠٢٧ هـ (١٦١٨م) أي : بعد فوات ثمان

---

١ — السلاوي ، احمد . الاستقصا لاخبار المغرب الاقصى . الدار البيضاء . مط. دار الكتاب . ١٩٥٥م . ج: ٦ . ص: ٢٢ .

سنوات . فغير ممكن ان تكون هذه القضية هـي السبب فـي نزوح المقري الى المشرق .

الحجة الثانية :

ان السلاوي يصرح لنا بأن المقري قد اختفى مـدة حتى صدرت الفتوى من غيره . وكلمة « اختفى مدة » تكفي للاستدلال علـى ان المقري قد ظهر فيما بعد ولم يغادر المغـرب الاقصى مـن أجل هـذه القضية . ثم ان اختفاء المقري في تلك الظروف وامتناعه عن هـذه الفتوى قد زاده تشريفا وعزز سمعته لدى المغاربة ، وقوى ثقتهم به ، وسجل له صفحان بيضاء في سجل تاريخ العلماء العاملين .

وقبل ان نناقش أصحاب الرأي الثاني ، نأتي بنص لمحمد المؤقت المراكشي في شأن طائفة « شراقة » ، ليتضح لنا السبيل لمناقشة هـذا الرأي مناقشة علمية ، مبنية على الواقع الملموس والحقائـق المحسوسة والمنطق السليم . قال المؤقت ــ في شأن « شراقة » ــ : « وبهم كان يعتصم السلطان عبدالله ابن الشيخ بفاس ، بعد موت ابيه حتى اعطاهم جنات الناس ودورهم ، فكان الرجل من أهل فاس يأتي بستانه ، فيجد الاعرابي بخيمته في وسطه ، فيقول له أعطانيه السلطان . ومدوا أيديهم الى حريم الناس ونهبوا الاسواق ، وجاهروا بالفساد ، وأظهروا المكر في الطرقات ، واقتحموا على الناس دورهم ، حتى ان امرأة كانت تطبخ خليعا وولدها رضيع عندها ، فاقتحـم عليهـا الدار أحـد « شراقة » فهرعت المرأة وأغلقت عليها غرفة لها ، فلم يقدر لها على شيء فراودهـا على النزول فأبت ، فقال لها : ان لم تنزلي رميت الولد فـي (الطنجير) فتمادت على الامتناع ، فرمى به فيه ، فما هو الا أن رأت ولدها فـي وسط (الطنجير) صاحت وألقت بنفسها عليه فاندقت رقبتها وماتـت ، فغاض النـاس ذلـك واعظمـوه ، وصاروا يقتلـون « الشراقـة »

والتلمسانيين بفاس حيث وجدوا ، وحكم السيف في رقابهم ونفوهم عن فاس . وكان ذلك يـوم الجمعة حادي وعشرين ربيـع الاول سنة عشرين وألف ».(1) (٣ جوان ١٦١١م)، فمن خلال هذا النص اتضح لنـا أمــران :

أحدهما : عتو «شراقة» وظلمهم الذي دفع بأهل فاس الى الانتقام منهم والتنكيل بهـم .

ثانيهما : وقوع حادثة «شراقة» سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١م) وهـذا مـا جعلنا نشك في كونها سببا في رحلة المقري الى المشرق العربي ،لأن مغادرته لفاس كانت سنة ١٠٢٧ هـ (١٦١٨ م) فبين حادثة «شراقـة» وانتزاحه عن المغرب سبع سنوات ومـا يقوي شكنا ــ علاوة على ما سبق ــ سؤالان اثنـان :

أحدهما : هل يمكن أن يقف المقري ــ وهو الرجـل ذو القـدوة والصلاح ــ الى جانب طائفة «شراقة» التي عاثت في فاس فسادا ؟!

ثانيهما : هل يمكن أن يبقى المقري في وظيفة الفتـوى والامامـة والخطابة أزيد من خمس سنوات ، ويبقى بين المغاربة مكرما ، مبجـلا ومعظما ، لو كانت هذه التهمة لاصقه به ؟ !

والذي نجزم به أن اتهام المقري بالميل الى قبيلة «شراقـة» ــ ان سلمنا بذلك ــ لم يكن هو الدافع الى مغادرة المغرب الأقصـى ، كمـا سنبرهن على ذلك أدناه . زيادة على ما تقدم أعلاه .

أما أصحاب الرأي الثالث ، فجوابهم : أن تذمر المقري ــ الأهوال

---

١ ــ الوقت ؛ محمد . الاستبصار ، في ذكـر حوادث الاعصار . القاهرة . مط. الحلبي . ١٣٤٩ هـ. ص: ٢٩ .

والفتن فما هو الا حالة نفسية وشعور انساني ملازم لصاحبه ما دام حيا، ولا سيما أديب مثل المقري ذي الاحساس الرهيف والشعور الحي، تجرحه العبسة وتؤلمه الوخزة . فذمر المقري صفة مشبهة ملازمة له في جميع كتبه، لانه يحس ويشعر بجميع الأحداث التي تحيط به، فها هو يتذمر في كتابه «أزهار الرياض» من الأهوال والفتن التي اجتاحت المغرب الأقصى، ورغم ذلك فلم يفارقه يومذاك ولم يقوض خيام الرحيل الا فيما بعد : «.. لا أستطيع انشاء قول، ولا أفكر الا في هم أو هول، الى ما دهم من الفتن، التي محت ما بالدهر من أزديان، وطرق من المحن التي يغنى عن خبرها العيان، فتنوعت منها الأعداد الى أفراد وأزواج، وكثر التردد من الخطوب ذات الجموع والأفواج، وتفاقم وازداد هول بحورها المتلاطمة الأمواج :

حملنا من الأيام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائبا
وعصر رجونا منه ابداء منحة فأبدى ولكن محنة ومصائبا» (1)

فاذا ثبت هذا النص في مقدمة كتاب «أزهار الرياض» الذي فرغ أبو العباس من تأليفه بالمغرب، فان ما يماثله من نصوص «نفح الطيب» لا يمكن أن تعبر عن دلائل سياسية قد دفعت بالمقري الى مغادرة البلاد .

ويبدو لنا أنه لم يغادر المغرب من أجل عارض سياسي، وانما غادره من أجل «المهم الأعظم والمقصد الأكبر، الذي هو سر المطالب الجليلة، وهو رؤية الحرمين الشريفين، والعلمين المنيفين (2) ». وحجتنا في ذلك ترتكز على ثمانية أدلة :

---

1 ــ المقري، احمد . ازهار الرياض. ج: 1 ص: 12 .
2 ــ المقري، احمد . نفح الطيب . ج: 1 ص: 49 .

الدليل الاول :

تصريح المقري نفسه في عدة مواضع من كتبه : بأن خروجه من المغرب كان بقصد أداء فريضة الحج ورؤية قبر الرسول — صلى الله عليه وسلم ! — وزيارة الأماكن المقدسة : «.. قاصدا الأمكنة الشريفة الحجازية ، متعلقا بأذيال من كانت التقوى زاده والحجي زيه .. (١) » «ثم ارتحلت بنية الحجاز ، وجعلت الى الحقيقة المجاز (٢) ».

الدليل الثاني :

لو كان خروج المقري لدافع سياسي ، لكان قد التجأ الى مراكش حيث صديقه الحميم أبو المعالي السلطان زيدان ، فقد كان المغرب — آنذاك — مقسما الى مملكتين اثنتين : مملكة زيدان بن أحمد المنصور في مراكش وأحوازها ، ومملكة عبد الله بن محمد المأمون في فاس وأحوازها . وكان المقري — عند تأهبه الى المشرق — قد مر بمراكش ، حيث أنشد صاحبها بيت علي بن عبد العزيز الحضرمي ، فأجابه ببيت مثله في الوزن والراوي ، كما تقدم نص البيتين .

الدليل الثالث :

خروج المقري من المغرب الأقصى جهارا وعلانية . فلو كان هاربا لما جاهر بسفره ، بل عزم عليه بأشهر قبل نزوحه عن فاس . فقد حدثنا المقري نفسه أنه كتب اليه من مراكش عبد العزيز القفشتالي في محرم فاتح سنة سبع وعشرين والف برسالة يتأسف فيها على مغادرة المقري لفاس : «ولما أحس (يعني عبد العزيز القشالي) بعزمي على الرحلة الى الحجاز واقتضائي من سلطان المغرب في وعده لي بالنجاز ، كتب الي من

---

١ — المقري ، احمد . فتح المتعال . ورقة : ٢
٢ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ٩ ص ٣٤٢

حضرة مراكش وأنا حينئذ بفاس ، ما صورته ...» . (١).

والذي يسترعي انتباهنا من نص المقري نفسه أنه هو الذي طلب من سلطان المغرب أن يسمح له بالذهاب لتأدية فريضة الحج ، لأنه كان يشغل وظائف رسمية . وقد زعم الحبيب الجنحاني أن سلطان فاس هو الذي أرغم المقري على مغادرة فاس وأن المقري قد خرج من فاس مختفيا (٢) . وهذا زعم باطل لا أساس له من الصحة . ويبدو لنا من سياق كلام الجنحاني أنه جعل لفظة «الملك» في عبارة المقري : «انه لما قضى الملك الذي ليس لعبيده في احكامه تعقب أورد .. (٣) » دالة على سلطان فاس ، وهذا خطأ في فهم عبارة المقري ، لأن لفظة «الملك» ــ في عبارة المقري ــ دالة على خالق الجنحاني وسلطان المغرب ، لا على سلطان المغرب .

الدليل الرابع :

لو كان المقري ناويا الاقامة بالمشرق ما ترك كتبه بالمغرب «الأقصى» لأن فيها ماء حياته ، وبدونها لا يقر له قرار ، فها هو ذا يتأسف على كتبه عندما طلب منه أحمد الشاهيني أن يؤلف كتابا في شأن لسان الدين ابن الخطيب : «.. وثانيهما عدم تيسير الكتب المستعان بها على هذا المرام، لأني خلفتها بالمغرب وأكثرها في الشرق كعنقاء مغرب، ..» . (٤)

الدليل الخامس :

تركه أهله بفاس ، فلو كان ذاهبا الى غير رجعة لأخذهم معه ، ولا

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج :٨ ص: ١٦٥
٢ ــ الجنحاني ، الحبيب . المقري صاحب نفح الطيب . ص: ٤٣
٣ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب. ج: ١ ص: ٢٨
٤ ــ المقري ، احمد . م. س. ج: ١ ص: ٧٨

سيد أن السلطان هو الذي أذن له في الذهاب .

الدليل السادس :

انتظاره أهله عودته من المشرق ، جاء في رسالة بعث بها اليه من فاس تلميذه عبد الواحد الأنصاري: «.. وأهل داركم بفاس بخير وعافية، ونعم صافية ، سوى ما أدركهم من طول الغيبة، نسأل الله تعالى أن يملأ بقدومكم العية !.. (١) » فلو لم يكونوا منتظرين عودته لما استطالوا غيبته .

الدليل السابع :

عزمه على العودة الى وطنه بعدما أدى فريضة الحج الأولى، اذ يقول في مقدمة كتابه «فتح المتعال» ، الذي ألفه سنة ثلاثين بعد الألف للهجرة: «.. فلما وصلت الى مصر المحروسة من البوائق عاقتني عن السفر العوائق، فأقمت بها برهة من الزمان اقامة من لم ينس معاهدة التي التحف فيها برداء الأمان .. (٢)» . ولم ندر ماهي العوائق التي عاقت المقري عن العودة الى بلاده، أما كونها قد حدثت له بعد عودته من حجته الأولى فلا غبار على ذلك .

ويقول الشيخ أحمد الغنيمي في خاتمة «فتح المتعال» ـ أيضا ـ : «.. غير أني فهمت من حالة الشريف (يعني المقري) أنه قوض للسفر الخيام شوقا للوطن والأولاد والاجتماع بأولئك السادة الاعلام.. (٣)» .

الدليل الثامن :

ذهابه الى الحج مباشرة . فلو كان خروجه لغرض الهجرة الى بلد

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب. ج: ٣ ص: ٢٣٧
٢ ـ المقرية احمد . فتح المتعال . ورقة : ٣ .
٣ المقري ، احمد . م. س. ورقة : ١٦٧ .

آخر لنظم استقراره هناك قبل أن يحج ويزور بيت المقدس .

المقري بين المغرب والمشرق

في أواخر رمضان الفضيل من سنة ١٠٢٧هـ (١) (١٦١٨م) غادر المقري فاسا «الباهرة» تاركا بها المال والمنصب والولد والأهل والالف ، متوجها صوب الحرم الشريف بقصد أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول الأعظم والشفيع الاكرم . وبقي مدة شهر وبضعة أيام – منذ فراقة فاسا – يروح ويغتدي الى أضرحة الأولياء والصالحين ، حيث يدعو الله ويتضرع اليه فيقضاء مرغوبه واتمام أمنيته. ومن بين هؤلاء الأولياء الذين قد عرج عليهم المقري – عند مغادرته المغرب – القطب الأكبرعبد السلام بنمشيش (٢) شيخ أبيالحسن الشاذلك (٣) – رضي الله عنهما ! – :

« وقد تركت الأهل في (فاس) ولم أبدأ بشيء غير قصدي (للعلم) (٤)
فزرت الشيخ الشاذلي القطبا نجل مشيش فأزاح الخطبا » (٥)

وفي شهر ذي القعدة (أكتوبر – نوفمبر ؟) من نفس السنة وصل

---

١ – المقري، احمد. نفح الطيب. ج: ١ ص: ٢٨ . ج: ٩ ص: ٣٤٢

٢ – هو ابو عبد السلام بن مشيش الشريف . توفي سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥م) ودفن بـ« جبل العلم» ، قرب «تطاوين» .

٣ – هو ابو الحسن علي بن عبدالله الشاذلي ، نسبة الى «شاذلة»، قرية قرب تونس . ولد بقبيلة «غمارة»، قرب «سبتة» بالمغرب الاقصى سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٧ – ١١٩٦م) . وهو زعيم الطائفة الشاذلية ومؤسس طريقتها . وقد اتفق جميع من ترجمه انه توفي في رمضان سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) بصحراء «عيذاب» ، وهو متوجه الى الحج ، فدفن هناك – رحمه الله !ـ

٤ – «العلم» : هو «جبل العلم» ، مدفن عبد السلام بن مشيش .

٥ – المقري ، احمد . فتح المتعال . ورقة : ١٤٥ ؟

المقري الى ثغر «تطاوين» ، حيث وجد مركبا في انتظاره ، فنزل فيه . «.. سافرت من ثغر (تطاوين) — حرسها الله ١ — في غراب (١) للجزائر المحمية في ذي القعدة الحرام من عام سبعة وعشرين وألف ، وكان ذلك في معظم البرد والبحر مخوف جدا .. (٢)» وأقلع المركب من مرساه، وما كادت تمضي سويعات على اقلاعه حتى بسر الجو وعبس السماء ، وأرسل الله ريحا شديدة المفعول ، فأيقظت البحر من رقدته ، ووخزت أعصاب غضبه ، فصال وهاج ، وأرغى وأزبد ، ولفظ من جوفه أمواج مد وجزر ، لتقذف ما فيه وتبتلع ما على ظهره ، فراح المركب بمن فيه يميل ذات اليمين وذات الشمال ، كأنه سكران يترنح بسكره أو ذاكر لله قد راح يخشع بذكره ، فطورا يصوب بمقدمة ، كأنه وعل ينطح صخرا ، وطورا يقع على مؤخره ، كأنه شخص قعد قعودا غير مختار فيه . أما الراكبون فيه ، فقد دقت قلوبهم ، واسودت وجوههم ، وامتدت أكفهم المرتعشة الى السماء ، وتذكر كل منهم ما فعله أيام سعته ، وراح ينظر الى أصحابه نظرة وداع ، ما عدا المقري الذي لم ييأس من روح الله وشفاعة الرسول ، فبادر بارسال مثال النعل الشريفة الى ربان السفينة ليتوسل بها الى الله ، لعله ينقذهم من ورطة الهلاك بجاه لابسها وبركة صاحبها . وقد صدقت النية ونجى الله السفينةومن فيها . وسرعان ما أحمرت الوجوه بعد اكفهرارها واستبشر القوم وتفاؤلوا بعد ما أنذروا وتشاءموا ، ووصل الجميع الى مرسى الاسكندرية . ونزلوا بأمتعتهم هناك ، بعدما مروا بثغر الجزائر وتونس وسوسة .

---

١ — الغراب : السفينة . وقد اشتبهت هذه اللفظة على الاستاذ الحبيب الجنحاني فوضع مكانها لفظة «غرب» عند قوله : «وبركب المقري البحر من ثغر تطاوين بغرب الجزائر ...» . (الجنحاني ، الحبيب . المقري صاحب نفح الطيب . ص: ٤٤) .
٢ — المقري ، احمد . فتح المتعال . ورقة : ١٣٧ .

وقد أخبرنا المقري بأنه سافر من تونس الى سوسة في سفينة أكبر من التي جاء فيها من المغرب : «ولما وصلنا تونس المحروسة سافرنا منها الى ثغر سوسة في مركب كبير (١)» كما أنبانا بأن سفينتهم قد كانت على حذر شديد ـ طيلة سفرهم ـ من قراصنة الافرنج ، ولا سيما أهل «مالطة» الذين ما انفكوا يترقبون مراكب المسلمين ويطاردونها في عرض البحر ، وأن الله نجاهم من عدوان هؤلاء الافرنج ببركة مثال النعل الشريفة التي كانت معهم في السفينة (٢) . وقد وصف المقري الفترة التي قضاها في سفره من المغرب الى المشرق في أربعة عشر بيتا من أرجوزته «خلاصة فتح المتعال» :

« وعندما رحلت (للجزائر)	أنس المقيم والغريب الزائر
والعزم للاماكن الشريفة	ظلالها ضافية وريفة
وقد تركت الاهل في فاس ولم	أبدأ بشيء غير قصدي (للعلم)
فزرت الشيخ الشاذلي القطبا	نجل مشيش فازاح الخطبا
وكنت عند قبره رأيت	ما يقتضي بلوغ ما نويت
نفعنا الله بأوليائه	أهل المقامات وأصفيائه
وبعد ذا ركبت بحر (سبته)	فجاءنا الموج العظيم بغتة
وهال ذاك البحر أي هول	ووصفه يقصر عنه قولي
فسجّل الإله بالتنفيس	مذ جيء « بالمثال » للرئيس(٣)

١ ـ المقري ، احمد . فتح المتعال . ورقة ١٣٧
٢ ـ م . س . ورقة ١٣٧ ـ ١٣٨
ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ ص: ٤٥
٣ ـ الرئيس : الربان .

وكنت أرسلت بـه اليـه	والخوف أضحى غالباً عليـه
فآلت العقبى الى السلامـه	وكان ذلك لها علامـــه
كذاك في سفرتنا من (سوسه)	أهوال بحر شوهدت محسوسه
مثل الجبال أقبلت من اللجج	فقدّر الرحمن منها بالفرج
من بعدما آيس أهل التجربه	منالنجاة من أمور مكربه (١)

وهناك سؤال وجيه جدا : هل نزل المقري بالجزائر وتونس وسوسة، واتصـل بعلماء هذه المدن الثلاث ، عندما كان متوجها صوب المشرق ؟

الجواب :

ان أبيات المقري النظمية ونصوصه النثرية التي أثبتناهـا أعـلاه لتشير الى نزوله بهذه المدن ، ولا سيما مدينة الجزائر التي صرح بأنـه رحل من المغرب اليها • ولم نعلم سوى ما جاء عن المقري في هذا الشأن، لأن جميع المصادر التي بين أيدينا لم تشر الى ذلك قط ، مـا عدا كتاب «جليس الزائر وأنيس السائر» لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن سعيد قدورة الجزائري، فانه يفيدنا بأن المقري قد مر بالجزائر عندما كان متوجها الى المشرق ، ولاغزه الشيخ سعيد قدورة بتسعة أبيات في لفظة (الصنبـــر) فأجابه المقري بثمانية أبيات في حل هذا اللغز (٢) • وكان الشيخ سعيد قدورة تلميذا لسعيد المقري ورفيقا لابن أخيه في حلقات دروسه •

المقري فـي مصر

في شهر رجب من سنة ١٠٢٨ هـ (جوان ـ جوليـت ؟ ١٦١٩ م) وصل المقري الى مصر : «بعد خوض بحار ، يدهش فيها الفكر ويحار ،

---

١ ـ المقري ، احمد . فتح المتعال . ورقة : ١٤٥

٢ ـ قدورة ، محمد بن سعيد . جليس الزائـر وانيس السائر . مكتبة المهدي البوعبدلي . بطيوة . الجزائر (ولاية وهران) ، مخ .

وجوب فياف مجاهل ، يضل فيهـا القطا عن المناهل (١)» ، ومـا كادت معالمهـا تلوح لـه حتى أخذ يتمدح بهـا وبـ «نيلها» الفيـاض ، وراح يتمثل بمـا لا يقل عن ستة وأربعين بيتـا أنشدها ـ في مدح مصـر و «نيلها» ـ من كان قبله من الشعراء ، ومن ذلك قول ابن مماتي :

« جزيرة مصر لا عدتك مسرة ولا زالت اللذات فيك اتصالها !
فكم فيك من شمس على غصن قامة يميت ويحيي هجرها ووصالها
مغانيك فوق النيل أضحت هوادجا
ومختلفات الموج فيـك جبالهـا
ومن أعجب الأشياء انك جنة تمد على أهل الضلال ظلالها (٢) »

ثم توجه الى الأزهر الشريف ، حيث رواق المغاربة ، وبمجرد وصوله التف حوله جماعة من طلبة العلم ، فأخذ يملي عليهم الحديـث ويلقنهـم العلوم ، لا سيمـا علم العقائد الذي كان من اختصاصات علماء المغرب. قال تلميذه عبد الباقي الحنبلي : «دخلت مصر سنة ١٠٢٨ هـ ، فوجدتـه في صحن الجامع الأزهر يقرىء «العقائد» وله مجلس عظيم ، فلم يستنكر عليه مـا كان يورده من الأعاجيب لأن «العقائد» فن أهل المغرب ، ولمـا دخل رجب افتتح البخاري ، فأتي بمـا هو أعجب وكان حافظا أديبا(٣)». ونلاحظ في هذا النص أن المقري قد دخل مصر قبل شهـر رجب ، لقول الحنبلي : «ولمـا دخل رجب افتتح البخاري ..» . وهذا مخالف لنص المقري : «ودخلت مصر برجب من عام ثمانيـة وعشرين وألف .. (٤)».

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ١ . ص ٤٧ .
٢ ـ م. س. ج ١ . ص ٤٧.
٣ ـ الكتاني ، عبد الحي . فهرس الفهارس . ج ٢ . ص ١٢ .
٤ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ٩ . ص ٣٤٢ .

ولعـل هناك تحريف وقع في أرقام عدد السنوات المشار اليها فـي نص الحنبلـي ؟ .

وكان المقري ــ بعلومه الغزيرة وحافظته القوية ــ قد لفت أنظـار المصريين اليه واسترعى انتباههم ، فعمدوا الى مناقشته واختبار حفظـه وسبر معارفه ، فوجدوه بحرا لا ساحل لـه ، فعند ذلك سلموا له عـن مضض ، واعترفوا لـه بمـا منحه الله من فضله ؟ حيث جعله مظهـرا لنوره . ولعل مصداق ما قلناه هو مـا حدثنا بـه اليفراني : «.. ولما دخل المقري مصر في توجهه الى الحجاز ، وقعت بينه وبين أهـل مصر منازعات أسفرت عن التسليم بحفظه ، وذلك أنـه لمـا دخل مصر ــ قبل أن يعرفه أحد ــ حضر سوق الكتب ، فوجد تفسيرا غريبا ، ففتحـه ، فاذا بـ «سورة النور» فتكلم ذلك المفسر على مسألة فقهية استطردهـا وحرر فيها القول ، فحفظ صاحب الترجمة ذلك كله ، فكان من غريـب الاتفاق أنه يقرب ذلك اجتمع علمـاء البلد في دعوة ، وحضر معهم المقري، فلمـا استقر بهم المجلس اذا بسائل في يده بطاقة يسأل عن تلك المسألة التي حفظها المقري من ذلك التفسير ، فدفعت للأول من أهل المجلس ،فنظر فكأنه لم يستحضر فيها شيئا ، فدفعها لمن يليه ثم دفعها هذا لهذا الى ان بلغت صاحب الترجمة ، فلمـا نظرها استدعي بالـدواة فكتـب فيهـا الجواب كمـا حفظ ، فجعلوا ينظرون اليه متعجبين ، فلمـا فرغ تعاطوها فقالـوا من ذكر هذا ؟ فقال لهم : فلان في «سورة النور» فأحضر التفسير فاذا هو كما قال ، فدخلهم ــ من ذلك ــ مـا هو من شأن النفـوس ، ولم يزل بمصر الى أن حصلت لـه بها شهرة تامة (١)» . وفي امكاننا أن نستخرج خمس فوائد من نص اليفراني :

---

١ ــ اليفراني ، محمد الصغير . الصفوة . ص ٤٣ .

الفائدة الاولى :

دخول المقري مصر قبل أداء فريضة الحج . وهذا ما نص عليه صاحب الترجمة نفسه ، خلافا للمحبي الذي قد صرح بأنه «ورد الى مصر بعد اداء الحج في رجب سنة ثمان وعشرين والف (١) » .

الفائدة الثانية :

جهل علماء مصر لقيمة المقري العلمية والأدبية ، ولعلهم لم تبلغهم سمعته التي طبقت المغرب ولولا ذلك ما استغربوا عليه ما أخبرهم به في مجلسهم .

الفائدة الثالثة :

تحري المقري الشديد في اجابته عن السؤال كتابيا ، ولولا ذلك لاكتفى بالاجابة شفويا . فكان جوابه بمثابة فتوى على غرار فتاويه التي كان يحررها بفاس ، ليتحمل عبء مضمون ماكتبه . ولعله أحس بمن يعترض عليه هناك، ان هو اجاب عن السؤال شفويا فاراد ان يحسم دابر الاعتراض باثبات السواد على البياض ، تأكيدا لقوله ، واعتدادا بنفسه ، وتحديا لمن تسول له نفسه ان يعترض عليه . وهذا ليس بغريب في حق المقري الذي قد كتب بعض كتبه تحديا لبعض الأشخاص ككتابه : «فتح المتعال في مدح النعال» مثلا ..

الفائدة الرابعة :

بدء انتشار سمعة المقري منذ ذلك الحين ، فقد أصبحت هذه القصة بمثابة نقطة انطلاق لشهرته ولمقدرته العلمية وقوة حفظه .

---

١ ــ المحبي ، محمد . خلاصة الاثر . ج ١. ص ٢٠٤ .

الفائدة الخامسة :

المصادفة الذهبية التي جاءت لتعلي من شأن المقري المغمور ، وترفع راية علمه في مجلس العلماء ، حتـى يتبين الخيط الأبيض مـن الخيط الأسود ؛ فيفرض هذا الغريب نفسه ، ويصبح معترفا لـه بما آتاه الله من لدنـه علمـا .

ولعل هذه القصة لها شبه بقصته مع شيخـه علي بن عمران السلاسي في فاس الذي اعترف بخطأ نفســه واصابة تلميذه المقري أمام جميـع طلبته بالقرويين (١) .

المقري فـي الحجاز

وبعد ما مكث المقري مدة قليلة بمصر توجـه صـوب الحرمـين الشريفين بقصد أداء فريضة الحج المبرور وزيارة قبر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ! ــ .

«فسافرت في البحر الى الحجاز ، راجيا من الله ــ سبحانه ! ــ في الأجر الانتجاز ، الى أن بلغت «جدة» ، بعد مكابدة خطوب اتخذت لهـا من الصبر عـدة .. » (٢) .

وما كادت عيناه تكتحلان بإثمـد التراب المقدس ونـور البيـت العتيق حتى انطلق لسانـه وانفجر بيانه ، فأخذ يترنم بمقطعات شعرية ، لا يقـل عدد أبياتها عن خمسة وعشرين بيتـا ، تنم عن ذوبان منشدهـا في حب الله ورسوله ، فلا أهل ولا ولد ولا صديق يشغل بال صاحبها ، سوى الديار وساكن الديار : «ولمـا وقع بصري على البيت الشريف كدت

---

١ ــ انظر قصة المقري مع شيخه السلاسي عند حديثنا عن رحلته الاولى الى فاس .

٢ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ١ . ص ٤٩ .

أغيب عن الوجود ، واستشعرت قول العارف بالله الشبلي لما وفد الى ضرة الوجـود :

«قلت للقلب اذا ترأى لعيني رسم دار لهم فهاج اشتياق
هـذه دراهم وأنت محب ما احتباس الدموع في الاماق ؟
والمغاني للصب فيها معاني فهي تدعى بمصارع العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباها واهجر الصبر وارع الفراق»(١)

وقد أكمل العمرة في أوائل ذي القعدة من عام ١٠٣٨ هـ (اكتوبر — نوفمبر ٤ ١٦١٩ م) ثم أقام هناك منتظرا أوان الحج ، ولما حان وقت الاحرام أحرم . وعندما حل من ذلك نوى الاقامة هنالك ، فحال من دون عزمه حائل ، ولم يكشف لنا المقري عن نوع هذا الحائل ، بل اكتفى بالتلميح عن التصريح كعادته غالبا . ثم نزح الى المدينة المنورة حيث المقصد الأعظم والأمنية الوحيدة بعد ما ودع مكة المكرمة وهو ينشد قول من قـال :

«حمدت مرادي (٢) اذا بلغت مرادي
بأم القرى مستمسكا بعهادي
ومذ رويت من ماء زمزم غلتي
فلست بمحتاج لماء ثمادي (٣)»

وقد عبر طريقة بانشاد اشعار في مدح «طيبة» والرسول وهذه الاشعار

١ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ١ . ص ٥٠ .
٢ — المراد — بفتح اوله — : مكان رياد الابل ومرعاها .
٣ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ١ ص ٥١ .

لا يقل عدد أبياتها عن مائة وسبعة وسبعين بيتـا ، منها مـا هو مـن انشاده ومنهـا ما هو من انشاد غيره وتمثل به كعادته . ولمـا وصـل الى قبر سيد الوجود وسلم عليه أنطقته محبته السرمدية وايمانه الراسخ بقصيدته اللامية ، التي نود أن نثبتها هنا ، لتعطينا صورة صادقة علـى خصب شاعريته ومقدرته على ارتجال الشعر الجيد :

« اليك أفر من زللي	فرار الخائف الوجل
وكان مزار قبرك بالـ	مدينة منتهى أمـلي
فوفى الله ما طمحت	له نفسي بلا خلل
فخذ بيدي غريق في	بحار القول والعمل
وهب لي منك عارفة (١)	تعرف ما تنكر لي
وتهـديني الى رشدي	وتمنعني من الزلـل
وتحملني على سنن	يؤمنني من الوجل
فانت دليل من عميت	عليه مسالك السبل
وأنك نافـع برٌّ	وموئلنا من الوهل
وانك خير مبتعث	وانك خاتم الرسل
فيا أزكى الورى شرفاً	وشافيهم من العلل
ويا أندى الأنام يدا	وأكرم ناصر وولي
نداء مقصر وجل	بثوب الفقر مشتمل
على جدواك معتمدي	فانقذني من الدخل

---

١ ـ العارفة : العطية .

والحقني بجنـــات لدى درجاتها الأول
بصديـق وفاروق وعثمان الرضي وعلي
فانت ملاذ معتصم وأنت عماد متكل
عليك صلاة ربك جـ ـل في الغدوات والأصل» (١)

وبعدما أتم الزيارة اللائقة بمقامة ــ صلى الله عليه وسلم ! ــ ودعه وقلبه على فراقه حزين ، ولسانـه يلوك ما ارتجله في ذلك الحين :

« يا شفيع العصاة أنت رجائي كيف يخشى الرجاء عندك خيبه
واذا كنت حاضراً بفؤادي غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش في البلاد انتفاع أطيب العيش مايكون بطيبه» (٢)

عـودته الى مصر ثانيـا

في شهر محرم سـنة ١٠٢٩ هـ (٣) (ديسمبـر ١٦١٩ ــ جانفي ١٦٢٠ م ٤) عاد المقري من الحرمين الشريفين الى مصر بحيث اقام حوالي شهرين قبل أن يقوض خيام السفر الى بيت المقدس • ولم يصلنا أي حادث هام لـه علاقة باقامته الأخيرة بمصر ، ولعل ذلك ناتج من قصر اقامتـه التي لم تسمح لـه سوى بقدر الاستعداد الى النزوح من هناك واستئناف السفر الى بيت المقدس الشريف •

---

١ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب • ج ١ • ص ٥٦ ، ٥٧ •
٢ ــ م٠ س٠ ج ١ • ص ٥٦ ، ٥٧ •
٣ ــ م٠ س٠ ج ١• ص ٥٧ •

المقري في بيت المقدس

في شهر ربيع الاول من سنة ١٠٣٩ هـ (١) (فبفري — مارس ١٦٣٠ م) غادر المقري مصر متوجها صوب بيت المقدس ، وما كادت تلوح له مسالكها الصعبة حتى أنشد قول ابن حجر العسقلاني :

«الى بيت المقدس جئت أرجو جنان الخلد نزلا (٢) من كريم
قطعنا في مسافته عقابا وما بعد العقاب سوى النعيم (٣)»

وبمجرد دخوله المسجد الأقصى انبهر لعظمته وجماله ، وأول شيء بادر بالسؤال عنه مكان المعراج الشريف ، فأرشد اليه ، وشاهد المحل الذي أم فيه الرسول جميع الرسل الكرام ليلة عرج به ، وهكذا أكمل المقري شعائره الدينية : فحج واعتمر وزار طيبة وقبر من طيب ثراها ، وختم حجه الأكبر بحجه الأصغر الذي يتمثل في زيارته بيت المقدس ، مربع الانبياء والمرسلين ، ومبعث نور الله في الخافقين ، وبعدما قضى مأربه ، ودع القدس الشريف ، وعاد الى مصر القاهرة ، حيث الأزهر المعمور والعلم الموفور .

عودته الى مصر ثالثا وتردده الى الحجاز

عاد المقري من زيارته للقدس الشريف الى مصر القاهرة حيث التقي

---

١ — المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٧
— المحبي ، محمد ، خلاصة الاثر ، ج ١ ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .
٢ — نزلا : النزل — بضمتين — ما يعد للضيف ، وقد سكن الزاي في الشطر الثاني من البيت نزولا عند رغبة الوزن .
٣ — المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج١ ، ص ٥٧ .

عصا الترحال واتخذها نقطة انطلاق الى زيارة البقاع الطاهرة عدة مرات •

فقد كرر الذهاب منها الى مكة المشرفة خمس مرات ، أملي خلالها الحديث الشريف وألقي الدروس العديدة ، كما وفد على المدينة المنورة سبع مرات حيث أملي الحديث النبوي بمرأى ومسمع منه — صلى الله عليه وسلم ! — وألف هناك عدة كتب مثل كتابيه : «فتح المتعال» و «أزهار الكمامة في أخبار العمامة» • وكانت عودته من الحجة الخامسة والاخيرة في شهر صفر من سنة ١٠٣٧ هـ (١) (أكتوبر — نوفمبر ؟ ١٦٢٧ م) ومن الاولى في شهر محرم من سنة ١٠٢٩ هـ (٢) (ديسمبر — جانفي ١٦٢٠ — ١٦١٩ م ؟) • ومن الثانية في أوائل صفر من سنة ١٠٣٠ هـ (٣) (ديسمبر — جانفي ١٦٢١ — ١٦٢٠ م) • وكانت حجته الثالثة سنة ١٠٣١ هـ (٤) (١٦٢٢ م) والرابعة سنة ١٠٣٣ هـ (٥) • (١٦٢٤ م) • وفي هاتين الحجتين الاخيرتين ، قد بدأ بزيارة المدينة المنورة ، ثم عاد اليها بعد اكمال حجته ، وبذلك أصبحت زياراته للمدينة سبع مرات مع خمس حجات • ولعل هذه الملاحظة لم ينتبه اليها أحد من الذين تناولوا الحديث عن المقري ، في تراجمهم أو دراساتهم •

وقد حدثنا المقري عن احدى سفراته من مصر الى المدينة المنورة وأخبرنا بأنه توجه من مصر الى «السويس» ، حيث سافر من هناك في مركب هندي صغير ، وكان البحر هائجا مروعا ، وقد أنباه من طمن في

---

١ — المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج : ١ ص ٦٥ ، ٦٦ •
٢ — م• س• ج : ١ ، ص ٦٢ •
٣ المقري ، احمد ، النفحات العنبرية في وصف نعل خير البرية ٩٣٩٠ ، مكـ السليمانية ، اسطنبول ٣٦ ، مخ •
٤ المقري ، احمد ، فتح المتعال ورقة ١٦٥ •
٥ — م• س• ورقة ١٦٥ •

السن بأن هذه الاهوال المفزعة ما رؤيت قط في البحر قبل ذلك الزمان . وأن اضطراب البحر قد تسبب في غرق حوالي سبعة مراكب ، سلطانية وغيرها ، وان مركبهم كاد يغرق ، وأنهم قد اشرفوا علـى الهلاك عـدة مرات ، وكانت نجاتهم ببركة «المثال» (١) الشريف ، وأنهم رأوا ذات يوم نارا كانها خارجة من جوف البحر ، وكان بينها وبينهم نحو العشرين باعاء وقد مالت نحو المركب ، فهرب الربان والبحارة وايقنوا بالهلاك، فنجاهم الله من لهيبها بعد ما دنت منهم بنحو ذراعين وكادت تحرق المركب . ثم وقف مركبهم فجاة ، لانقطاع هبوب الريح ، وبقوا حيارى واجمين ، فألهم الله المقري أن يشير الى «المثال» الشريف ويردف مرتجلا هذين البيتين :

سألت ربي بـ« طه »صاحب النعلين ومن سما قدره في الأصفياء الأعلين
في أن تمن علينا بالنسيم اللين يسرع بنا البحر نحو الطيب الأصلين

ثم ماكاد ينتهي من انشادهما حتى بعث الله اليهم بريح لينة ساعدتهم على المخور في البحر ، حتى وصلوا الى «الينبوع» ومنه توجهوا صـوب المدينة المنورة وقد صادفوا في طريقهم خارجيا ، يخيف السبيل ويأخـذ أموال المسافرين ، فأخذ الله بصره ونجاهم من شره .

وكان المقري مشتغلا بالتأليف والتدريس بالأزهر الشريف طيلـة اقامته بالقاهرة: «ثم أبت الى مصر مفوضا لله جميع الامور، ملازما خدمة العلم الشريف بالازهر المعمور(٢)». ولعل اهم شيء بادر اليه ــ بعـد عودته من زيارته الاولى الى القدس الشريف ــ تزوجه بينت من بنات العائلة الوفائية العريقة في الشرف والعلم والجاه . ولولا مكانته العلمية وسيرته

---

١ ــ المثال : رسم نعلي الرسول صلى الله عليه وسلم !.
٢ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج١ . ص ٦٦ . وقد أخطـأ صاحب (خلاصة الاثر) حيث ارخ هذه العودة بسنة ١٠٣٩ هـ (١٦٣٠م) .

المرضية وأخلاقه النبيلة ما فاز بحليلة شريفة النسب كريمة الحسب ، يتزوجها لتكون له قاعدة ببيته وشريكة حياته ، فيسكن اليها وتطمئن اليه وتنسيه في آلام الغربة ومفارقة الاهل والاحباب ، ولولا ذلك كله لما أصهر الى بيت الوفائيين الذين يتمتعون بالنسب الشريف ويحظون بالكلمة العليا لدى المصريين .

المقري في غزة

في أوائل رجب سنة ١٠٣٧ هـ (١) (مارس ١٦٢٨ م) غادر المقري مصر متوجها صوب بيت المقدس الشريف بقصد زيارته له ثانيا ، وفي أثناء طريقه عرج على غزة ،حيث أقام بضعة أيام ، نزل خلالها ضيفا على الشيخ الغصين الغزي الذي جاءه بكتاب من لدن الشيخ النجار بمصر ، يتضمن الوصاية بالضيف . وكان عبد القادر ابن الشيخ الغصين قد تتلمذ للمقري بمصر . ومن جملة ما قرأ عليه أرجوزته : «اضاءة الدجنة ، في عقائد أهل السنة » .

ويقول عبد القادر : «أنا ممن كان السبب للشيخ (المقري) في نظمها ، فاني كنت أقرأ عليه صغرى الشيخ السنوسي في مصر ، فسألنا منه نظما في العقائد ، فكان كلما قرأ درسا نظمه ، فيقرؤه غدا كذلك الى أن ختمها (٢) » . وكان نزول المقري ببيت الشيخ الغصين سببا في ايقاف مدرسة غزة ــ وما يتبعها من أوقاف ــ على هذا الأخير ، ولعل العياشي أحق بايضاح هذا السبب ، لأنه قد روى القصة من منبعها قال العياشي :

« ولما كان الغد من يوم وصولنا (الى غزة) دخلت على الشيخ عبد القادر (ابن الغصين) في مدرسته ، فسلمت عليه ، وقال لي : أين الرجل الموصى عليه في الكتاب الذي ناولتني امس ؟ اين نزل ؟ فاني

١ ــ العياشي ، عبدالله . الرحلة . ج٢ . ص ٢٠٦ .
٢ ــ م. س. ج٢ . ص ٢٠٦ .

لم اجد من يدلني عليه ــ وكان لا يظنني اياه ، لما رأى من رثاثة هيئتي ــ فقلت انا هو ، فأعاد السلام ورحب واعتذر عما صدر منه من التغافل وبعث في الحين من أتى بأمتعتنا وأصحابنا من المسجد ، وأنزلنا فــي مكان واسع من مدرسته ، واحسن غاية الاحسان • ومدرسته هــذه في قبلة المسجد الاعظم ، ليس بينها وبين المسجد الا الطريق ، وغالــب جلوسه فيها ويأوي اليه أصحابــه فيها ، ويقرأون خمسة أحزاب مــن القرآن كل يوم قبل طلوع الشمس مناوبة ، وفيها خزانة كتب ، وتقرأ فيها كتب علمية • واخبرني ــ رضي الله عنه ! ــ ان أمير البلد هــو الذي بنى هذا الرباط (المدرسة) وأوقفه عليه وجعل له أوقافا ، وأخبرني ان الشيخ اباالعباس المقري ــ رضي الله عنه ــ هوالسبب فيذلك وانهلما جاء من مصر الى الشام وكان نزوله عند والدي الشيخ الغصين وكانت للشيخ المقري مكانة عند الامير ، قال : وكانت دارنا بعيدة من المسجد، فأتى الى المسجد اقرأ فيه واقرىء ، فسألته ان يطلب لي الاذن من الامير في بناء بيت ببعض رحاب المسجد واشتغل فيه بالمطالعة والقراءة، فقال لي : لا بد من حضورك معي عند الدخول على الامير ، قــال : فلمــا دخلنا عليه قدم له الشيخ (المقري) مقدمات في فضل بناء المســاجــد والمدارس • ثم اثنى على الشيخ عبد القادر وقال له : انه من اهل العلم، وليس بعدكم مثله، واراد ان تأذنوا له في بناء بيت في المسجد يقرأفيه ويقرىء ، فقال الباشا : مثلك لا يليق له البناء في المسجد ، ولكن هنــا موضع نحبسه عليك ، وهــو موضع المدرسة الآن • وكان يسكنــه اقوام لا خلاق لهم من اعوان الدولة ، فقال له الشيخ المقري : لما هممت بهذا فاحبسه الان ولا تؤخر ، فلم يبرح من المحل حتى دعا القاضيوكتب وشهد الشهود ، واخرج من كان في ذلك المحل ، وحبس على المحــل اوقافا يحصل منها نحو خمس قطع في كل يوم ، ولم يزل المحل بعــد ذلك عامرا بالذكر والقراءة ، ولله الحمد ! قال : فما نحن فيه كله من

بركة الشيخ المقري » (1) • فمن خلال هذا النص نستنتج سبع فوائد :

أولاها : نزول المقري بغزة عندما كان متوجها الى بيت المقدس •

ثانيتها : كونه ينوي الذهاب الى الشام بعد انتهاء زيارته لبيت المقدس • ولولا ذلك لما أنبأنا عبد القادر بن الغصين : انه كان متوجها الى الشام ، حسب ما جاء في عبارته •

ثالثتها : مكانته عندالامراء والباشوات، الذين كانوا لايردون عليه مطالبه وهذا ما لا نرتاب فيه • ولعل ذلك هو السبب في تألب بعض المصريين عليه وحسدهم له •

رابعتها : حبه لرجال العلم وسعيه في نشره ، ولولا ذلك مــا توسط لدى الباشا •

خامستها : معرفته بنفسية رجال السلطة وما يؤثر فيها ، ولهـذا لم يفاجىء الباشا بما جاء من اجله ، بل مهد له بمقدمة في فضل العلماء والترغيب في بناء المساجد والمدارس وما تعود به من الخير العميم — في الدارين — على من بناها وسعى في تأسيسها • وهـذا ان دل على شيء، فانما يدل على ان المقري « يعرف من اين تؤكل الكتف » •

سادستها : شجاعته الادبية التي تبدو في حثه الباشا على امضاء ما وافق عليه شفويا في الحين ، ولم يمهله ، لان النفوس مجبولة على التغير ومعرضة للتقلبات • ومن يدري ان الباشا سيرجع في كلمتـه ؟ او سيحدث له عارض يعرقل تنفيذ ما تبرع به •

سابعتها : اعتراف المشارقة بفضل المقري والترحم عليه • ويقول

---

1 العياشي ، عبدالله ، الرحلة ، ج٢ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ •

عبد القادر بن العصين ان آباه قد جاء بأخيه الصغير عبد الرحمن الى المقري ، وطلب منه ان يدعو له « فدعا له وبرك (فيه) وكتب لـه وفقا في صحيفة من فضة ، وأمر بتعليقه عليه ، وقال : يحصل لذلك المولد جاه عظيم وحظوة كبيرة عند الامراء وارباب الدولة (١) » • ويقــول العياشي : (وهو عبد الرحمن) الآن شيخ التجار بتلك البلاد «غزة»، وكلمته نافذة عند العام والخاص » (٢) • ولعلنا نخرج من هذا النص بثلاث فوائد اخرى :

أولاها : اعتقاد المشارقة الخير والصلاح في علماء المغرب •

ثانيتها : اتقان المقري لعلم الجدول • وهذا ما يؤكد لنا أن مـا نسب اليه من مؤلفات هذا الفن فهو له •

ثالثها : تعزيز أبي سالم العياشي لما تنبأ به المقري في شأن عبد الرحمن ابن الشيخ العصين •

المقري يصنع «الكسكس»

قال عبد القــادر بن العصين : « ••• ومن قـوة تواضع الشيخ المقري ــ رضي الله عنه ! ــ انه لما أتى من مصر جاء بكتاب من عنـد الشيخ النجار ، فيه وصاية الى والدي به ، فأنزله والدي عندنا وأكرمه فلما انس بنا وتداخل معنا ، قال له والدي ــ يوما ــ : يا سيدي احمد ! انا نشتهي الطعام المسمى ــ عند المغاربة ــ بـ «الكـسكس» • فهل في أصحابكم من يحسن صنعته ؟ فقال : فيهم ، والله ! لا يصنعه لكم أحد غيري ••• فأتينا بشاة لحم ، ودقيق ، وسمن ، وما يحتاج اليه فصنع لنا بيده طعاما من اجود ما يكون من ذلك النوع » (٣) •

---

١ ــ العياشي ، عبدالله ؟ الرحلة • ج٢ • ص ٣٠٦ •
٢ ــ م٠ س٠ ج٢ • ص ٣٠٦ •
٣ ــ م٠ س٠ ج٢ • ص ٣٠٦ •

واذا كانت كثرة التواضع من شيم المقري — حسب تعبير النص— فان ذلك يدل على عظمة نفسه واعترافه بجميل من أكرمه وأحسن اليه، ولطالما استعبد احسان المحسنين قلب المقري ، واصبح مملوكا لمن أكرمه وبش لوجهه . والاعتراف بالجميل هو صفة مشبهة لشخصية المقري ملازمة له في الفكر واللسان ، وفي القلم والجنان . وقد كان المقري اجتماعيا أليفا بشوشا ، ولولا ذلك ما أنس بأسرة الشيخ العصين ولا تداخل معهم بمجرد نزوله عندهم ، ولولا صراحته وثقته بنفسه ما كتب وقفا في صحيفة من فضة ، ولا صنع «كسكسا» ولا كان ما كان .

عودته الى بيت المقدس ثانيا

وفي أواسط رجب من نفس السنة وصل المقري الى بيت المقدس، حيث زار مقامات الانبياء والمرسلين ومزاراتهم ، مثل مقام ابراهيم الخليل ومزار موسى الكليم ، عليهما أفضل الصلاة والتسليم . والقى عدة دروس بالاقصى والصخرة المنيفة . وكان جديرا بأن ينشد قصيدة ابن مطروح هناك :

«خليل الله قد جئناك نرجو شفاعتك التي ليست ترد
أتلنا دعوة واشفع تشفع الى من لا يخيب لديه قصد
وقل يارب أضياف ووفد لهم بمحمد صلة وعهد
أتوا يستغفرونك من ذنوب عظام لا تعد ولا تحد
اذا وزنت بـ(بديل) أو (شمام)
رجحن ودونها (رضوى) و(أحد)(١)

---

١ — بديل وشمام ورضوى واحد : كلها اسماء جبال .

ولكن لا يضيق العفو عنهم وكيف يضيق وهو لهم معد
وقد سألوا رضاك على لساني المهي ما أجيب وما أرد
فيا مولاهم عطفا عليهم فهم جمع أتوك وانت فرد (١)»

ثم غادر القدس الشريف بعدما مكث به حوالي خمسة وعشرين يوما واتجه صوب دمشق الشام ، التي طالما سمع بنبل سكانها وجمال طبيعتها ، فدفعه ذلك الى زيارتها والتعرف بأهلها .

المقري في دمشق

لم تكن زيارة المقري لدمشق زيارة دينية بحتة مثلما كـانت زياراته السابقة للحجاز والقدس ، بل هي زيارة ودية بالدرجة الاولى. وهذا ما نستوحيه من كلام المقري نفسه ، عندما حدثنا : بأنه قد لقي ـ بمكة المكرمة ـ مفتي دمشق : الشيخ عبد الرحمن ابن عماد الدين، فحبب اليه دمشق وطلب منه ان يزورها ، فيلقى بها رحبا وسهلا (٢) ولا ريب في أن المفتي قد سبر المقري في علومه الغزيرة وآدابه الممتعـة ، فوجده بحرا طافحا ونورا وقادا ، فأراد ان تتشرف دمشق المحبوبـة بشخصيته ويحظى أهلها الكرام بعلومه وآدابه .

ولعل لقاء المفتي بالمقري شبيه بلقاء هذا الاخير بابراهيم الآيسي في فاس عندما زار المقري المغرب الاقصى زيارته الاولى (٣) .

وكان المقري ـ قبل أن يفوز بزيارة دمشق ـ كثيرا ما يداعـب

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج١ . ٧٠ .
٢ ـ م٠س٠ ج١ . ص . ٧٠ .
٣ ـ انظر الصفحة ١١٢ من هذه الدراسة .

مسمعيه كرم أهلها الفياض وعشرتهم الطيبة ، التـي طالما آثلجت نفسه وشوقتها الى رؤية البلاد ومجالسة أهلها: «وكنت ــ قبل رحلتي اليها، ووفادتي عليها ــ كثيرا ما أسمع عــن أهلها ــ زاد الله في ارتقائهم ! ــ ما يشوقني الى رؤيتها ولقائهم، وينشقني على البعد أريج الادب الفائق من تلقائهم فلما حللت بدارهم ، ورأيت ما أذهلني من سبقهم للفعــل وبدارهم (١) ، صدق الخبر ، وتمثلت فيهم بقول بعض من غبر :

ألمّت بنا أوصافهم فامتلا (٢) الفضا عبيرا (٣) واضحى نوره متألقا
وقد كان هذا من سماع حديثهم بلاغا فصحّ النقل إذ حصل اللقاء (٤(

وفي أواخر شعبان سنة ١٠٣٧ هـ (٥) (أوائل ماي ١٦٢٨ م) ، حل المقري بدمشق الفيحاء ، فسحرت له بجمالها ، وايقظت شعوره بمناخها وأطلقت لسانه في مدحها بأزيد من ثلاثمائة بيت من شعره واشعار غيره كلها تنم عن اعجابه بطبيعة البلاد واحسان اهلها الكرام :

« محاسن الشام أجلي من أن تحاط بحدّ
لولا حمى الشرع قلنا ولم نقف عند حدّ

١ ــ البدار ــ بكسر اوله ــ المبادرة الى الشيء .

٢ ــ امتلا ــ اصله امتلأ بالهمزة التي قلبت الفا .

٣ ــ العبير : الريح الطيبة .

٤ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج١ . ص ٧١ . والبيت مــن مصطلحات علماء اصول الحديث وعندهم (البلاغ): الرواية من غير لقاء.

٥ ــ م. س. ج١ ص ٦٧ ج٣ . ص ١٤٨ . ج٩ ص ٢٤٢ . وقــد اخطا صاحب خلاصة الاثر عندما ارخ دخوله بسنة ١٠٣٩ هـ. (١٦٣٠م).

كأنها معجزات مقرونة بالتحدّ (١)

ولما وصل المقري الى دمشق أنزله المغاربة بمكان لا يليق بـه ، فطلب موضعا آخر يكون قريبا من الجامع الأموي ، فبادر أحمد الشاهيني وبعث اليه بمفتاح المدرسة « الجقمقية » مصحوبا بما نصه :

« كنف المقري شيخي مقرّي وإليه من الزمان مفرّي
كنف مثل صدره في اتساع وعلوم كالدر في ضمن بحر
أيّ بدر قد أطلع الغرب منه ملأ الشرق نوره ؟ أي بدر ؟
أحمد سيدي وشيخي وذخري ومعي وفوق ذاك وفخري
لو بغير الأقدام يسعى مشوق جئته زائراً على وجه شكري

العبد الحقير المستعين ، المخلص أحمد بن شاهين » .

فأجابه المقري بأبيات مماثلة في الوزن والقافية والعدد :

« أي نظم في حسنه حار فكري وتحلى بـدره صدر ذكري
طائر الصيت لابن شاهين ينمي من يروض الندى له خير وكر
أحمد المتطين ذروة مجد لغوان من المعالي وبكر
حلّ مفتاح فضله باب وصل من معان تعريفه دون نكر
يا بديع الزمان دم في ازديان بالعلى وازدياد تجنيس شكر» (٢)

قال المحبي : « ولما دخل (المقري) الـى المدرسة أعجبته فنقـل أسبابه اليها واستوطنها مدة اقامته (٣) » ، وان دلت أبيات الشاهيني

١ – المقري ، احمد . نفح الطيب ج١ . ص ٦٧ .
٢ – م٠ س٠ ج٣ . ص ١٧١ .
٣ – المحبي ، محمد . خلاصة الاثر . ج١ . ص ٣٠٤ .

على شيء فانما تدل على أقصى الترحيب بعالم الجزائر وأديبها ، عندما حل بأرض أنسته ما كان يقاسيه من آلام الغربة وأوصاب الوحشة التي ألمت به في مصر القاهرة . وقد وجد المقري في دمشق الشام — ضالته المنشودة تلك هي المسامرات الادبية التي تروح النفس وتشد الاحزان وتغذي العقل وتنعش بالشعور . وكانت تلك المسامرات صباح مساء وليل نهار : أشعار تنشد ، وأخبار تستقصي ، وعلوم تحقق ، وكانت أبطال هذه المسامرات أعلام من العلماء وفطاحل من الأدباء ، نذكر منهم : عبد الرحمن العمادي ، وأحمد بن شاهين ، ويحيى المحاسني ، ومحمد بن علي القاريء ، ومحمد المحاسني ، ومحمد ابن الكبير الدمشقي ، وابراهيم الاكرمي ، ومصطفى محب الدين ، ومحمد بن سعد الكلشني ، وأبو بكر العمري ، وتاج الديا ، المحاسني (عم يحيى المحاسني) وغيرهم . وكانت دفة سفينة تلك المسامرات بيدي ضيفهم المطاع ، فيغرب بهم تارة ويشرق بهم تارة أخرى . وكانوا كثيرا ما يطعمون مسامراتهم بالنكت الادبية التي تتمخض عما يحدث لهم حالة اجتماعهم . ومن هذا الطراز ما يحدثنا به المحبي : « واتفق للمقري بمجلس في دعوة بعض الاعيان وكان المفتي العمادي والشاهيني صحبته في تلك الدعوة فمس، (المقري) ثلجا وقال: ألماس هذا ؟ فأنشد الشاهيني — مرتجلا — :

« شيخنا المقري وهو الناس   والذي بالانام ليس يقاس
مسّ ثلجا وقال: ألماس هذا؟   قلت ألماس عندنا الناس

ثم ارتكل بآخرين في الثلج :

غنيت بالثلج عن سوداء حالكة   من قهوة لم تكن في الأعصر الاول
وقلت لما غدا خلي يعنفني   في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فقـال العمـاد :

يابردها ثلجة جاءت على كبدي حراء من فرقة الاحباب في وجل

فقـال المقري :

تحلو اذا كررت ذوقاً وعادة ما أعيد أن يلتقي بالكره والملل

فقـال المقري :

لعل إعلالـه بالثلج ثانية يدبّ منهـا نسيم البرد في علل

فقـال المقري :

اذا دعاني بمصر ذكر معهدها أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل

فقال العمادي :

لو كان في مصر مـاء بارد لكفى عن الثلوج، ومن للعور بالحول(١)

ومن خلال هذه المطارحة الشعرية التي دارت بين الادباء الثلاثة، نستفيد ثلاث فوائـد :

أولاها : الذوق الادبي الذي يتمتع به المقري ، ولولا ذلك مـا اهتدى الى تشبيه قطع الثلج المتناثرة في الصحاف بـ « الماس » وهذا تشبيه مطابق وطريف .

ثانيتها : فضله لدى أعيان البلاد ووجهائها ، ولولا ذلك ما حظي بهـذه الدعوة الخاصة ، بشخصيته .

ثالثتها : لم يكن أحد في مصر يدعو المقـري سوى أطلالها .

---

١ ــ المحبي ، محمد . خلاصة الاثر . ج١ . ص ٣٠٧ .

ومن هذا الطراز – ايضا – قول الشاهيني – مستجيزا المقري – :

« الشيخ يشرب مـــاء   ونحن نشرب قهوة (١) »

فقـال المقري :

« لأنـه ذو قصور   فغطّ بالعذر سهوه » (٢)

وهكذا كانت الاشعار تنظم وتتداول بين المقري وأدبـاء دمشق في جميع المناسبات •

فها هوذا يروم – يوما – الصعود الى موضع مرتفع فيقع منه ، وتنفك احدى رجليه فينظم أحمد الشاهيني تسعة أبيـات ويبعث بهـا اليه ، كعنوان لأسفه الشديد ، وتعويذ من كل شر جديد • وها هوذا المقري ينظم اربعة عشر بيتا ويبعث بها مع سبحة وخاتم الى أحمد بن شاهين ، كهدية فيجيبه هذا الاخير بتسعة وعشرين بيتا • وهناك عدة قصائد وأراجيز قد نظمها علماء دمشق وأدباؤها يمدحون بها المقري ، ويلتمسون منه أن يجيزهم ، كما نظـم هو بدوره قصائد فـي مدحهم وأراجيز في اجازته اياهم • ومما زاد في سمعة المقري بدمشق وانتشار صيته هناك دروسه في عقائد الامام الاشعري وهي تتمثل في أرجوزته: « اضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة » ، التي درسها في مصر والحجاز والقدس وغزة والاسكندرية ، ونالت اعجابا كبيرا واقبالا عظيما فـي جميع الاقطار ، حتى أن كثيرا من علماء الأقطـار الاسلامية قـد طلبوا منه أن يجيزهم فيها ، وأن بعضهم التمس منه أن يسمح لـه بشرحها ، مثـل عبد الكريم الفكون القسنطيني •

---

١ – المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٣ . ص ١٧٦ .

٢ – م. س. ص ١٧٦ .

أما فن الحديث الشريف فكان فيه آية الله في الآفاق ، ولا سيما صحيح البخاري الذي قد بذ فيه معاصريه ، ولعل أصدق دليلا على ما نقول هو ما أنبأنا به المحبـي ، حيـث يقول : «... وأملى (المقري) صحيح البخاري بالجامع (الأموي) تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح. ولما كثر الناس بعد أيام خرج الى صحن الجامع تحـت القبة المعروفـة « البا عونية» وحضر غالب أعيان دمشق . وأما الطلبة فلـم يتخلـف منهم أحد . وكان يوم ختمه حافلا جدا ، اجتمع فيه الالوف من الناس، وعلت الاصوات بالبكاء ، فنقلت حلقة الدرس الـى وسط الصحـن ، الى الباب الذي يوضع فيه العلم النبوي في الكمعات ، مـــن رجـب وشعبان ورمضان ، وأتي له بكرسي الوعظ ، فصعد عليه ، وتكـلـم بكلام في العقائد والحديث لم يسمع نظيره أبدا ، وتكلم على ترجمـة البخاري ، وأنشد له بيتين ، وأفاد أن ليس للبخاري غيرهما ، وهما :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع   فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح قد مات قبل سقيم   ذهبت نفسه النفيسة فلته

قلت : ورأيت في بعض المجامع ــ نقلا عن الحافظ ابن حجر ــ انه وقع للبخاري ذلك أو قريب منه ، وهذه من الغرائب هـ.

وكانت الجلسة من طلوع الشمس الى قرب الظهر ، ثـم ختـم الدرس ، بأبيات قالها حين ودع المصطفى صلى الله عليه وسلم ! وهي:

يا شفيع العصاة أنت رجائي   كيف يخشى الرجاء عندك خيبه
واذا كنت حاضراً بفؤادي   غيبة الجسم عنك ليست بغيه
ليس بالعيش في البلاد انتفاع(١)   أطيب العيش ما يكون بطيبه

---

١ ــ في الخلاصة : (انقطاع) بدل (انتفاع) . وقد اعتمدنا علـى ما اورده المقري في نفح الطيب . ج١ . ص ٦٣ . لان كلمة (انقطاع) لا تدل على المعنى المراد .

وتزل عن الكرسي فازدحم الناس على تقبيل يده وكان ذلك نهار الاربعاء سابع عشرين رمضان سنة سبع وثلاثين والف (١) ٠ ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين الى دمشق ما اتفق له : مـن الخطوة واقبال النـاس ٠٠ ٠(٢) » ٠

أي عالم من علماء المسلمين حظي بمثل ما حظي به أبي العباس في بـلاد الشام ؟!

أي استاذ مثله اجتمعت حوله ألوف من الناس ؟! حتى اكتظ بهم المسجد وضاقت بهم الساحة ٠ اي غريب من غرباء المغاربة تسابق عظماء الشام وعلماؤه الى لثم يديه والتبرك بلمسهما ؟! اي واعظ مثـله ألان القلوب وأسال الدموع ؟! بل أي شخص غيره اتفق له مثلما اتفـق للبخاري ؟! ان هذا لمن فضل ربي !

وهكـذا وجـد المقري في دمشق حظـا وافرا ، وجــوا ملائمـا ، ومجتمعـا أليفـا ، فقـد الفى في صفوف علمـائها تقديرا كبيرا لشخصيتـه الفذة واعترافا صادقا بعلمه الغزير وآدابه الممتعة ، كما حظي لدى عـوامها وخـواصها بكرم حـاتمي وتبجيـل فـائق واحسان مستمر ٠ ويفيدنا المقري في «نفحه» بمعلومات جمة عـن الحركتين : العلمية والادبية بدمشق ، وعن حياة العلماء والادباء الذين لقيهم هناك وتباحث معهم ، أو تتلمذوا لـه وأخذوا عنه وأجازهـم باجازات نثرية ونظمية ٠ وقـد كان في طالعة هؤلاء التلاميذ المجازين الأديب الفذ أحمد بن شاهين الذي حظي المقري بنيله وتبجيله ٠ وهو الذي ألح عليه عدة مرات في تأليف كتاب يجمع أخبار لسان الديـن

---

١ ــ الموافق لـ ٣١ ماي ١٦٢٨م ٠
٢ ــ المحبي ، محمد ٠ خلاصة الاثر ج١ ٠ ص ٣٠٥ ٠

ابن الخطيب وآدابه ، وذلك عندما جنح بهم مركب الحديث في مطارحاتهم الادبية الى ذكر تراث الاندلسيين الخصب ، ولا سيما تتاج وزير غرناطة الامين ، وأديبها الحساس وعالمها الجليل : لسان الدين ابن الخطيب ، فاستجاب المقري للطلب ، بعد امتناع لم يقبل منه عذره. فوفى بالمطلوب وأتى بالمرغوب ، وأخرج لنا موسوعته « نفح الطيب » التي جمعت وأوعت من تراث الاندلسيين والمغاربة ، وحتى المشارقة ، ما لا يستطيع اي شخص — غير المقري — ان يمدنا بما مدنا هو به . وكان المقري — قبل حلوله بدمشق — مولعا بوطنه المحبوب، فلا يفارق خياله ليل نهار . ولما نزل بدمشق أنسته طبيعة أرضها واحسان أهلها ما كان مولعا به : «وكنت قبل حلولي بالبقاع الشامية مولعا بالوطن لا سواه ، فصار القلب بعد ذلك موزعا مقسما بهواه (١) ».

واذا كان الخير بالخير والبادىء أكرم ، فبماذا يقابل المقري احسان دمشق المتواصل وأياديها البيض التي أسدتها اليه دون أن ترجو منه جزاء ولا شكورا ؟ أبشكر اللسان ، فقد شكرها وطوق عنقها بأسجاعه المعسولة وأشعاره الرنانة . أم باقرار الجنان ، فقد اقر لها ، عندما ترك فيها قلبه وقت مغادرته اياها الى مصر . وهل في الجسد مضغة أعز وأطهر من القلب ؟!

« وارتحلت عنها الى مصر ، وقد تركت القلب فيها رهنا ، وملك هواها مني فكرا وذهنا ، فكأنها بلدي التي بها ربيت ، وقراري الذي لي به أهل وبيت ، لأن أهلها عاملوني بما ليس لي بشكره يدان ، وها أنا الى هذا التاريخ (٢) لا ارتاح لغيرها من البلدان ، ولا يشوقني

---

١ — المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج١ ، ص ٧٤ .
٢ — وهو سنة ١٠٣٩ هـ. (١٦٣٠م) .

ذكر ارض بابل ولا بغدان (١) ، فالله ــ سبحانه وتعالى ! ــ يعطر منها بالعافية الارداف (٢) » •

ولعل أغلى مكافأة قابل بها المقري احسان دمشق اليه هديتان ثمينتان :

احداهما : تتمثل في كتابه « عرف النشق في اخبار دمشق » ، الذي يبدو من خلال عنوانه أنه قد خصه لذكر ما جاء في جمال طبيعة البلاد الحسناء ، ومحامد أهلها الكرام •

ثانيتهما : موسوعته العلمية والادبية التي تتمثل في كتابه « نفح الطيب »، الذي ألفه نزولا عند رغبة أهل دمشق ، دون أن يتقاضى عليه أجرا سوى الود ومحض الاخاء : « ورجوت أن يكون (تأليف نفح الطيب) هدية مستملحة مستعذبة وطرفة مقبولة مستغربة :

هديتي تقصر عن همّتي ... وهمتي أكثر من مالي
وخالص الودّ ومحض الاخا ... أكثر ما يهديه أمثالي (٣)

وليس المقري هو الاوحيد الذي رحبت به دمشق الشام ، وفتحت له كلتا ذراعيها ، وضمته الى صدرها الرحب ، بل جميع من حل بها من المغاربة ووطئت أقدامه تربتها قد وجد فيها الملجأ الأمين ، والهدوء التام ، والهواء الصافي ، والعلم الكافي ، والمجتمع الاليف ، في أخلاقه الطيبة وشيمه الكريمة • ولعل احسان الدماشقة الى المغاربة متمخض عن أمانة المغاربة وكثرة تقواهم وعن أخلاقهم المرضية وسيرتهم المحمودة ، وذلك يبدو جليا في كلام ابن جبير عندما يحدثنا في رحلته

---

١ ــ بغدان : لغة في بغداد •
٢ ــ المقري ، احمد • نفح الطيب • ج٣ • ص ٤٨ ــ ١٤٩ •
٣ ــ م • س • ج١ • ص ١١٨ •

بأن «للمالكية في دمشق زاوية للتدريس في الجانب الغربي من مسجد دمشق ، يجتمع فيه طلبة المغاربة ولهم اجراء معلوم ... (١) »، فهذا مما يدلنا على اعتناء أهل دمشق بالمغاربة ، حتى في ميدان العلم ، فانهم قد خصوا لهم مكانا في المسجد الاموي ، تشريفا لقدرهم ومنحوهم ما منحوهم من جرايات ، تشجيعا لهم حتى لا يعوقهم عن تحصيل العلم عائق ، ولقد اندهش ابن جبير نفسه عندما رأى أهل دمشق يتغانون في حب المغاربة ، ويمنحونهم ميزات تدل على تعظيمهم اياهم ، واحترامهم لهم . فيخبرنا بأن علماء المغاربة الدماشقة يستقبلون في المدارس ليعلموا الطلبة، او في المساجد ليؤموا الناس، ويخبرنا بان الدماشقة احسنوا الظن بالمغاربة فسلموا اليهم كثيرا من الاعمال: «لانه قد علا لهم بهذا البلد صيت في الامانة ، وطار لهم فيها ذكر ... (٢) » ، ويذكر لنا ابن جبير كيف يتزاحم الناس على الصلاة خلف المغاربة . فقد شاهد جما غفيرا من الدمشقيين يتزاحمون على أبي جعفر القرطبي عند الصلاة ، «التماسا لبركته، واستماعا لحسن صوته (٣) ». وينصح ابن جبير المغاربة بقوله : « فان شاء الفلاح من نشأة مغربنا ، فليرحل الى هذه البلاد (يعني الشام) ويتغرب في طلب العلم ، فيجد الامور المعينة كثيرة ، وأولها فراغ البال من أمر المعيشة ... (٤) ».

وفي القرن السابع يزور أبو العباس الشريشي الاندلسي دمشق فتطوقه بجمال طبيعتها ، واحسان أهلها اليه ، واكرامهم اياه ، فيندفع — بعد مفارقتها — قائلا :

---

١ — ابن جبير ، محمد . رحلة ابن جبير . القاهرة . نشرة حسين نصار . ١٩٥٥ ص ٢٠٦ .
٢ — م٠ س٠ ص ٢٧٤
٣ — م٠ س٠ ص ٢٧٥
٤ — م٠ س٠ ص ٢٧٤ .

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر فان قلبي بنـــار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم مـــا لذّ للعين لا نوم ولا سهر
اذا تذكرت أوقاتا نأت ومضت بقربكم كادت الأحشاء تنفطر (١)

فهذا شعر رقيق الانغام ، منبعث مـن قلـب صدوق ، ونفس حساسة ، وعاطفة وهاجة ، صاحبه شخصية أحسن اليهـا فاعترفـت بالجميل ، وردت الكيل أكيالا ، وفي القرن نفسه يحل بدمشق عبـد الرحمن بن محمد بن عبد الملـك بـن سعيد الاندلسي فيقول فيهـا : « وملت الى حاضرة الشام (دمشق) والنفس بالسوء أمارة ، فهنـاك بعت الزيارة بالأوزار ... اذ هي كما قال أحد من عاينها :

أما دمشق فجنّات معجّلة للطالبين بها الولدان والحور (٢)

وفي القرن الثامن يزور ابن بطوطة دمشق فيندهش لما يراه من اكرام أهلها للمغاربة وحسن ظنهم بهم في أموالهم وأولادهم ، وحريمهم « وأهل دمشق يحسنون الظـن بالمغاربة . ويطمئنون اليهم بالاموال ، والأهلين ، والأولاد ... وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لابـد أن يتأتى له وجه من المعاش ، من امامة مسجد ، أو قراءة مدرسة ، أو ملازمة مسجد يجيء اليه فيه رزقه ، أو خدمة مشهد مـن المشاهـد المباركة أو يكون كجملة الصوفية ... أو حراسة بستان ، أو أمانـة طاحون أو كفالة صبيان يغدو معهم الـى التعليم ويروح . ومـن أراد طلب العلم او التفرغ للعبادة وجد الاعانة التامة على ذلك ... وكان رجل بدمشق فاضل متى سمع أن مغربيا وصل الى دمشق بحث عنـه وأضافه وأحسن اليه ، فان عرف منه الدين والفضل أمـره بملازمته .

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٣ . ص ١٥١ .
٢ ـ م. س. ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

وكان يلازمه منهم جماعة (١) ».

وكان أهل دمشق يعتقدون في المغاربة الولاية والصلاح ، ويحتفظون لهم بذكريات طيبة لما يرونه فيهم من دين وعفاف ، يتمثلان في محافظتهم على الصلوات وملازمتهم لتلاوة آي الذكر الحكيم ، وزيارة أضرحة الاولياء والصالحين . وكان المقري في مقدمة هؤلاء الاعفاء الدينيين المكثرين لزيارة الاولياء والصالحين ، حسبما يبدو لنا ذلك جليا في نصوص كتبه ، وفي بعض الذكريات المحفوظة لدى أصدقائه ومعاصريه ، ومن بين تلك الذكريات ما حدثنا به العياشي — على لسان الشيخ موز الدمشقي (٢) صديق ابي العباس المقري — قال العياشي : « لطيفة : اخبرني صاحب الترجمة (موز الدمشقي) أنه صحب الشيخ الفقيه الاديب البارع حافظ المغرب في زمانه ، سيدي أحمد المقري أيام اقامته بدمشق ، وكان يلازمه ويرافقه في تقلباته بها وزيارته ويحكي عنه أحوالا عجيبة . فمما حكى لي عنه أنه ذهب معه ذات يوم لزيارة قبر الشيخ محيي الدين بن العربي خارج المدينة . قال : وكان خروجنا بعد صلاة الصبح ، ووصلنا الى المزارة عند طلوع الشمس . فلما جلسنا عنده قال لي الشيخ المقري : اني ابتدأت عند خروجنا الى الزيارة ختمة من القرآن لروح هذا الشيخ ، وقد ختمتها الآن ، وهذا من غريب ما يحكى في هذه الازمنة (٣) ». فهذه وثيقة أمينة ، تشهد للمقري بطول باعه في الفقه وبراعة أدبه وتفوقه على أهل زمانه في الحفظ . كما توضح منزعه الديني وتصوفه السني واعتقاده الخير في أولياء الله ، حيثما وجدوا .

---

١ — ابن بطوطة ، محمد . تحفة النظار . القاهرة . مط. التقدم . ١٣٢٢ هـ. ص ٦٣ — ٦٤ .

٢ — لقيه العياشي بالمدينة المنورة سنة ١٠٧٢ هـ. (١٦٦٢م) .

٣ — العياشي ، عبدالله . الرحلة . ج٢ . ص ٨٦ .

وفي اوائل شوال من سنة ١٠٣٧ هـ (١) (اوائل جوان ١٦٢٨م) ودع المقري دمشق الأموية عائدا الى القاهرة المعزية ، بعد ما قضى بالاولى حوالي اربعين يوما (٢) كلها بهجة وسرور وذكريات قد بقيت على ممر الدهور .

ولم يطق على الفراق صبرا ، فأطلق لسانه المطواع ليترجم عما تكنه الحشا وتخفيه الصدور . وأرسلها أشعارا رقيقة ، تسيل الدموع وتدمي القلوب وتفتت الاكباد :

يا جيرة بانوا وأبقوا حسرة	تجري دموعي بعدهم وفق القضا
كم قلت اذ ودعتهم والأنس لا	ينسى وعهد. ودادهم لن يرفضا
يا موقف التوديع ان مدامعي	فضت وفاضت في ثرى ذاك الفضا (٣)

عودته الى مصر رابعا

وصل المقري الى مصر في اواخر شوال سنة ١٠٣٧ هـ (٤) (اواخر جوان ١٦٢٨م) عائدا من بلاد الشام التي بدلت خوفه أمنا وقنوطه رجاء ، وعوضته من التشاؤم تفاؤلا . ولكن هل عاد الى مصر مصحوبا بالامن والرجاء والتفاؤل ؟ ام تلك بضاعة شامية لا يسمح لها بمغادرة حدود الشام ؟ وهل نسي المقري الشام وسلا عن اهله ؟ ام بقي يحن الى قلبه الذي تركه به ؟

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج٩ . ص ٣٤٢ . وقد اخطأ صاحب خلاصة الاثر حيث جعل مغادرته لدمشق سنة ١٠٣٩ هـ (١٦٣٠م)

٢ ـ المحبي ، محمد . خلاصة الاثر . ج١ . ص ٢١١ ـ ٢١٢ .

٣ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج١ . ص ٩٥ .

٤ ـ تقدم انه خرج من الشام في اوائل شوال من نفس السنة . فينتج عن ذلك انه قضى عدة ايام في طريق عودته الى مصر . انظر نفح الطيب ، ج٩ . ص ٣٤٢ .

فهذا ما لا يستطيع الاجابة عنه الا المقري المكلوم ولا يحس بألم الجمرة سوى من وطئها : « وحين وصلت الى مصر لم أنس عهد الشام المرعى ، وأنشدت قول الشهاب الحنبلي الزرعي :

أحبتنـــا والله مذ غبت عنكم سهادي سميري والمدامع مدرار
ووالله مـا اخترت الفراق ، وانه برغمي ، ولي في ذلك الامر أعذار
اذا شام برق الشام طرفي تتابعت سحائب جفني والفؤاد بـــه نار
الا ليت شعري هل يعودنّ شملنا جميعاً وتحوينا[ا] ربوع وأقطار [1]

وبمجرد وصول المقري مصر شرع فـي تسويد كتابه «نفـح الطيب» ، وفاء لوعده ، وكتب منه نبذة ثم وقف به مركب العزم علـى تمامه ، وصدته اعراض عن المضي في تحبيره ، فتركه برهة ، حتى اتاه كتاب من لدن تلميذه أحمد بن شاهين يستنجزه فيه بما وعده به مـــن جمع أخبار لسان الدين ابن الخطيب وما يتصل بشخصيته ، فعـــاد المقري الى مشروعه وجد فيه ، حتى أكمله وأخرجه في الشكل الـذي هو عليه الآن ، وقد أكمل قبله بالقاهرة ــ أيضا ــ عدة كتب ، مثـل : «النفحات العنبرية في وصف نعل خير البرية» و«حسن الثنا في العفو عمن جنى » و «اضاءة الدجنة ، في عقائد أهل السنة ». التي درسها فـي مصر والاسكندرية ، ومكة ، والمدينة ، والقدس ، وغـزة ، والشام . وهـلم جـرا ...

وكان المقري ــ في هذه الفترة ــ ملازما لخدمة العلـم الشريف بالجامع الازهر . وعلـى اتصال مستمر بالشـام والمغربين : الاوسط والاقصى . فقد كانت ترد عليه من هنا وهناك رسائل ودية ، وأخرى

---

١ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج١ . ص ٩٨ ، ٩٩ .

علمية، فيرد عنها أو يبعث بما يماثلها، وكانت زيارة الدماشقة والمغاربة للمقري بمصر تروح قلبه وتطفيء لوعة شوقه الى القطرين المفضلين لديه • وممن زاره من الدماشقة ــ بعد عودته من الشام ــ المفتي العمادي ، ومن المغاربة محمد الدلائي عند ذهابه لاداء فريضة الحج • قال اليوسي : حدثني الرئيس الأجل أبو عبدالله محمد الحاج ابن محمد ابن ابي بكر الدلائي ــ رحمه الله ! ــ قال : لما نزلنا ــ في طلعتنا الى الحجاز ــ بمصر المحروسة ، خرج للقائنا الفقيه النبيه ابو العباس أحمد بن محمد المقري ، قال : وكنت أعرفه عند والدي لم يشب ، فوجدته د شاب••• » (١)• وقد ترك المقري بفاس زوجته وبنته وأهله وكتبه ، وظل قلبه معلقا بذلك الى أن لقي الله •

وكان أبو العباس كلما فرغ من تبييض أحد مؤلفاته بالمشرق بعث بها فورا الى أشياخه وتلامذته بالمغرب •

عودته الى دمشق ثانيا والى بيت المقدس ثالثا

ان جميع من تناول ترجمة المقري لم يشر الى عودته الى بيت المقدس مرة ثالثة • ونحن نثبت هذه العودة معتمدين على نص المقري الذي جاء ضمن رسالة بعث بها من مصر الى شيخه محمد الدلائي بالمغرب الاقصى في أواخر ربيع الاول سنة ١٠٤١ هـ (أواخر اكتوبر ١٦٣١م) جاء فيها : «••• ثم زرت بيت المقدس ثلاث مرات ومواطن الأنبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان بالشام كرات ، ثم عدت في هذا الوقت الى مصر بقصد الرحلة بالعيال الى الشام والله المسؤول

---

١ ــ اليوسي ، الحسن . المحاضرات . فاس. مط. حجرية . ١٣١٧ هـ. ص ٥٨ •

في تسيير الامر ورفع الأصر (١) ». أما فيما يخص ثبوت عودته الى الشام مرة ثانية فان لدينا ثلاثة أدلة :

الدليل الاول :

يستنتج من نص المقري المذكور اعلاه .

الدليل الثاني :

ما جاء في فهرس الفهارس للكتاني ـ نقلا عن الشيخ عبد الحق الحنبلي الدمشقي تلميذ المقري ـ ما نصه : «عزم (المقري) على سكنى الشام وذهب ليأتي بأهله من مصر ، ولم يبق الا أن يخرج منها ، فاخترمته المنية بمصر ودفن بتربة المجاورين سنة احدى وأربعين (وألف) (٢) ».

الدليل الثالث :

ما صرح به المحبي في « خلاصة الأثر » جاء فيها : «وعاد الى دمشق مرة ثانية في أواخر شعبان سنة أربعين ، وحصل له من الاكرام ما حصل في قدمته الاولى ، وحين فارقها أنشد قوله :

ان شام قلبي عنك بارق سلوة   يا شام كنت كمن يخون ويغدر
كم راحل عنها لفرط ضرورة   وعلى القرار بغيرها لا يقدر
متصاعد الزفرات مكلوم الحشا   والدمع من أجفانه ينحدر (٣)

---

١ ـ المقري ، احمد . رسالة المقري ، ٤٧١ ك . الخزانة العامة . المغرب الاقصى . الرباط . ٥١ . مخ .
٢ ـ الكتاني ، عبد لحي . فهرس الفهارس . ج٢ . ص ١٣ .
٣ ـ المحبي ، محمد . خلاصة الاثر . ج١ . ص ٣١١ .

عودته الى مصر خامسا واخيرا

ويبدو أنه عادمن الشام الى مصر فيأوائل سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١م) بدليل أنه يقول ــ في رسالته التي بعث بها في نفس السنة الى محمد الدلائي ــ : «ثم عدت في هذا الوقت الى مصر ...» .

ولعل زيارته الثالثة والأخيرة لبيت المقدس كانت ابان ذهابه الى الشـــام .

وأما الحرمان الشريفان ، فانه لم يعد اليهما منذ فراقه لهما سنـة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٨م) بدليل أنه يصرح في رسالته المتقدمة الذكر بمـا يلي : «حج الفقير مرارا خمسا ، وأضحى فـي بعض مجاورا وأمسى ، واستجلى من طيبة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام في سبع مرار بدرا وشمسا ، وجاور هنالك ... (١) ». فعـدد الحجات والزيارات الذي صرح به في هذه الرسالة المؤرخة في أواخر ربيـع الأول سنـة ١٠٤١ هـ (أواخر أكتوبر ١٦٣١م) لم يزد على العدد الذي قد أكمـله سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٨م) كما أنبأنا هو نفسه بذلك ، بيـد أنه قد كـان عازما على العودة الى بيت الله الحرام لولا المنية اخترمته . وهذا مـا صرح به في تأليفه « اعمال الذهن والفكر ... » الـذي كتبه سنـة ١٠٤١ هـ (١٠٣١م) وبعث به الى شيخه محمد الدلائي ، جاء في خاتمـة هذا التأليف : «... نسأل الله من بركاتكم أن ييسر علينـا جميـع الآراب ، وان يقينا شر الأعداء والأحزاب ، ويسكن هذا الاضطراب ، ويلطف بنا في هذا الاغتراب ، ويسهل علينا ما نحن بصدده من قصـد بيت الله الحرام ، وبلوغ المرام ، من أماكن الرسول ــ عليه الصـلاة

١ ــ المقري ، احمد . رسالة الى ابي بكر الدلائي (مجموعة). ٤٧١ ك. الخزانة العامة . المغرب الاقصى. الرباط. ٥٠ مخ.

والسلام ! ــ (١)» • وقد صرح المقري بأنه قد زار الاسكندرية ورشيد (٢) وألقى بهما عدة دروس ، بيد أنه لم يحدد لنا تاريخ الاسكندرية لهما • وقد ألف كتابه: «اتحاف المغرم المغرى، بتكميل شرح الصغرى» بثغر الاسكندرية سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٩م) حسبما صرح به في خاتمة الكتاب •

ولعله أتم هذا العمل اثر وصوله اليها من المغرب الأقصى ، أو عند مروره بها في حجته الاولى ؟

حظ المقري بمصر

لقد كنا حصرنا حديثنا عن حظ المقري بالمغرب في ثلاثة موارد رئيسية : استفادته العلمية ــ منزلته الاجتماعية ــ وحالته المادية •

وقد ارتأينا أن نسير على هذا النمط في حديثنا عن حظه بمصر •

ا ــ استفادته العلمية :

لقد كانت استفادته في مصر ضئيلة ، بالنسبة الى ما استفاده بفاس ، والسبب في ذلك أنه ذهب الى فاس كطالب علم ، وأتى الى مصر كعالم نحرير • بل أفاد في مصر أكثر بكثير مما استفاد هناك • ويبدو ذلك جليا في مظهرين اثنين :

أولهما : تلامذته الذين قد جلسوا اليه وأخذوا عنه علوما كثيرة في شتى الفنون وأجازهم فيها •

ثانيهما : مؤلفاته العديدة التي ألفها هناك ، وتناول فيها أشياء كثيرة

---

١ ــ الحوات ، سليمان . البدور الضاوية (اعمال الذهن والفكر..) ٢٦١ . الخزانة العامة. المغرب الاقصى. الرباط. ورقة ٧١. مخ •

٢ ــ رشيد ــ بفتح أوله وكسر ثانيه ــ : بلدة على ساحلي البحر والنيل ، قرب الاسكندرية.

لم تكن لعلماء مصر في الحسبان ، مثلما تناوله في كتابيه : « فتح المتعال » و «نفح الطيب» وان التفاف طلبة الأزهر الشريف عليه ــ بمجرد وصوله الى مصر ــ لدليل واضح على مقدرته العلمية التي أتى بها من المغرب ، قال الغنيمي : «... واستبشرنا ما أنفاس معارفه بعود دروس قد درست فيما هنالك ، وبه حيي الوجود ، ومات كل جاهل حسود ، فدعونا الله ــ سبحانه وتعالى ــ بأن يديم اقامته بهذه الديار (المصرية) لنفع الطلبة بل والعلماء الأبرار ... (١) ».

ب ــ منزلته الاجتماعية :

يمكننا أن ننظر الى منزلة المقري في مصر نظرتين اثنتين من خلال فترتين اثنتين ، بالنسبة الى سعادته أو تعاسته .

الفترة الاولى : قد كانت بردا وسلاما على قلبه اذ وجد خلالها صدرا رحبا ولسانا شاكرا ومعاملة طيبة ، رغبته في البقاء بين ظهران المصريين والقاء عصا التسيار في بلادهم . ولعل احسانهم له هو الذي دفع به أن يصهر اليهم ويمتزج بأشرف أسرة فيهم ، ثم يشيد بذكرهم وينوه باحسانهم : « فلما وصلت الى مصر المحروسة من البوائق ، عاقتني عن السفر العوائق ، فأقمت فيها برهة من الزمان ، اقامة من لم ينس معاهده التي التحف فيها رداء الأمان ، وشاهدت محاسن كثيرة من أهلها ما ينظم في لبة الدهر نظم الجمان ، اذ هي قبة الدنيا الحائزة المفاخر بلا ثنيا ، ولبة العليا المتقلدة من المآثر حليا ، وباب بيت المقدس والحرمين ، بغير ريب ولا مين :

بلادحوت شتى المحاسن وانبرت (٢) بأزهارها تزهو وتسمو (٣) بوسمها

---

١ ــ المقري ، احمد. فتح المتعال (رسالة الغنيمي) . ورقة ١٧١ .
٢ ــ وانبرت : في بعض النسخ « واغتدت ».
٣ ــ تزهو وتسمو : في بعض النسخ «المعمور تزهو..».

ألسنة الحسدة بالبهتان المحرق للأفئدة ، وأوهمني الدهر الكالح ، المشوم الجالح انه لي ناصح ، اغرار أبان لي ان في الحركة بركة وان في الاغتراب ، امتاعا بحلاوة الاقتراب ، وأن بدوام المقام ، يتحقق الانتقام ، ووسع الخيال ، وضيق المجال ، وجري المقدور ، ونجز المحذور ، و « وانا لله وانا اليه راجعون » • من حديثة قصمت مني الظهر ، وهدت العمر ، وأضعفت الجلد ، وضاعفت الكمد ••• (١) »• فشماتة الحساد ، وقلة الناصر والمعين ، وكثرة البهتان والافتراء ، كل ذلك قد دفع بالمقري الى ملازمة التجلد والتمسك بالصبر والتظاهر بالمداراة والتملق لمن لا يتقى شره • ولم يستطع المقري أن يكتم عنا ندمه على الغربة وحسرته على مفارقة وطنه وأهله ، مثلما كتم عنا نوع الكارثة التي قصمت ظهره ، وهدت عمره ، وأضعفت جسمه ، وزادت في همه وحزنه •

المصدر الثاني :

« رسالة » كتبها المقري الى شيخه ابن ابي بكر الدلائي في أواخر ربيع الاول سنة ١٠٤١ هـ (أواخر اكتوبر ١٦٣١م) • جاء فيها : «••• والدهر ذو ألوان ولبعض أفعاله على غيرها هوان ، في امراره واحلائه ••• وأما الحال في الحل والترحال ، فقد لبست من الصبر أحسن بزة ، كبير ورقة حالة وفراق أحبه أعزة ، محن لو أن أقلها يرمي به جبل لهزه ــ اللهم غفرا ، وشكرا لا كفرا ! ــ (٢) »• وهل هناك تصوير أدق من هذا النص ؟! حقا لقد عرف المقري كيف يمزج شكواه

---

١ ــ المقري، احمد، حسن الثناء في العفو عمن جنى، القاهرة ، مط. حجرية، لا. ت، ص ٢ ــ ٥

٢ ــ المقري، احمد، رسالة (مجموعة)، ٤٧١ ك، الخزانة العامة، المغرب الاقصى، الرباط، ورقة ٤٨، مخ.

بشجاعة الأبطال وعزة الأحرار ، وكيف يتمسك بالصبر الجميل ، ورجاء العقلاء المؤمنين .

المصدر الثالث :

كتاب « نفح الطيب » . لمؤلفه أحمد المقري ، فرغ من تأليفه في آخر ذي الحجة سنة ١٠٣٩ هـ (٩ أوت ١٦٣٠م) . وهذا الكتاب مشحون بنصوص التشكي وفقرات التذمر والتوجع تقتصر على ذكر ما يلي كنموذج :

« ... فكم من عدو منهم في ثياب صديق ، وحسود لنظره الى نعم الله على عباده تحديق ، لا تخدعه المداراة ، ولا تردعه المماراة ، يتتبع العثرات ، ويقنع بألم البثرات ، ويتبسم ، وقلبه من الغل يتقسم، ويتودد ومكايده تجدد فتتعدد :

لا ترم من مماذق الود خيراً   فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما   ءِ ولكن تحت الحباب الحباب
عظمت في النفاق ألسنة القو   م وفي الألسن العذاب العذاب

... وليت شعري علام يحسد من أبدل الاغتراب شارته ، وأضعف الاضطراب اشارته وأنهل بالدموع أنواءه ، وقلل أضواءه ، وكثر علله وأد واءه ، وغير ــ عند التأمل ــ رواءه ، وثنى عن المأمول عنانه ، وأرهف بالخمول سنانه ، حتى قدح الذكر حنانه ، وملأ الفكر جأشه وجنانه ، فهو في ميدان النزوح مستبق ، ومن راحة التعب مصطبح ومغتبق :

له انّة المشتاق في كل ساعه   تمر وما للشاكلات من الحزن
ومن مرسلات الدمع واقعة الأسى   ومن عادية البين قارعة السن

تثير الذكرى منه كوامن الشجون ، وتدير عليه جام الهيام ولـو كان بين الصفا والحجون :

وتحت ضلوع المستهام كآبة يخاف على الأحشاء منها التفطر
ولو أن أحشاء تبوح بما حوت لتمتلئنّ الأرض كتبها وأسطر

وشتان ما بين الاقتراب ، والاغتراب ، والسكون في الركـون والنبو عنهـا والاضطراب ؛ فـذاك تسهل ـ غالبا ـ فيـه الاغراض والمـآرب ؛ وهذا تتعفر فيه المقاصد وتتكدر المشارب :

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز ولكن أرى تحصيلها بالدنيّة
وان طاوعتني رقة الحال مرّة أبت فعلها أخلاق نفس أبيّة

وكما قلت عندما صرت الى الاغتراب وأل :

تركت رسوم عزي في بلادي وصرت بمصر منسي الرسوم
ورضت النفس بالتجريد هذا وقلت لها عن العلياء صومي
مخافة أن أرى بالحرص ممن يكون زمانه أحد الخصوم (١)

واذا لم يأت المقري بشيء جديد في هذا النص ، فقد أجاد فـي تصوير مشاعره وأحاسيسـه ، كما سلك سبيل الاطناب في تعـداد أحزانـه وآلامه التي كان يقاسيها من جراء الحسـد الفتاك والاغتراب المشؤوم ، وحسبه أن المصريين قـد كادوا لـه كيدا ، ونصبوا لـه حبائل المكـر ومصائد الغدر ، وكفروا بجميله ، وجحدوا ما يستحقـه من تبجيل واحترام ، .. وقد جعل الحسـد والاغتراب قطبي المـدار

---

١ ـ المقري، احمد، نفح الطيب، ج ١، ص ٧٨ ـ ٨٠.

لنصوص تذمره وشكواه ، في جميع كتبه التي تناول فيها الحديث عن همومه وتعاسته .

المصدر الرابع :

كتاب «ريحانة الألبا» لأحمد الخفاجي ، كان معاصرا للمقري ، جاء فيه : «.. ولما رأى (المقري) ما بمصر من الحسد والنفاق وتجارة الأدب ليس لها بسوقها انفاق ، ولم يرض بالكساد ومسابقة الحصير للجواد ، ارتحل للشام ذات العماد ..» (١) . فالخفاجي يعلل ارتحال المقري عن مصر الى الشام بحسد المصريين ونفاقهم وكساد سوق الأدب هناك ، وهذا ما صرح به المقري نفسه ، غير أن عبارات الخفاجي أشد لذعا من عبارات المقري ، التي يبدو عليها مسحة من اللين واللباقة وتفويض الأمور لله .

المصدر الخامس :

كتاب «خلاصة الأثر» لمؤلفه محمد المحبي ، وهو المصدر الرئيسي لجميع من تناول الكلام عن المقري بعده . جاء فيه : «وقد سئل (المقري) عن حظه بها (٢) فقال : قد دخلها قبلنا ابن الحاجب وأنشد فيها قوله :

يا أهل مصر وجدت أيديكم ... في بذلها بالسخاء منقبضه
لما عدمت القرى بأرضكم ... أكلت كتبي كأنني أرضه (٣)

فالمحبي يقف موقفا حياديا ، و لايتجاوز سرد أقوال غيره ، فهو يأبى التحليل والتعليل وما ينتج عنهما ، بل يجتنب الخوض فيما

---

١ ــ الخفاجي، أحمد. ريحانة الالبا. ص ٢٨٥.
٢ ــ بها : الضمير يعود على مصر.
٣ ــ المحبي، محمد. خلاصة الاثر . ج ١. ص ٢٠٤ .

ألسنة الحسدة بالبهتان المحرق للأفئدة ، وأوهمني الدهر الكالح ، المشئوم الجانح انه لي ناصح ، اغرار أبان لي أن في الحركة بركة وأن في الاغتراب ، امتاعا بحلاوة الاقتراب ، وأن بدوام المقام ، يتحقق الانتقام ، ووسع الخيال ، وضيق المجال ، وجري المقدور ، وتنجز المحذور ، و « انا لله وانا اليه راجعون » . من حديثة قصمت مني الظهر ، وهدت العمر ، وأضعفت الجلد ، وضاعفت الكمد ... (١) » .

فتآلف الحساد ، وقلة الناصر والمعين ، وكثرة البهتان والافتراء ، كل ذلك قد دفع بالمقري الى ملازمة التجلد والتمسك بالصبر والتظاهر بالمداراة والتملق لمن لا يتقى شره . ولم يستطع المقري أن يكتم عنا نفسه على الغربة وحسرته على مفارقة وطنه وأهله ، مثلما كتم عنا نوع الكارثة التي قصمت ظهره ، وهدت عمره ، وأضعفت جسمه ، وزادت في همه وحزنه .

المصدر الثاني :

« رسالة » كتبها المقري الى شيخه ابن ابي بكر الدلائي في أواخر ربيع الاول سنة ١٠٤١ هـ (أواخر اكتوبر ١٦٣١م) . جاء فيها : «... والدهر ذو ألوان وليعض أعماله على غيرها هوان ، في امراره واحلائه ... وأما الحال في الحل والترحال ، فقد لبست من الصبر أحسن بزة ، كبير ورقة حالة وفراق أحبه أعزة ، محن لو أن أقلها يرمي به جبل لهزه — اللهم غفرا ، وشكرا لا كفرا ! — (٢) » . وهل هناك تصوير أدق من هذا النص !؟ حقا لقد عرف المقري كيف يمزج شكواه

---

١ — المقري، احمد، حسن الثناء في العفو عمن جنى، القاهرة ، مط. حجرية، لا. ت.، ص ٢ — ٥

٢ — المقري، احمد، رسالة (مجموعة)، ٤٧١ ك، الخزانة العامة، المغرب الاقصى، الرباط، ورقة ٤٨، مخ.

بشجاعة الأبطال وعزة الأحرار ، وكيف يتمسك بالصبر الجميل ، ورجاء العقلاء المؤمنين •

المصدر الثالث :

كتاب « نفح الطيب » • لمؤلفه أحمد المقري ، فرغ من تأليفه في آخر ذي الحجة سنة ١٠٣٩ هـ (٩ أوت ١٦٣٠م) • وهذا الكتاب مشحون بنصوص التشكي وفقرات التذمر والتوجع نقتصر على ذكر ما يلي كنموذج :

« ••• فكم من عدو منهم في ثياب صديق ، وحسود لنظره الى نعم الله على عباده تحديق ، لا تخدعه المداراة ، ولا تردعه المماراة ، يتتبع العثرات ، ويقنع بألم البثرات ، ويتبسم ، وقلبه من الغل يتقسم، ويتودد ومكايده تجدد فتتعدد :

لا ترم من مماذق الود خيراً — فبعيد من السراب الشراب

رونق كالحباب يعلو على الما — ءِ ولكن تحت الحباب الحباب

عظمت في النفاق ألسنة القو — م وفي الألسن العذاب العذاب

••• وليت شعري علام يحسد من أبدل الاغتراب شارته ، وأضعف الاضطراب اشارته وأنهل بالدموع أنواءه ، وقلل أضواءه ، وكثر عله وأد واءه ، وغير — عند التأمل — رواءه ، وثنى عن المأمول عنانه ، وأرهف بالخمول سنانه ، حتى قدح الذكر حنانه ، وملأ الفكر جاشه وجنانه ، فهو في ميدان النزوح مستبق ، ومن راحة التعب مصطبح ومغتبق :

له انة المشتاق في كل ساعه — تمر وما للشاكلات من الحزن

ومن مرسلات الدمع واقعة الأسى — ومن عادية البين قارعة السن

ليس لـه به علم ، ورغم ذلك فقد أفادنا أن المقري كان يشكـو عوزا وفقرا ، وأن المصريين كانوا شحاحا في نظره ونظر ابن الحاجب .

حالتـه المادية :

اذا كان المقري ـ بفاس ـ في حالة يسر ورغد عيش ؛ فقد أصبح ـ بمصر ـ في حياة عسيرة وعيش ضنك : «وقد تقطعت بـي الاسباب ، وعز الالتجاء الى الباب ، وعوز دني المآكـل ورث الثياب ، وطال علـي المطـال ، بالوحدة والانعزال ، وتوالت علي العبـرة بمواقف الـذل والانتظار ، ومواقع الفاقة ورثاثة الأطمـار ، وما دروا أن ذلك فخر لا عار : «رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبـو عنهما أعين الناس . لو أقسم على الـله لأبـره» (١) .

يا من بدائع حسن صورتـه تثنى اليه أعنّة الحـدق
لي منك دون الناس كلهم نظر وتسنيم على الطرق(٢)

غذاء قليل ، وثياب بالية ، ووحدانيـة موحشـة ، وذل متوال ، وانتظار طويل ، انها لكوارث خمس تحالفت على ابي العباس ، لتمزق بزة صبره وتحطم جدار معنوياته ، بيد أنـه استطاع ـ بفضل ايمانه الراسخ ، وسلاح علمـه المتين ـ أن يبقى امام هذه الكوارث ثابتا على مبدئه الشريف ، فلا يسر بطيه ، ولا عسر يجنح بـه الى دروب اليأس ومزالق القنوط ، فهـو كالذهب الخالص ، لا تزيـده النار الا صفاء ورواء . والمقري يعلل عوزه وحوجه بمـا اتصف بـه المصريون ، من قبض اليد والمبالغة في الامسـاك ؛ ولذلك نجده ـ عندما سـئل عـن حظه بمصر ـ أنشد بيتي ابن الحاجب المتقدمي الذكر .

---

١ ـ هذا حديث شريف ، رواه الحاكم في مستدركه وابو نعيم في حليته . (السيوطي عبد الرحمن، الجامع الصغير في احاديث البشير النذير، القاهرة، دارالكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م، ص ١٦١)

٢ ـ المقري، احمد، حسن الثنا، ص ٥.

ولعل السبب الرئيسي لفقره انه لم يكن موظفا بمصر ، مثلما كان موظفا بفاس ، واذا نظرنا الى ذوي الرحلات من المغاربة والاندلسيين ، نجد أبا العباس قد رأف بالمصريين ، وسلك سبيل التغاضي عن العيوب التي دونها أولئك الرحالة في رحلاتهم أو مذكراتهم (١) • وليس معنى هذا أن المقري لم يطلع على ما دونه المغاربة الذين قد زاروا مصر قبله ، ورأوا طبيعة البلاد ، ووزنوا أخلاق العباد ، بل هو أكثر أهل عصره اطلاعا على أخبار الماضين وأشدهم تقصيا لحوادث الحاضرين • قال اليوسي : «كان (المقري) أيام مقامه بمصر قد أتخذ رجلا عنده بنفقته وكسوته وما يحتاج اليه ، على أن يكون كلما أصبح ذهب يقتري البلاد : أسواقا ورحابا وأزقة ، وكلما رأى أو سمع يقصه عليه بالليل» (٢) • فاذا ثبت هذا

---

١ ـ انظر : ١ ـ ابو الصلت، امية. الرسالة المصرية. القاهرة. مط. لجنة التاليف والترجمة ١٩٥١م.
٢ ـ ابن جبير، محمد. رحلة ابن جبير. القاهرة. نشرة حسين نصار ١٩٥٥م.
٣ ـ العبدري، محمد. رحلة العبدري. ٢٢٨٥. المك. الاهلية فرنسا. باريس. مخ.
٤ ـ ابن سعيد ، علي . نفح الطيب . ج ٢ . ص ١٠٣
٥ ـ االبلوى، خالد. تاج المفرق. ١٥٦٦. المك. الوطنية. الجزائر. مخ.
٦ ـ ابن بطوطة ، محمد. رحلة ابن بطوطة. بيروت. مط. صادر. ١٩٦٠م.
٧ ـ الورثلاني ، الحسين. نزهة النظار . الجزائر. مط. فونتانا ١٩٠٨ م.
١٣١٦ هـ.
٩ ـ بيرم، محمد. صفوة الاعتبار. القاهرة ١٣٠٢ ـ ١٣٠٣هـ
١٠ ـ الحصري، ابراهيم. زهر الآداب. القاهرة. مط. السعادة. ١٩٥٣م. ج ١. ص ٤٠٣.
٢ ـ اليوسي، الحسن. كتاب المحاضرات. ص ٥٨

النص وتحقق مدلوله ، علمنا مدى معرفة المقري بمـا يجري ــ يومياً ــ بمصر ، واستنتجنا من ذلك أنه يحب مصر وتحبه . ولـولا ذلك لمـا مكث بها ثلاثة عشر عاما ويزيد ، رغم ما كان يقاسيه من كيد الحسـدة وعناد المتعنتين ، ولولا حبـه لمصر لمـا جعلها نقطة انطلاق لزيـارات الأراضي المقدسة ولمـا حرر فيها جل مؤلفاته القيمة التي بها عرفنا قدر شخصيته الفذة . وكيف لا يحب مصر التي يقول فيهـا جده أبو عبد اللـه محمد المقري الكبير عندما سئل عنها بعد مقدمه من الحج : «من لم يرها لم يعرف عز الاسلام ؟ ! » (١) .

ولم يكن حساد المقري ــ بمصر ــ من فئة العلم الراسخ والحق المبين ، بل كانوا من طبقة أنصاف المثقفين ، الذين قد تمسكوا بقشور العلم الظاهر ، ولم يؤتـوا من لدن الله علمـا . وهذا ما دفع بهم أن يعترضوا عليه ، كلمـا أفادهم شيئا لم يكن لهم في الحسبان ، معتقدين أن مـا جاءهم بـه شيء مشكوك في صحته ، لأنهم لم يطلعوا عليه قبـل أن يفوه بـه .

وكل من كان حديد الفهم أنكره عليـه أهل الوهم
بقولهم : بذاك لم يقل أحد واستغربوا عليه ما يعطى الأحد

وهذا ما تـراه جليا في انكار أحدهم عليه قوله : انه قد جمع ــ بالمغرب ــ أكثر من مائـة قافية في مدح نعال خير البرية : «ثم انـي لمـا ذكرت ذلك القدر (أي مائة قافية) شممت من بعض الناس رائحـة الاستغراب ، وفهمت من حاله الظاهرة الاعراب ، أن ضميره على حرف مبني ، واستفهامه دال على الانكار الذي هو بـه معنى ، اذ قال : هل يمكن بعض هذا العدد بمـا يصدق عليه جموع الكثرة المستقلة ؛وهذا صاحب «المواهب اللدنية» ــ على جلالته وحفظه ــ لم يأت من ذلـك المنقول في «المثال» من القصائد الا بجمع القلة ، فسكت عـن الجواب

---

١ ــ ابن خلدون، عبد الرحمن. التعريف بابن خلدون. ص ٢٧٤ .

ورأيت الاعراض عين الصواب ..» (١) . وهذا الانكار هو الذي دفع بالمقري الى تأليف كتابيه : «النفحات العنبرية ، في وصف نعل خير البرية» و «فتح المتعال ، في مدح النعال» . ليحقق قوله بفعله . وهذا شأن الرجال الصرحاء في أقوالهم والعلماء العاملين في ثباتهم . وقد وجد المقري – بين علماء مصر – من صدقه في قوله ووقف بجانبه وشجعه على هذا العمل ، ليدحض حجة المعترض ويبطل قول من أنكر عليه ما جاء به : «فقال لي بعض من صحت منه السريرة ، وأضحت عين العمل والعمل به قريره : لا بأس أن تجمع في هذا الغرض المعترض ما يسمح له الوقت الحاضر ، وتقر بثوابه طرف من سكن منزل الاخلاص قلبه وثوي به كيما يثمر غصنه الناظر ، بمجلسه عند من حمل الكلام على غير محمله – الحجة على المعترض المناوي والمناظر ..» (٢) . ولعل هذا النص يؤكد لنا أن المقري قد كان له أصدقاء بمصر مثلما كان له أعداء . ومن هؤلاء الأصدقاء : أحمد بن محمد الغنيمي ، والقاضي عبد الكريم أفندي ، ومفتي المالكية الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الصديقي ، وغيرهم .

وكان يصف – من أنكر عليه رسمه لأشكال نعال الرسول – بالجهل والبلادة : «وقد بلغني عن بعض الأغمار ، ممن هو كمثل الحمار ، أنه أنكر تصويري الأمثلة الشريفة ، ذات الظلال الوريفة ، قائلا : كيف تنهون عن الصور وأنتم تفعلونها ؟ فقلت لمن بلغني عنه ذلك : قل له وأنتم لم تتكلمون على غير وجه السؤال في الأمور التي تجهلونها ؟ اذ ليس هذا من تلك الصور ، لافي ورد ولا صدد . وقد أخبرني الحاكي أن هذا المعترض ليس من أهل الانصاف المتجلين

---

١ – المقري، احمد. فتح المتعال. ورقة ٤

٢ – م. س. ورقة ٤

ليس لـه به علم ، ورغم ذلك فقد أفادنا أن المقري كان يشكـو عوزا وفقرا ، وأن المصريين كانوا شحاحا في نظره ونظر ابن الحاجب .

حالتـه المادية :

اذا كان المقري ــ بفاس ــ في حالة يسر ورغد عيش ، فقد أصبح ــ بمصر ــ في حياة عسيرة وعيش ضنك : «وقد تقطعت بـي الاسباب ، وعز الالتجاء الى الباب ، وعوز دني المآكـل ورث الثياب ، وطال علـي المطـال ، بالوحدة والانعزال ، وتوالت علي العبـرة بمواقف الـذل والانتظار ، ومواقع الفاقة ورثاثة الأطمـار ، وما دروا أن ذلك فخر لا عار : «رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبـو عنهما أعين الناس . لو أقسم على اللـه لأبـره» (١) .

يا من بدائع حسن صورتـه تثنى اليه أعنّة الحـدق
لي منك دون الناس كلهم نظر وتسنيم على الطرق(٢)

غذاء قليل ، وثياب بالية ، ووحدانيـة موحشـة ، وذل متوال ، وانتظار طويل ، انها لكوارث خمس تحالفت على ابي العباس ، لتمزق بزة صبره وتحطم جدار معنوياته ، بيد أنـه استطاع ــ بفضل ايمانه الراسخ ، وسلاح علمـه المتين ــ أن يبقى امام هذه الكوارث ثابتا على مبدئه الشريف ، فلا يسر يطغيه ، ولا عسر يجنح بـه الى دروب اليأس ومزالق القنوط ، فهـو كالذهب الخالص ، لا تزيـده النار الا صفاء ورواء . والمقري يعلل عوزه وحوجه بمـا اتصف بـه المصريون ، من قبض اليد والمبالغة في الامساك ، ولذلك نجده ــ عندما سئل عـن حظه بمصر ــ أنشد بيتي ابن الحاجب المتقدمي الذكر .

---

١ ــ هذا حديث شريف ، رواه الحاكم في مستدركه وابو نعيم في حليته . (السيوطي عبد الرحمن. الجامع الصغير في احـاديث البشير النذير. القاهرة. دارالكاتب العربي للطباعة والنشر. ١٩٦٧م. ص ١٦١)

٢ ــ المقري، احمد. حسن الثنا. ص ٥.

ولعل السبب الرئيسي لفقره انه لم يكن موظفا بمصر ، مثلما كان موظفا بفاس ، واذا نظرنا الى ذوي الرحلات من المغاربة والاندلسيين ، نجد أبا العباس قد رأف بالمصريين ، وسلك سبيل التغاضي عن العيوب التي دونها أولئك الرحالة في رحلاتهم أو مذكراتهم (١) • وليس معنى هذا أن المقري لم يطلع على ما دونه المغاربة الذين قد زاروا مصر قبله ، ورأوا طبيعة البلاد ، ووزنوا أخلاق العباد ، بل هو أكثر أهل عصره اطلاعا على أخبار الماضين وأشدهم تقصيا لحوادث الحاضرين • قال اليوسي : «كان (المقري) أيام مقامه بمصر قد أتخذ رجلا عنده بنفقته وكسوته وما يحتاج اليه ، على أن يكون كلما أصبح ذهب يقتري البلاد : أسواقا ورحابا وأزقة ، وكلما رأى أو سمع يقصه عليه بالليل» (٢) • فاذا ثبت هذا

---

١ ــ انظر : ١ ــ ابو الصلت، امية. الرسالة المصرية. القاهرة. مط. لجنة التاليف والترجمة ١٩٥١م.

٢ ــ ابن جبير، محمد. رحلة ابن جبير. القاهرة. نشرة حسين نصار ١٩٥٥م.

٣ ــ العبدري، محمد. رحلة العبدري. ٢٢٨٥. المك. الاهلية فرنسا. باريس. مخ.

٤ ــ ابن سعيد ، علي . نفح الطيب . ج ٣ . ص ١٠٣

٥ ــ االبلوى، خالد. تاج المفرق. ١٥٦٦. المك. الوطنية. الجزائر. مخ.

٦ ــ ابن بطوطة ، محمد. رحلة ابن بطوطة. بيروت. مط. صادر. ١٩٦٠م.

٧ ــ الورثلاني ، الحسين. نزهة النظار . الجزائر. مط. فونتانا ١٩٠٨ م.

١٣١٦ هـ.

٩ ــ بيرم، محمد. صفوة الاعتبار. القاهرة ١٣٠٢ ــ ١٣٠٣هـ

١٠ ــ الحصري، ابراهيم. زهر الآداب. القاهرة. مط. السعادة. ١٩٥٣م. ج ١. ص ٤٠٣.

٢ ــ اليوسي، الحسن. كتاب المحاضرات. ص ٥٨

بأحسن الأوصاف ، بل هو ممن طبع الله بأنكار الحق على قلبه ، فكفاني ذلك المجاراة معه في ايراد الحق واظهار وجهه وجلبه ، ونعوذ بالله من محو الانصاف وسلبه ! وليت شعري ما جواب هذا الحاسد الغمر ، القاطع في فري أعراض الناس جملة من العمر ؟ !» (١) •ولهجة المقري تبدو في هذا النص شديدة الوقع ، لاذعة العبارة • وهذه ظاهرة لم نعهدها في نصوص شكواه التي توج بها كتابيه : «نفح الطيب» و «حسني الثنا ••» ، والتي يبدو فيها نادما ناقما وشاكيا ، ثم مسالما ومسلما • ولعل هذه الظاهرة تعود الى سببين اثنين :

أحدهما : حبه الشديد للرسول الكريم ، وهو الذي دفع به أن يتخذ كل وسيلة ليقتص من أي شخص كان ، أراد أن يقف فيطريق تعظيم الرسول ، ثم أن هذا المعترض لم يكن على علم بحكم الله في قضية التصوير ، بصفة عامة ، بله تصوير نعال الرسول • فكيف ـ اذن ـ سولت له نفسه ان يتدخل في أمر ديني وهو يجهل حكم الله فيه ؟ ! ولعل ذلك هو الذي أغضب المقري ففاه بما فاه به ،لأنه فقيه ، ومن واجب الفقهاء أن يغاروا على الدين ، ويلجموا أفواه المتقولين •

ثانيهما : شعوره بأن هناك من يعاضده من علماء مصر وينتصر له، ومن بين هؤلاء المعاضدين الرجل الذي أتاه بنبأ من أنكر عليه تصوير المثال الشريف • وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا أن حسد المصريين للمقري قد بدأ شرره منذ وطئت أقدامه أرض مصر ، بيد أنه لم يشتعل أواره الا بعد عودته من رحلته الاولى الى الشام ، كما تقدم تفصيل ذلك • وقد علل الأستاذ محمد عبد الله عنان متاعب عيش المقري بكساد سوق العلم والأدب في المجتمع القاهري الذي فقد

---

١ ـ المقري، احمد. فتح المتعال. ورقة ٤٧ .

تحت النير التركي بهاءه وسعته ورخاءه ... (١) ونحن لا نطمئن الى هذا التعليل ، مـا دام المقري لم يشك الفاقة والحسد عندما زار البلدان الأخرى التي كانت تحت حكم الاتراك ، مثل مصر . ولا نطمئـن الى ذلك ايضا مـا دام كثير من الرحالة المغاربة قد زاروا مصر قبـل أن ينالها الحكم التركي ، ولم يثنوا على مجتمعها آنذاك .

طلاقه لزوجته وعزمه على ارتحاله الى الشام

لم نعثر على نص صريح للمقري يذكر فيه نبأ تطليق زوجتهالوفائية بعد عودته من الشام ، وانمـا قد نص على هذا النبأ شخصان من كتاب التراجم الذين كان عصرهم قريبا من عصره .

أولهما : محمد المحبي في كتابه «خلاصة الأثر» . جاء فيـه : «ودخل مصر (بعد عوده من الشام) واستقر بها مدة يسيرة ، ثم طلق زوجته الوفائية وأراد العودة الى دمشق للتوطن بهـا ، ففاجأة الحمام قبل نيل المرام ..» (٢) . والمحبي أول من أشـار الـى قضيـة انطـــلاق .

ثانيهما : محمد الصغير اليفراني في كتابه : «صفوة ما انتشر» . جاء فيـه : «ثم انه طلق زوجته ، لأمـر اقتضى ذلك ، فغضب لذلك أهلها ، وامتعض لهم أهل مصر وصرموا حباله ، فكتب صاحب الترجمة لطلبة فاس يخبرهم بذلك وهو يقول : لمـا طلقتها لم يبـق في مصر أحد يسلم علي ، الا رجل حداد ، أو كمـال قال ،؟» (٣) . ورغـم ما

---

١ ــ عنان، محمد عبدالله. تراجم اسلامية شرقية اندلسية. ص ٢٤٩

٢ ــ المحبي، محمد. خلاصة الاثر. ج ١ . ص ٣١٢

٣ ــ اليفراني، محمد الصغير . الصفوة. ص ٧٣

جاء في هذين النصين ، فلسنا جازمين بنبأ هذا الطلاق ، وذلك لعـدة أسـباب .

أولها : عدم عثورنا على نص صريح للمقري يثبت ذلك وما ذكـره اليفراني مشكوك في صحته ، لكونه يبدو أنه نقله من أفواه النـاس ، والدليل على ذلك تعقيبه على هذا النبأ بقوله : «أو كما قال؟» .

ثانيهما : قول المقري — في رسالة بعث بها الـى شيخه محمـد الدلائي أواخر ربيع الاول سنة ١٠٤١ هـ (أواخر أكتوبـر ١٦٣١ م) : «.. ثم عدت في هذا الوقت الى مصر ، بقصد الرحلة بالعيال الى الشام، والله المسؤول في تيسير الأمر ، ورفـع الاصرا» (١) . فمن خلال هذا النص يتضح لنـا أن زوجة المقري مـا زالت في عصمته يوم تحريـره رسالته الى شيخه المذكور ، لأن لفظة «العيال» — هنا — لا تدل علـى غير الزوجة ، لا سيمـا أن المقري الغريب لم يكن لـه من العيال فـي مصر سوى زوجته الوفائية . ولعل هذه الرسالة كانت آخر رسائله الى المغرب ، لأنه لم يعش بعدها سوى شهر واحد وبضعة أيام ، كما سيأتي بيان ذلك عند كلامنا عن وفاته .

ثالثها : قول تلميذه الشيخ عبد الباقي الحنبلي الدمشقي — فـي «ثبتـه» : «.. عزم (المقري) على سكنى الشام ، وذهب ليأتي بأهله من مصر ، ولم يبـق الا أن يخرج منها ، فاخترمته المنيـة بمصر ، ودفـن بتربة المجاورين سنة احدى وأربعين» (٢) . فلـم يشر الحنبلي — في نصـه هذا — الى نبأ الطلاق ، بل آكد لنـا أن شيخه المقري ذهـب من دمشق الى مصر ، ليأتي بزوجته ، ولكن المنيـة لم تمهله حتى يتـم

---

١ — المقري، احمد . رسالة (مجموعة). ٤٧١ ك. الخزانة العامة. المغرب الاقصى. الرباط. ورقة ٤٨. مخ.

٢ — الكتاني، عبدالحي. فهرس الفهارس. ج٢. ص ١٣ .

مراده ، والحنبلي أولى بالتصديق فيما جاء بـه ، لأنـه اقرب الناس الى المقري عصرا ومودة ، من اليفراني والمحبي ومن جاء بعدهمـا من الكتاب المعاصرين الذين اعتمدوا عليهما في نقلهم لنبأ الطلاق • ونذكر مـن هؤلاء المعاصرين سبعة كتاب •

أولهم : ابراهيم المراكشي ، فقد نقل عنهما هذا النبأ بدون أن يتبع نقلـه بتعليق (١) •

ثانيهم : عبد الوهاب بن منصور ، ويبدو أنه اقتصر في نقله علـى المحبي ، ولم يتبع نقله بتعليق ـ أيضا ـ (٢) •

ثالثهم : علي أدهم ، فقد نقل هذا الخبر عن المحبي ، ولم يعلـق ـ عليه ـ كذلك ـ (٣) •

رابعهم : محمد عبد الله عنان • فقد نقل هذا الخبر عـن المحبي ، وعلق عليه بقوله : «وكان المقري منذ عوده من دمشق قد طلق زوجتـه الوفائية ، ووضع بذلك حدا لتلك الحياة الزوجية الكـدرة» • ويقول في مكان آخر : (•• وتزوج (المقري) سيدة مصرية من سيدات الأسرة الوفائية ، ولكنه لم يكن زواجا موفقا وقد فصمت عراه ••• بعد أعوام من الحياة الزوجية الكدرة» (٤) •

ولم ندر ما الذي حمل الأستاذ عنان على هذا التكهن المشؤوم ؟ !

---

١ ـ المراكشي ، ابراهيم . الاعلام • ج: ٢ • ص: ١٠٦ •
٢ ـ ابن منصور ، عبد الوهاب. مقدمة (روضة الاس) • ص: يط.
٣ ـ ادهم، علي. المقري. مجلة الثقافة، ٦٢ (يناير ١٩٥١) ٨ ـ ١١
ـ بعض مؤرخي الاسلام . ص: ١٤١ ـ ١٤٩ •
٤ ـ عنان ، محمد عبدالله . تراجم اسلامية شرقية اندلسية •
ص : ٢٤٨ ، ٢٤٩ •

ثم ما الذي دفع به نأ يفوه بمثل هذه العبارات النابية اللاذعة ، التي تتنافى مع البحث العلمي وواقع الحياة الزوجية للمقري ؟!؟! اذ كيف يمكن لنا أن نصف زواجا دام أكثر من ثلاثة عشر عاما بالكدورة وعدم التوفيق ، من غير ان نعتمد على وثيقة أمينة من أحد الطرفين تثبت لنا ذلك ؟ ! .

خامسهم : الحبيب الجنحاني ، وقد نقل هذا النبأ عن المحبي واليفراني . ولم يكتف بالنقل ، بل راح يعلق بقوله : «والذي شجع المقري على الطلاق — فيما يظهر — موت ابنته التي كانت السبب الوحيد الذي يصل بينه وبين الوفائية» (١) .

ونحن لا نستطيع أن نجاري الأستاذ الجنحاني في رأيه هذا ، ما دام عاجزا عن الاجابة عن هذا السؤال : اذا كانت البنت هي السبب الوحيد الذي يربط بين المقري وبين زوجته ، فلماذا لم يطلقها قبل ولادة هذه البنت ؟ ثم لماذا بقيت هذه الزوجة في عصمة زوجها مدة ثلاث سنوات بعد وفاة ابنتها ، هذا اذا ثبت طلاقها الذي نحن ما زلنا شاكين فيه .

ثم يعلل الجنحاني عزم المقري على مغادرته مصر الى دمشق ،بوفاة ابنته وفراق زوجته (٢) ، وفي نظرنا أن هذا التعليل لا حظ له من الصحة ، بدليل أن المقري قد عاد من دمشق الى مصر بقصد الذهاب بزوجته من هنا الى هناك ، حسبما صرح بذلك هو نفسه وكذلك تلميذه عبد الباقي الحنبلي في النصوص المثبتة أعلاه .

سادسهم : عثمان الكعاك ، ويبدو أنه اقتصر في نقل هذا النبأ على

---

١ — الجنحاني ، الحبيب . المقري صاحب ، النفح . ص : ٥٦ .
٢ — م. س. ص: ٥٧

نص المحبي ، غير أنــه قد علل هذا الطلاق بامتناع الزوجة عن الرحيل مع زوجها الى دمشق (١) • ويمكن أن يكون لهذا التعليل نصيب مــن الصحة ، اذا ثبت الطلاق •

سابعهم : محمد عبد الغني حسن • وقد اعتمد في نقله لهذا النبأ على المحبي والجنحاني وعبد الله عنان وعلي أدهم (٢) وقد كان معتدلا في تحليل عبارات من نقل عنهم ، وموفقا في تعليل اتجاهاتهم ، بيد أنــه قد أرجع جميع مــا ترتب عن الطلاق الى سوء حظ المقري في المصاهرة، كمــا اتفق مع عنان والجنحاني في عدم التوفيق في هذا الزواج : ويدعم رأيه بقوله : «على أن طول مدة الزواج قد لا يعني السعادة فيه والتوفيق معه ، بل قد يعني الصبر من أحد الجانبين ــ أو منهما معــا ــ علــى معاناته •••» (٣) • غير أنه لم يستطع أن يرشدنا الــى مــا يدل على معاناة الزوجين أو صبرهما • ثم تنزلق بــه عاطفته الوطنية ، عندما يقرأ في كتاب الجنحاني هذه العبارة : «وبلغ الأمر الى درجة أن المقري لــم يبق في القاهرة من يسلم عليه ، الا رجل حداد ، كمــا أخبــر طلبته بالقرويين» (٤) • فيقول : «ولا نحسب أن هذه العبارة وقعت في كتاب وقع للأستاذ الحبيب ولم يكن من حظنا ــ هنــا في مصر ــ أن نقع عليه ، ونظن هذه العبارة هي من مبالغات المؤلف (الجنحاني) ، وهــو يصور لنــا سخط المجتمع القاهري على طريقته» (٥) • ولم يدر الاستاذ عبد الغني أن المبالغة قد وقعت منه • وأنه قد وقع في خطأ من حيث لا يشعر ، لأن العبارة التي ذكرها الأستاذ الجنحاني ليست من بنات أفكاره،

---

١ ــ الكعاك ، عثمان . المقري . ص• ٢٣ •
٢ ــ حسن ، محمد عبد الغني . المقري صاحب نفح الطيب . ص: ٣٣ ــ ٣٥ •
٣ ــ م• س• ص: ٤٠
٤ ــ الجنحاني ، الحبيب . المقري صاحب نفح الطيب. ص: ٥٤ •
٥ ــ حسن، محمد عبد الغني . المقري صاحب نفح الطيب. ص ٣٦

وانمـا نقلها عن اليفراني في كتابـه «صفوة مـا انتشر» (١) حسبما أثبتناها ضمن النص الثاني الذي جاء في المصدرين اللذين تحدثـا عن طلاق المقري لزوجته الوفائية • وليس كل كتاب لم يعثـر عليه الاسـتاذ عبد الغني في مصر ، يعد عديم الوجود • نعم كان من واجب الأسـتاذ الجنحاني أن يرشد القاريء الى المصدر الذي نقل منه تلك العبارةحتى يكون على بينة ممـا لـه وما ليس لـه ، حسبما يقتضي ذلك منهـج البحث وأمانة العلم ، ولكن الجنحاني أدمج العبارة في غضون كلامـه دون أن يفعل ذلـك •

وقد أخطأ الأستاذ محمد عبد الغني ــ مرة أخرى ــ عندما اعتقد أن المقري قد أنشد : «تركت رسوم عزي في بلادي •••» الى آخـر الأبيات الثلاثة • بعد حادثة تطليقه زوجته (٢) • ولم يـدر أنـه قد أنشدها قبل أن يفكر في الطلاق ــ ان صح هـذا الطـلاق ــ بست سنوات ، بدليل أنها موجودة في كتابه (فتح المتعـال) (٣) الذي ألفـه سنة ١٠٣٣ هـ (١٦٢٤ م) كمـا هي موجودة في (نفح الطيب) (٤)الذي شرع في تأليفه اثر عودته من زيارته الأولى للشام • فهذه الايـات لا علاقة لهـا بحادثة الطلاق البتة ، لأن الدافع الى انشادها عدم اعتراف بعض علماء مصر بعلومه الغزيرة ، ونكرانهم لقوة حفظه وسرعة ادراكه ، وجحودهم لمـا جاء بـه من الأشياء التي لم تكن لهم في الحسبان •

وهذا شيء محقق لا ريب فيه ، حسبما صرح بذلك المقـري نفسه وتلميذه الحنبلي فيما تقدم من نصوصهما •

---

١ ــ اليفراني ، محمد الصغير . الصفوة. ص: ٧٢ وما بعدها .
٢ ــ حسن، محمد عبد الغني. المقري صاحب نفح الطيب. ص: ٤٢
٣ ــ المقري ، احمد . فتح المتعال ، ورقة : ١٥٧ .
٤ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب ، ج: ١، ص: ٨٠ .

وفاته ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ – ١٦٣١م)

لا بد للباحث في وفيات الأشخاص أن يتحدث عن زمان الوفاة ومكانها وسببها • وعلى هذا المنوال سنتابع حديثنا عن وفاة أبي العباس – رحمة الله عليه ! – •

أ – زمان وفاته : لم يكن زمان وفاة المقري غامضا مثل غموض ولادته ، ولكن الذين ترجموه وكتبوا عنه لم يتفقوا على رأي واحد ، ليريحونا من مشكلة الخلاف • فقد جزم الأكثر منهم بوفاته سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ – ١٦٣١ م) • نذكر منهم : تلامذته الثلاث :

١ – عبد الباقي الحنبلي :

اذ يقول «•• فاخترمته المنية بمصر ، ودفن بتربة المجاورين (١) سنة احدى وأربعين» (٢) •

٢ – محمد بن احمد ميارة :

فقد أرخ وفاته بلفظة : «شام» في الشطر الاخير من هذا البيت :

« وجامع أشتات العلوم بأسرها   وذا أحمد المقري (شام) لمنزل(٣)»

---

١ – قال العياشي : (وسمي هذا المكان تربة المجاورين ، لانه قريب من الجامع الازهر ، وبه يدفن غالب اهله والمجاورين له ، بل الاماكن القريبة من الجامع كلها تسمى «حارة المجاورين» اذ لا يسكنها – في الغالب الا العلماء والغرباء والفقراء ...» . (الرحلة • ج: ١ ص: ١٣١)

٢ – الكتاني ، عبد الحي . الفهرس • ج: ٢ • ص: ١٢ •

٣ – ميارة ، محمد . الدرالثمين ، والمورد المعين، في شرح المرشد المعين . القاهرة . مط. الحلبي • ١٣٠٦ هـ• ج: ١ • ص: ٤١ – ٤٢

فالشين تعد بألف ، والألف بواحد ، والميم بأربعين ، حسبما اصطلح عليه المغاربة في حساب الجمل ، فكلمة «شام» — اذن — تساوي ١٠٤١ وهي السنة التي توفي فيها المقري .

٢ — ابراهيم بن محمد الأكرمي :

فقد أرخ وفاته بكلمة «خاتم» في الشطر الأخير من هذا البيت :

« قد ختم الفضل به فأرخوه خاتم » (١)

فالخاء تعد بستمائة ، والألف بواحد ، والتاء بأربعمائة ، والميم بأربعين . فجملة حروف «خاتم» تساوي ١٠٤١ ، بحساب الجمل على طريقة المشارقة ، لأن الأكرمي مشرقي ، كما أن ميارة مغربي . وكل منهما اقتفي طريقة علماء قطرة .

وقد ذهب مذهب هؤلاء التلامذة المحبي ، حيث يقول : «وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين وألف» (٢) ، ثم عزز قوله بيت الأكرمي المتقدم الذكر .

وقد اتفق مع هؤلاء — أيضا — محمد الطيب القادري ، في كتابه: «نشر المثاني ...» (٣) ، والشيخ محمد المسناوي في كتابه : «جهد المقل القاصر ، في نصرة الشيخ سيدي عبد القادر» ، والحافظ المرتضي الزبيدي في كتابه : «شرح ألفيه السند» ، وعبد الحي الكتاني في كتابه : «فهرس الفهارس» (٤) ، وغيرهم ..

---

١ — المحبي ، محمد . خلاصة الاثر . ج: ١ . ص: ٣١٢ .
٢ — م. س. ج: ١ ص: ٣١٢
٣ — القادري ، محمد الطيب . نشر المثاني . ج: ١ . ص: ١٥٧
٤ — الكتاني ، عبد الحي . فهرس الفهارس . ج: ٢ . ص: ١٣ .

وقد وجدنا في أول صفحة لاحدى المخطوات المشتملة على أرجوزة «اضاءة الدجنة ، في عقائد أهل السنة» ، لمؤلفها أحمد المقري ، ما نصه : «توفي المقري — رحمه الله تعالى ! — لست بقين من جمادى الأولى سنة احدى وأربعين وألف ودفن في صبيحة يوم السبت بالتربة الأندلسية بمصر المحروسة ، وذلك بعد رجوعه من الشام» (١) • وانفرد صاحب «ايضاح المكنون ••» (٢) بوفاته سنة ١٠٤٣ هـ (١٦٣٤ — ١٦٣٣ م) • وذكر ابن معصوم (٣) أنه توفي سنة ١٠٤٦ هـ (١٦٣٧ — ١٦٣٦ م) • وأورد الغدامسي في مقدمة شرحه ، لـ «اضاءة الدجنة ••» ثلاثة أقوال في وفاته ، وهي : هل توفي سنة ١٠٤٠ هـ (١٦٣١ — ١٦٣٥م) أو سنة ١٠٤٦ هـ (١٦٣٧ — ١٦٣٦ م) أو سنة ١٠٤٧ هـ (١٦٣٨ — ١٦٣٧ م) (٤) • وذكر ابن الأعمش في شرحه لـ «اضاءة الدجنة ••» أنه توفي في عشر الخمسين بعد الالف (٥) •

وفي فهارس الكتب لخزانة القرويين بفاس أنه توفي سنة ١٠٤٥ هـ (١٦٣٦ — ١٦٣٥ م) (٤) • ورجح نور الدين عبد القادر أن تكون وفاته سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤١ — ١٦٤٠ م) (٥) • ونحن نميل الى رواية تلامذته

---

١ — المقري ، احمد . اضاءة الدجنة . ٥١٨ . مكتبة طلعت . دار الكتب القاهرة . ورقة : ١ . مخ .

٢ — باشا ، اسماعيل . ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون تركيا . مطبعة اسطنبول ، ١٩٤٥ . ج: ١ ص: ٢٠ — ٥٨٨ .

٣ — ابن معصوم ، على . سلافة العصر ، في محاسن الشعر لكل مصر . القاهرة : مطبعة مصرية . ١٣٣٤ هـ ص: ٥٨٩

٤ — الغدامسي ، محمد. مقدمة «شرح اضاءة الدجنة» . ٢٠٤٧ . مكتبة جامع الزيتونة . تونس . مخ .

٥ — عليش ، محمد . مقدة «شرح اضاءة الدجنة» . ص: ٣

٦ — فهارس مكتبة خزانة القرويين . فاس. مطبعة حجرية. ص: ٦٥

٧ — عبد القادر ، نور الدين صفحات في تاريخ مدينة الجزائر . قسنطينة . مطبعة البعث . ١٩٦٥م م ص: ٢٤١ ، ٢٤٢ .

ومن سار على سنتهم • وحجتنا ــ في ذلك ــ ترتكز على ثلاثة أدلة :

أولها : أن تلامذته أحق بالتصديق فيما أنبأونا به ، لأنهم جادون في استقطار أخبار شيخهم ، وتقصي حركاته وسكناته ، أينما كان وحيثما وجد • ولولا ذلك ما ضبط الأكرمي وميارة تاريخ وفاته بالبيتين المتقدمين من الشعر • ولم يرو ما بذلك سوى حفظ تاريخ وفاة شيخهما على ممر العصور •

ثانيها : أن أخبار المقري قد انقطعت منذ سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م)• فآخر خبر عنه علمنا به ، رسالته التي بعث بها الى شيخه محمدالدلائي أواخر ربيع الأول سنة ١٠٤١ هـ (أواخر أكتوبر ١٦٣١ م) •

ثالثها : أن جميع من خالف رواية تلامذته ، لم يكونوا معاصرين للمقري ، بل أتوا بعد عصره ، كما أنهم لم يشيروا ــ قط ــ الى المظان التي نقلوا عنها رواياتهم • وقبل أن نغلق القوس لحديثنا عن زمان الوفاة ، نود أن نفض مشكلة قد تسبب في ايجادها ثلاثة أساتذة معاصرين لنا ، عثمان الكعاك ، والحبيب الجنحاني ، ونور الدين عبد القادر •

والمشكلة تتبلور في سوء فهمهم لبيت المقري :

(وكان اقامي له في القاهرة)   وفيه تاريخ حلاه الظاهره

وهو آخر بيت لنظم أرجوزته : «اضاءة الدجنة ••» • فقد اتفقوا على أن لفظة «الظاهرة» ــ في الشطر الاخير من البيت ــ يراد بها تاريخ اتمام نظم الأرجوزة بحساب الحروف الجملية على طريقة المشارقة • ثم اتفق الجنحاني (١) مع نور الدين عبد القادر (٢) على أن

١ ــ الجنحاني ، الحبيب . المقري صاحب نفح الطيب . ص: ٩٥
٢ ــ عبد القادر ، نور الدين . صفحات في تاريخ مدينة الجزائر . ص: ٢٤١ ــ ٢٤٢ .

لفظة «الظاهرة» تساوي ١٠٤٢ ، وهذا الرقم بعينه هو تاريخ اتمام الأرجوزة • وقد شذ عنهما صاحبهما الكعاك ، فحذف من لفظة «الظاهرة» الألف الأولى والهاء الثانية ، ليبقى العدد ١٠٣٦ ، وهو تاريخ اتمام المنظومة • وقد جوز حذف الحروف المكررة في حساب الجمل ، حسبما صرح بذلك (١) • وهذا يعد جناية على القواعد العلمية واعتداء على مدلولات الحروف الجملية • ويبدو أن الجنحاني قد نقل هذه الفكرة عن محمد الغدامسي شارح «اضاءة الدجنة» وعن الجنحاني قد نقل صاحباه : الكعاك ، ونور الدين عبد القادر • وعلى ضوء ما تقدم اصبح الجنحاني يشك في وفاة المقري سنة ١٠٤١ هـ (٢) (١٦٣٢ — ١٦٣١ م) ، وراح نور الدين عبد القادر يغلط جميع كتب التراجم التي جعلت وفاته في هذه السنة (٣) •

ولم يدر هؤلاء الاساتذة أنهم قد أخطأوا في تاريخ اتمام الأرجوزة وهذا الخطأ قد جاء من سوء فهمهم لمدلول لفظة «الظاهرة» التي لا علاقة لها بالتاريخ المذكور تماما • وانما الشطر الأول من البيت : — «وكان اتمامي له بالقاهرة» — هو المقصود بتاريخ اتمام الأرجوزة بحساب الجمل على طريقة المغاربة ، لأن المقري مغربي • فـ (الواو) تساوي (٦) والكاف ٢٠ والألف ١ ، و النون ٥٠ ، والالف ١ ، والتاء ٤٠٠ ، والميم ٤٠ ، والالف ١ ، والميم ٤٠ ، والياء ١٠ ، واللام ٣٠ ، والهاء ٥ ، والفاء ٨٠ ، والياء ١٠ ، والالف ١ ، واللام ٣٠ ، والقاف ١٠٠ ، والالف ١ ، والهاء ٥ ، والراء ٢٠٠ ، والهاء ٥ •

ومجموع هذه الأرقام يساوي (١٠٣٦) وذلك نفس السنة التي أتم فيها المقري نظم أرجوزته • ولدينا عدة أدلة على ما أثبتناه :

---

١ — الكعاك ، عثمان . المقري . ص: ٤٤ •
٢ — الجنحاني ، الحبيب . المقري صاحب نفح الطيب. ص: ٩٥ •
٣ — نور الدين ، عبد القادر . صفحات في تاريخ مدينة الجزائر • ص: ٢٤١ ، ٢٤٢ •

أحدها : سياق الكلام في البيت • فالضمير من لفظة «فيه» في الشطر الثاني يعود على الشطر الأول الذي يحتوي على اتمام تاريخ الأرجوزة •

ثانيها : تصريح المقري نفسه في تعاليقه على هوامش احدى النسخ لمنظومته «اضاءة الدجنة» • وقد رأى العياشي هذه النسخة بتعاليقها عند الشيخ عبد القادر بن الشيخ الغصين لما مر العياشي بـ «غزة» في طريقه الى الحرمين الشريفين سنة ١٠٧٣ هـ (١٦٦٣ م) • قال العياشي: «ولنذكر بعض ما رأيته مكتوبا في هوامشها بخط المؤلف (المقري) ، تبركا به ، وزيادة للافادة فمن ذلك قوله ••• وقولي : «وكان اتمامي له في القاهرة» هو جملة التاريخ لأن عدة حروفه بالجمل ١٠٣٦ • قاله وكتبه مؤلفه أحمد المقري» (١) •

ثالثها : اجازة المقري لابن شاهين في الأرجوزة نفسها سنة ١٠٣٧هـ (١٦٢٨ م) : «ولما قرأ علي (ابن شاهين) عقيدتي المسماة بـ «اضاءة الدجنة ، في عقائد أهل السنة» ، سألني أن أجيزه فيها وفي غيرها ، فكتبت له بما نصه ••» (٢) •

رابعها : رسالة الشيخ عبد الكريم الفكون مفتي قسنطينة التي بعث بها الى المقري سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٩م) يستأذنه في شرح منظومته « اضاءة الدجنة » جاء في تلك الرسالة : « وظننا ـ حققه الله تعالى ! ـ أن نجعل على منظومتكم الكلامية ـ يعني « اضاءة الدجنة ••• » ـ تقييدا ، ارجو من الله توفيقا وتسديدا !••• (٣) »•

---

١ ـ العياشي ، عبدالله ، الرحلة ، ج: ٢ ، ص: ٣٠٧ .
٢ ـ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج: ٢ ، ص: ٨٠ .
٣ ـ م٠ س٠ ج: ٢ ، ص: ٢٢٩ .

خامسها : ان المقري قد أقرأ هذه المنظومة بمكة والمدينة اللتين لم يعد اليها بعد سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٧م) • كما أقرأها – أيضا – في هذه السنة بالقدس وغزة ودمشق ، حسبما صرح بذلك هو نفسه : « وقد كتبها غالب طلبة مكة لما قرأتها هناك ، وأهل بيت المقدس لما قرأتها به – أيضا – وأهل دمشق حين درستها بها ••• ودرستها بمكة ، وبيت المقدس ودمشق ومصر والاسكندرية ورشيد وغزة •• (١)» •

فهذه الادلة تؤكد خطأ الجنحاني وصاحبيه : الكعاك ونور الدين عبد القادر ، وحتى خطأ الغدامسي فيما ذهب اليه في شرحه لأرجوزة « اضاءة الدجنة •••» •

ب – مكان وفاته

لقد اتفق جل من ترجم أبا العباس أنه توفي في القاهرة ودفن بمقبرة المجاورين ، غير ان هناك بعض الافراد لم يشملهم هذا الاتفاق ، نذكر منهم ثلاثة أشخاص ، حسبما بلغنا •

أحدهم : اليفراني ، فقد رجح وفاته بدمشق الشام (٢) •

ثانيهم : محمد بن عبد الرحمن بن زكرياء الفاسي ، فقد ذهب في كتابه «الاسانيد الضالية» بوفاته الى دمشق أيضا (٣) •

ثالثهم : المختار بن الاعمش فقد ذكر انه أنبيء بوفاته بالحرم الشريف (٤) •

---

١ – المقري ، احمد . رسالة (مجموعة) ٤٧١ ك. الخزانة العامة . الرباط . ورقة: ٤٨ . مخ.

٢ – اليفراني ، محمد الصغير . الصفوة . ص: ٤٢ .

٣ – الكتاني، عبد الحي. فهرس الفهارس. ج: ٢ . ص: ١٢ – ١٥

٤ – عليش ، محمد . شرح اضاءة الدجنة . ص: ٢ .

ان جميع من ترجم أبا العباس يرون أنه مات موتا طبيعيا ما عدا اثنين منهم ، حسبما بلغنا ٠

أولهما : اليفراني ، فقد ذكر أنه مات مسموما بدمشق (١) — كما سبق — ولم يبين السبب من أجله سقي سما فمات ٠

ثانيهما : المختار بن الاعمش ، فقد أنبأنا بأنه قد مات مسموما بالحرم الشريف ، وبين لنا السبب في النص التالي من قوله : «وحكي لي عن بعض معاصريه — ان لم آكن سمعته منه — ان ميزاب الرحمة من الكعبة الشرفة — شرفها الله تعالى ! — انهدم فبني مرات ، ولم يتماسك ، بل كلما بني انهدم ، فأعيا ذلك السلطان ، فاستفتى علماء الاسلام عن سر ذلك ، فلم يجد أحدا يفتيه ، الا الناظم (المقري) فأفتاه بأنه لا يتماسك الا اذا بني بالحلال ، ولا حلال اليوم الا صداق الحرة ، فبناه به فتماسك ، فأمر السلطان باشخاصه اليه ، فدس اليه بعض الحسدة سما في فاكهة فمات ، وأظنه في عشر الخمسين بعد الالف ٠ والله أعلم بصحته» (١) ٠

والصحيح أنه قد مات موتا طبيعيا أبيض بمصر القاهرة ، وتم دفن جثته في مقبرة المجاورين ٠ وهذا ما اتفق عليه جل من ترجمه ، وأكده الكثيرون من الذين تناولوا الحديث عن شخصيته ٠ وانفراد ثلاثة أشخاص بخبر يعد شاذا ومشكوكا فيه ٠ والشاذ لا يعول عليه ، كما لا يوثق بالمشكوك فيه ، ما دام الجمهور يقولون بما يخالف ذلك ٠

وهكذا انتهت حياة المقري الشاقة ، وانتقلت روحه الى الملاء الأعلى بعد ما ترك آماله في وطنه المفدى ، وقلبه في دمشق المحبوبة ،

---

١ — اليفراني ، محمد الصغير ، الصفوة ، ص: ٤٣
٢ — طيش ، محمد ، مقدمة «شرح اضاءة الدجنة» ص: ٣

وجئته في مصر القاهرة ، ولسان حاله يردد :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيّته بأرض فليس يموت في أرض سواها

الباب الثاني

ثقافته

الفصل الاول

عناصر ثقافته ومظاهرها

**بيئته الوراثية ـ بيئته الاجتماعية ـ بيئته الجغرافية ـ شيوخه
موارد دراسته ـ تدريسه ـ تلامذته ـ اجازاته ـ
مؤلفاته ـ شخصيته العلمية ـ شخصيته الادبية ـ
منزلته لدى علماء عصره**

لا بد لكل شخصية مثقفة من عناصر تستمد منها ثقافتها ، ومظاهر تظهر فيها بعد هذا الاستمداد . وتلك العناصر تتمثل في بيئات المثقف الثلاث : الوراثية والاجتماعية ، والجغرافية ، وفي شيوخه ومـــواد دراسته . أمـا المظاهـر فتتبلور فـي تدريسه ، وتلامذته واجازاته ، ومؤلفاتــه .

عناصر ثقافته

ـ ١ ـ

البينــات الثـلاث

أ ـ بيئته الوراثية :

اذا كان للوراثة تأثير عظيم في نشأة الانسان وتطور شخصيته ، من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية ، فان ابا العباس لم يشذ عن جنس الانسان ، بل قد انتقلت الى شخصيته بعض صفات أجداده عرب قريش ، فأثرت في سلوكه عن طريق الوراثة المباشرة أو غير المباشرة . وأبرز صفات العرب ، الاعجاب بالنفس ، والاعتداد بالشخصية ، والحرص على الحرية ، والمحافظة على الكرامة والتحفظ بالعرق ، والاباء ، والسخاء ، والشجاعة والكرم ، والغيرة على المرأة والجار ، والفصاحة في اللسان ، والقوة في البيان واتقاد الذاكرة ، وسرعة الفهم ، ودقة الحافظة . وعندهم المثل الاعلى في الاخلاق هو المروءة ، وهي لفظة تنطوي تحتها ـ في عرفهم ـ كل الصفات الكريمة . فاذا كانت هذه الصفات من أخلاق العرب فليس بمستنكر أن يكون المقري قد ورث بعضها عن أسلافه عرب قريش ، الذين هم أشرف قبائل العرب على الاطلاق . وليس بدعا أن يصبح أبو العباس « حافظ المغرب ، جاحظ البيان ، ومن لم ير نظيره في جودة القريحة ، وصفاء الذهن وقوة البديهة ... (١) » . وليس عجبا أن تنتقل الى شخصيته

---

١ ـ المحبي ، محمد . خلاصة الاثر ج: ١ ص: ٣٠٢

بعض صفات جده المقري الكبير ، شيخ لسان الدين ابن الخطيب ، وحامل لواء العلم والمعرفة في عصره ، فيصبح جذوة من مقباس الجد ، وشعلة من شهاب الأرومة . ويغدو مصداقا للحديث الشريف :

« الناسُ مَعَادِنُ والعِرْقُ دَسّاسٌ ، وأدَبُ السُّوءِ كعِرقِ السُّوءِ ».(١)

ب ـ بيئته الاجتماعية :

لقد اجتاز المقري ثلاث مراحل اجتماعية ، بين ثلاثة أقطار اسلامية .

المرحلة الاولى :

بالقطر الجزائري في مسقط رأسه تلمسان ، حيث قضى فترة طفولته وشطرا من شبابه بين أحضان أسرته التي كانت تتمتع هناك بالعلم والمعرفة ، وتحظى بالسمعة والجاه ، وحيث كان بعيدا عن مشاغب الحياة ومثبطات العزائم ، متنقلا في رياض المعارف ، كالنحلة من زهرة الى زهرة ، متفرغا لاستيعاب الدروس ، متلذذا بزلال العلوم التي يغترفها من أفواه رجال ثقات ، فيما يقولون وما يفعلون ، ولا سيما مربيه الأوحد وشيخه المبجل : عمه أبو عثمان سعيد المقري .

حقا كانت بيئة ابي العباس ـ بتلمسان ـ منوطة بسياج الثقافة والسرور آناء الليل وأطراف النهار . فالعيش ـ هناك ـ ميسر ، والعلم متوفر ، والخواطر هادئة ، والضمائر مطمئنة : «... فآها على ذلك العصر ما أبهاه وأجمله ، وأتمه وأكمله ! عصر يكاد يكلمنا فيه الجماد ، وتروينا الثماد ، وتحيينا العشيات والبكر ، ولا تنتابنا التعلات ولا الفكر ، فان سألنا فمنه في الحقيقة ، وان صرحنا أو كنينا فنعني حماه وعقيقه ... (١) ». وقد نال المقري الحظ الاوفر من بيئته

---

١ ـ السيوطي ، عبد الرحمن ، الجامع الصغير ، ص: ٣٢٢ .
٢ ـ المقري ، احمد ، ازهار الرياض ، ج: ١ ص : ١٠ .

الاجتماعية في مسقط رأسه ، من حيث تكوين شخصيته وزرع بذور الثقافة في خلده ، لتبقى غذاء له طوال حياته •

المرحلة الثانية :

بالمغرب الاقصى ، حيث قضى فترة كهولته فـي مجتمع مكتض بالمعارف المفيدة والتجارب الناجعة ، التي أخذ منها مـا تيسر لـه أن يأخذه ، وعندما بلغت ثقافته أشدها أسندت اليه مهام الامامة والخطابة والفتوى وغيرها • وقد بدأكابوس التشاؤم يتسلل الى قلب المقـري ويؤثر في نفسه منذ أخذت الاضطرابات السياسية في ازدياد بالمغرب الاقصى ، وأصبحت رؤوس الفتن ناتئة هناك • ولعل هذا التشاؤم هو الذي جنح به الى تقصي أخبار الماضين المنكوبين ، مثل لسان الديـن ابن الخطيب ، الذي زوده ثقافة وعبرة في آن واحد •

المرحلة الثالثة :

بالمشرق العربي ، بين مصر والحجـاز والشام وبيت المقـدس ، ورغم أن البيئة الاجتماعية كانت بمصر هادئة بعض الهدوء بالنسبة الى المغرب ، فان المقري لم يجد هناك ما يغذي فكره ويزيـد فـي ثقافته ، حتى يصبح أقرب الى التفاؤل منه الى التشاؤم ، الذي جنح به الـى سبيل الخمول والانعزال • واذا لم يزدد ثقافـة في مصر فقـد ازداد تجارب واطلاعا على أخلاق المصريين وعوائدهم ، وعرف عـدة أشياء لـم تكن لـه في الحسبان •

وأما أهل دمشق فقـد كرموه وعظموه ، وعرفوا قدره الرفيع ، ونوهوا بذكره وأشادوا بعلمـه وأنزلوه مقاما محمودا فـي بلادهـم وقلوبهم • وفتحوا له باب التفاؤل على مصرعيه ومن أجـله عقــدوا

الاجتماعات العلمية والمطارحات الادبية ، حتى غدا قرير العين ، راضي الضمير متأثرا بالمجتمع الدمشقي في الحل والترحال •

وهكذا كانت بيئة المقري الاجتماعية هادئة الطائر فـي تلمسان ، مضطربة الجناح في المغرب الاقصى ، مطوقة بالخمول والانعزال بمصر ، محاطة بسياج السعادة وأهـداب الآداب وبحـر المعارف فـي دمشق الشام ، وقد أثرت هذه البيئة ـــ بمراحلها الثلاث ومختلف مؤثراتها ـــ في شخصية المقري الثقافية ، فخلقت منه رجلا ذا ارادة جبارة وصبـر جميل ، وعزم صارم ، وعلم متين ، وأدب رقيق •

ج ـ بيئته الجغرافية :

لم يتزو المقري في كسر بيته ويترك الامور للمصادفات تعبث بهـا كيفما شاءت ، بل كان جوابا للآفاق ، لا تفتر عزيمته ولا تنام عصاه ، فجل العالم العربي مسرحه العربي مسرحه ومأواه •

ولعل توحيد اللغة والثقافة اللتين كانتا تربطان بين أسقاع العالم العربي بروابط معنوية قوية وتعملان على الدوام ، من أجل تقـارب الأفكار ، وتجارب النفوس ، هو الذي يفسر لنا سهولة انتقال المقري من قطر الى قطر ، ومن بلد الى آخر ، ولد فـي تلمسان الجدار ، ذات الحدائق الغناء ، والاشجار الملتفة ، والظلال الوريفة ، والنسيم العليل ، والهواء الطلق ، والمياه العذبة ، وهناك استبدل ثنايا اللبن وقطع شطرا من شبابه الثمين ، بين أحضـان تلـك الطبيعة التـي أرهفت شعوره وشحذت قريحته ، وأطلقت لسانه ، فـراح يتغنى بأسجاعه المعسولـة وأشعاره الرقيقة ، التي أوحى بها اليـه جمال طبيعة بلـده المحبوب • وكما تأثر بطبيعة بلاده ، تأثر ـــ أيضا ـــ بطبيعة المغرب ومصر والحجاز وبيت المقدس والشام وهلم جرا ••• ونسج لكـل منها أسجاعا ساحرة

وأنشد أشعارا جذابة . ولعل أصدق دليل على ذلك ما صرح به في مقدمات كتبه ، ولا سيما مقدمة « أزهار الرياض » و «نفح الطيب » و «فتح المتعال »٠

وهكذا نلاحظ تأثير البيئات الثلاث في شخصية ابي العباس تأثيرا بليغا ، فراح يبوح بما تنطوي عليه حناياه ، من شعور مرهف وخيال جوال . ويبدو أنه كان — بفطرته — طري القلب ، شديد الاحساس ، تؤلمه الوخزة الخفيفة ، فتسيل دموعه ، وترضيه البسمة الصفراء ، فتكشف نابه .

- ٢ -

شيوخه

اذا كان عنصر البيئات الثلاث المتقدمة قد أثر في شعور المقري وشارك في تنمية ثقافته العامة ، فان عنصر شيوخه هو المعول عليه — بالدرجة الاولى — في رصيد ثقافته المكتسبة . ورغم ذلك فسنحاول — بقدر الامكان — أن نلقي نظرة على شيوخه القليلين ، مرتبين لهم حسب الاماكن والبلدان ، التي حل بها تلميذهم وتتلمذ فيها لهم .

ا ـ شيوخه بتلمسان :

لم نعثر — بعد البحث الدقيق — على شيوخ آخرين من غير عمه أبي عثمان سعيد المقري ، الذي لازمه ابن أخيه بتلمسان ملازمة الظل، حتى تخرج عليه في جميع مواد الثقافة وفنون العصر . وقد أشبعنا الكلام عن تتلمذه لهذا العم في الفصل الثاني لهذه الدراسة ، عندما

تحدثنا عن نشأة صاحب الترجمة ومنشئه وقراءته .

ب ـ شيوخه بالمغرب الأقصى :

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي المتوفي سنة ١٠١٨ هـ (١٦٠٩م) . كان قاضيا ومفتيا بمدينة فاس ، ثم ولاه السلطان المنصور القضاء بحضرة مراكش، قال المقري عنه : «... وهذا الشيخ صاحب الترجمة ـ حفظه الله ! ـ آية من آيات الله في السير ، فكاد يحفظ «اكتفاء الكلاعي» عن ظهر قلب ، حتى لا يند عليه منه شيء ، ويسرد تلك القصائد المطولات التي فيه حسبما شاهدته . قلت : وأول يوم دخلت فاسا ـ حاطها الله ! ـ رابع صفر من عام تسعة وألف حضرت مجلس صاحب الترجمة في (مختصر خليل) . وبحلقته جمع وافر من نجباء الفقهاء ... (١) » وقال أبو حامد محمد العربي الفاسي : «... وفي سنة ثمان عشرة وألف حضرنا عليه (السلاسي) « تلخيص المفتاح» ، كان يجلس له بعد العصر في المسجد المجاور لداره بـ« العقبة الزرقاء » وكان يحضره العلامة واحد عصره أبو العباس أحمد بن محمد المقري ..» (٢) .

٢ ـ أبو القاسم ابن محمد ابن أبي القاسم ابن محمد ابي نعيم الغساني المتوفي سنة ١٠٣٢ هـ (١٦٢٣م) . كان قاضيا بحضرة فاس . قال المقري عنه : « لقيته بها (فاس) واستفدت منه وقرأت عليه نحو النصف من «التلخيص» وأخذت عنه . وهو أحد القواسم المشهورين. بالمغرب ، والثلاثة الباقون : سيدنا الماهر أبو القاسم الوزير ـ أبقاه الله ! ـ والقاضي أبو القاسم ابن قاسم بن سودة ـ رحمه الله ! ـ والعروضي القاسم بن ابراهيم المدجن القصري . وصاحب الترجمة

---

١ ـ المقري ، احمد، روضة الاس ، ص : ٣٣٢ ـ

٢ ـ الفاسي ، محمد العربي ، مرآة المحاسن ص : ١٦٢ .

(محمد ابن أبي نعيم) أدراهم ، الا أن أبا القاسم الوزير ــ حفظه الله ! ــ اختص بمعرفة علم الطب ، وصاحب الترجمة شارك في سائر العلوم اتم مشاركة (١) » .

٣ ــ أبو عبدالله محمد بن قاسم بن علي القيسي ، الشهير بـ« القصار » ــ لقبا ، لا مهنة ــ المتوفي سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٣م) ، ويقول محمد عبد الغني حسن : « وقد توفي (القصار) سنة ١٠١٣ هـ ــ اي بعد اتصال المقري به بأربع سنوات» (٢) ، وهذا غلط والصحيح أن المقري لم يتصل بالقصار أبدا بعد مغادرته فاسا سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠٢م) . وكان القصار يشغل منصب الافتاء بفاس ، والامامة والخطابة بجامع القرويين . قال عنه المقري : « لقيته ــ حفظه الله ! ــ بفاس متوليا خطة الفتيا والامامة والخطابة . كان له في علم البيان والأصلين وعلم الأنساب والرجال ــ من رواة الحديث ــ الاطالة والاصابة ... قلت : وأجازني شيخنا المفتي الشيخ القصار صاحب الترجمة جميع ما يجوز له وعنه ... روايته بشرطه . وكانت اجازته اياي يوم سفري من الحضرة الفاسية الى تلمسان ــ حماها الله ! ــ يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة من عام عشرة وألف .. (٣) » .

٤ ــ أبو العباس أحمد بن محمد ابن ابي العافية المكناسي الشهير بـ «ابن القاضي» المتوفي سنة ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) .

كان يشغل وظائف سامية بالمغرب ، وهو من المقربين لدى السلطان المنصور السعدي . قال عنه المقري : «... لا يجارى في علم الفرائض والحساب والهندسة ، ان بني جدارا من ذلك لم يقدر أحد أن يهدم ما أسسه ، الى ما انضاف الى ذلك من الفقه والنحو ،

---

١ ــ المقري، احمد. روضة الآس. ص: ٣٣٥ ، ٣٣٦

٢ ــ حسن ، محمد عبد الغني . المقري صاحب نفح الطيب ص:٥٢

٣ ــ المقري، احمد. روضة الآس . ص: ٣١٦ ــ ٣٣٢

والأصلين ، والعروض والأدب ... قلت : وقد أجازني شهاب الدين ابن أبي العافية صاحب الترجمة ـ أسماه الله ! ـ جميع ما يجوز له وعنه روايته وما أخذ عن هؤلاء الأعلام المذكورين هنا (في كتاب روضة الآس) وغيرهم ، وكتب لي بذلك بخطه ثلاث مرار : مرة بفاس المحروسة ، ومرتين بحضرة الامامة مراكش ـ حاطها الله ! ـ وكان تاريخ ذلك يوم عرفة المعظم من عام تسعة وألف بـ« المحلة المنصورية » ـ أعلى الله كلماتها ! ـ ظاهر مراكش ـ حماها الله ! ـ . وأما تاريخ اجازة فاس فبعد ذلك بأشهر .. (١) » .

٥ ـ أبو عبدالله محمد بن محمد الهواري المتوفي سنة ١٠٢٢ هـ (١٦١٣ م) كان يشغل وظيفة الافتاء بفاس ، والامامة والخطابة بالقرويين . ولم نعثر على نص صريح من المقري يثبت أنه تتلمذ للهواري المذكور . وانما ذكر ذلك بعض من ترجم للأول .

٦ ـ أبو عبدالله محمد بفتح الميم الاولى ـ ابن ابي بكر ابن محمد بن سعيد المجاطي الصنهاجي الدلائي المتوفي سنة ١٠٤٦ هـ (١٦٣٦م). صاحب الزاوية الدلائية . قال عنه المقري ـ عندما ترجم محمدا الشبوكي ـ : «وأقارب هذا الشريف الشبوكي لم يزالوا الى الآن ولهم مصاهرة مع ولينا الفقيه المحدث الحاج الرحالة البركة القدوة الصالح الناصح أبي عبد الله سيدي محمد ابن الوالي الصالح سيدي ابي بكر ابن محمد صاحب « الدلاء » ـ أبقى الله علاهم ! وأعانهم على ما أولاهم ! ـ » (٢). ولم تنقطع المراسلات بين المقري وبين شيخه أيام أن كان الاول مقيما بالمشرق . وآخر رسالة بعث بها المقري الى شيخه حررت في أواخر ربيع الاول سنة ١٠٤١هـ (أواخر اكتوبر ١٦٣١ م) .

---

١ ـ المقري، احمد. روضة الآس. ص: ٢٣٩ ـ ٣٠٠ .
٢ ـ المقري، احمد. ازهار الرياض : ج: ١ ص: ٢٩٤ .

٧) أبو القاسم ابن محمد الغساني الوزير الطبيب . قال عنه المقري : «من أهل فاس ، لقيته بها ، فاذا هو لعين المجد انسان ، ولأمطار الجود نيسان .. تفرد — حفظه الله ! — بعلم الطب بالحضرتين (مراكش وفاس) وشارك في سائر العلوم .. مولده — حفظه الله ! على ما أخبرنا به — سنة ٩٥٥ هـ (١٥٤٨ م) .

... رحل الى الشرق ففقد هناك ، ولم يدر له خبر ..» (١) . ويقول المقري في مكان آخر من كتابه «روضة الآس» : «.. ومن ذلك تآليفان في الطب للشيخ العلم الماهر شيخنا أبي القاسم الوزير — أبقاه الله ! —» (٢) . فيبدو من هذا النص أنه تتلمذ لأبي القاسم الوزير .

٨ — أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر بن أقيت الموسوفي التنبكتي ، المعروف بـ«أحمد بابا السوداني» . المتوفي سنة ١٠٣٢ هـ (١٦٢٣ م) . قال عنه المقري : «لقيته بمراكش .. وانتفعت به واستفدت منه ، وكنت كثيرا ما أذهب معه الى زيارة الصالحين بحضرة الامامة (مراكش) مصحوبين بجملة أعلام ، فنتذاكر في طريقنا فنونا جمة . وأعارني جملة كتب من خزانته الفريدة ، المبدئة في الغرائب المعيدة وأجازني جميع تآليفه المفيدة ، وكتب لي خطه بذلك مرارا عديدة ..» (٣) . فمن خلال هذا النص يتضح خطأ محمد عبد الغني حسن ، حيث جزم بأن لقاء المقري بأحمد بابا قد تم بفاس لا بمراكش ، وأن أحمد بابا قد فارق مراكش سنة ١٠٠٤ هـ (٤) .

٩ — أبو العباس أحمد بن ابي القاسم ابن محمد بن سالم بن عبد

---

١ — المقري ، احمد . روضة الآس . ص: ٢١٧ — ٢٢٣ .
٢ — م. س. ص: ٦٩ .
٣ — م. س. ص: ٣٠٣ — ٣١٥ .
٤ — حسن، محمد عبد الغني، المقري صاحب نفح الطيب. ص: ٥٥

العزيز بن شعيب الشعبي الهروي الزمراني التادلي المعروف بالصومعي ، المتوفي سنة ١٠١٣ هـ (١٦٠٤ م) .

قال المقري عنه : «لقيت هذا الشيخ ــ حفظه الله ! ــ بحضرة الامامة (مراكش) ــ حاطها الله ! ــ وأخذت عنه ، واستفدت منه . وهو ــ نفع الله بعلومه ! ــ آية من آيات الله في المجاهدة ، لا يكاد يفتر عن ذلك أصلا .. وقد استجزته ــ رضي الله عنه ! ــ فأجازني كل ما تجوز له عنه روايته وجميع تآليفه ، وما أخذ عن شيوخه .. وأذن لي ــ رضي الله عنه ! ــ في لبس الخرقة من طريق سيدي عبد القادر وسيدي أبي الحسن الشاذلي وسيدي ابي مدين ــ رضي الله عنهم ! ــ وأفاض علينا من أنوارهم ! وكتب لي ــ حفظه الله وأسماه ! ــ خطة بذلك يوم خروجي من حضرة الامامة ــ حاطها الله ! ــ وهو يوم السبت الخامس من ربيع الآخر من عام عشرة وألف كل ذلك بمنزله بـ «حارة ياسر» من الحضرة المراكشية ــ حماها الله ! ــ ..» (١) .

فمن خلال هذا النص يتضح لنا أن التادلي قد أمد المقري بعلوم الظاهر وأفاض عليه من علوم الباطن .

١٠ ــ أبو فارس عبد العزيز بن محمد القشتالي الوزير ، المتوفي سنة ١٠٣١ هـ (١٦٢٢ م) . قال عنه المقري : «لقيته ــ حفظه الله ! ــ بمراكش المحروسة فوسعني بره وفضله ، وقضى لي مآرب من أمير المؤمنين ــ نصره الله ! ــ .. وقد طلبت منه ــ حفظه الله ! ــ أن يجيزني في جميع نظمه ونثره اللذين بذ فيهما الجهابذة ، ولم يدرك الصاحب والبديع فيهما مأخذه ، فأجازني جميع ذلك بلفظه من غير كتابة ، لأن المقام ضاق ــ حينئذ ــ عن ذلك ، لكوني أزمعت السفر ، وقد فرطت في ذلك قبل ...» (٢) .

---

١ ــ المقري، احمد ، روضة الآس، ص: ٢٠٠ ــ ٢٠٢
٢ ــ م. س، ص: ١١٢ ــ ١٦٣

١١ ـ أبو محمد الحسن بن أحمد بن الحسن بن يعقوب بن محمد السفيوي المولود سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦١ م) • قال عنه المقري : «من أهل مراكش لقيته بها ، وشاهدت كثيرا من أحواله ، وقيدت من ألفاظه وأقواله ، له قدم راسخ في علم الطب مع المشاركة التامة في غيره من العلوم • وهو متولي قراءة كتاب «أوقليدس» بين يدي أمير المؤمنين ـ نصره الله ! وقد استفدت منه فوائد جمة ، لا سيما في علم التاريخ ، فانه كان حافظا له جدا ، ضابطا له محققا فيه ...» (١) • وأغلب هؤلاء المشايخ قد أخذ عنهم المقري ابان رحلته الأولى الى المغرب الأقصى •

ج ـ شيوخه بالمشرق :

ذكر الكتاني في كتابه «فهرس الفهارس» (٢) ثلاثة أشخاص من شيوخ المقري بالمشرق وهم :

١ ـ أبو الارشاد نور الدين علي بن زين العابدين بن محمد بن زين العابدين ابن عبد الرحمن الاجهوري المتوفي سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٥٦ م) •

٢ ـ عبد الرؤوف بن تاج الدين بن علي بن زين العابدين المناوي ، المتوفي سنة ١٠٣١ هـ (١٦٢٢ م) •

٣ ـ أبو السعود نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج العامري الغزي المتوفي سنة ١٠٦١ هـ (١٦٥١ م) •

وذكر محمد توفيق البكري في كتابه «بيت السادات الوفائية» (٣):

---

١ ـ المقري، احمد. روضة الآس. ص: ١٦٢ ـ ١٧٢
٢ ـ الكتاني ، عبد الحي . فهرس الفهارس. ج: ٢ ص: ١٤
٣ ـ البكري، محمد توفيق . بيت السادات الوفائية. ص: ٣٧

أن المقري قد كان يحضر دروس صهره أبي الاسعاد يوسف بن عبد الرزاق ابن ابي العطاين وفاء المتوفي سنة ١٠٥١ هـ (١٦٤١ م) • ولا ننسى أن الشيخ الحقيقي للمقري هو عمه سعيد ، وما عداه فهم شيوخ تبرك واجازات فحسب ، لأن المقري لم يغادر مسقط رأسه تلمسان ، ولم يفارق عمه حتى شدا من العلم فنونا ، وأصبح مؤلفا موفقا ، ومدرسا بارعا •

- ٣ -

مواد دراسته

ان المواد التي كانت تدرس على عهد المقري لمعروفة جدا لدى الفئة المثقفة ولذلك فلا داعي لاطالة الكلام عنها • اذن فلم يبق لنا الا أن نقول : ان من يتصفح تاج أبي العباس يتيقن بأن هذا النابغة قد درس جميع فنون عصره وأتقنها ، سواء عن طريق قراءته على شيوخ ، أو عن طريق انكبابه على مطالعة كتب كثيرة في شتى الفنون •

مظاهر ثقافته

- ١ -

تدريسه

كان المقري مدرسا بارعا ، ومحاضرا ماهرا في كل فن يطرق بابه ويخوض عبابه لا سيما املاء الحديث الشريف وتدريس عقائد الامام الاشعري ، وقد درس في القرويين بفاس ، وفي الأزهر بمصر ، وفي جامع الامويين بدمشق وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة والاسكندرية ورشيد

وغيرها من كل بلد حل بــه . وكان درسه لصحيح البخاري بالمسجــد الأموي ، الذي دام من طلوع الشمس الى قرب الظهر ، قــد حاز بــه صيتا طبق أسقاع المشرق العربي (١) . وأما العقائد فقد كان لا ينفك عن تدريسها حتى كاد يصبح مجتهدا فيها . قال تلميذه عبد الباقي الحنبلي : «دخلت مصر سنة ١٠٢٨ هـ فوجدته في صحن الجـامع الأزهــر يقرأ العقائد فن أهل المغرب ، فلمــا دخل رجب افتتح البخاري فأتي بما هــو أعجب» (٢) . ويبدو لنا أن المقري قد كان يطعم مجالس دروسه بانشاده أبياتا أدبية ، وباستطراده لحكايات الصالحين ، من أجل ترويح خواطــر تلامذته ، وتجديد انتباههم ، وشحذ قرائحهم . وكان ينشد في مجالس تدريسه لكتاب «الشفا» بالمغرب الأقصى قصيدة مخمسة لأحد المغاربة ، مطلعهــا :

اسمع حديثاً قد تضمن شرحه   روضاً من الايناس أينع دوحه
فيه الشفاء لمن تكاثر برحه   وافى ربيع قد تعطّر نفحه
أذكى من المسك الفتيق نسيما (٣)

ثم يثني بقصيدة مخمسة لأبي عبد الله ابن الجيان ، مطلعها :

الله زاد محمدا تكريما   وحباه فضلاً من لدنه عظيما
واختصّه في المرسلين كريما   ذا رأفة بالمؤمنين رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما (٤)

---

١ ــ المحبي، محمد. خلاصة الاثر . ج: ١ ص: ٣٠٢ ــ ٣١٢
٢ ــ الكتاني ، عبد الحي . فهرس الفهارس . ج:٢ ص : ١٣، ١٤
٣ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب . ج: ١٠ ص: ٢٩٢ .
٤ ــ م. س. ج: ١٠ ص: ٢٨٧ .

وعندما ختم دراسته لـ «الشفا» أنشد من نظمه :

أنشق أزاهر عن فنون رياض   للعلم واكرع من عذاب حياض
واسق الرياض بذكره الفياض   واحفظ كلاماً للامام عياض
قد تمّمت أقسامه تتميا

لله روض منه أينع دوحه   يجني به من الكريم ومنحه
فهو الشفا لمن تكاثر برحه   مسك الختام به تعطر نفحه
فشذاه في الارجاء صار شميا

فاضت علينا من هداه عوارف   زهر وأنوار وظل وارف
ونمارق مصفوفة ومطارف   يا حسن ما أبداه فذّ عارف
درّاً بأسلاك الحديث عظيا

لم لا وبالملك الشفيع تشرفا   خير البرية ركن أرباب الصفا
من أسعد الراجي وقصد اسعفا   طه النبي الهاشمي المصطفى
صلوا عليه وسلموا تسليا (١)

وقد أعجب تلامذته ببراعة تدريسه ومهارة محاضرته ، فراح كل منهم ينسج الاسجاع الفنية وينظم القصائد الشعرية في مدح شيخهم خفيف الروح . ومن هؤلاء المادحين تلميذه المفتي عبد الرحمن العمادي الذي يقول في احدى قصائده :

درس غريب كل يوم له   يملي ولكن حفظه أغرب

---

١ ــ المقري، احمد، نفح الطيب، ج: ١ ص: ٢٩٣

محاضرات مسكر لفظها بكاس سمع راحها تشرب
رياض آداب سقاها الحيا ففاح مسكا نشرها الاطيب(١)

- ٢ -

تلامذتــه

اذا لم يكن المقري من المتكثرين شيوخا . فتلامذته أكثر من كثير ، لأن دروسه قد كان عليها اقبال عظيم من مختلف طبقات الناس : أعيانهم وعلمائهم وطلبتهم وحتى عوامهم أيضا . قال المحبي : «وأملـى (المقـري) صحيح البخاري بالجامع (الأموي) تحت قبة النسر ، بعد صلاة الصبـح . ولما كثر الناس ـ بعد أيام ـ خرج الى صحن الجامع تحت القبة المعروفة بـ «الباعونية» وحضر غالب أعيان علماء دمشق ، وأما الطلبة فلـم يتخلف منهم أحد ، وكان يـوم ختمه حافلا جدا ، اجتمع فيـه الألـوف مـن الناس ...» (٢) . وسبب اقبال الناس على دروسه يعود الى ورعة وتواضعه وخفة روحه ومرحه وطول باعه في شتى العلوم . ولعل هذا الاقبال هـو الذي دفع ببعض علمـاء مصر الى أن يحسدوه ويكيدوا لـه . وكيف لا يحسدون من أفرغ حلق دروسهم ، وأخذ تلامذتهم ببيانه الساحر ،وجذبهم بعلمه الغزير وأدبه الفياض ، وكبلهم بأخلاقه الكريمة واخلاصه المستمر في القول والعمل ؟ ! .

ومن بين هؤلاء التلامذة الكثيرين نكتفي بذكر أربعة أشخاص :اثنين في المغرب واثنين في المشرق :

١ ـ أبو الحسن علي بن عبد الواحـد بن محمد ابـن أبـي بكر الانصاري السجلماسي أصلا السلاوي ثم الجزائري قبرا . توفي بالطاعون

---

١ ـ المقرى احمد . نفح الطيب . ج: ٢ ص ١٦٨
٢ ـ المحبي، محمد. خلاصة الاثر . ج: ١ ص: ٣١٢

في مدينة الجزائر سنة ١٠٥٤ هـ (١٦٤٥ م) تتلمذ للمقري بفاس ، وكان على اتصال مستمر بشيخه طوال حياته بالمشرق ، جاء في احدى رسائله : «... سيدنا وسيد أهل الاسلام .. شيخنا ومعلمنا ومفيدنا وحبيب قلوبنا ، مولانا شيخ الشيوخ أبو العباس أحمد ابن محمد المقري المغربي التلمساني نزيل فاس ثم الديار المصرية ...» (١) .

٢ ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة . توفي ١٠٧٢ هـ (١٦٦٣م)، قال هذا التلميذ ـ في كتابه «المرشد المعين» ـ عندما استشهد بعدة أبيات من أرجوزة المقري في العقائد ـ : «قلت : وقد أجاد شيخنا (المقري) ـ رحمه الله ! ـ في النظم المذكور في هذا الفصل ...» (٢) ، وقد قرأ عليه بفاس أيضا .

٣ ـ أبو العباس أحمد بن شاهين القبرصي الأصل ثم الدمشقي ، توفي سنة ١٠٥٣ هـ (١٦٤٣ م) . تتلمذ للمقري بدمشق وأجازه هناك ومن أجله صنف كتابه «نفح الطيب» ، قال الشاهيني في احدى رسائله الى شيخه المقري : «انني أشوق الى تقبيل أقدام شيخي من الضمآن للماء ، ومن الساري لطلعة ذكاء ... وما زلت ألهج بما أفادنيه شيخي من أماليه ..» (٣). وكلمة «شيخي» متكررة عدةمرات فيرسائل الشاهيني وقصائده التي مدح بها شيخه المذكور .

٤ ـ أبو القاسم محمد بن جمال الدين بن خلف المسراتي ، توفي سنة ١٠٦٥ هـ (١٦٥٥ م) أخذ عن المقري وأجازه اجازة عامة (٤) بالقاهرة حيث وفاة المجيز والمجاز .

---

١ ـ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٣ ص: ٢٣٧

٢ ـ ميارة، محمد. شرح المرشد المعين . ج: ١ ص: ١ ـ ٤٢

٣ ـ المقري، احمد. نفح الطيب ج: ٣ ص: ٢١٨ ـ ٢٢٦

٤ ـ الكتاني ، عبد الحي . فهرس الفهارس . ج: ٢ ص: ١٣ ـ ١٥
مخلوف ، محمد . شجرة النور الزكية . ص: ٢٠٥

- ٣ -

اجازتــه

المظهر الثالث من مظاهر ثقافة أبي العباس اجازاته النظميــة والنثرية التي أجاز بهــا طلبته أو علماء عصره • ومن بين هؤلاء العلماء وأولئــك الطلبة : حمد بن شاهين ويحيى المحاسني الدمشقي وعبد الرحمن العمادي مفتي دمشق ومحمد بن يوسف بن كريم الديــن الدمشقــي ، ومحمــد المحاسني الدمشقي سبط شيخ الاسلام البوريني ، ومحمد علــي القاري الدمشقي • وجميع هؤلاء قد أجازهم نظما (١) كما أجاز آخريــن نثرا نذكر منهم : أبــا الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري ، وتاج الدين ابن أحمد المكي المالكي ، وأبا القاسم محمد بن جمال الدين المسراتي القيرواني، وعبد القادر الصغوري الدمشقي ومحمد بن الكمال بن حمزة ، وأحمد بن موسى الأبار الفاسي ، وعبد القادر بن الشيخ الغصين الغزي ، وعبد الباقي الحنبلي الدمشقي ، وأبا العباس أحمد بن علي السوسي البو سعيــدي وغيرهــم •

- ٤ -

مؤلفاتــه

المظهر الرابع والأخير ــ من مظاهر ثقافة أبي العباس ــ مصنفاته • ولعل مظهر التاليف أصدق دليلا على نبوغ المثقف وعبقريته في كل جيل

---

١ ــ المقري، احمد . نفح الطيب . ج: ٢ ص: ١٨٠ ــ ١٩٧

وفي كل مكان . والمقري يعد من الكتاب الأفذاذ الذين ألفوا ، فأجادوا وصنفوا فأفادوا ، وقد زود المكتبة العربية بمؤلفات قيمة ، يمكن لها أن تفتخر بها وتجعلها في مقدمة التواليف المعتبرة .

وسنحاول ــ هنا ــ أن نلقي نظرة خاطفة على ما عثرنا عليه من مؤلفاته ، سواء منها المطبوعة أو المخطوطة ، التي ما زالت رهن رفوف مكاتب العالم ، مسترشدين برحلاتنا الخاصة وفهارس الباحثين قبلنا .

١ ــ «روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين : مراكش وفاس» .

تاريخ تأليفه : ما بين سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٢ م) وسنة ١٠١٣ هـ (١٦٠٤ م) .

موضوعه :

تراجم وأدب . وجعل قطب دائرته السلطان المنصور السعدي ،الذي ــ لا شك ــ هو الدافع الى تأليفه . وقد ترجم فيه لتسعة وثلاثين من العلماء والأدباء الذين اجتمع بهم في المغرب الأقصى أثناء رحلته الاولى الى هذا القطر ، كما أثبت لهم نصوصا نثرية ومقطعات شعرية . ومن بين أولئك العلماء شيوخه الذين أخذ عنهم وأجازوه هناك .

بعض مخطوطاته :

توجد نسخة مبتورة الأول بالمكتبة الملكية في الرباط بالمغرب الأقصى تحت رقم (٢٣٠) . ولعلها النسخة الفريدة التي عثر عليها الى حد الآن .

طبعاته :

طبع سنة ١٩٦٠ م بالمطبعة الملكية بالرباط (المغرب الاقصى) وصححه

وقدم له الأستاذ عبد الوهاب بن منصور •

٢ ـ «أزهار الرياض ، في أخبار عياض» •

تاريخ تأليفه :

ما بين سنتي ١٠١٣هـ (١٦٠٤م) ، ١٠٢٧هـ (١٦١٨م) •

موضوعه :

أدب وتاريخ وتراجم • محواره يدور حول أخبار القاضي عياض وما يتصل بحياته الخاصة والعامة ، وفيه كثير من الفوائد التاريخية والادبية والفقهية والعقائدية وهلم جرا ••• ولا سيما ما يتصل بالاندلس والمغرب الاقصى • وطريقة تأليفه شبيهة جدا بطريقة تأليف « نفح الطيب »

بعض مخطوطاته :

١ ـ الجزء الأول بمكتبة السليمانيه (قسم فاتح) تحت رقم (١٨٥)

٢ ـ نسخة تامة بالخزانة العامة (المكتبة الكتانية) بالرباط تحت رقم (٢٢٩) •ويذكر محمد حجي نسخة مبتورة بالمكتبة الملكية بالرباط ويرى أنها بخط المقري نفسه،بيد أنه لم يذكر لنا رقمها (١) •ولعلها اشتبعت عليه بنسخة «نفح الطيب»الموجودة هناك تحت رقم (٢٢٧٣) ، اذ هي التي يغلب عليها الظن أنها بخط المقري •

٣ ـ نسخة كاملة بمكتبة العطارين بتونس تحت رقم (١٦٧) •

٤ ـ نسخة تامة مصورة بـ (الفوتوستات) بدار الكتب بالقاهرة ،تحت رقم (٨٠٧٤ ح) •

طبعاتـه :

١ ـ طبع الجزء الاول منه سنة ١٣٢٢ هـ بالمطبعة الرسمية العربيـة

---

١ ـ حجي ، محمد . الزاوية الدلائية . الرباط . المطبعة الوطنية . ١٩٦٤ م . ص: ١١٠ •

بتونس . وهذه الطبعة مشوهة مملوءة بالأخطاء والتحريف .

٣ ــ طبع ثلاثة أجزاء منه سنة ١٣٥٨ هـ ــ ١٩٣٩ م بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وقد اعتني بتحقيق طبعة هذه الأجزاء وضبطها الاساتذة : محمد السقا ، وابراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، وقد اتقنوا عملهم ، بيد أنهم توقفوا عند انتهاء الروضة الثالثة سنة ١٣٦١ هـ ــ ١٩٤٢ م ولم ندر ما السبب الذي عاقهم عن اتمام مشروعهم .

اختصاره: اختصره أبو عبدالله محمد بن مسعود السوسي المعدوي البونعماني (١) .

تذييله :

ذيله أبو عبد الله محمد بن عبد القنطري القصري ، فجمع في هذا الذيل ما قاله بعض المؤرخين في القاضي عياض ولم يعثر عليه المقري ، يقع في نحو ثلاثة كراريس . توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٢٩) ، ضمن مجموعة (٣) .

٣ ــ «النفحات العنبرية في وصف نعال خير البرية» :

تاريخ تاليفه :

فرغ من تحريره بعد ظهر يوم الجمعة ٢٤ جمادي الأخرى سنة ١٠٣٠ هـ (١٨ مارس ١٦٢١ م) بالقاهرة .

موضوعه :

أدب نبوي . وهو رسالة نثرية تتخللها مقطعات شعرية

---

١ ــ ابن سودة ، عبد السلام . دليل مؤرخ المغرب ج: ١ ص: ١٨٠
٢ ــ م٠ س٠ ج: ١ ص: ١٨٠

وردت في وصف ومدح نعال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ! ـ فمنها ما هو منقول ومنها ما هو من انشاد المؤلف نفسه وفي ختام الكتاب أرجوزة من نظم المقري تتضمن محتوى الكتاب •

بعض مخطوطاتها :

١ ـ نسخة بالمكتبة السليمانية (أسعد أفندي) باسطنبول تحت رقم (٤٥٢) •

٢ ـ نسخة بالمكتبة السليمانية (قسم رئيس الكتاب) باسطنبول أيضا ، تحت رقم (٩٣٩) •

٣ ـ نسخة بمكتبة تطاوين بالمغرب الأقصى تحث رقم (٦٢) •

٤ ـ نسخة بمكتبة مدريد باسبانيا تحت رقم (٣٠٦) •

٥ ـ نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق الشام ، تحت رقم (٧٤) •

٦ ـ نسخة بالمكتبة الازهرية بالقاهرة ، تحت رقم (٣٩٣٢) •

٤ ـ (فتح المتعال في وصف النعال) :

تاريخ تاليفه :

شرع في تحريره يوم الثلاثاء غرة رمضان سنة ١٠٣٣ هـ (١٧ جوان ١٦٢٤ م) بالمدينة المنورة وأتمه في مدة ١٥ يوما •

موضوعه :

أدب نبوي • وما قيل في رسالة النفحات العنبرية يقال في هذا الكتاب ، بيد أن هذا الكتاب أطول نفسا من «النفحات» •

بعض مخطوطاته :

١ ـ نسخة بمكتبة مليت (قسم فائز الله) باسطنبول • تحت رقم (١٢٦٤) •

٢ ــ نسخة بالمكتبة السليمانية (قسم أسعد أفندي) باسطنبول تحت رقم (٣٢٤) .

٣ ــ نسخة بالمكتبة السليمانية (قسم شهيد علي باشا) باسطنبول تحت رقم (٥١٧) .

٤ ــ نسخة بالمكتبة السليمانية (قسم يني جامع) باسطنبول تحت رقم (٢٦٠) .

٥ ــ نسخة بالمكتبة السليمانية (قسم لالا اسماعيل) باسطنبول تحت رقم (٢٧٤) .

٦ ــ نسخة بالمكتبة السليمانية (قسم حميدي) باسطنبول تحت رقم (٣٧٨) .

٧ ــ نسخة بمكتبة باي يازيد باسطنبول تحت رقم (١٠٤٥) .

٨ ــ نسخة بمكتبة نور عثماني باسطنبول تحت رقم (٣٣٩٧) .

٩ ــ نسخة مبتورة بمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم (٢٣٠٢) .

١٠ ــ نسخة بمكتبة لبسيك بألمانيا تحت رقم (٤١) .

١١ ــ نسخة بمكتبة ليدن بهولاندا تحت رقم (٨٧٦) .

١٢ ــ نسخة بمكتبة الزيتونة بتونس تحت رقم (١٨٢٣) .

١٣ ــ نسخة بمكتبة الزيتونة بتونس تحت رقم (١٨٢٢) .

١٤ ــ نسخة بمكتبة القرويين بفاس تحت رقم (٧٢٣) .

١٥ ــ نسخة بمكتبة الصادقية بتونس تحت رقم (٩٧٥) .

طبعاتـه :

طبع سنة ١٣٣٤ هـ بمدينة حيدر آباد بالهند ٠

٥ ــ «خلاصة فتح المتعال والنفحات العنبرية» :

وهي عبارة عن أرجوزة تحتوي على ١٩٠ بيتا ، لخص فيها كتابيه «فتح المتعال» و «النفحات العنبرية» ، وألحقها بهما وهي موجودة في آخر جميع نسخ الكتابين ٠

٦ ــ «أزهار الكمامة ، في أخبار العمامة ، ونبذة من ملابس المخصوص بالاسراء والامامة» :

تاريخ تأليفه : أتمه بالمدينة المنورة عشية يوم للجمعة ٩ شوال سنة ١٠٣٣ هـ (٢٥ جوان ١٦٢٤ م) ٠

موضوعه :

أدب نبوي ٠ ذكر فيه ألبسة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ! ــ ووصفها ومدحها ، لا سيما عمامته التي صب عليها سيل مدائحه ٠

بعض مخطوطاته :

١ ــ نسخة مصورة بـ (الفوتوستان) بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم (ب ٢٤٢٦٦)٠ وهو مجلد، يحتوي على ١٨٥ ورقة أي : ٢٧٠ صفحة ٠

٧ ــ «زبدة أزهار الكمامة» :

وهوخلاصة الكتاب المتقدم، اختصره في أرجوزة تحتوي على ٣٠٥ أبيات ٠ وهي موجودة في آخر «أزهار الكمامة» ، وتوجد نسخة من هذه الارجوزة منفردة بالخزانة العامة بالرباط ، بالمغرب الأقصى تحت رقم (٨٤٩) وليست هي «أزهار الكمامة في أخبار العمامة» كما ظن بعض الكتاب المعاصرين ٠

٨ ــ «اضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة» :

تاريخ تأليفه :

فرغ من تحرير نظمه سنة ١٠٣٦ هـ (١٦٢٧ م) بالقاهرة .

موضوعه :

عقائد . وهي أركوزه تحتوي على ٥٠٠ بيت ، وتضم سبعة عشر فصلا ومقدمة .

بعض مخطوطاته :

٩ نسخ بمكتبة الاهلية بباريس ، تحت الارقام التالية : ٥٦٠٠ و ٥٦٤٧ و ٥٦٥١ و ٥٦٥٧ و ٥٦٦٥ و ٥٦٨٥ و ٥٧١٥ و ٥٧١٩ و ٥٧٢٥ . وأجود خط في هذه النسخ خط النسخة الثالثة .

١٠ — نسخة بمكتبة السليمانية (قسم حاجي محمد) باسطنبول تحت رقم ٣٧٦٨ .

١١ — نسخة بمكتبة السليمانية (قسم أسعد أفندي) باسطنبول تحت رقم ٣٦٩٣ .

١٢ — نسخة بدار الكتب (مكتبة طلعت) بالقاهرة تحت رقم ٥١٨ .

١٣ — نسخة بمكتبة العطارين بتونس تحت رقم (٢٨٢) .

١٣ — نسخة بالخزانة العامة بالرباط (المغرب الأقصى) تحت رقم ٩٣١ ، وتوجد نسخ كثيرة في مختلف مكاتب العالم ، وقد كتب منها ما يزيد على ألفي نسخة ابان حياة المؤلف .

طبعاته :

طبع مع شرحه للمختار ابن الاعمش سنة ١٣٠٦ هـ بالقاهرة .

شروحه :

١ — «الالهية الوهبية» للمختار ابن الاعمش السابق الذكر طبع على هامش «هداية المريد شرح عقيدة التوحيد» للشيخ محمد بن أحمد عليش

المالكي سنة ١٣٠٦ هـ بالقاهرة •

٢ ــ «رائحة الجنة» لعبد الغني النابلسي • لم يطبع •

٣ ــ «شرح اضاءة الدجنة» لمحمد بن عمر الغدامسي • لم يطبع •

٩ ــ «اتحاف المغرم المغرى ، بتكميل شرح الصغرى» :

تاريخ تاليفه :

حرره في أواخر سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٩ م) بثغر الاسكندرية في عشرة أيام •

موضوعه : عقائد •

بعض مخطوطاته :

١ ــ نسخة بدار الكتب بالقاهرة (مكتبة تيمور) تحت رقم ٤٠٣ •

٢ ــ نسخة بمكتبة مدريد باسبانيا تحت رقم ٣١٧ •

٣ ــ نسخة بخزانة جامع الزيتونة بتونس تحت رقم ٢١٠٣ ضمن مجموعة •

٤ ــ نسخة بمكتبة العطارين بتونس تحت رقم ٤٨٠ •

٥ ــ و ٦ ــ نسختان بالخزانة الملكية بالرباط (المغرب الأقصى) احداهما تحت رقم ٣٥٤٤ ، وثانيتهما تحت رقم ٥٩٢٨ •

١٠ ــ «اعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس ،الواردة من سيدي محمد ابن أبي بكر بركة الزمان وبقية الناس •» :

تاريخ تاليفه : حرر سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م) بالقاهرة •

موضوعه : عقائد وفقه ، وهي أجوبة عن أسئلة الشيخ محمدالدلائي

التي وجهها اليه من الزاوية الدلائية أيام أن كان المقري مقيما بالقاهرة •

بعض مخطوطاته :

١ ــ نسخة بالخزانة العامة بالرباط ، ضمن كتاب «البدور الضاوية» لمؤلفه سليمان الحوات يبتديء من ورقة ٦٤ الى ٧١ تحت رقم (٢٦١د)•

١١ ــ «حاشية على شرح أم البراهين» للسنوسي :

تاريخ تأليفه : مجهــول •

موضوعه : عقــائــد •

بعض مخطوطاته :

١ ــ نسخة بدار الكتب المصرية (مكتبة تيمور) تحت رقم (٢١٢) •

١٢ ــ (كتاب اعراب القرآن) :

تاريخ تأليفه :

مجهــول • فرغ مــن نسخــه محمــد ابن أبــي القــاســم الجزائري المسيلي الشريف في أوائــل شعــبان ١٠٩١هـ وأواخر أوت ١٦٨٠ م) بتونس •

موضوعه : تفسير واعراب لسور القرآن •

بعض مخطوطاته :

١ ــ نسخة مبتورة بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٦٧٠ •

١٣ ــ «أسئلة وأجوبة شريفة ، حوت رقائــق لطيفــة ودقائــــق منيفــــة» :

تاريخ تأليفه :

مجهول • فــرغ من نسخــة محمــد الأســولي في ١٠ رجب سنة ١١٠٣ هـ (٢٨ مارس ١٦٩٢ م) •

موضوعه :

أدب • وهــو مجموعــة أشعار في مدح دمشــق ، وفي أغراض أخــرى •

بعض مخطوطاته :

١ ــ نسخة بدار الكتب المصرية (قسم المخطوطات) •

٢ ــ نسخة بمكتبة (لبسيك) بألمانيا تحت رقم ٨٦٣ •

١٤ ــ «حسن الثنا في العفو عمن جنى» :

تاريخ تأليفه : مجهــول •

موضوعه : أدب السلوك من خلال الأحاديث النبويــة والآيــات القرآنيــة •

طبعاته : طبع مرتين بدون تاريخ : احداهما بالهند والأخرى بالقاهرة في ٤٧ صفحة •

١٥ ــ «القواعد السرية في حل مشكلات الشجرة النعمانية» :

تاريخ تأليفه : مجهــول •

موضوعه : تنجيم وتنبؤ بالمستقبل •

بعض مخطوطاتــه :

١ ــ نسخة بمكتبة برلين بألمانيا الشرقية تحت رقم ٤٢٣٢ •

٢ ــ نسخة بمكتبة (بريل) بهولاندا تحت رقم ٤٦٩ •

١٦ ــ «المقرية» (قصيدة مينمية لاتقل عن مائة وثلاثة أبيات) •

تاريخ تأليفها : سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨ م) •

موضوعها : رثاء واعتبار بمن مضي •

بعض مخطوطاتها : ١ ــ نسخة بمكتبة برلين بألمانيا تحت رقم ٧٩٦٥

طبعاتها : طبع ضمن مقدمة «نفح الطيب» في جميع طبعات الكتاب •

شراحها :

١ ــ شرح لأحمد أفندي الأدهمي •

٢ ــ شرح لاحمد بن علي السندوبي •

٣ ــ شرح مجهول صاحبه يسمى (الأنوار الفاخرة) • وجميع هـذه الشروح لم تطبع •

١٧ ــ «رفع الغلط عن المخمس الخالي الوسط» (منظومة) :

موضوعة : خط الرمل والزايرجة وعلم النجوم والطلاسم •

بعض مخطوطاته :١ ــ نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٢ •

١٨ ــ «نيل المـرام المغتبط لطلب المخمس الخالـي الوسـط» (منظومـة) :

موضوعة : خط الرمل والزايرجة وعلم الجدول والطلاسم •

بعض مخطوطاتـه :

١ ــ نسخة بمكتبة برلين (ألمانيا) تحت رقم (٤١١٩) •

٢ ــ نسخة بالخزانة العامة بالرباط (المغرب الأقصـى) تحت رقـم ٢٨٧٨ ك •

١٩ ــ «تاريخ الأندلس» : وهو نتف من أخبار الاندلس •

بعض مخطوطاتـه :

١ ــ نسخة بالمكتب الأزهرية بالقاهرة تحت رقم ٤٢١٨ يحتوي على ٣٧ ورقـــــة •

٢٠ ــ «المزدوجـة» :

موضوعها : الغزل ، وهي تزيد على خمسمائـة بيت جمعهـا الشيخ محمود أفندي الجزائري مع مزدوجات أخرى لبعض الأدباء ثـم طبـع المجمـوع •

طبعاتها : طبعت على الحروف ثلاث طبعات بمصر :

١ ـ سنة ١٢٧٤ هـ •

٢ ـ سنة ١٢٧٨ هـ •

٣ ـ سنة ١٢٩٠ هـ •

٢١ ـ «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب» :

وسنعود الى حديثنا عن هذا الكتاب في الباب الثالث الذي خصصنا فصوله لدراسته وتحليله •

مؤلفاته المفقودة

٢٢ ـ «قطف المهتصر ، من أفنان المختصر» : وهو شرح لمختصر خليل بن اسحاق المالكي في الفقه •

ذكره المحبي في «خلاصة الأثر» ج : ١ • ص : ٣٠٣ •

ومحمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» ، ص ٣٠٠ •

واسماعيل البغدادي في «هدية العارفين» ج : ١ • ص : ١٥٧ •

ويبدو أن هذا الكتاب لم يخرج من المسودة ، بدليل ما جاء في رسالة محمد ابن يوسف التاملي التي بعث بها الى صديقه المقري وهو بمصر جاء فيها «•• وأعلمونا بتأليفكم الذي سميتموه «قطف المهتصر من أفنان المختصر» هل خرج من المبيضة أم لا ؟ ووددنا لو اتصلنا منه

بنسخة ، وقد اشتاق فقهاء هذا الاقليم اليه غاية ، كالفقيه قاضي القضاة محبكم سيدي عيسى وغيره من أخلاء خليل ••» (١) •

٢٣ ــ «البدأة والنشأة» •

ذكره المحبي في «خلاصة الأثر ج : ١ • ص: ٣٠٣ •

ومحمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» ج : ١ •ص : ٣٠٠ •

واسماعيل البغدادي في «هدية العارفين» ج : ١ • ص :١٥٧ •

وقالوا عنه : «كله أدب ونظم» •

٢٤ ــ «الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين» : وهو أرجوزة في أسماء المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ! ــ

ذكره المحبي في «خلاصة الأثر» ج : ١ • ص : ٣٠٣ •

ومحمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» ج : ١ • ص : ٣٠٠ •

واسماعيل البغدادي في «هدية العارفين» : ج : ١ • ص : ١٥٧ •

والمقري في «فتح المتعال» ورقة : ١٣٦ (٢) •

٢٥ ــ «الغث والسمين ، والرث والثمين» :

ذكره المحبي في «خلاصة الأثر» • ج : ١ •ص : ٣٠٣ •

ومحمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» • ج : ١ • ص : ٣٠٠ •

واسماعيل البغدادي في «هدية العارفين» • ج : ١ • ص : ١٥٧ •

---

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٣ ص: ٢٣٣

٢ ــ جاء في مطلع هذه المنظومة ــ ضمن كتاب «فتح المتعال» ، في الورقة المشار اليها اعلا ــ :

الحمد لله الذي قد اسما	قدر النبي المصطفى ذي الأسما
وبعد فالقصد بذا الدر الثمين	نظم أسامي المصطفى الهادي الامين

٢٦ ـ «شرح مقدمة ابن خلدون» :

ذكره محمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» • ج :١ •ص : ٣٠٠ •

وحاجي خليفة في «كشف الظنون» • ج : ١•ص : ٢٨٦ •

٢٧ ـ «اتحاف أهل السيادة ، بضوابط حروف الزيـادة» : (فـي النحـــــو) •

ذكره المقري في «نفح الطيب» • ج : ٥ • ص : ٨ •

٢٨ ـ «أنواء نيسان في أنباء تلمسان» : وهو تاريخ لمدينة تلمسان •

ذكره المقري في «نفح الطيب» • ج : ٩ • ص : ٣٤٢ • ويبدو أنـه لم يتمه بدليل قوله في المصدر السابق : «وقـد كنت بالمغرب نويت أن أجمع في شأنها (تلمسان) كتابا ممتعا أسميه بـ «أنواء نيسـان في أنبـاء تلمسان» : وكتبت بعضه ثم حالت بيني وبين ذلك العزم الأقدار ، وارتحلت منها الى حضرة فاس ••» •

٢٩ ـ «الجنابذ» : فهرست لأسانيده •

ذكرها الشيخ عبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس» • ج : ٢• ص : ١٣ •

وعبد الوهاب بن منصور في مقدمة «روضة الآس» • ص :ك •

٣٠ ـ «كتاب الأصفياء» :

ذكره أحمد بن شاهين في رسالته الى شيخه المقري أنظر نفح الطيب ج : ٣ • ص : ٢٢٠ •

٣١ ـ «كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء» :

ذكره تلميذه أحمد بن شاهين في رسالته الى شيخه المقري • انظر نفح الطيب • ج : ٣ • ص : ٢٢٠ ــ ٢٢٥ •

٣٢ ــ «روضة التعليم ، في ذكر الصلاة والتسليم ، على من خصه الله تعالى بالاسراء ، والمعاينة والتكليم» :

ذكره المقري في «نفح الطيب» ج: ١٠ • ص: ٣٢٧ •

٣٣ ــ «عرف النشق في أخبار دمشق» :

ذكره المحبي في «خلاصة الأثر» ج : ١ • ص : ٣٠٣ •

والبغدادي في «هدية العارفين» ج : ١ •ص : ١٥٧ •

ومحمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» ج : ١ • ص : ٣٠٠ •

ونقل الكتاني في «فهرس الفهارس» ج : ٢ • ص : ١٣ عن عبد الباقي الحنبلي تلميذ المقري ما يلي : «لم يؤلف أحسن منه ، قرأ لنا (المقري) جملة منه بمصر بحضرة المرحومين المفتي العمادي ويوسف أفندي الامام» •

ولعل هذا التاليف هو نفسه الذي ذكره المقري في نفحه ج ٣ • ص ٢٤٢ بقوله : «وماعددناه من القصائد والمقطوعات في مدح دمشق فهو غيض من فيض • وفي نيتي أن أجمع في ذلك كتابا حافلا أسميه «نشق عرف دمشق » او « مشق لم المدح لدمشق » •

٣٤ ــ «شرح المقرية» : (القصيدة المصدر بها نفح الطيب) •

ذكره محمد ظافر الأزهري في «اليواقيت الثمينة» ومحمد مخلوف في «شجرة النورية الزكية» ج ١ • ص ٣٠٠ •

٣٥ ـ «النمط الأكمل ، في ذكر المستقبل» :

ذكره اسماعيل البغـدادي في «هدية العارفين» ج ١ • ص ١٥٧ • وفي «ايضاح المكنون» ج ٢ • ص ٦٧٨ •

٣٦ ـ «نظم في علم الجدول والطلاسم» :

ذكره محمد ظافـر الازهري فـي «اليواقيت الثمينة» ومحمد مخلوف في (شجرة النور الزكية) ج١ • ص ٣٠٠ •

٣٧ ـ «حاشية علي «مختصر خليل في الفقه المالكي» :

ذكرها محمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» ج١ ص ٣٠٠ ، ومحمد ميارة في «الدر الثمين والمورد المعين» ج١ • ص ٤٢ ، ومحمد الغدامسي في مقدمة شرحة «اضاءة الدجنة» ، ومحمد الطيب القادري في «نثر المثاني» •

٣٨ ـ « كتاب في علم الهيئة » :

ذكره اليوسي في «المحاضرات» ص ٥٨ ، حيث قال ـ نقلا عن أبـي عبد الله محمد ابن أبي بكر الدلائي ـ : «وحدث (أي المقري) أنهم ركبوا بحر سويس ، فهال لهـم مدة مـن نحو ستة أشهر ، وهـم يدورون دورانا ، وأنه (أي المقري) ألف في تلك المدة موضوعا في علم الهيئـة ، وسارت به الركبان ، فلمـا خرج من البحر وتصفحه وجد فيـه الخطـأ الفاحش ، وقد فات تداركه ، وذلك لمـا وقع له من الهول ••» •

٣٩ ـ «أرجوزة في الامامة» :

تفرد بذكرها الحبيب الجنحاني في كتابه «المقري صاحب نفـح الطيب» • ص : ٩٩ • ولعلـه اعتمد في نقله على النص الألماني الذي جاء

في كتاب «تاريخ الأدب العربي» لـ (بروكلمان Brockiman) الجزء الثاني، ص : ٤٠٨ ، فالتبس عليه أو على من ترجم النص حرف العين بحرف الهمزة ، فقد جاءت عبارة النص مكتوبة بالحروف اللاتينية كما يلي : (Urguzafi L'imama) ، فاشتبهت عليه كلمة العامة بالامامة ، وقد كدنا نقع في نفس الغلطة لولا تشككنا في نسبة هذه الارجوزة الى المقري ، فعندئذ رجعنا الى النص اعتمد عليه (بروكلمان) نفسه وهو مجلة (هيسبيريس Hesperis) التي كانت تصدر بالمغرب الأقصى ، فوجدنا في الصفحة ١١٥ من الجزء ١٢ الصادر سنة ١٩٣١ م ما نصه :

«ارجوزة للمقري في العامة» ، فبذلك تبين لنا أن المقري ليس له «ارجوزة في الامامة» ، وانما له «أرجوزة في العامة» ، التي هي ملخص لكتابه «أزهار الكمامة في وصف العمامة» أي عمامة الرسول — صلى الله عليه وسلم ! — وهذا ما نعتقده ، لأن جميع من ترجم المقري وذكر مؤلفاته لم يشر الى «أرجوزة في الامامة» وحتى المقري نفسه لم يذكر تلك في أي كتاب من كتبه .

وهناك كتب أخرى قد نسبت الى المقري ، وهي في الحقيقة ليست له ، مثل : «الجمان في أخبار الزمان» و «الدر المختار من نوادر الأخبار في التعريف بأنساب بيت النبي المختار» . وقد تصفحنا هذه الكتب فوجدنا بين أسلوبها وأسلوب المقري بونا شاسعا ، من حيث التعبير والتفكير ، ولعل المقري كان ناسخا لها ، فنسبت اليه . وقد جزم الجنحاني في كتابه «المقري صاحب نفح الطيب» ، ص ٩٣ ، بأن مؤلف كتاب «الجمان ...» هو أبو عبد الله محمد بن علي الصقلي الاندلسي البرجي، وتوجد نسخ كثيرة من هذا الكتاب في مختلف مكتبات العالم ، منها نسختان عثرنا عليهما بمدينة اسطنبول ، احداهما بمكتبة السليمانية

(قسم لالولي) تحت رقم ٢٩٨ • وثانيتهما بمكتبة كوبرلو (قسم محمد باشا) تحت رقم ١٠٦٨ • ثم أن الجنحاني قد جزم ـ أيضا ـ في المصدر السابق ص ١٠٠ ، بأن كتاب «الدر المختار ••» من مؤلفات أبي عبد الله محمد ابن أحمد المقري (بضم الميم وسكون القاف) الأباي ، وقد اعتمد الجنحاني على «كشف الظنون» ج٢ • ص ٢٣٩ مط• مصرية سنة ١٢٧٤ هـ •أما كتاب (زهرة الأخبار ••• فما زال مؤلفه مجهولا الى الآن ، وقد طبع هذا الكتاب بالمطبعة الجديدة بفاس (المغرب الأقصى) سنة ١٩٣٠ م •

وفي سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٨ م) قد بلغت مؤلفات المقري ثمانية وعشرين تأليفا والى هذا العدد يشير في اجازته لمحمد المحاسني الدمشقي :

ولي تآليف على العشر بنا زادت ثمانيا حوت تعنينا
فليروها ان شا بلا استثناء والله أرجو نيل قصد نائي(1)

ويبدو أن جميع هذه التآليف المشار اليها في البيت الاول قد خرجت من مسوداتها ـ آنذاك ـ والا ما أجاز فيها من استجازه • ولعل أهم مؤلفاته التي بين أيدينا ستة : «نفح الطيب» و(أزهار الرياض) و«روضة الآس» و «فتح المتعال و «اضاءة الدجنة» و «أزهار الكمامة في مدح العمامة » •

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ٢ ص: ١٩٨

الفصل الثاني

دلالات شخصيتــه العلمية والادبية

ا ـ شخصيته العلمية :

بعدما عرفنا عناصر ثقافة المقري ومظاهرهـا ، نود ـ الآن ـ أن تتعرف ـ من خلال هذه وتلك ـ أغوار «شخصيته العلمية» التي قـد أرتوت من زلال كل فن ، وشدت من علوم عصرها ما بوأها مكانا مرموقا ومقاما محمودا .

وقد برزت هذه الشخصية في ستة فنون رئيسيةمن العلوم الانسانية، أحببنا أن تتحدث عنها حسب الامكان وسماح الظروف .

- ١ -

التفســير

كاد المقري يصبح مجتهدا في فهم مدلول صريح القرآن ، وادراك مغزى مؤوله . وهذا ما نلمحه جليا في الآيات التي يتعرض لتفسيرهـا عند الاستشهاد بها في مختلف كتبه . ولعل أصدق دليلا على ذلك كتابه: «اعراب القرآن» الذي جاء فيه بمـا يبرهن على طول باعه فـي هـذا

الفن . ومما جاء في هذا الكتاب ما يلي : «... قوله : من «الجنة والناس» ، عطف على «الوسواس» . أي : من شر الوسواس والناس . ولا يجوز عطفه على «الجنة» ، لأن الناس لا يوسوسون في صدورالناس، انما يوسوس الجن . فلما استحال المعنى حملته على العطف على «الوسواس ...» (١) . فهذه الدقائق المفيدة لا ينتبه اليها الا من ضرب بسهم وافر في ميدان هذا الفن . وقد وصفه المحبي بأنه : «كان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ، ومعجزا باهرا في الأدب والمحاضرات» (٢) .

- ٢ -

الحديث

كان المقري حجة بالغة في حفظ الحديث الشريف وضبط طرق رواياته ، ومعرفة رجال الأسانيد . والتحري في كل ما يرويه . وكانت روايته العامة عن عمه سعيد المقري ، ومحمد القصار القيسي ، وأحمد ابن القاضي المكناسي ، وأبي القاسم ابن أبي نعيم الغساني ، وأحمد بابا التنبكتي السوداني ، وأحمد التادلي الصومعي ، وغيرهم من المغاربة، وعن علي الأجهوري ، وعبد الرؤوف المناوي ، ونجم الدين محمد الغزي، وغيرهم من المشارقة .

وكان يروي الكتب الستة عن عمه سعيد عن طرق عديدة . منها بسنده عن أبي عبد الله محمد التنسي ، عن والده حافظ عصره محمد بن عبد الله التنسي ، عن البحر أبي عبد الله ابن مرزوق ، عن أبي حيان ، عن أبي جعفر ابن الزبير ، عن أبي الربيع ، عن القاضي عياض بأسانيده

---

١ ــ المقري، احمد. اعراب القرآن . ٦٧٠ . المكتبة الاهلية . باونير ورقة : ٢٢٩ .

٢ ــ المحبي ، محمد . خلاصة الاثر ج: ١ ص: ٣٠٢

المذكور في كتاب «الشفا» (١) • وتتصل روايته عن أبي حيان ــ أيضا ــ من طرق عــديــدة •

قال المقري : (وتتصل روايتي عن الامام ابي حيان من طرق عديدة ، منها عن عمي ولي الله العارف بــه شيخ الاسلام مفتي الأنام ، الخطيب الامام ، ملحق الاحفاد بالاجداد سيدي سعيد بن أحمد المقري التلمساني، عن شيخه العالم أبي عبد الله التنسي ، عن والده حافظ عصره ســيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني الاموي ، عــن عالم الدنيا ابي عبد الله ابن مــرزوق ، عن جده الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق ، عن الأثير أبي حيان بكل مروياته••»(٢)• وتحدث عن اتصال سنده بابن الأبار ، فيقول : «•• وسندي اليه عــن العم ، عن التنسي ، عن أبيه ، عن ابن مرزوق ، عن جده الخطيب ، عــن ابي جابر الوادي آشي به كما مر» (٣) • وقا لبعض من ترجم أبا عبد الله محمد ابن أبي بكر الدلائي : ان هذا الاخير كان يفتقد الثقة في أبي العباس المقري ، فيقول : «حفاظ المغرب ثلاثة : حافظ ضابط ثقــة ، وهــو أحمد بن يوسف الفاسي ، وحافظ ضابط غير ثقة ، وهو أحمد المقري ، وحافظ غير ضابط ولا ثقة ، وهو عبد الله بن طاهر الحسني» (٤) •

وقد بحث عدة علماء في هذه الرواية ، وأعطي كل منهم رأيه فيهــا ، فمنهم من كذبها وجعلها أسطورة تاريخية لا نصيب لها من الصحة • ومن بين الذين كذبوها ولم يصدقوا من نقلت عنه محمد الطيب القــادري ، في كتابه «نشر المثاني» (٥) ، ومحمد بن الحاج السلمي فــي كتابــه :

---

١ ــ المحبي ، محمد، خلاصة الاثر • ج: ١ ص: ٣٠٣

٢ ــ المقري ، احمد، نفح الطيب • ج: ٣ • ص: ٣٣١

٣ ــ م• س• ج: ٦ • ص: ٥٤ •

٤ ــ القادري ، محمد الطيب • نشر المثاني • ج: ٢ • ص: ١٦٥ •

ــ الكتاني، عبد الحي، فهرس الفهارس • ج: ٢ • ص: ١٩٦ ــ ٣٠٠

٥ ــ القادري ، محمد الطيب • نشر المثاني • ج: ١ • ص: ١٦٥ •

«رياض الورد» ، حيث يقول : (.. وناهيك بتأليفه «نفح الطيب» ، فانه يدل على (طول) باعه وجودة فكره ، حفظا واطلاعا واتقانا وضبطا . ولا التفات لمن نقل عنه : أنه غير ثقة ، بل هو من أعظم علماء الاسلام ثقة وديانة وحفظا وفهما» (١) .

ونحن نؤيد رأي من كذب هذه الرواية وضمها الى الأساطير التاريخية . وحجتنا في ذلك أن الشيخ محمدا الدلائي قد كان يثق بتلميذه المقري ثقة تامة . وهذه الثقة هي التي دفعت به الى ائتمانه على أسئلة علمية متنوعة المواضيع ، قد أشكل عليه مفهومها ، فتوجه بها الى المقري يطلب منه الاجابة عنها وفك ما أشكل عليه منها ، فأجابه المقري عن جميعها بأجوبة مقنعة ، وسمي تلك الأجوبة : «اعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الاجناس ، الواردة عن الشيخ سيدي محمد ابن أبي بكر بركة الزمان وبغية الناس» . ومن خلال أجوبة المقري نستوحي تفوق التلميذ على الشيخ ، من حيث الرسوخ في العلم والدقة في الجواب ، واصابة المحز . ولعل المقري تتلمذ للشيخ الدلائي في العلوم الباطنة ، وليس في العلوم الظاهرة ، لأن الأول يفوق الاخير في هذه العلوم بكثير . ويبدو ذلك جليا في تاج هذا وذاك . وأصدق دليلا على ما ارتأيناه ما جاء في أول أجوبة المقري عن أول أسئلة الدلائي . قال المقري : «فأقول ، وعلى الله أعتمد ، ومن بحر كرمه وجوده استمد ، : سألتم — أبقي الله للمسلمين وجودكم ، وأدام كرمكم وجودكم ! — عن مسائل سمت الى مطالعها بخير الوسائل .

أولها : الامر بالايمان بالانبياء — عليهم الصلاة والسلام ! — الى آخر ما جلبتم فيها من الكلام .

والجواب — والله سبحانه الموفق للصواب ! — أنه ورد في كتاب الله العزيز الأمر بالايمان بالرسل — عليهم السلام ! — وظاهر كلامكم —

---

١ — الكتاني : عبد الحي . فهرس الفهارس . ج: ٢ ص: ١٤

أبقاكم الله ! ـ أنه لم يرد ذلك الا في السنة ،وقد قال الله تعالى ٠٠»(١)٠ ثم يسرد المقري بعض الآيات التي وردت في هذا الأمر أيضا ، ويجلب أقوال الأئمة والفقهاء ، ويناقشها مناقشة علمية ، مبنية على اعمال الروية ، وتحكيم المنطق السليم ، والاهتداء بالنقل الامين ٠ واذا كان الدلائي يعتقد عدم ورود الأمر بالايمان بالانبياء والرسل في القرآن، فكيف يصح أن يصبح شيخا في العلوم الظاهرة للمقري ، الذي أفاده في هذه الأجوبة بفوائد جمة ، وأطلعه على أشياء لم تكن لهذا الشيخ في الحسبان ؟ !

-٣-

الفقـــه

كان المقري متضلعا في أصول الفقه وفروعه ٠ ولا أدل على ذلك من أنـه كان يشغل منصب الافتاء بفاس والامامة والخطابة بجامع القرويين ٠ وقد ألف في هذا الفن كتبا عديدة ، ودرس دروسـا مفيدة ٠ ومن يطالع مؤلفاته ــ ولو كانت أدبية ــ يجد فيها تحقيقاته الفقهية التي تدل علـى رسوخ قدمه في هذا الفن ، الذي طالما وصفه به علماء عصره ، وأوقفـوه عليه (٢) ٠ وكان المقري ميـالا بطبعه الى هذا الفن منذ حداثة سنه ،عملا بالحديث الشريف : «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (٣) ٠

وكان كثير الاعتزاز بانتمائه الى مذهب الامام مالك في الفقه ، شديد الفخر باعتناقه عقيدة الامام الأشعري في التوحيد ٠ ولذلك نجده يفتـح

---

١ ــ الحوات، سليمان . البدور الضاوية. (اجوبة المقري). ٢٦١د. الخزانة العامة . الرباط. ورقة : ٦٥ . مخ.

٢ ــ الخفاجي ، احمد. ريحانة الالبا . ص: ٢٨٥ .

ــ ميارة ، محمد. شرح المرشد المعين (الكبير) . ج: ١ ص: ٤٢

ــ اليوسي الحسن . المحاضرات . ص: ٥٨

ــ الكتاني ، عبد الحي . فهرس الفهارس . ج: ٢ ص: ١٥

٣ ــ رواه البخاري ومسلم في صحيحهما ، والامام احمد في مسنده (السيوطي ، عبد الرحمن . الجامع الصغير ص: ٣١٦) .

جل كتبه ويختمها بعبارات الانتساب الى هذين المذهبين :

« يقول أحمد الفقير المقري المغربي المالكي الأشعري » (١)

- ٤ -
التوحيد

لا جرم أن المقري قد كانت له قدم راسخة في فن التوحيد ، لا سيما عقائد الامام الأشعري الذي سلك مسلكه في هذا الفن ، واعتنق مذهبه حتى تفوق فيه ونال صيتا طبق أسقاع العالم الاسلامي في عصره. ويبدو ذلك واضحا في مظهرين اثنين : في تدريسه لهذا الفن ، وتصنيفه فيه .

أما تدريسه له : فقد وفق فيه توفيقا ، أطلق ألسنة الطلبة والعلماء بالثناء عليه والاعجاب بطريقة الالقاء والتدريس . قال تلميذه عبد الباقي الحنبلي : «دخلت مصر سنة ٢٨ ، فوجدته في صحن الجامع الأزهر يقرىء العقائد ، وله مجلس عظيم ، فلم يستنكر عليه ما كان يورده من الأعاجيب ، لان العقائد فن أهل المغرب ..» (٢) . فلولا تمكنه من هذا الفن وتبريزه فيه لما اجتمع عليه «مجلس عظيم» ، ولما أتي في درسه «بالاعاجيب» ، التي لم تستطع أن تأتي بها علماء الأزهر الشريف — آنذاك — .

وقال تلميذه محمد ميارة — بعدما استشهد بعدة أبيات من أرجوزة شيخه «اضاءة الدجنة» — : «قلت : وقد أجاد شيخنا (المقري) — رحمه الله ! — في النظم المذكور في هذا الفصل ، فعليك به ، ولولا خوف السآمة لاتيت بجملته ..» (٣) .

---

١ — المقري، احمد. اضاءة الدجنة . ٥٦٥١ . مكتبة الاهلية . باريز . ورقة : ١ . مخ.

٢ — الكتاني ، عبد الحي. (نعلا عن الحنبلي) . فهرس الفهارس . ج: ٢ ص: ١٣

٣ — ميارة . محمد. شرح المرشد المعين . ج: ١ ص: ٤٢

ان دل على شيء ، فانما يدل على هضمه لتلك الحكم وفهمه لمغزاها الروحي ومحتواها المفيد .

- ٥ -
التصوف

كان المقري عارفا بمذهب التصوف ، مطلعا على مشارب شيوخ هذا الفن . وكان يفهم مدلول التصوف بأنه علم ثم عمل ، وأن الصوفي الحق — في نظره — هو عالم عامل بعلمه . ولذلك نجده لم يتحدث — في كتبه — عن رجال التصوف ، سوى عن العلماء العاملين منهم ، أمثال : الشيخ ابي مدين شعيب دفين العباد (تلمسان) ، والشيخ أبي العباس احمد بن عاشر دفين سلا (الرباط) (١) ، والشيخ محيي الدين ابن عربي دفين دمشق (الشام) ، والشيخ ابي العباس احمد بن جعفر السبتي دفين مراكش (٢) وغيرهم ..

ولعل هذا هو السر في اغفال المقري ذكر أبيه في كتبه لكونه لم يكن صوفيا عالما ، بل كان عابدا متبتلا وكفى . والمقري الصغير قد كان من أعلام التصوف العاملين وعلمائه المتبتلين . وقد اعتنق هذا المذهب منذ حداثة سنه وطراوة عوده ، اتباعا لموكب العصر ، وتأثرا بروح المجتمع ، واقتداء بأسلافه الصالحين الذين قد تمسكوا بمذهب التصوف ، واتخذوه سبيلهم المؤدي بهم الى سعادة الدارين ورضى رب العالمين . فقد كان جده الخامس عبد الرحمن المقري تلميذا بارا وخادما مطواعا لشيخه أبي مدين شعيب ببجاية (٣) ، وكان ابو عبد الله محمد المقري الكبير قد

---

١ — المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج: ٩ ص: ١٩٥ — ٣٤٢
٢ — م: س: ج: ١٠ ص: ١٢٧
٣ — م: س: ج ٧ ص ١٢٦ وما بعدها .

صافح عدة شيوخ ، منهم : أبو عثمان سعيد الخياط ، وأبو محمد عبد الله المجاصي ، وقد لبس «خرقة التصوف» من يد أبي عبدالله محمد بن مرزوق العجيسي (١) • وكان أبو عثمان سعيد المقري قد لبس «الخرقة» من يد شيخه حاجي الوهراني ، الذي أخذ عنه القرآن (٢) •

أما صاحب دراستنا فقد صافحه شيخه أبو العباس أحمد ابن أبي القاسم التادلي بمراكش ، وأذن له في لبس «الخرقة» هناك • وذلك ابان رحلته الاولى الى المغرب الأقصى :

«وصافحني (التادلي) — رضي الله عنه ! — وشابكني كما صافحه وشابكه الخروبي وغيره ، بالسند المتقدم الى الامام زروق ، وباقي ذلك في تاليف الشيخ زروق • وآذن لي — رضي الله عنه ! — في لبس «الخرقة» ، من طريق سيدي عبد القادر ، وسيدي أبي الحسن الشاذلي ، وسيدي أبي مدين — رضي الله عنهم ، وأفاض علينا من أنوارهم ! —» (٣) •

ولعل المقري أخذ عهد التصوف عن عمه سعيد بتلمسان قبل نزوحه الى المغرب الأقصى ، حيث صافح التادلي المذكور •

وكانت طريقة أبي العباس المقري في التصوف هي طريقة أبي الحسن الشاذلي المعروفة بـ «الطريقة الشاذلية» التي كانت منتشرة في افريقيا الشمالية ، ولا سيما المغرب الاقصى ، حيث تمثلها عدة زوايا • وفي مقدمتها «الزاوية الدلائية» ، التي كان المقري يتردد اليها صحبة علماء أجلة ، ليتبرك الجميع بأبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الدلائي شيخ تلك الزاوية في ذلك العصر • قال اليفراني : «وكان شيوخ الوقت : كالحافظ أبي العباس المقري ، وسيدي عبد الواحد ابن عاشر ، والحافظ أبي العباس أحمد بن يوسف الفاسي ، والفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة

---

١ — المقري، احمد. ج: ٧ ص: ١٥٤ — ١٦٥

٢ — ابن مريم، محمد . البستان . ص: ١٠٥

٣ — المقري ، احمد . روضة الآس . ص: ٣٠٢ •

وغيرهم يقصدون زيارته (١) ، ويتبركون به ويراجعونه في عويص المسائل العلميـة» (٢) .

ولما وصل المقري الى مصر اتصل بالوفائيين الذين كانوا يمثلون ـ هناك ـ الطريقة الشاذلية . ولعل اتحادهم معه في هذه الطريقة هو الذي حبب اليهم أن يتقربوا منه ويزوجوه احدى بناتهم فيصبح لهم صهرا .

وكان المقري شغوفا بمطالعة كتب التصوف ،محبا للأولياء والصالحين، مصدقا لكراماتهم ـ أحياء وأمواتا ـ زوارا لمقاماتهم وأضرحتهم ، داعيا هنا ومتوسلا هناك ، كثير الترضي عليهم عند ذكرهم مفضلا مذهبهم على سائر المذاهب ، وهذا ما نلمحه جليا ومتكررا في جميع مؤلفاته التي بين أيدينا . ولنضرب لذلك مثلا بقوله : «غير ن المذاكور (عبد الكريم الفكون) مائل الى التصوف ، ونعم ما فعل ،تقبل الله تعالى على وعمله ! وبلغ كلامنا أمله ! » (٣) . ولعل المقري كان يلقن الناس أورادا ويتلقى منهم عهودا ومواثيق على ما لقنهم اياه ، وليس لدينا دليل قاطع على ذلك ، سوى نبأ السبحة والخاتم اللتين أهداهما الى تلميذه أحمد بن شاهين القبرسي بدمشق الشام (٤) .

ومن أبرز صفات المقري في التصوف المبادرة الى التوبة وكثرة الندم، والزهد في الدنيا . ومن أقواله في هذا السبيل :

« وبادر الى التوبة واستجنها فالمرء مأخوذ بما قد جناه
وانتهز الفرصة في وقتها ما فاز بالكرم سوى من جناه» (٥)

---

١ ـ الضمير يعو على محمد ابن ابي بكر الدلائي .

٢ ـ اليفراني ، محمد الصغير ، نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي ، تصحيح (هوداس). فرنسا : مط. (انجيها) . ١٨٨٨ م ص: ٢٧٧

٣ ـ المقري ، احمد، نفح الطيب، ج: ص: ٢٤ .

٤ ـ م. س. ج: ٣ ص: ١٧٢ .

٥ ـ اليفراني ، محمد الصغير ، صفوة ما انتشر ، ص: ٧٤ .

التاريـــخ

لا يمكن لنا أن نغمط حق المقري في فن التاريخ ـ مثلما فعل ذلك بعض الكتاب المعاصرين (١) ـ ما دام قد ترك لنا كتبا تحتوي على حوادث الماضي وأعمال من غبر (٢)، ثم لا يمكن لنا ـ أيضا ـ أن نخرجه من صفوف المؤرخين، ما دام متصفا بصفات المؤرخين، التي منها: الامانة في النقل، والنزاهة والصدق في النية، والاخلاص في العمل، والصراحة في القول، والشجاعة الادبية، والصبر على البحث والمثابرة على استخراج الحقائق، والادمان على المطالعة، وهلم جرا ....

١ ـ ومن هؤلاء المعاصرين: محمد عبدالله عنان في كتابه: «تراجم اسلامية شرقية واندلسية» ص: ٢٥٢. والحبيب الجنحاني في كتابه: «المقري صاحب نفح الطيب» ص: ١٠٤ ـ ١٠٥. وشوقي ضيف في مقدمته لكتاب «المغرب في حلى المغرب». القاهرة. مط. دار المعارف، ١٩٥٣ م. ج: ١ ص: ١٩ ـ ٢٠.

٢ ـ قال الدكتور حسن عثمان (نقلا عن بعض المؤرخين): «ويقصر اغلب المؤرخين معنى التاريخ على بحث واستقصاء حوادث الماضي ... وقد تدل كلمة تاريخ على مطلق مجرى الحوادث الفعلي التي يضعها الابطال والشعوب، والتي وقعت منذ اقدم العصور، واستمرت وتطورت في الزمان والمكان حتى الوقت الحاضر.

وفي اللغة العربية التاريخ والتاريخ (مهموزا) والتوريخ: يعني الاعلام بالوقت، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة. وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه الانسان والزمان، ومسائله واحواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الاحوال العارضة للانسان وفي الزمان».

(عثمان، حسن. منهج التاريخي. القاهرة: مطبعة دار المعارف. ١٩٦٥ م. ص: ١١ ـ ١٢).

والذي وصل الينا من كتبه في فن التاريخ واطلعنا عليه هو ما يلي :

١ ـ نفح الطيب :

وقد أصبح هذا الكتاب موسوعة فريدة لتاريخ حضارة الاندلس ، لا سيما القسم الاول منه الذي تناول فيه مؤلفه مواقع الاندلس الطبيعية وتاريخ الاجيال التي مرت بها وسكنتها ، من حيث دياناتهم ، ونحلهم ، واقتصادهم ، وسياستهم ، وهلم جرا .. وسنشبع الكلام عن هذا الموضوع عندما نشرع في تحليل كتاب النفح .

٢ ـ ازهار الرياض :

وهذا الكتاب محشو بأخبار نادرة عن المغرب الاقصى والاندلس ، زيادة على ترجمة القاضي عياض وما يتصل بشخصيته وأخبار زمانه .

٣ ـ روضة الآس :

فقد دون المقري في هذا التأليف جميع ما يتصل برحلته الأولى الى المغرب الاقصى .

أما الذي وصل الينا من كتبه عن طريق الرواية والخبر ولم نطلع عليه ، فهو ما يلي :

٤ ـ شرح منظومة المقرية :

فاذا كانت هذه المنظومة تحتوي على ذكر الدول المنقرضة والملوك الغابرين والعبرة بمن مضى منهم ، فالشرح يكون موضوعه تاريخيا لا ريب في ذلك .

٥ ـ شرح مقدمة ابي خلدون :

فمجرد ذكر مترجمي المقري لهذا الشرح يدل دلالة واضحة على أن صاحبه من المؤرخين .

٦ ـ انواء نيسان ، من انباء تلمسان :

فعنوان هذا الكتاب يدل على أن موضوعه تاريخي .

٧ ـ عرف النشق ، في اخبار دمشق :

فمن خلال هذا العنوان يفهم بأنه كتاب تاريخ وأدب .

أما كون المقري جماعة وليس بمؤرخ ـ حسبما صرح بذلك هؤلاء الكتاب ـ فانه رأي غير وجيه ، حسبما يبدو لنا ، لأن هذه الصفة ملازمة لجميع المؤرخين المسلمين ، وحتى مؤرخي العالم أيضا . فالمورخ الذي يسرد الاخبار دون ذكر مصادرها يعد غير ثقة في نظر العلماء ، لا سيما علماء الحديث الذين منهم المقري . وهذا ما دفع به الى ذكر عدة مصادر عند جلب الخبر الواحد . ولعل ذلك راجع ـ أيضا ـ الى حسم دابر المعارضة التي كان يتصور صدورها من لدن خصومه الذين طالما وقفوا له بالمرصاد . ثم أن المقري لم يبق مكبل اللسان عند سرد الاخبار وايراد الرويات ، بل في الغالب يبدي رأيه فيما جاء به من النقول ، ويبين الراجح من المرجوح ، مستندا الى ما استنتجه من نص الخبر وحالة المخبر به . ولنضرب لذلك مثلا بقوله ـ عند ما أورد ما قاله ابن خلدون وابن الفرضي في شأن هدية ابن شهيد الى عبد الرحمن الناصر ـ : «.. وابن الفرضي أعرف ، لا سيما وقد استند الى كتاب المهدي ، وصاحب الدار أدرى» (١) . واذا لم يكن المقري مؤرخا عالميا ، فانه مؤرخي اقليمي ، لا سيما فيما يتصل باقليمي المغرب

١ ـ المقري ، احمد ، نفح الطيب ج: ١ ص: ٣٢٥

والأندلس . أما من حيث تراجم الاشخاص ، فانه مترجم فنان بمعنى هذه الكلمة . ولعل أصدق وصف وصفه بـه علماء العصر هو وصف المستشرق الفرنسي «البارون ـ كارادويو» (Carradevaux) ، حيث يقـول : «.. ولئن كان المقري ـ كما تروا ـ من المتأخرين زمانا فانه يعتبر امتدادا لكبار المؤرخين العرب وواحدا منهم ، بل انه مثلهم ، لـه فكر متفتـح ، وذكاء وقاد ، ويمتاز بالجدية وكثرة الاطلاع . وله أسلوب دقيق واضح ورواية غنية بالتفاصيل في التواريخ والروايات .

وقد اتهمه «دوغات» (Dugat) بضعف التأليف بيـد أن هـذا الاتهام ليس بوجيه ، حسبما يبدو لي . وعلى كل حال فان هذا الاتهـام ليس له أهمية بالنسبة الى طريقة الجمع التي اختارها المؤلف لنفسه . نعم، قد يكون المقري ، مترجما أكثر منه مؤرخا (١) .

وقد أنبأنا هذا المستشرق ـ أيضا ـ بأن المقري قد تولى تدريس التاريخ في المشرق العربي (٢) . وهذا صحيح اذ لولا تدريسه لهـذا الفن ما طلب منه أهل المشرق أن يؤلف لهم كتابا في سيرة لسان الديـن ابن الخطيب ، ثم يضيف اليه قسما آخر في تاريخ الاندلس .

ومما يؤكد لنا أن المقري قد كان له حاسة المؤرخ اعتناؤه الشديـد بجمع الوثائق التاريخية ، وتقصيه الحثيث لأخبار الماضـين ، وحوادث العصور القديمة ، لاسيما أيام اقامته بالمغرب ، حسبما يحدثنا هو نفسه بذلك (٣) . والشيء الذي شجعه على استيعاب الحوادث التاريخية وحبب لـه فن التاريخ ، هو قوة حفظه وتوافر المصادر التـي كانت مكتبـات المغرب الأقصى تزخر بها آنذاك .

---

(1) Carra de vaux, (Baron) les penseursde l'islam. paris. 1921. V. 1

٢ ـ م. س. ج: ١ ص: ١٦١

٣ ـ المقري ، أحمد . نفح الطيب . ج: ١ ص: ١٠٨ ، ١٠٩

ب ـ شخصيته الادبية :

اذا كان مفهوم الأدب ـ في عصر المقري ـ «هو الاجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب وماحيهم» (١) • فان أبا العباس قد أجاد في هذين الفنين وحاز قصب السبق في مضمارهما • وقد مكنه من الأخذ بناصيتهما كثرة حفظه لأشعار العرب واستيعابه لاخبارهم • فأصبح بذلك شخصية أدبية ممتازة واستحق قول الخفاجي فيه : «•• أما الشعر فهو أصمعي باديته ، وسلمان بيته ، وحسان فصاحته • فمامس قصب الأقلام الا سجدت شكرا ، اذ رأته قبلة الآمال ، وأقسمت أن من البيان لسحرا ، لكنه السحر الحلال • وهو من قوم تعاويذهم الصوارم ، وآثارهم في كل جيد تمائم •••» (٤) •

وتبدو لنا شخصيته الأدبية صادقة الخبرة والخبر في ثلاثة مظاهر : نثره وشعره وحفظه لنتاج الادباء •

نـثـــره

ينقسم نثر المقري الى نوعين : نثر علمي ، ونثر فني •

النثر العلمي : يتصف بسلاسة التركيب ، وسلامة التعقيد ،وقرابة المعنى ، وتجريده من الكناية والتورية والاستعارة الغامضة • وبعبارة أصح : انه يتصف بمطابقة اللفظ للمعنى المراد •

ومن نماذج هذا النثر قوله : «ومن الراحلين الى المشرق ـ من

أهل الأندلس ـ أبو مروان عبد الملك ابن أبي بكر محمد بن مروان بـن زهـر ، الأيادي ، الاندلسي .

صاحب البيت الشهير بالاندلس ، رحل المذكور الى المشرق وتطبب بـه زماناً ، وتولى رياسة الطب ببغداد ، ثم بمصر ، ثم بالقيروان ، ثـم استوطن مدينة «دانية» وطار ذكره فيها الى أقطار الأندلس والمغـرب ، واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى فاق أهل زمانه ، ومات فـي مدينـة «دانية» ، رحمه الله تعالى !» (١) .

فكل لفظة في هذا النص لها مدلولها الذي وضعت له هنا ، فـلا حشو في اللفظ المستعمل ولا نقصان في المعنى المراد .

النثر الفني : يتفرع ـ أيضا ـ الى نوعين اثنين : نثر مسجع ،ونثـر مرسـل .

أ ـ النثرة المسجع : يمتاز بمتانة التركيب ، وجودة السبك ، وحسن الديباجة ورنة الوقف ، وطلاوة الاستعارة ، وقوة البيان الـذي دفـع بلغاء عصره أن يلقبوه بـ «جاحظ البيان» . وكان حليف السجع فـي رسائله الودية ، وخطبه المنبرية ، ومؤلفاته الأدبية ، بل قد أصبح السجـع بالنسبة اليه سجية في لسانه وسليقة في تعبيره ، ولعله كان يـورده في دروسه ومحاضراته ـ أيضـا ـ . والسبب في ذلـك أنه كان يحفظ كثيرا من الأسجاع الأدبية ، لا سيما أسجاع أدباء الاندلس ، وفي مقدمتهـم لسان الدين ابن الخطيب الذي قد أثر في شخصيته الادبية تأثيرا عميقا . ومن نماذج أسجاعه المعسولة وصفه للبحر وأهواله :

«... فكم استقبلنا أمواجه بوجوه بواسر ، وطارت الينا من شراعه

---

١ ـ المقري، احمد، نفح الطيب ، ج: ٣ ص: ١٣ ، ١٤

عقبان كواسر ، قد أزعجتها آكف الريح من وكرها ، كما نبهت اللجج من سكرها ، فلم تبق شيئا من قوتها ومكرها ، فسمعنا للجبال صفيرا ، وللرياح دويا عظيما وزفيرا ، وتيقنا أنا لا نجد من ذلك الا فضل الله مجيرا وخفيرا ، «واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه» ، وأيسنا من الحياة لصوت تلك العواصف والمياه ، فلا حيا الله ذلك الهول المزعج ولا بياه ! والموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب ، فكأنه من كأس الجنون يشرب أو شرب ، فيبتعد ويقترب ، وفرقةتلطم وتصطفق ، وتختلف ولاتكاد تتفق ، فتخال الجوياخذبنواصيها وتجذبها أيديه من قواصيها ، حتى كاد سطح الارض يكشف من خلالها ، وعنان السحب يخطف في اسقلالها ، وقد شرفت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها ، وآذنت الأحوال بعد انتظامها باختلالها ، وساءت الظنون ، وتراءت في صورها المنون ، والشراع في قراع مع جيوش الأمواج ، التي أمدت منها الأفواج بالافواج ، ونحن قعود ، كدود على عود ، ما بين فرادى وأزواج ، وقد نبت بنا من القلق أمكنتنا ، وخرست من الفرق ألسنتنا ، وتوهمنا أنه ليس في الوجود ، أغوار ولا نجود ، الا السماء والماء وذلك السفين ، ومن في قبر جوفه دفين ..» (١) .

تلك فقرات أدبية المذاق ، فلسفية التفكير ، دينية النزعة ، قد ساقها لنا المقري في أسلوب متين في تركيبه ، سلس في مخارجه ، لا يكلف قارئه تأويلا في اعرابه ، ولا يلجيء سامعه الى اجهاد فكر في فهم معناه ، فهو سهل سائغ عند السامع والقاريء ، بيد أنه صعب ممتنع لدى الكاتب والمنشيء . فليس سهلا أن يوفق أي كاتب الى نسج أمثال هذه الأسجاع ، التي قد بلغت أوج البيان ، وأصبحت مضرب الأمثال في

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ . ص: ٤٤ ، ٤٥

فن البلاغة في ذلك العصر . وهل من السهل أن يتصور كاتب هذا التشبيه الفني : «.. ونحن قعود ، كدود على عود ، ..» ؟ ! ان ذلك ليس بالسهل ، ولولا المقري ما اهتدينا الى تشبيه السفينة بالعود ، ومن فيها بالدود .

وأما نثره المرسل : فيوصف بجزالة اللفظ ، ونغم المقاطع وقصر الجمل ، وبساطة التركيب ، وكثيرا ما كان يستعمله في وصف الأشياء ، وتراجم الاشخاص ، وسرد الاخبار والروايات . ومن نماذج نثره المرسل قوله : «ومن أخبار (الرميكية) (١) القصة المشهورة في قولها : «ولا يوم الطين» ، وذلك أنها رأت الناس يمشون في الطين ، فاشتهت المشي في الطين ، فأمر المعتمد ، فسحقت أشياء من الطيب ، وذرت في ساحة القصر حتى عمته ، ثم نصبت الغرابيل ، وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب وعجنت بالأيدي حتى عادت كالطين ، وخاضتها مع جواريها . وغاضبها في بعض الأيام ، فأقسمت أنها لم تر منه خيرا قط ، فقال : «ولا يوم الطين ؟!» . فاستحيت واعتذرت ، وهذا مصداق قول نبينا — صلى الله عليه وسلم ! — في حق النساء : «لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا ، قالت : ما رأيت منك خيرا قط» (٢) .

ونثر المقري — على العموم — نثر أدبي فني ، وحتى كتابته العلمية تغلب عليها الصبغة الأدبية ، ويبدو ذلك جليا في كتبه العلمية ، وخطبه المنبرية التي نسجها على منوال أدبي ، وصاغها في أسلوب فني .

وهذا ما جعل تلميذه ميارة يقول : «... وشيخنا (المقري) هذا كان اماما عالما ، متفننا ، حافظا ، مستحضرا للفقه والنوازل ، ساية في الفهم والحفظ ، وفصاحة اللسان ، له ولوع بالأدب وطريقته» (٣) .

---

١ — الرميكية : زوجة المعتمد بن عباد .
٢ — المقري ، احمد. نفح الطيب . ج: ٦ . ص: ٩ .
٣ — ميارة ، محمد . شرح المعين . ج: ١ . ص: ٤٢ .

فجملة «له ولوع بالأدب وطريقته» • تؤكد ما أثبتناه أعلاه •

شعـــره

كان أبو العباس كلفا بقرض الأشعار ونظم الأراجيز منذ حداثة سنه وطراوة عوده • وهذا ما نلمحه في محاولاته الشعرية التي أدرج منها بعض المقطعات في كتابه «روضة الآس» • ولما صلب عوده ونضج عقله أخذ يطرق أبوابا شتى من فنون الشعر وأغراض النظم ، فأجاد في ذلك اجادة خلد بها اسمه فيما تركه لنا من قصائد شيقة ، ومقطعات خلابة ، وأراجيز مفيدة •

وقد تناولت أشعار المقري فنونا شتى من الأدب العربي ، وعلى رأسها فنا الوصف والمديح • وفي مقدمة هذا الاخير المدائح النبوية ، التي أعطاها أبو العباس روحه وقلبه ، وصور فيها حبه السرمدي لصاحب الغمامة • وأشعار المقري في هذا الغرض أكثر من كثير ، وهي مبثوثة في مؤلفاته العديدة • وقد أدرج معظمها في ثلاثة كتب : «أزهار الكمامة» و «فتح المتعال» و«النفحات العنبرية» • ويرى المقري أن أعلى مراتب الشعر وأنبلها هو ما أنشد في مدح المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

ليس كل القريض يقبله السمـ	ـع وتصغي لذكره الأفهام
ان بعض القريض ما كان هزاء	ليس شيئاً وبعضه أحكام
وأجلّ الكلام ما كان في مد	ح شفيع الورى عليه السلام
طيب العرف الدائم الذكر لا تا	تي الليالي عليه والايام
مثل زهر قد شق عنه كمام	أو كمسك قد فضّ عنه ختام (1)

ا ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ا ص: ٦٤ ، ٦٥

الى آخر القصيــدة .

وقد مدح المقري أشخاصا آخرين ، مثل : القاضي عياض ولســان الدين ابن الخطيب وغيرهما . فممــا مدح به القاضي عياض قوله :

سلام مثل عرف المسك طيباً   وحسناً مثل أزهار الرياض
على لظ الجلالة والمعالي   امام الدين والدنيا عياض
اذا ما قيس بالعلماء طرّاً   غدابحراً واضحوا كالحياض (١)

وما مدح بــه لسان الدين ابن الخطيب قوله :

تاهيك من فرد أغرّ ممدح   رحب الذرا حر الكلام محمّد
بهر الأنام رياسة وسياسة   وجلالة في المنتمى والمحتد
وأتى بكل بديعه في نوعها   لم تخترع وغريبة لم تعهـد
ما شئت من شعر أرقّ من الصبا   وكتابة أزهى من الزهر الندي
وبديع قرطاس توشح متنه   بمنعم من رقمه ومنجد
بهج كان الحسن حل أديمه   فكساه ريعان الشباب الأغيد
كالبرد في توشيحه ، والسلك في   ترصيعه ، والوشي نمق باليد
وكأنما سال العذار عليه أو   خطته أيدي الغانيات باثمد
يختال بين موصّل ومفصل   ومطرز ومنظم ومنضد
قد قيد الأبصار والافكار من   ألفاظه بمثقف ومقيد
ما فيه مغرز أصبع الا وفيه   نتيجة لمفرع ومولد

١ ــ المقري، احمد. ازهار الرياض . ج: ١ . ص: ١٨

ولكل جزء حكمة او ملحة   أو بدعة لمرسل ومقصد
أو ليس مثلي قاصراً عن وصفه ؟   والحق نور واضح للمهتدي (١)

أما أشعار المقري الوصفية فاكثر ما كانت في وصف الطبيعة والبلدان ، ومن هذا النوع قوله :

أما دمشق فجنة   لعبت بألباب الخلائق
هي بهجة الدنيا التي   منها بديع الحسن فائق
لله منها الصالحية فاخرت بذوي الحقائق
والغوطة الغناء حيث بالورود وبالشقائق
والنهر صاف والنسيم اللدن للاشواق سائق
والطير بالعيدان أبدت في الغنا أحلى الطرائق
ولآلىء الإزهار حللت جيد غصن فهو رائق
ومراود الامطار قد   كحلت بها حدق الحقائق
لا زال مغناها مصو   نا آمنا كل البوائق (٢)

وللمقري أشعار كثيرة في أغراض مختلفة ، منها شعره في زهده فيما بأيدي الناس :

ان من يرجو نوالا وندى   من بني الدنيا لذو حظ غبين
فلقد كان على غير الهدى   من يسويهم برب العالمين
ويرجى منهم الرزق فهل   خالق الكل فقيراً أو ضنين

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ ص: ١١٠ ، ١١١
٢ ــ م. س. ج: ١ ص: ٦٨

الخلى قصد رب مالك

ونرى للخلق جهلا قاصدين ؟! (١)

ومن هذا النـــوع قولـــه أيضا :

يا رب نفس همومي — واكشف كروبي جميعها

فقد رجوت كريما — وقد دعوت سميعا (٢)

أما شعره الغزلي فيمتاز بقوة الخيال ورهافة الشعور ، وطلاوة اللفظ، ورقة المقاطع . وأحسن شعره في هذا الغرض «مزدوجته» الطويلة النفس والتي يقول فيهـــا :

وبعد فالحب حبيب النفس — وراحة الروح وأنس الانس

ولطف طبع في الحجا والحدس — وأسوة تنفع للتأسي

والحب ليس مدركا بالحد

فان تشا فقل عذاب يعذب — أو ضربان في الهوى أو ضرب

أو نعمة أو نقمة أو أرب — تأتنس النفس به وتمطب

قد جرت بين عكسه والطرد

كم ملك الاحرار للعباد — وأوجد الرقة في الجماد

وحكم الضبا على الآساد — وصوّب الخطأ على السداد

وألبس الغني بعين الرشد (٣)

---

١ ــ المقر، احمد. نفح الطيب ج: ١ ص: ١٢
٢ ــ م. س. ج: ١ ص: ٨١
٣ ــ المقري، احمد. المزدوجة . القاهرة . المطبعة الازهرية الحجرية ١٢٦٦ هـ. ص: ٣٠٢

وأما أراجيزه فقد كان يستعملها ـ غالبا ـ في نظم كثير من الفنون العلمية • مثل : أرجوزة «اضاءة الدجنة ، في عقائد أهل السنة» ، وأرجوزة «خلاصة فتح المتعال ، في وصف النعال» ، وأرجوزة «خلاصة أزهار الكمامة ، في وصف العمامة» ، وأرجوزة «رفع الغلط ، عن المخمس الخالي الوسط» ، وأرجوزة «الدر الثمين ، في أسماء الهادي الامين» ، وهلم جرا ••

وكذلك كان المقري يستعمل أسلوب الرجز في اجازاته التي أجاز بها طلبته وبعض العلماء الذين استجازوه • مثل اجازاته لأحمد بن شاهين ، وعبد الرحمن العمادي مفتي دمشق ، ويحيى المحاسني ، ومحمد ابن الكبير ، ومحمد المحاسني، ومحمد بن علي القاري ، وغيرهم (١)•

وكان المقري كثيرا ما يضمن أشعار غيره ، أو يذيلها أو يخمسها، أو يسدسها • ولعل ذلك راجع الى تفننه الأدبي ومقدرته الشعرية • فقد كان لا يستصعب أية قافية كما لا يعجزه أي وزن من أوزان الشعر •

وكانت غالب أشعاره ارتجالية وجل أراجيزه بنت ساعتها ، ورغم ذلك فانها تمتاز بجودة السبك ، وصيانة المبنى ، ووفر المعنى •

وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على موهبة شعرية وعقل ناضج، وذكاء حاد ، وعاطفة صادقة ، وشعور مرهف ، ونبوغ كامل في شخصية هذا الشاعر المرتجل •

---

١ ـ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٢ . ص: ١٨٠ ، ١٩٩

كان للمقري حافظة لقاطة ، لا تدع كبيرة ولا صغيرة تمـر بشاشتها دون أن تكتنزها في ذاكرتها • وقد اتفق علماء عصره على أنه قد كان احفظ أهل زمانه قاطبة وأوعاهم للاشعار والأخبار • قال البابلي : «مـا وصل الينا من المغرب أحفظ من الشيخ المقري» (١) • وقال القـادري : «لم نعلم في وقت صاحب الترجمة (المقري) أحفظ منه» (٢) • واذا كان الأدب ــ عند ابن خلدون ــ «حفظا لأشعار العرب وأخبارهم والاخذ من كل علم بطرف» ، فان أبا العباس قد حفظ أشعـارا كثيرة ووعى أخبـارا وافرة ، وتمكن من كل علم كان يدرس في ذلك العصر • وأصدق دليلا على ما نقول ان جل مـا أودعه في كتابه «نفح الطيب» قد استمده من حافظته التي أصبحت مصدره الوحيد بالمشرق عندمـا تـرك كتبـه بالمغـرب (٣) •

ولعل هذه المظاهر الثلاثة التي تبلورت فيها شخصية أبي العباس تدل دلالة واضحة على أن صاحب هذه الشخصية قد كان أديبا ممتازا يشار اليه بالاصابع أيام حياته ، ويستفاد من نتاجه في كل مكان وفي كـل زمان • وجل أدب المقري منبثق من عناصر أندلسية مغربية ، كمـا هـو صورة صادقة لعصره ومجتمعه الذي يعيش بين أحضانه • وكان المقـري يكتب لفطاحل العلماء وأفذاذ الأدباء ، ولهذا نراه يسلك في أسلوبـه سبيل الجزالة ، ويطرق جميع أبواب البلاغة في نصوصـه النثريـة والشعرية • ولعله كان ينسج ذلك عن قصد ، تحديا لبعض حسدته الذين كانوا يترقبون عثرته •

---

١ ــ العياشي ، عبدالله . ماء الموائد . ج: ٢ . ص: ١٢٨ .
٢ ــ القادري ، محمد الطيب . نشر المثاني . ج: ١ . ص: ١٥٧ .
ــ الكتاني ، عبد الحي . فهرس الفهارس . ج: ١ . ص: ١٢ .
٣ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ . ص: ١٠٨ ــ ١٠٩

الفصل الثالث

منزلته لدى علماء عصره

منزلته لـدى علماء تلمسان ــ منزلته لـدى علماء المغـرب الاقصى ــ منزلته لدى علمـاء مصـر ــ منزلتـه لدى علماء الشام .

كان المقري يحظي بفائق الاحترام وأسمى التقدير في صفوف علمـاء عصره ، سواء في مسقط رأسه أو في أي قطر آخر قد نزل بـه . وقـد ارتأينا أن نثبت بعض نصوص هؤلاء العلماء الدالة على احترامهم لأبـي العباس وتقديرهم لشخصيته العلمية والادبية ، حتى لا يبقى منزع ريب في هذا التقدير والاحترام .

ــ ا ــ

منزلته لدى علمـاء تلمسان

كان المقري معظما ، موقرا ، مكرما ، محبوبا ، لدى علماء بلـده ومسقط رأسه تلمسان ، وذلك ما نستوحيه من خلال كلام أبي العبـاس نفسه في مؤلفاته ، لا سيما مقدمة كتابه «أزهار الرياض» ، كما نلمـح هذا التقدير ــ أيضا ــ من خلال احدى الفقرات التيجاءت ضمن رسالة بعث بها محمد الوجدي من فاس الى صديقه المقري بتلمسان بعد عودة هذا الأخير من زيارته الأولى الى المغرب الاقصى . ونص تلك الفقرة مـا

يلي : «.. وقد أنهي الينا ما تلقاكم بـه أعيان ذلك البلد (تلمسان) ، من الترحيب والتبجيل الذي لم يعهد ، فمثلكم بالتكبير جدير ، ومثلهم بأثمان الأعـلاق بصير ...» (١) .

فترحيب هؤلاء الاعيان بأبي العباس المقري وتبجيلهـم اياه عند عوده من سفرته يدل دلالة واضحة على مكانته العلمية ومنزلته الأدبيـة ، اللتين قد تفرد بهما عن شبيبة تلمسان . وكان أهل تلمسان يثقون بمقدرة المقري العلمية والادبية ، ولولا هذه الثقة ما طلبوا منه أن يؤلف لهـم كتابا في سيرة القاضي عياض وأخبـاره : «... وفي هـذا التاريـخ وردت (علي) كتب من تلك الناحية (تلمسان) ... وكان من جملة فصولها وفروع اصولها طلب التعريف والالمام ، ببعض أحوال الشيخ الامـام ، ... سيدي أبي الفضل عياض بن موسى ..» (٢) .

ـ ب ـ

منزلته لدى علمـاء المغرب الاقصى

كان علماء هذا القطر يضمـرون لـه مودة صـادقة ، ويقـدرون شخصيته العلمية والادبية حق قدرها . وقد دل على ذلك ما ألفينـاه مدونا في منظومهم ومنثورهم . ومن بين هؤلاء العلماء ، الذيـن أطروه بأشعارهم ، ومدحوه بأثارهم ، صديقه المخلص محمد الوجدي الغماد ، اذ يقول : «.. الفقيه العالم الأبرع ، والناسك الانزه الاورع ، والخطيب المجيد المصقع ، الناظم الناثر ، الحافظ المكثر الماهـر ، اللوذعي العبقري، سيدي أحمد بن محمد المقري ...» (٣) . ومدحه الوجدي ـ أيضا ـ بأشعاره قد أتتنا بعضها ابان حديثنا عن رحلته الاولى الى المغـرب الاقصـى .

---

١ ـ المقري، احمد. روضة الآس . ص: ٩٤
٢ ـ المقري، احمد. ازهار الرياض . ج: ١ ص: ١٢
٣ ـ المقري ، احمد. روضة الآس . ص: ٩٣

ويقول فيه شيخه أحمد ابن القاضي : «.. السيد الفقيه المشارك المتفنن ، الحافظ النبيه أبو العباس أحمد ابن السيد الاجل الاكمل أبي عبد الله سيدي محمد المقري القرشي ، صحيح ..» (١) . ومدحه ابن القاضي ــ أيضا ــ بأشعار ، ذكرنا منها مـا تيسر عند كلامنا عن سفرته الاولى الى القطر المغربي .

ويتحدث عنه شيخه أبو العباس أحمد بابا التنبكتي السوداني ، فيقول : «.. لما يسر الله لي ملاقاة السيد الفقيه المتفنن اللبيب المحصل، الحافظ أبي العباس أحمد بن محمد المقري ،من ذرية الامام الاكبر أبي عبد الله (محمد المقري) التلمساني ــ نفعنا الله ببركته ! ــ جالسته وحادثته واستفدت منه فوائد ...» (٢) .

وقال أبو العباس أحمد بن علي البوسعيدي : «.. هو العالم الحافظ الكبير ، الراوية الواعية الشهير ، المبرز في انشاء الخطب ، وله اليد الطولى في النقول والادب ، أفتـى وأجاد ، ودرس وأفـاد ، ثـم رحل الى المشرق ، وخلت البلد (فاس) عن مثله ومضاهيه في المجتمع والمفترق ..» (٣) . وقد أطرى أبا العباس علماء آخرون وأدباء كثيرون من غير الذين ذكرناهم أعلاه ، أمثال : وزير القلم عبد العزيز الفشتالي(٤)، وأبي الحسن علي الخزرجي الشامي (٥) ، ومحمد ميارة الفاسي (٦) .

---

١ ــ المقري، احمد. روضة الآس . ص: ٢٦٥

٢ ــ م. س. ص: ٣٠٦

٣ ــ القادري ، محمد الطيب . نشر المثاني . ج: ١ . ص: ١٥٨ .

ــ الكتاني ، عبد الحي ، فهرس الفهارس . ج: ١ ص: ١٤ .

٤ ــ المقري ، احمد. نفح الطيب . ج: ٨ . ص: ١٦٥ .

ــ المقري ، احمد. فتح المتعال . ورقة : ١٠٥ .

٥ ــ المقر، احمد. ازهار الرياض . ج: ١ . ص: ١٢ .

٦ ــ ميارة ، محمد. شرح اللرشد المعين . ج: ١ . ص: ٤٢ .

وأبي عبد الله محمد المكلاتي الفاسي (١) ، وأبي عبد الله محمد بن يوسف التاملي (٢) ، وأبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الدلائي ، وغيرهم ...

وكان هذا الأخير دائم الشكر للمقري والثناء عليه . قال ابو الحسن الخزرجي – في رسالة بعث بها من فاس الى المقري بمصر – : «... ومحبكم الاكبر ووليكم الأصغر سيد أهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة ، والمربي في سلوك أهل الحقيقة ، العارف بالله الشيخ الرباني ذو المقامات والكرامات ، سيدي محمد ابن بأبي بكر الدلائي يحييكم ويعظم قدركم ، ولسانه لكم ذاكر ، ناشر ، شاكر ، ...» (٣) .

ويكفي المقري – فخرا – أن يحظى برضى شيخ المغرب الاقصى قاطبة ، وينال شكره حضورا وغيابا ، بل كانت الاتصالات مستمرة بين الرجلين عن طريق الرسائل الودية طوال غياب أحدهما عن الآخر .

وحتى علماء المغرب الأوسط (الجزائر) ، فانهم كانوا معجبين بعلمه الفياض وأدبه الطريف . ومن بين هؤلاء العلماء : الشيخ سعيد قدورة بمدينة الجزائر (٤) ، والشيخ عبد الكريم مفتي مدينة قسنطينة (٥) وغيرهما .

ولعل أكبر دليلا على صدق محبة علماء المغرب للمقري ، حاضرا

---

١ – المقري، احمد. فتح المتعال . ورقة : ٩١ – ١١٨ .
٢ – م. س. ورقة : ١٠٣ – ١٠٤ – ١٠٥
٣ – المقري ، احمد. نفح الطيب . ج: ٣ . ص: ٢٣٧ .
٤ – قدورة ، محمد بن سعيد . جليس الزائر ، وانيس السائر .
مكتبة المهدى البو عبدلي . بطيوة . ولاية وهران . مخ .
٥ – المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٣. ص: ٢٣٨ .

أو غائبا ، ما جاء في احدى الفقرات من رسالة الخزرجي السالفة الذكر. ودونكم نصها : «.. هذا وانه ينهي اليكم الوداد القديم أن أهل المغرب ، الادنى والاقصى ، حاضرة وبادية كلهم يتفكهون ، بل يتقوتون بذكركم ، ويشتاقون لرؤية وجهكم ، ويتلذذون بطيب أخباركم ..»(١).

وأكثر من هذا أنه لما أزمع الرحيل الى المشرق قام وقعد لهذا النبأ المفجع القطر المغربي ، من أقصاه الى أقصاه ، ملك ورعية . وقد سبقت الاشارة الى ذلك ابان حديثنا عن حظ المقري بالمغرب الأقصى .

– ج –

منزلته لدى علماء مصر

اذا كان في مصر نزر من العلماء الذين أنكروا فضل المقري وجحدوا ما منحه الله من علوم غزيرة وآداب رفيعة ، فان هناك علماء آخرين قد أنصفوه وراحوا يطوقون جيده بأشعار المدح وأثار الاطراء . وفي مقدمة هؤلاء العلماء المنصفين جماعة ، قد قرضوا كتابه : «فتح المتعال» وأثنوا على مؤلفه ثناء حسنا .

وقد وددنا أن نقتطف بعض الفقرات من تقاريضهم لنتأكد من منزلة صاحب الترجمة بين صفوف علماء مصر المنصفين ، ولم نعقب على ما اقتطفناه ، لأنه أصبح – في نظرنا – وثيقة ، قد استشهدنا بها على ما ذهبنا اليه وكفى .

وأفراد تلك الجماعة هم :

١ – الشيخ عبد الكريم أفندي ، قاضي مصر . جاء ضمن تقريضه:

---

١ – المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٣ ص: ٢٣٨

«... واسطة القلادة العلامة أحمد ، (المقري) وهو العلم الفرد ، في تحقيق العلوم وتقريرها ، والجهبذ الفذ في تحرير الرسوم وتحبيرها ، صاحب الذهن المتوقد في فهم المشكلات وحل رموزها ، وصائب الفكر المتوهج في فك طلاسمها وفتح كنوزها ، .. عالم أجمع العلماء على انفراده بين أفذاذ الدهر وأفراده ، بحر زخر بتلاطم أمواج الفضائل حبابه ... أخذ بلهازم أبيات العلوم فذلل جامحها ، وسهل طامحها ، وأدنى من قطوف المباحث العلمية ماكف به مطامع الأنظار ومطامحها ..» (١) .

وعلى هذا النمط استرسل القاضي عبد الكريم في مدح أبي العباس حتى ملأ ثلاث صفحات ونصف صفحة . كلها شكر وتقدير ، وتعظيم وتبجيل ، واعتراف بالجميل .

٢ ــ الشيخ أبو الاسعاد يوسف بن وفاء ، وهو أحد أصهار أبي العباس المقري . جاء في تقريضه : «.. فلله در مصنفه (٢) الذي هو امام العصر في المغرب والمشرق ، وخطيب جامع الفاضل الازهر المشرق، أدام الله نفائس أنفاسه العلية ، وجعله ومصنفاته نفعا لسائر البرية ، وزاده منحا وأسرارا ، ورزقه في هذه الديار المصرية قرارا ..» (٣).وعلى هذا المنوال تمادى أبو الاسعاد في مدح صهره ، طورا بمنثوره ، وطورا بمنظومه . ونفهم من خلال عبارة هذا النص أن المقري قد تولى الخطابة بالجامع الأزهر الشريف . واذا صح هذا الخبر فانه يزيده فخرا واعتزازا، ويؤكد قيمته العلمية والادبية التي كان يحظى بها لدى علماء مصر وأدبائها خلال السنوات الاولى مر اقامته هناك .

---

١ ــ المقري، احمد. فتح المتعال . (ملحق) ٥١٧ . مكتبة السليمانية اسطنبول . ورقة : ٢٤١ . مخ .

٢ ــ مصنفه : الضمير يعود على كتاب (فتح المتعال) .

٣ ــ المقري، احمد. فتح المتعال (ملحق) . ورقة : ٢٤٣ .

٣ ــ الشيخ أحمد بن عبد الوارث الصديقي ، مفتي المالكية بمصر. جاء في بعض الفقرات من تقريضه : «.. امام العلماء غير أنه خطيبهم ، وقدوة الاعلام الا أنــه رئيسهم ، ... جامع شوارد مفردات العقــول والنقول ، حائز قصبات السبق وانى يكون للحاقه من وصول ، ساحب أرد ان البلاغة فوق صحائف المعارف ، وسابق فرسان الفصاحة فــي ميدان العوارف ، الشمس التي أضاءت بها المشارق العلمية ، وان كانت مغربية ، فاستنارت بها الشوارق البهية .. علامة المشرق والمغرب ... الذي فضائله ينبيء عنها الملوان ويعرب ، الشيخ الامجــد ، والمحتدي الأوحد ، أحمد بن مولانا الشيخ البركة محمد المقري المغربي المالكــي مذهبا ، الشاذلي طريقة وأدبا ..» (١) . وقد استغرق اطراء المفتــي لشخصية المقري زهاء ست صفحــات ، كلها تعداد لفضائله الخلقيــة واعتراف بقيمته العلمية والادبية . ومن خلال هذا النص يتضح لنــا أن المقري كان ينتمي الى الطريقة الشاذلية ، وهذا ما أثبتناه ابان حديثنا عن «شخصيته العلمية» .

٤ ــ الشيخ أحمد بن محمد الغنيمي (٢) . جاء في بعض الفقرات من تقريضه : «.. فياله من امام هـمــام طابت منه الاصول ، كـمـا طابت منــه العناصر ، فهــو المقول في حقه على الحقيقة : «كم تــرك الاول للاخر» ، أعني بــه مولانا وسيدنا حافظ العصر ونادرة الدهر العلامــة الفهامة ، أحمد ابن الشيخ محمد المقري المالكي ، حمدنا الله ــ سبحانه ! ــ على ذلك (٣) ، واستبشرنا من أنفاس معارفه بعود دروس قد درســت

---

١ ــ المقري، احمد. فتح المتعال . ورقة ٢٤٤

٢ ــ وقد أخطا الجنحاني فــي اسم هــذه الشخصية حيث سماها بـ«عبد الكريم» بدل «احمد» . (الجنحاني ، الحبيب . المقري . ص: ٥٣)

٣ ــ على ذلك : اسم الاشاه يعود علــى الجملة المتقدمة فــي قوله : (... فلما مــن الله العظيم علــى خدمة العلــم الشريف بالقاهرة العزيــة والاقطار العربية بـ (المقري) عين ارباب الكمال والكلام صدر الاسلام ...»

فيما هنالك (١) ؛ ومنه حي الوجود ، ومات كل جاهل وحسود ؛فدعونا الله ــ سبحانه تعالى ! ــ بأن يديم اقامته بهذه الديار ، لنفع الطلبة بل والعلماء الابرار ..» (٢) .

ولا ننسى أن صاحب هذا النص كان يلقب ــ في عصره ــ بـ «عالم الدنيا» .

وقد مدح المقري في مصر علماء آخرون ، أمثال : الشيخ محمد بن موسى الجمازي الذي أثبت له الممدوح عدة قصائد في كتابه «فتح المتعال» . والشيخ عبد القادر ابن الشيخ اللصين الغزي (٣) . والمقري نفسه ينقل الينا في «نفحه» موشحا لا يقل عن اثنين وسبعين بيتا قد مدحه بها أحد أعيان مصر (٤) .

وبعد وفاة المقري بقي علماء مصر وأدباؤها محتفظين له بذكريات طيبة ، منشدين لأشعاره التي كان يطربهم بها أيام حياته . قال العياشي: «... وأنشدنا (الشيخ عمر فكرون) أبياتا كثيرة ، مما دار بين الشيخ المقري ــ رحمه الله ! ــ وأهل عصره من أهل مصر ..» (٥) .

منزلته لدى علماء الشام

اذا كان المقري قد نال حظا وافرا من التقدير والتعظيم لدى جل علماء مصر وكامل علماء المغربين : الأوسط والاقصى ، فان علماءالشام

---

١ ــ هنالك : أي في القاهرة
٢ ــ المقري، احمد. فتح المتعال . ورقة : ٢٤٥
٣ ــ العياشي ، عبدالله . ماء الموائد . ج: ٢ ص: ٣٠٦
٤ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٩ ص: ٢٨٩
٥ ــ العياشي ، عبدالله . ماء الموائد . ج: ١ ص: ١٣٠

وأدباءها قد أنزلوه في سويداء قلوبهم ، ونوهوا بأخلاقه المرضية في مجتمعاتهم ، وأشادوا بعلمه الزاخر وأدبه الممتع في منظومهم ومنثورهم ، واحتفلوا بشخصيته احتفالا لم يسبق له نظير . وهذا بشهادة جميع من ترجمه قديما وحديثا . والمقري نفسه يعترف بهذا الجميل في كتابه «نفح الطيب» الذي ألفه نزولا عند رغبة علماء الشام . وقد مدحه ــ هناك ــ عدد من جهابذ العلماء وفحول الشعراء ، نذكر منهم :

١ ــ الشيخ عبد الرحمن العمادي ، مفتي الحنفية . جاء في مطلع احدى قصائده :

«شمس هدى أطلعها المغرب	وطار عنقاء بها مغرب
فأشرقت في الشام أنوارها	وليتها في الدهر لا تغرب
أعني الامام العالم المقري	أحمد من يكتب أو يخطب
شهاب علم ثاقب فضله	ينظم عقداً وهو لا يثقب
فرع علوم بالهدى مثمر	وروض فضل بالندى معشب»(١)

٢ ــ الشيخ أحمد بن شاهين القبرسي . جاء ضمن احدى قصائده :

مولاي أحمد يا سليل بني العلى	يا فوق مدحي فيك أو تحسيني
أغنى وجودك وهو عين الدين عن	علامة الدنيا لسان الدين (٢)
انظره تستغن به عن غيره	والى العيان ارغب عن الظنون

---

١ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج: ٢ ص: ١٦٨

٢ ــ هو لسان الدين ابن الخطيب ، وفي البيت تورية .

تلقى علوم الناس في اوراقهم وعلومه في صدره المشحون
فبعلمه اعبر كل بحر زاخر وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحمله ارغب عن تحلم أحنف
وبعزمه اصحب بأس ليث عرين » (١)

٣ ـ الشيخ ابراهيم بن عبد الرحمن العمادي ، جاء في مطلع احدى قصائـــده :

« فازت دمشق الشام بالمقري الالمعي اللوذعي العبقري
علامة العصر بلا مفتري وواحد الدهر بلا ممتري
جامع علم بث املاءه بالشام ملء الجامع الاكبر
يقري فتقرى السمع أنفاسه أنفس ما يقرى وما قد قري» (٢)

٤ ـ شمس الدين الشيخ محمد ابن الكبير ، جاء في مطلـــع احدى قصائـــده :

« شمس المحاسن شرّقي أو غرّبي سعدت منازلنا بشمس المغرب
شمس لنا منها شموس فضائل وسنى هدى قد راح غير معجب
المقري العالم الندب الذي لسوى اسمه درج الحجالم يكتب
بدر ولم تبد البدور بمشرق الاّ بدت من قبل ذلك بمغرب »
الـــى أن يقـــول :

« علامة ملأ البلاد بعلمه وأفاده لمشرّق ومغرّب

---

١ ـ المقري ، احمد. نفح الطيب . ج: ٢ . ص: ١٧٧ .
٢ ـ م. س. ج: ٢ . ص: ١٨٧ .

الـى أن يقـــول :

« بحر الهدى والعلم الا انه صفو من الاكدارعذب المشرب »(١)

٥ ــ شمس الدين الشيخ محمد المحاسني • جاء ضمن أبيــات استجاز بها المقــري :

« يا سيدي وملاذي	وعـالم الثاقلين
ومن غدا بمكان	علا على النيرين
أجزت بالدرس قوماً	فاقوا به الفرقدين
فزيّن العبد أيضاً	من مثل ذلك بزين
ان لم يكن في ختام	فذاك قرة عيني » (٢)

٦ ــ الشيخ ابراهيم الأكرمي ــ • جاء في احدى مقطعاته :

« فكرت في فضل الاما	م المقري الحبر حينا
فوجدته بحر الزما	ن وواحد الدنيا يقينا
ما أن رأيت ولا سمع	ت بمثله في العالمينا
وافى دمشقا زائراً	ألو أنه أضحى قطينا
واتى عجيب الاتفا	ق بفطر شهر الصائمينا
فكان غرته الهلا	ل ونحن كنانا ذرينا
والعلم قال مؤرخاً	ادىبها فضلا مبينا »(٣)

---

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٢ . ص: ١٩١ ــ ١٩٢ .
٢ ــ م. س. ج: ٢ . ص: ١٩٥ .
٣ ــ م. س. ج: ٢ . ص: ١٩٩

٧ ــ الفقيه الشيخ مصطفى ابن محب الدين . جاء في مطلع احدى قصائـده :

«ودونك قطب الغرب في العلم والفضل
هو المقري الاصل حائزة الخصل

حوي كل علم كل عن بعضه السّوى ... فلا غرو ان أضحى فريداً بلامثل
أوحاز فنوناً من ضروب معارف ... ومن فضل تحقيق ومن منطق فصل
توحي دمشق الشام فافتر ثغرها ... سروراً به وازينت من حلي الفضل
وشرف مصراً قبلها فاكتست به ... ملابس فخر زانها كرم الاصل »

الـى ان يقـــول :

اذا ما أدار الدر من كاس لفظه ... سقانا عقار الفضل علا على نهل
نظام له يحكي قلائد عسجد ... وثغر مليح فائق الحسن والبذل
وأسجاعه ان حاك وشي نسيجها ... حكت حبر أحيكت نمارق من غزل
له القلم الاعلى بشرق ومغرب ... له الموضع الاسمى على الكل في الكل (١)

٨ ــ الشيخ محمد الكلشني . ــ جاء في مطلع احـدى قصائده :

لك دمشق الشام أكرم وارد ... فقري به عينا وللحسن شاهدي
وهزي دلالا في أزاهر روضه ... معاطف لين كالغصون الأمالد
لك البشرى يا عيني ظفرت بأمجد ... رفيع الذرى من فوق فرق الفراقد
لقد شاع بين الناس واسع فضله ... فكم قاصد يسعى لنيل الفوائد

---

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٣ . ص: ١٩٩ ــ ٢٠٠ .

من العلم الفرد المفيد الذي له أياد سمت بالجود تولى لقاصد
وذاك أبو العباس أحمد من صفت مناهله دوماً الى كل وارد

الى أن يقول :

إذا رمت أن تلقى نظيراً لمثله
عجزت – ورب الناس! – عن عد واحد(١)

٩ – الشيخ أبو بكر العمري . جاء ضمن احدى قصائده :

تاهت تلمسان على مدن الدنى بعالم في العالمين يحمد
المقري احمد رب الحجا الكامل البحر الخضم المزبد
مالك هذا العصر شافعيه احمده نعمانه المسدد
مذ حل مصر اذعنت اعلامها لفضله ويجلوا ويجدوا
وفي دمشق الشام دام سعدها كان له بها المقام الاسعد
العلماء اجمعوا جميعهم على معاليه التي لا تجحد (٢)

١٠ – الشيخ يحيي المحاسني . جاء ضمن احدى رسائله للمقري :

«... فهو العالم الذي سرى ذكره في الآفاق ، مسير الصبا جاذب ذيلها النسيم الخفاق ، الذي أطلع شمس التحقيق من أفق بيانه ، وأظهر بدر التدقيق من تبيانه ، فلهذا عقدت عليه الخناصر من علماء عصره ، وانقطعت اليه الأواصر من فضلاء مصره ، فلا يضاهيه في ذلك أحد في

---

١ – المقري ، احمد. نفح الطيب . ج: ٢ . ص: ٣٠١ .
٢ – م. س. ج: ٣ . ص: ٢٠٤ .

زمانه ؛ وينسق مـا نسقه من دره ومرجانه ؛ فهو المعول عليه في مشكلات العلوم ، معقولها ومنقولها والمنطوق والمفهوم ، الذي لا تسمح بمثلـه الأزمان والعصور ، ولم يأت بناظره تتابع الاعصار والدهور ..» (١).

١١ ـ الشيخ تاج الدين المحاسني . جاء ضمن احـدى رسائلـه للمقـري :

يا فاضل العصر يا من	للشرق والغرب شرف
يا احمد الناس طرا	في كل ما يتصرف
عدي اليك محب	دموعـه تتذرف
شوقاً وودا قديماً	منكراً يتعرف » (٢)

وقد مدح المقري بدمشق علماء آخرون من غير هؤلاء المذكورين . أمثال شهاب الدين أحمد الخفاجي ، وعبد الباقي الحنبلي ، والشيـخ فتح الله البيلوني الحلبي .. وكان هذا الأخير ينظم قصائد ويبعث بها الى المقري لينقدها ويبين لـه مغامزها ومحاسنها . قال المقري : «.. وكتب لي (الشيخ فتح الله) بخطه اثر هذه القصيدة ، وقد وجهها الي مع جملة من قصائد ومقطعات بما صورته : يا ناقد عصره ، وواحد مصره ، تفضل باصلاح ما فيه ان كان ، اذ كنت في النقد شامخ الاركان..»(٣).

ومن خلال هذا النص يتبين لنـا أن المقري كان لـه حاسة في نقد الشعر ومعرفة غثه من سمينه ،وذلك ما نلمحه في تعاليقه على بعض الاشعار التي ينقلها الينا في كتبه . وسنشبع الكلام عن هذا في غضون دراستنـا لكتابه «نفح الطيب» . وقد أثبت المقري في كتابه «فتح المتعال» عـدة

---

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٣ ص: ٢١٠ .
٢ ــ م. س. ج: ٣ ص: ٢١٧ .
٣ ــ المقري، احمد. فتح المتعال . ورقة : ٧٢ .

قصائد للشيخ فتح الله البيلوي ، تتعلق بمدح نعال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ! ـ

وقد مدح المقري ـ أيضا ـ علماء الحرمين الشرفين ، نذكر منهم : امام المسجد الحرام وخطيبه ، الشيخ تاج الدين ابن أحمد بن ابراهيم المكي المالكي . جاء ضمن تقريضه لكتاب «فتح المتعال» : «.. كيف لا ! ومؤلفه (١) راضع ثدي التحقيق ولبانه ، واضع در التدقيق عقداعلى لبانه، رافع طراز سند الحديث ورواياته ، كاشف أسرار التنزيل وحكم آياته ، مجمع بحر العقول والنقول ، منبع نهري الفروع والاصول ، ساحب البلاغة على سحبان وائل ، علامة العلماء واللج الذي لا ينتهي ولكل لج ساحل ، مالك أزمة البراعة والفضائل ، ... حامل لواء التدريس والفتوى على مذهب مالك ، القائم بوظيفتهما في جميع الأقطار والمسالك ، الخطيب المفوه بمدينة فاس ، الامام المنوه في أرجائه الاريجة الانفاس ، الهمام الضارب قبة علاه على قبة المشتري ، مولانا الشيخ أحمد المقري،..»(٢). وكان المقري يتمتع بسمعة شية لدى ملوك المغرب وحكام المشرق . وقد كانوا يتوسمون فيه الخير والصلاح ، ويثقون بعلومه المتينة ، وكثيرا ما كانوا يلجأون اليه عند المشاكل العويصة ، ليحلها لهم . وهذا ما نلمحه في حادثة ميزاب الرحمة المتقدمة الذكر . وكانوا لا يردون له طلبا ، كما أشرنا الى ذلك في قصة الشيخ الغصين مع أمير غزة . وكانوا حريصين على اقتناء كتبه والتبرك بها . قال المقري ـ في رسالة بعثها الى شيخه محمد ابن أبي بكر الدلائي ـ : «.. ومما من الله به عليه (٣) أنه ألف بالحضرة (٤) «فتح المتعال ، في مدح النعال» و«أزهار

---

١ ـ الضمير يعود على كتاب «فتح المتعال» .
٢ ـ المقري، أحمد. فتح المتعال . ورقة ٢٤٧
٣ ـ الضمير يعود على المقري .
٤ ـ الحضرة : المدينة المنورة .

الكمامة ؛ في أخبار العمامة» ، وكل منهما مجلد كبـير .. وكان قصد العبد (١) أن يرسل بهما الى سيده (٢) قبل هذا التاريخ ؛ فقدر الله ان بعض كبراء الدولة أخذهما» (٣) .

وسبب الحظوة التي فاز بها المقري لدى علماء عصره وملوك زمانـه يعود الى غزارة علمه واستقامة سلوكه .

---

١ ـ العبد : هو المقري .
٢ ـ سيده : الضمير يعود على محمد ابن ابي بكر الدلائي
٣ ـ المقري، احمد ، رسالة المقري (مجموعـة) ٧١ ع‌ك. الخزانة العامة ، الرباط ، ورقة : ٤٧ ـ ٥٣ ، مخ.

القِسْمُ الثاني

كتابه "نفح الطيب"

الباب الثالث

كتابة نفح الطيب

دراسة تحليلية

الفصل الاول

اسباب تاليفه واغراضه ـ

فكرة تاليفـه ـ دوافع تاليفـه ـ اهـداف

تاليفـه ـ تاريـخ تاليفـه ـ عنوانـه ـ

فكرة تاليفه :

يبدو أن المقري قد تكونت لديه فكرة تأليف كتاب يضم أخبار الأندلس وأدبائها أيام أن كان بالمغرب وقبل نزوحه الى المشرق ، بدليل ما جاء في قوله : «.. وكنت في المغرب ـ وظلال الشباب ضافية ، وسماء الأفكار من قزع الاكدار صافية ، ـ معتنيا بالفحص عن أنباء أبناء الاندلس ، وأخبار أهلها التي تنشرح لها الصدور والانفس،وما لهم من السبق في ميدان العلوم ومحاسن بلادهم ، ومواطن جدالهم وجلادهم ، حتى اقتنيت منها ذخائر يرغب فيها الأفاضل الاخاير ، وانتقيت جواهر فرائدها لعقول بواهر ، واقتطفت أزاهر أنجمها في أفق المحاضرة زواهر ، وحصلت فوائد بواطن وظواهر ، طالما كانت أعين الالباء اليها سواهر .. وتركت الجميع بالمغرب .. ولو حضرني ـ الآن ـ مما جمعته في ذلك الغرض والفته لقرت به عيون وسرت ألباب ، وهو ـ والله ! ـ الغاية

في هذا الباب ....» (١) . فعبارات «اقتنيت وجمعت وألفت» الخ .. تدل دلالة واضحة على أن المقري قد شرع في هذا التأليف أيام أن كان مقيما بالمغرب ، ثم أنجز مشروعه بعدما استقر بالمشرق .

دوافع تأليفه :

يمكن لنا أن نحصر حوافز هذا التأليف في دافعين اثنين :

أحدهما : دافع داخلي بالنسبة الى شخصية المقري وقرارة نفسه ، فقد تأثر بالأدب الأندلسي ، وأثر فيه نتاج رجال ذلك القطر المسلوب ، تأثيرا جعله يتقفى معالمه ويستقصي آثاره أينما كانت وحيثما بانت ، فراح يركز حديثه على هذا النتاج في كل مجلس قد حل بـه ، وفي كـل حفل يضم رجالات العلم والأدب . و «من أحب شيئا أكثر من ذكره» .

ثانيهما : دافع خارجي ، بالنسبة الى أصدقاء المقري الذين راحوا يلتمسون منه أن يؤلف لهم كتابا يضمنه أخبار لسان الدين ابن الخطيب ، والتعريف بشخصيته . وعلى رأس هؤلاء الاصدقاء تلميذه البار أحمد الشاهيني القيرسي الذي ما برح يلح عليه ويلتمس منه ، حتى لبى شيخه الطلب وأنجز ما وعد بانجازه : «.. فطلب مني المولى أحمد الشاهيني ـ لا زال ، وهو الماجد المذكور ، ذو السعي المشكور ـ أن أتصدى للتعريف بلسان الدين في مصنف يعرب عن بعض أحوالـه وأنبـائه ، وبـدائعه وصنائعه ، ووفاته مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ، .. ثم اني لما تكرر علي في هذا الغرض الالحاح ، ولم تقبل أعذاري التي زندها شحـاح ، عزمت على الاجابة ، بما للمذكور علي من الحقوق .. فوعدته بالشروع في المطلب عند الوصول الى القاهرة المعزية .. وحصل التصميم ، علـى

---

١ ـ المقري، احمد، نفح الطيب ، ج: ١ ص: ١٠٨ ، ١٠٩ .

التكميل للتأليف والتميم ، رعيا لهذا الولي الحميم ..» (١) . ومن خلال هذا النص يتضح لنا أن القسم المتعلق بأخبار ابن الخطيب والتعريف به هو المقترح من طرف أحمد الشاهيني المعبر عنه بـ «الدافع الخارجي» . أما القسم المعلق بأنباء الاندلس وتاريخها فهو مستوحى من نفسية المقري المعبر عنها بـ «الدافع الداخلي» .

أهداف تأليفه :

يبدو أن المقري يرمي بهذا التأليف الى ثلاثة أهداف .

الهدف الاول :

تأدية ما التزم به المقري لتلميذه أحمد الشاهيني ، ومكافأته بانجاز تأليف هذا الكتاب الذي أصبح رمز اعتراف بالجميل ، ومصداق محبة واخلاص ، يكنهما المقري لهذا التلميذ البار على وجه الخصوص ،ولعلماء الشام وأدبائه على وجه العموم . «.. ولم يكن جمعي ـ علم الله ـ هذا التأليف لرفد استهديه ، أو غرض نائل استجديه ، بل لحق وداؤديه، ودين وعد أقدمه وأبديه ، ووقوف عند حد لا يجوز تعديه ، وتلبية داع أحيه وأفديه .. وله بالشام تعلق من وجوه عديدة ، هادية لمتأمله الى الطرق السديدة :

أولها : أن الداعي لتأليفه أهل الشام ، أبقى الله مآثرهم ! وجعلها على مر الزمان مديدة !

ثانيها : أن الفاتحين للاندلس هم أهل الشام ذو النجدة والشوكة الحديدة .

---

١ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ١ ص: ٧٧ ـ ٨٦ ـ ١٠٧ .

ثالثها : أن غالب أهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالاندلس وطنا مستأنفا وحضرة جديدة .

ورابعها : أن (غرناطة) نزل بها أهل دمشق وسموها باسمها لشبهها بها في القصر والنهر ، والدوح والزهر ، والغوطة الفيحاء ، وهذه مناسبة قوية العرى شديدة ..» (١) .

الهدف الثاني :

يتمثل في نشر العلم وبث الأدب في صفوف العلماء والادباء ، ولا سيما الذين يرغبون في الاغتراف من أدب الاندلس وفنونها ، والتزود من نتاج علمائها الكبار وأدبائها الفطاحل ، اذ كان أدب الاندلس قليل الانتشار في المشرق ، بل كاد ينعدم هناك في زمان المقري وقبله :

«.. وأكثرها (٢) في المشرق كعنقاء مغرب» (٣) . وربما كان يهدف بتأليفه ــ على وجه العموم ــ الى ايصال أخبار المغرب وتاج أهله الى المشارقة الذين أغفلوا ذلك ولم يهتموا بــه . وهذا ما نستلمحه جليا في عبارة قوله: «.. لاناتيينا هذا الكتاب على ذكر ما يناسبه من أنباء أهل المغرب ، لكون أهل هذه البلاد المشرقية ليس لهم بها عناية» (٤) . وكان المقري يرمي بهـذا التأليف الى تدريب الناشئين على فن الانشاء وتقطيع الشعر : «واعلم أن هذا الكتاب معين لصاحب الشعر ، ولمن يعاني الانشاء والنثر من البيان السحر» (٥) .

---

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ١ ص: ١١٧ ، ١٨ .١.
٢ ــ الضمير يعود على كتب الادب الاندلسي .
٣ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ١٠ . ص: ٣٦٣ .
٤ ــ م. س. ج: ٨ . ص: ٢٦٨ .
٥ ــ م. س. ج: ١٠ . ص: ٣٦٣ .

الهدف الثالث :

نية التحدي للذين يحسدونه من علماء مصر ويضمرون لـه الكيد، ولعل ذلك هو الذي دفع بـه الى الاطناب في النصوص المتشعبة الفنون الدالة على غزارة علـم ناقلها وكثرة حفظه ، ولولا هذا التحدي ما أضاف، الى دراسة ابن الخطيب دراسة جديدة للقطر الأندلسي ومشاهير رجاله ، بل دفع بـه التحدي الى الاتيان بشيء جديد لم يسبق اليه في غير تأليفه : «فحسبي أني بذلت به جهدي ، وأنفقت من وجدي على قدر ما عندي ، وقد توهمت (١) أني لم أسبق الى مثله في بابه ، اذ لم أقف لـه على نظير أتعلق بأسبابه .. وكفاه أنه لم ير مثله في فنـه فيما علمت، ولا أقوله تزكية لـه ، ويعلم الله ـ تعالى ! ـ أني تبـرأت من هـذا العارض ومنه سلمت ..» (٢) .

ولئن اعتاد بعض المتقدمين ـ من شعراء وكتـاب ـ أن يهـدوا تواليفهم الى أمراء عصرهم ويزفوا مصنفاتهم الى حكام زمانهم ،فكرامةأبي العباس تربأبه عن هذا الغرض ، بل هو يكتب للعلـم ويحبـر للادب ، ويؤلف من أجل أداء الواجب الذي في الذمم ، ويفعل ذلـك اعترافـا بالجميل المسدى اليه من لدن أهل الشام ، الذين لولاهم ماأظهر الشعور الحي ولا أبدى الاحساس البشري في نفحه .

تاريـخ تاليفه :

شرع المقري في تأليف كتابه «نفح الطيب ..» بعد رجوعه من دمشق الى القاهرة سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٨ م) ، وكتب منه ما تيسر لـه أن يكتبه ثم توقف عن اتمام هذا المشروع ، لأمور ثبطت عزمه وعاقت تفكيره ، ودفعت به أن يضع القلم من يده الى يوم غير معلوم . ومـن بين هـذه

١ ـ توهمت : تيقنت وتحققت . وعبر بالوهم تواضعا منه .
٢ ـ المقري ، احمد. نفح الطيب . ج: ١ ص: ١١٨ ، ج: ١٠

العوائق وفاة أمه وابنته . وكاد لا يفي بوعده لولا كتاب أتاه من تلميذه وصديقه الحميم أحمد الشاهيني بدمشق ، يذكره فيه بما وعده به أيام زيارته للشام ، فعندئذ شمر المقري عن ساعد الجد ، واستأنف مشروع تأليفه ، وقد أتي على جله (١) في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٠٣٨ هـ (٢٠ ماي ١٦٢٩ م) ، وألحق به كثيرا (٢) في السنة التي بعدها ، أي : أتمه وفرغ من جميعه آخر ذي الحجة سنة ١٠٣٩ هـ (٩ أوت ١٦٣٠ م) : «اني شرعت بعد الاستقرار بمصر في المطلوب ، وكتبت منه نبذة تستحسنها من المحبين الاسماع والقلوب ، .. ثم وقف بي مركب العزم عن التمام واستوي ، فأخرته تأخير الغريم ، لدين الكريم ، وصدتني أعراض عن تكميل ما يشتمل عليه من أغراض ، وأضربت برهة عماله منحى ، لاختلاف أحوال الدهر نفعا ودفعا ومنعا ومنحا ، ومرقت عن هدف الاصابة نبال ، وطرقت في سدف ليالي الكتابة أمور لم تكن تخطر ببال ، فجاءتني من المولى (٣) المذكور آنفا ، رسالة دلت على أنه لم يكن عن انتجاز الوعد متجانفا ، فعدت لقضاء الوطر مستقبلا وللجملة مستأنفا ، وحدا بي خطابه الجسيم للاتمام ، .. وكان الفراغ منه عشية يوم الاحد المسفر — صباحا — عن السابع والعشرين لرمضان سنة ثمان وثلاثين وألف ، بالقاهرة المحروسة .. وألحقت فيه كثيرا في السنة بعدها ، فيكون جميعه آخر الحجة تتمة سنة تسع وثلاثين وألف ..»(٤).

---

١ — أي : القسم المتعلق بأخبار لسان الدين ابن الخطيب .

٢ — أي : القسم المتعلق بتاريخ الاندلس . (انظر نفح الطيب . ج: ١ ص: ١٠٨ .

٣ — هو احمد الشاهيني .

٤ — المقري، احمد. نفح الطيب. ج: ١ ص: ١٠١ . ج، ١٠ ص ٣٦٤

عنوانـه :

كان المقري قد سمي كتابه ــ اولا ــ «عرف الطيب ، في التعـريف بالوزير ابن الخطيب» ، وذلك قبل أن يلحق بـه أخبار الاندلس التي من أجلها عدل عن الاسم الاول ووضع لكتابه اسما جديدا مطابقا لمسماه ، وهو : «نفح الطيب ، من غصن الاندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسـان الدين ابن الخطيب» • وهذا العنوان هو الذي بقي متداولا بين جميـع الكتاب والادباء ، كما أصبح معتمدا في جميع طبعات الكتاب أيضـا : «وقد كنت ــ أولا ــ سميته بـ «عرف الطيب ، في التعريف بالوزير ابن الخطيب» ، ثم وسمته ــ حين الحقت أخبار الاندلس به ــ بـ «نفح الطيب ، من غصن الاندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب»(١)• ومن خلال العنوانين يتجلى لنا أن المقري قد كان متأثـرا جـدا بالأدب الاندلسي المستوحي من جمال الطبيعة ، وحسن الهواء واعتدال المزاج ، ومرح النفوس • وربمـا كان المقري يضع عناوين بعض مؤلفاته قبـل شروعه في تأليفها ، بل قد صرح بذلك في عباراته الآتية : «وقـد كنت نويت أن أؤلف في ذلك بالخصوص كتابا أسميه: «روضة التعليم ، في ذكر الصلاة والتسليم ، على من خصه اللـه تعالـى بالاسراء والمعاينـة والتكليم»، والله تعالى المسئول فيالتيسير ••»•(٢) وقد كنت بالمغرب نويت أن أجمع في شأنها (تلمسـان) كتابا ممتعا أسميه بـ «أنواء نيسان ، في أنباء تلمسان» • وكتبت بعضه ، ثم حالت بيني وبين ذلـك العـزم الاقدار ••» (٣)• وفي نيتي أناجمع فيذلك (مدح دمشق) كتاباحافلا أسميه «نشق عرف دمشق» أو «مشق قلم المدح لدمشق» (٤) • وهـذا يدلنا على أن المقري كان يستحضر محتوى مؤلفاته ويتصور مواضيعها قبل الشروع في تحريرها •

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب ج: ١ ص: ١١٧
٢ ــ م• س• ج: ١٠ ص: ٢٢٧
٣ ــ م• س• ج: ٩ ص: ٣٤٢
٤ ــ م• س• ج: ٢ ص: ٢٤٢

الفصل الثاني

موضوعه ومحتـواه

المقدمة ـ القسم الاول : الباب الاول ـ الباب الثاني ـ الباب الثالث ـ الباب الرابع ـ الباب الخامس ـ الباب السادس ـ الباب السابع ـ الباب الثامن ـ

القسم الثاني : الباب الاول ـ الباب الثاني ـ الباب الثالث ـ الباب الرابع ـ الباب الخامس ـ الباب السادس ـ الباب السابع ـ الباب الثامن ـ

لا ارتياب في أن موضوع كتاب «نفح الطيب» تاريخ وأدب ، وما يمت الى هذين الاثنين من الفروع . أما محتواه فمقدمة وقسمان ، يضمان ستة عشر بابـا .

المقـدمـة

يبدو لنا جليا أن المقري قد كتب مقدمته بعد ما أتم تحرير كتابـه كله ، وهذا ما نستلمحه من خلال فقرات المقدمة نفسها . تلك المقدمة التي تتضمن التعريف بصاحب الكتاب ، من حيث اسمه وشهـرة نسبه

ومذهباه : الفقهي والعقائدي ، ثم الحمدلة والتشهد ، والتسبيح ،والشكر لله ، والصلاة والتسليم على أفضل خلق الله وآل بيته الأطهار وصحابته الابرار ، والترضي على علماء الاسلام ومن تبع سنة خير الأنام • ثم التحذير من الاغترار بالدار الفانية ، والحث على التزود بما ينفع في الدار الباقية • ثم يعزز نثره المعسول بقصيدته «المقرية» التي لا تقل عن مائة وثلاثة أبيات ، وهي تشتمل على أربعة عناصر أساسية •

العنصر الاول : التسليم الى من قسم الحظوظ بين العالم والجاهل. والشاطر والمغفل من عبادة •

العنصر الثاني : الحث على التحلي بالتقوى والتزود بالاعمال الصالحة لدار القرار •

العنصر الثالث : التحريض على نبذ الدنيا الدنيئة والزهد في زخارفها الخلابة ، وعدم الاغترار بابتساماتها الصفراء ، فهي اذا أضحكت ساعة فانها تبكي دهـرا •

العنصر الرابع : ــ ضرب الأمثال لعدم استقرار الدنيا ، وسرعان تنكرها ، واضمحلال معطياتها • وقد ضربت تلك الامثال بالاجيال الغابرة شرقا وغربا من ملوك العروش ، وعلماء الطروس ، وأولياء الكرامات ، وعساكر البأس والقوة • فلم يبق من هؤلاء وأولئك سوى ذكرهم ، وما عملوه وقدموه ابان أن كانوا أحياء يرزقون على ظهر هذه البسيطة ، ان خيرا فخير وان شرا فشر !

ثم يعود المقري ــ مرة ثانية ــ الى التعريف باسمه وشهرة نسبه ومذهبه الفقهي والعقائدي ، وتحديد مكان مولده ونشأته وقراءته ،ويذكر لنا رحلته الثانية الى فاس الباهرة ، ومنها الى مصر القاهرة ، ثم يلتجيء الى الله القدير من كيد الكائدين وجدال الحاسدين ،

ولا يفوتـه أن يرسـل مـن صـدره المحـرور عبـارات التألـم لفراق بـلاده المحبوبـة ، لا سيما المغـرب الاقصـى « فاس » التي ترك فيها المنصب والأهل والالف ، وذلك في أواخر شهر رمضان من سنة ١٠٣٧ هـ(١٦١٧ م)؛ ثم راح يزف الى هذه البلاد عبارات المدح والاطراء من نثر معسول ، وشعر موزون ، كل ذلك يرشح برقة الحنان الى الوطن وشدة التأسف على فراقه • ثم يضرع الى الله المجيب أن لا يطيل غربتـه بالمشرق وأن يعود به الى وطنه المحبوب في القريب العاجل : «وأرغب لمن أطال ذيول الغربة أن يقلصها ، وأطلب ممن أجال النفوس في سـيول الكربة أن يخلصها» :

فنلتقي وعوادي الدهر غافلة   عما نروم وعقد البين محلول
والدار آنسة والشمل مجتمع   والطير صادحة والروض مطلول

وأضرع اليه ــ سبحانه ! ــ في تيسير العود الى أوطاني ، وممهدي الذي مطايا العز أوطاني (١) ، وأن يلحقني بذلك الأفق الذي خيره موفور، وحق من فيه معروف لا منكر ولا مكفور :

اذا ظفرت من الدنيا بقربهم   فكل ذنب جناه الدهر مغفور (٢)

ثم يصحو من سكرة شوقه الملتهب ، فيفوض أمره الى علام الغيوب، ومفرق الاجساد وجامع القلوب :

«على أنني أقول : اللهم يسر لي ما فيه الخير لي بالمشارق والمغارب!، وجد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب» (٣) • ثم ينبئنا بمـا قاسـاه ــ هو ــ ورفقاؤه من أهوال البحر ، بعدما قضوا

---

١ ــ اوطاني : اصله أوطأني بالهمز وسهلت همزته نزولا عند رغبـة السجع ، ومعناه مهدها لي .

٢ ــ المقري، احمد. نفح الطيب ، ج: ١ ، ص: ٤٣ ، ٤٤ .

٣ ــ م. س. ج: ١ ص: ٤٤

أياما عديدة جادين للسير في أحضان البرايا • وقد وصف المقري أمـواج البحر وتقلباته الطبيعية وصفا رائعـا تعجز عنه أقلام البلغاء وخيال الادباء في غابر الازمان وحاضرها ، ثم يصل الى مصر ، ويتمدح بنيلها العذب الفياض ، وينقل الينا عدة أبيات قد قيلت في مدحها ، ثم يفيدنا بأنـــه نزح من مصر ــ بعد أن أقام بها مدة قليلة ــ «الى المهم الاعظم ، والمقصد الاكبر الذي هو سر المطالب الجليلة ، فهو رؤية الحرمين الشريفين ،والعلمين المنيفين ، زادهما الله تنويها ! » (١) • وهكذا يأخذ في نسج الامـداح الشعرية للحرمين الشريفين (مكة والمدينة) ، كما لم يترك سرد مـا علـق بحفظه من الامداح الشعرية التي قيلت فيهما على مختلف ألسنة الشعراء• ثم يتخلص من التمدح ليخبرنا بأنه قد عاد الى مصر بعد حجته الاولى ، وحل بهـا في شهر المحرم من سنة ١٠٢٩ هـ (١٦١٩ م) • وفي شهر ربيع الاول من نفس السنة توجه الى القدس الشريف بقصد زيارة بيت المقدس، الذي أخذ يتمدح بـه وبمسجده الاقصى وبمعالم جميع القطر • ثـم ينبئنا بأنه عاد الى مصر القاهرة وكرر الذهاب منها الى البقاع المقدسة ، فدخل مكة المكرمة خمس مرات ما بين سنتي ١٠٢٩ هـ (١٦١٩ م) ١٠٣٧هـ (١٦٢٧ م) ، وفي غضون هذه المدة قد زار المدينة المنورة سبع مرات ، وألف ــ أثناء اقامته بهـا ــ عدة كتب ذات قيمة معتبرة ، وأملـى بهـا الحديث النبوي الشريف «بمرأى منه ــ عليه الصلاة والسلام ــ ومسمع، ونلت بذلك وغيره ــ ولله المنة ــ ما لم يكن لي فيـه مطمح ولا مطمع ، ثم أبت الى مصر مفوضا لله جميع الامور ، ملازما خدمـة العلم الشريف بالأزهر المعمور • وكان عودي من الحجة الخامسة بصفر سنة سـبع وثلاثين وألف للهجرة» • ثم يفيدنا بأن همته تحركت أوائل رجب سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٨ م) للعود الى بيت المقدس ، فنزح اليه وقام بـخمسة وعشرين يوما ، قد زار خلالها جل مزاراته ، والقى عدة دروس بالمسجد

---

١ ــ المقري: احمد. نفح الطيب • ج: ١ • ص: ٤٩ •

الاقصى • ويأخذ المقري في مدح هذا البيت بما تيسر لـه من الامداح الشعرية ، ثم يخبرنا بأنه غادره في منتصف شهر شعبان من نفس السنة متوجها الى دمشق الشام ، فدخلها أواخر نفس الشهر ، ثم يطلق لسانه في مدحها واطرائها ، ولم يبخل علينا بإبداء الاسباب التي جعلته يهيـم بحب دمشق ويتعلق بأهلها الكرام ، ثم يدور الحديث بين المقري وبـين فطاحل علماء الشام ، ووجهائهـا الافاضل ، فتفضي بهم شجون الحديث الى ذكر لسان الدين ابن الخطيب ، فعندئذ فاض المقري بما عنـده مـن أخبار هذا الوزير الشهير والعالم النحرير • فأثر فيمن يحادثه ويجالسه ، لا سيما أديب القطر : أحمد الشاهيني القبرسي الاصل الدمشقي المولد، الذي طلب من المقري أن يجمع ما عنده من معلومات على ابن الخطيـب ويدونها ، حتى تصبح تأليفا يستفيد به من لم تكن عنده معرفـة بابـن الخطيب ، فامتنع المقري واعتذر عن تلبية هذا الطلب ، وراح يبين الاسباب التي تحول دون الشروع في هذا المشروع •

منها : أنه محسود بأرض مصر ، وبعين الحقـارة ــ هنـاك ــ مـرمـوق •

ومنها : أنـه ليس أهلا لحمل هذا العبء الثقيل الذي أعجز كل ذي قوة في التفكير ، وأخرس من حاز قصب السبق في فن التعبير • ثـم يؤوب الى التشكي من أبناء جلدته في مقام غربته ، ويسترسل في ذكـر عوائد الدهر وسرد مكايد أبناء الملـة • ثم يعود فيستجيب لمن طلب منه أن يجمع ما في مقدوره فيما يخص أخبار لسان الدين ابن الخطيب ،ويعده بالشروع في جمعه فور وصوله الى مصر • ثم غادر المقري دمشق عائدا الى القاهرة ، وعند خروجه منها شيعه علماؤها ووجهاؤها الى «درايا» التـي راح المقري يطنب في وصفها ، ويستشهد بأشعار رقيقة النغم ، قد قيلت في جمال منظرها ، ثم يصف لنا موقف الوداع ويجلب الـى وصفه مـا

يستحضره من أشعار الاوائل والاواخر ، ويتأسف على الفراق تأسفا شديدا ، فيقول : «وضاقت بي الرحاب ، عند مفارقة أعيان الاحباب والاصحاب ، وكاثرت دموعي — من بينهم — السحاب ، وزند التذكر يقدح الاسف فيهيج الانتحاب» (١) • ولم ينس المقري — بعد وصوله الى مصر — أرض الشام ، بل بقي قلبه معلقا بها وبأهلها الى أن لقي الله : «وحين وصلت مصر لم أنس عهد الشام المرعي» (٢) • ثم يفيض المقري بسيل من الاشعار قد قيلت في لوعة الاشواق وحرقة الحنين ،وقد اطنب في ايرادها جهد المستطاع ، ثم يبشرنا بأنه قد شرع في تأليف ما وعد بانجازه بعدما استقر بمصر ، بيد أنه قد توقف ولم يستمر في اتمامه لأمور قد عاقته عن ذلك ، وبينما هو كذلك ، اذ وصله كتاب من لدن تلميذه أحمد الشاهيني يستنجزه فيه ما وعده بانجازه • ثم أخذ المقري في تقريض هذا الكتاب بعبارات كريمة، وألفاظ ملائمة، مطعما ذلك ببعض فقرات الكتاب ، وختم هذا التقريض بقصيدة أحمد الشاهيني التي مدح بها شيخه المقري في خاتمة كتابه اليه • ثم يخبرنا بأنه حصل له نشاط مشجع على اتمام مشروع تأليفه بمجرد اتصاله بهذا الكتاب ، فاستأنف عمله بانشراح وأودع كتابه كل ما علق بحفظه مما له صلة بموضوع تأليفه، وأودعه — أيضا — بعض القطع النثرية والمقطعات الشعرية التي كانت ضمن مقيداته : لانه قد ترك جل كتبه بالمغرب الاقصى ولم يستصحب معه الى المشرق سوى القليل مما يتعلق بأخبار لسان الدين ابن الخطيب ، ثم يخوض في مدحه ويسوق عبارات الشكر والتقدير لشخصيته الفذة • ولا يفوته أن يفيدنا بأنه قد أكمل تصنيفه لـ «نفح الطيب» ، وأنه قسمه قسمين اثنين ، كل قسم منهما مستقل بنفسه •

فالقسم الاول يتعلق بجزيرة الاندلس ، من حيث جغرافيتها الطبيعية

---

١ — المقري، احمد. نفح الطيب • ج: ١ • ص: ٧٩ ، ٨٠ •

٢ — م• س• ج: ١ • ص: ٩٨ •

والاقتصادية والسياسية كما يتناول أخبار ملوكها وعلمائها وأدبائها وهلم جرا ...

أما القسم الثاني فانه يدور حول محور لسان الدين ابن الخطيب وما يتصل به منذ ولادته حتى وفاته ، وكل قسم من هذين القسمين تحته ثمانية أبواب . ثم يطلعنا على صيغة العنوان الذي عنون به القسم الخاص بابن الخطيب ، ولما ألحق به القسم الآخر الذي يتعلق بأخبار الاندلس ، عدل عن هذا العنوان ووضع عنوانا جديدا مطابقا لموضوع الكتاب بقسميه . ثم يبين لنا وجوه العلاقة التي بين تأليفه «نفح الطيب» وبين الشام،ثم يلتمس ممن سيقف على تأليفه انيغض الطرف عن عيوبه وعن التقصير الذي فيه ، كما يتوسل الى من كان السبب في تصنيفه أن يشفع عما جاء فيه من تقصير أيضا ، ويشفع هذا التوسل وذاك الالتماس بانشاد أشعار تناسب المقام في مدح الكرام ، ثم يجنح به مركب الاستطراد الى الخوض في خضم أشعار قد قيلت في ذم الدنيا وحث الغفل على الاستعداد ليوم الحساب . ثم يختم مقدمته بالتضرع الى الله ،ليصفح عن زلاته ويسامحه فيما أودع كتابه، من استطراد الهزل والمجون التي قد جاءت بها شجون الحديث ، ويعلل هذا الاستطراد بقصد الترويح عن القلوب وتنشيط النفوس ، ويتوسل الى الله بالمواعظ والنصائح وحكايات الاولياء ومحاسن الامداح النبوية ، ليستر عيوبه ، ويغفر ذنوبه بجاه سيد الانام ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ! (١) .

القسم الاول

يتعلق بأخبار جزيرة الاندلس ، من حيث جغرافيتها الطبيعية ، وتاريخها البشري ، واقتصادها المالي ، وأخبار أهلها ، وأوصافهم الطبيعية والمكتسبة ، وهلم جرا .. ويضم هذا القسم ثمانية أبواب .

---

١ ــ المقري، أحمد. نفح الطيب (المقدمة) . ج: ١ ، ص: ١٧ ــ ١٢١

الباب الاول

من القسم الاول

يفتتح المقري هذا الباب بأسباب تسمية جزيرة الاندلس بهذا الاسم ، ويورد أقوال العلماء والمؤرخين في مدلول لفظة «أندلس» ، ثم يأخذ في وصف مساحتها وتحديد أرضها ، وذكر مناخها ومزاياها ، ثم يخبرنا بأن «القوط» هم أول جنس من البشر سكن أرض الاندلس ، وهم قوم يعرفون بـ«الاندلش» ، وباسمهم سميت تلك الجزيرة بعدما عربت الشين المعجمة الى سين مهملة ، ويفيدنا بأن هؤلاء القوم قد كانوا على دين التمجس ، وأنهم عاثوا في الارض فسادا . ثم يذكر لنا بعض التحف الثمينة التي عثر عليها المسلمون عندما فتحوا هذه الجزيرة ، مثل : مائدة سيدنا سليمان ــ عليه السلام ! ــ التي قد وجدها طارق بن زياد بكنيسة «طليطلة» ، وقليلة الدر التي القاها موسى بن نصير بكنيسة «ماردة» ، وغير ذلك من الغنائم الكثيرة ، ويخبرنا المقري بأن أرض المغرب الاقصى قد كانت متصلة بأرض الاندلس ، وان الاسكندر ذا القرنين هو الذي أمر بحفر ما بين «طنجة» وبلاد الاندلس ، فانفصلت هذه عن تلك وأصبح البحر حائلا بينهما . ثم ينتقل بنا الى الحديث الذي جرى بين الملك «اشبان» وبين سيدنا الخضر ــ عليه السلام ! ــ ويبين لنا السبب الذي به آل الملك الى «اشبان» المذكور والى ذرياته من بعده . ثم يأخذ في سرد الامم التي حكمت الاندلس قبل المسلمين : كالروم والقوط وغيرهما ، ثم لم يلبث أن يحدثنا عن الحواريين بأرض الاندلس ، وانتشار النصرانية هناك على عهد ملك القوط ، وفي نفس الوقت يذكر بعض معادن الاندلس وحاصلاتها ، ولا يفوته أن ينقل الينا جملة من أقوال العلماء والمؤرخين

في ذلك . ثم يأخذ في وصف أخلاق أهل الانـدلس المعنويـة ، وطبائع أجسامهم الحسية . وينتقل ، فيذكر مقدار خراج الاندلس على عهد بني أمية ، ومبلغ جبايتها ، ويعود فيصف محاسن مدن الانـدلس ومشاهد عمرانها ، مثل : «غرناطة ، و«لوشة» ، و «باغـة» ، و«وادي آش» ، وغيرها ، ويرجع ، فيذكر غرائب الاندلس ، ومن تلك الغرائب أن بهـا شجرتين من شجر القسطل ، في جوف كل واحدة منهما حائـك ينسج الثياب . ثم يعود مرة أخرى الى وصف «مالقـة» ، و «قرطبـة» وذكر محاسنهما ، كمـا يسوق مفاضلة بين مدينتي «قرطبة» و «اشبيلية» لأبي الوليد ابن رشد ، والرئيس أبي بكر ابن زهر . ويعد خصائص كـورة «باجة» و«جبل طارق» ، وكورة «طليطلة» و «المريـة» و (شنتـرة) و «تدمير» . ثم يقسم جزيرة الاندلس الى ثلاثة أقاليم رئيسية : شرق، وغرب ، ووسط . ويذكر المدن التي تحت حوزة كل اقليم من الاقاليـم الثلاثة، ويصف محاسن كلمنها ومشاهدها العمرانية. ويتطرفالى وصف حيوانات الاندلس ، وطيورها وأفاويهها : (توابلها) ، وعطورها وثمارها ، وبعض معادنها ومصنوعاتها . ثم يذكر بعض نظام الحكم في الاندلسعلى عهد بني أمية : مثل نظام الوزراء ، والحجـاب ، والكتـاب ، والجباة ، والقضاة ، ورجال الشرطة ، و«الدرابين» : (شرطة الليل) ، وهلم جرا .. ثم يشرح لنـا اقامة الحدود على المجرمين ، والجدية فيها ، وعدم التهاون في تنفيذها . وينبئنا بأن التسول ممنوع في الاندلس ، وأن أهلها لهـم رغبة شديدة في العلوم . ويذكر بعض الفنون التي كانت تدرس هناك. ثم ينتقل المقري الى وصف كتاب «المغرب في حلي المغرب» لابن سعيـد، ويقسمه الى أربعة كتب رئيسية ، تتفرع عن كل كتاب منها عدة كتـب أخرى ، حسبما ارتأي ذلك مؤلفه ، وسبب استطراده لهـذا الوصف أن هذا الكتاب كان العمدة الاولى والمنبع الرئيسي لتأليفه «نفـح الطيب» .

ويختم المقري هذا الباب بنقل نصوص لبعض المؤرخين تتعلق بوصف جزيرة الاندلس (١) ٠

الباب الثاني
من القسم الاول

يفتح المقري هذا الباب بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ! ـ : «زويت لي مشارق الارض ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها» ٠

ثم ينبئنا بان أول من دخل جزيرة الاندلس من المسلمين ـ برسم الجهاد ـ هو طريف البربري مولي موسى بن نصير الذي سميت باسمه جزيرة «طريف» الواقعة على «المجاز» ٠ ثم يذكر لنا أسباب هذا الفتح المبين ، ويورد أقوال المؤرخين في ذلك ، كما يذكر لنا ـ أيضا ـ اراء الاندلس وولاتها من قبل أمراء افريقية : (تونس) ويدعم كلامه بايراد نصوص لبعض المؤرخين في هذا الشأن ، وينقل الينا نص خطبة طارق بن زياد التي يقول فيها : «أيها الناس ! أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم ـ والله ! ـ الا الصدق والصبر ٠٠٠» ٠ ويذكر لنا قصة «بيت حكمة اليونان» الذي كان مقره ـ قبل الفتح ـ مدينة «طليطلة» بالاندلس ، ويبين لنا السبب الذي به تملك «لذريق» الاندلس ٠ ثم يلخص لنا تاريخ أمراء الاندلس من قبل أمراء بني أمية بالمشرق ، منذ فتحها الى أن غلب على أمرهم بنو العباس ، ويذكر لنا دخول عبد الرحمن بن معاوية الاندلس ، واعادته الدولة التي أورثها حقبة حقبة ،

---

١ ـ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ١ . ص: ١٢٤ ـ ٢١٣ ٠

ثم يعود الى تلخيص فتح الاندلس وما حدث لملوكها واولادهم بها بعد هذا الفتح ، وقد نقل ذلك عن بعض المؤرخين المسلمين : مثل الخزائني ، والرازي ، وابن حيان ، وغيرهم • ويفيدنا بأن موسى بن نصير قد حسد طارقا على هذا الفتح الذي تم على يديه ، وتحرك موسى هذا الى فتح ما تبقى من مدن هذه الجزيرة • ثم يجنح به قلم الاستطراد الى الكلام عن «مائدة النبي سليمان» مرة أخرى ، فيورد بعض الاخبار والروايات الوردة في شأنها ، وينتقل بنا الى خبر انتصارات موسى بن نصير بجزيرة الاندلس ، ويسمي لنا المدن التي فتحت على يد عبد الأعلى بن موسى بن نصير الذي عاد الى المشرق ، بعدما استخلف ابنه عبد الملك على «طنجة» وأحوازها بالمغرب الاقصى • ويتخلص الى ذكر أسماء الصحابة والتابعين الذين دخلوا جزيرة الاندلس ، ثم يعود الى ذكر «المائدة» ، ويخبرنا بأن موسى بن نصير قد وصل بها الى الشام ، ويورد خبر مقتله على يد سليمان بن عبد الملك ، الذي دس الى أهل الاندلس بقتل ابنه عبد العزيز الذي استخلفه أبوه موسى على بر الاندلس، ويعود فيسرد لنا روايات مختلفة في شأن التنكيل بموسى بن نصير، كما يذكر لنا نبذة من شيمه وصفاته وأخبار نسبه ، ثم يلتفت ــ مرة أخرى ــ الى ذكر أسماء جماعة من التابعين الذين دخلوا جزيرة الاندلس ، والى وصف بعض الغنائم التي وجدها المسلمون هناك • ثم يعود كذلك الى سرد روايات تتعلق بـ «مائدة سيدنا سليمان» ، وأخبار تتعلق بقبائل العرب الذين انتزحوا عن المشرق الى الاندلس ، من حيث تفصيل مواطنهم ، وتبيين أسمائهم الخ ••

ثم يعود ، فيسرد أسماء أمراء الاندلس ، من لدن الفتح الى آخر ملوك بني أمية ، مع تحديد مدة حكم أولئك الامراء ، ومن ذلك ينتقل الى تلخيص تاريخ دولة الامويين الاولى وملوكها بالاندلس ، ويذكر تاريخ أمراء بني حمود ، ثم يلخص تاريخ دولة الامويين الثانية وملوكها بالاندلس أيضا ، ويطلعنا على استبداد ملوك الطوائف بالاندلس ، وعلى اسماء

بعض الاشخاص ، منهم ، مثل : ابن جهور بقرطبة ، وابن عباد باشبيلية ، وغيرهما ..

وبعد ذلك ينقل الينا عدة رسائل من انشاء القاضي ابن المطرف بن عميرة ، التي كاتب بها بعض الملوك والامراء ، ويتبعها بترجمة مستفيضة لهذا القاضي . ثم يختم المقري هذا الباب برسالة بليغة من انشاء لسان الدين ابن الخطيب قد بعث بها صاحب الاندلس : الغني بالله الى السلطان أحمد المنصور ابن السلطان الناصر : محمد بن قلاوون (١) .

الباب الثالث

من القسم الاول

يفتتح المقري هذا الباب بقيام دولة بني أمية في جزيرة الاندلس على كاهل عبد الرحمن الداخل ، وبأخبار مبايعة أهل تلك الجزيرة له ولأبنائه من بعده ، وبامتداح أبي جعفر المنصور لعبد الرحمن الداخل ، واعترافه له بماله من شيم كريمة ، ويفدنا بأن عبد الرحمن هذا يتفق مع أبي جعفر المنصور في بعض الصفات النبيلة . ويذكر لنا انتصار عبد الرحمن الداخل على العلاء بن مغيث اليحصبي ، الذي أرسله ابو جعفر المنصور ليدعو له بالاندلس ، فيقتله عبد الرحمن في سبعة آلاف من رجاله ،ثم يسترسل المقري في سرد اخبار كثيرة تتعلق بهذه الهزيمة الشنيعة ، وبأخبار فرار عبد الرحمن من الشام ، وتولية هشام بن عبد الرحمن ،وذكر نبذة من أخلاقه وسلوكه في الرعية ، لا سيما زهده في الدنيا وبيان أسباب هذا الزهد ، ويحدثنا عن ولاية الحكم بن هشام ، وحروبه ،

وانتصاراته ، وفتوحاته ، وصفاته ، وأخلاقه ، وأخبار متفرقة تتعلق بقوة دولته وبأسها • ثم ينتقل بحديثه الى ولاية عبد الرحمن بن الحكم ،وقدوم زرياب المغني عليه من العراق ، وأخبار حروبه ، وانتصاراته ، وسراياه ونظام دولته ، وهلم جرا •••

ويحدثنا ــ أيضا ــ عن ولاية محمد بن عبد الرحمن ، وأخبار حروبه وانتصاراته وسراياه الخ •••

وعن ولاية المنذر بن محمد التي لم تدم سوى سنتين الا نصف شهر ، وولاية عبد الله بن محمد ، وعن الاضطرابات التي وقعت في أنحاء الاندلس ابان حكمه ، عندما قام الثوار عليه ، ثم يختم المقري كلامه عن ولاية عبد الرحمن الناصر : حفيد عبد الله السابق •

وعن استفحال ملك بني أمية على عهده ، ويفيدنا بأن الناصر هذا أول من لقب بـ«أمير المؤمنين» في جزيرة الاندلس ، وهو الذي وفد عليه وفود من دول الافرنج ، ليلتمسوا منه ان يبرم معهم عقود سلم ويجري معهم عهود صلح • ويذكر لنا نبذة من أخلاق هذا الامير وصفاته ، ثم يطلعنا على أخبار تتعلق بهدية وزيره أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، التي زفها الى مولاه عبد الرحمن مصحوبة برسالة بليغة • ثم يتحدث عن صنيع الناصر الذي اتخذه عندما أعذر لأولاد ابنه أبي مروان عبد الله ، ويثبت لنا نص خطبة المنذر ابن سعيد البلوطي ، التي ألقاها أمام حفل الوفود القادمين على الناصر عبد الرحمن ، وينبئنا بأنه لم يتخلف عن هذه لوليمة أحد من وجهاء البلاد وعلمائها • وفي النهاية يورد لنا بعض المقطعات الشعرية التي تنسب الى الامير عبد الرحمن الناصر • ثم ينتقل المقري بحديثه الى ولاية الحكم : المستنصر بالله ، وحروبه وانتصاراته ، وفتوحاته ، وسراياه ، وترادف ملوك الجلالقة اليه بارسالهم الوفود اليه • وينبئنا بمحبته للعلم والعلماء ، وبذله الاموال الطائلة في شراء الكتب

واقتنائها . ثم يخبرنا بوفاة أبي علي اسماعيل القالي صاحب كتاب «الامالي» ، وكان القالي قد وفد على عبد الرحمن الناصر ، ثم يعود فيذكر تاريخ وفادة الناس عليه بقصد مبايعته ، وكذلك يستأنف الكلام عن وفود ملوك الجلالقة وتاريخ قدومهم عليه ، وعن امتداح العلماء والشعراء لـه ، ثم يذكر نبذة من أخلاقه وصفاته ، ويختم الكلام عن المستنصر بالله بايراد نبذة من أشعاره . ثم ينتقل بحديثه الى ولاية هشام بن الحكم ، الذي ولي بعد وفاة أبيه وعمره لم يتجاوز تسع سنوات ، وكان وزيره محمد ابن أبي عامر الملقب بـ «المنصور» ، الذي أصبح مستبدا بالحكم ، وماكرا برجال الدولة ، ثم ينقل الينا المقري في هذا الباب ترجمة مختصرة للمنصور المذكور ، ويذكر لنا بعض الاخبار المتعلقة بـه . ثم يقحم في سياق كلامـه ترجمة لجعفر المصحفي ، ثم يعود الى اثبات عدة تراجم للمنصور ابن أبي عامر ، وذكر نماذج من عدله وذكائه ودهائه ، ولا يفوته ذكر غزوه لمدينة «شنت ياقب» ، وذكر بعض غنائمه بها . ثم يتحدث عن ولاية أبي مروان عبد الملك المظفر ابن المنصور ، وعن اتباعه لسيرة أبيه وسياسته . ويحدثنا عن ولاية عبد الرحمن أخي المظفر الملقب بـ «الناصر لدين الله» ، ويخبرنا بأن سيرته في الناس كانت مثل سيرة أبيه وأخيه . ويتكلم عن ولاية محمد بن هشام الملقب بـ «المهدي بالله» ، وعن مبايعة البربر وزناتة له ، عندما رأوا سوء تدبير عبد الرحمن الذي لقي حتفه أخيرا ، وينتقل بكلامه الى ثورة العامريين على المهدي بالله ، الذي انتصر عليهم وعلى المستعين بالله الذي بايعوه ، وقتل منهم المهدي بالله خلقا كثيرا ، ويذكر لنا دولة العلويين بالاندلس ، ونبذة من أشعار المستعين بالله المقتول على أيدي العلويين بقرطبة . ثم يحدثنا عن ولاية الناصر علي بن حمود الحسني ، وعن بقية بني حمود . ويستأنف حديثه عن ولاية المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام الاموي على قرطبة ، بعد ما قطع أهلها دعوة الحموديين التي دامت سبع سنوات ، ويذكر لنا نبذة من أشعاره وأشعار

وزيره حسان ابن أبي عبدة ، ويسترسل في حديثه عن ولايــة المستكفي بالله : محمد بن عبد الرحمن ، وعن ثورته على المستظهر وقتله اياه بعــد شهرين من خلافته . وينتقل بحديثه الى ولاية المعتلي بالله يحيى بن علي ، وخلعــه ، ومبايعة الناس للوزير محمد بن جهور مكانه ، واشتداد الفتن بالاندلس على عهده ، وضرب الفوضى أطنابها هناك . ثم يشرع في كلامه عن ملوك الطوائف ، كبني عباد باشبيلية ، وبني جهور بقرطبة ، ثم بنــي عباد بقرطبة ــ أيضا ــ وعن سقوط دولة المعتمد ابن عباد ، وينقل الينــا بعض أخبار المتعمد، وأخبار بني‌ذزين، ونبذة من أخبار بني‌الفهري الذين تغلب عليهم ــ أخيرا ــ يوسف بن تاشفين . ويتحدث عن ولاية بني ذي النون، وهم‌ملوك «طليطلة»، وأعظمهم‌المأمون، ثم‌ولاية الموالي‌العامريين الذين منهم : خيران وزهير وغيرهما . وعن ولاية بني هود، وهم ملوك «سرقــطة» وأحوازها ، وأشهرهم المقتدر بالله ، وابنه يوسف المؤتمــن بالله ، ثم يذكر لنا نبذة من أخبار بني هود . ويتابع كلامه ، فيحدثنا عــن ولاية بني الأفطس ، وهم ملوك «بطليوس» ، ومنهم المتوكل الذي قتــل على يد جيش يوسف بن تاشفين . ثم ينتقل بنا الى ولاية الموحدين وبعض أخبار يعقوب المنصور ابن يوسف ، وهو أحد ملوك الموحدين بالاندلس ، واخبار شمس الدين ابن منقذ ، الذي أرسله صلاح الدين الايوبي الــى يعقوب المنصور ، يستنجد بــه على الافرنج ، وقد مدح ابــن يعقوب المنصور بقصيدة لامية طويلة النفس ، نقل منها المقري ستة أبيات في هذا الباب ، كما نقل بعض الفقرات من كتاب صلاح الدين الايوبي ، ثــم يفيدنا بعبور الناصر بن يعقوب المنصور البحر من المغرب الى الاندلس ، ويحدد تاريخ هذا العبور ، وينتهي به الحديث الى زوال دولة الموحدين بالاندلس ، ثم يستأنف كلامه بأخبار محمد بن يوسف المعــروف بابــن الأحمر ، ويتحدث عن استفحال دولة بني الاحمر بالانــدلس ، ويذكــر حروبا دارت رحاها بين المسلمين وبين الافرنج آنذاك هناك . ويختم المقري

هذا الباب بأفول نجم المسلمين في جزيرة الاندلس ، وزوال ملكهم — نهائيا — منها (١) •

الباب الرابع

من القسم الاول

يفتتح المقري هذا الباب بوصف مدينة قرطبة وأخبارها مع أحوازها ، نقلا عن العلماء والمؤرخين ، وفي مقدمتهم ابن سعيد ، فيتحدث — مثلا — عن مساحتها وعدد أرباضها ، ومقدار جبايتها ، وضبط لفظة «قرطبة» ، ومعناه — باللغة اليونانية — : «القلوب المشككة» ، ثم يتحدث عن محاسنها الطبيعية والاجتماعية ، وعناية أهلها باقتناء الكتب ، ووصف قصورها ، وايراد اسماء بعضها ، وعدد أبوابها ، ووصف مبانيها العظيمة ومنتزهاتها ، مع ذكر اسمائها ، وتعداد أنواع فواكهها ، ووصف نهرها ، ثم ينتقل بحديثه الى أسباب خرابها ، ووصف ما اندثر منها • وقد جلب المقري نصوصا كثيرة نثرية ونظمية ، كلها تتعلق بوصف قرطبة قديما وحديثا • ثم يستمر في وصف المباني وينبئنا بأن عظمة البنيان تدل على عظمة الباني ، ويستشهد بعدة نصوص نظمية ونثرية ، تتعلق بوصف محاسن طبيعية الاندلس •

ويتخلص الى ذكر القاضي عبد الرحمن بن فرفور ، الذي راح يشكو الدهر من كساد الأدب • ويتحدث عن مدينة الزهراء وأسباب بنائها ، وتكاليف هذا البنيان ، وعدد العملة الذين شاركوا في بنائها ، وينقل الينا عدة روايات جاءت في وصفها نظما ونثرا ، ويجلب نصوصا نثرية ومقطعات

---

١ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ . ص: ٣٠٦ — ٤٢٨ •

نظمية ، كلها تتعلق بوصف طليطلة التي بناها المأمون بن ذي النـــون ، ويطلعنا على اعتناء ملوك الاندلس بقصورهم ومجالسهم ، ويؤيد قولــه بايراده نصوصا نثرية ومقطعات شعرية تشهد على ذلك ، ثم يعود الــى نقل نصوص لبعض العلماء والادباء في وصف المشاهد الاندلسية واماكنها الطبيعية ، ويرجع الى وصف منتزهات قرطبـة ، ومسجـدها ، وتاريـخ بنائه ، واسم من بناه ، ويورد عدة روايات تثبت أن المنصور ابن أبـــي عامر قد زاد في مسجد قرطبة ، كما ينقل الينا أخبارا تـدل على وجود مصحف عثمان بن عفان بهذا المسجد ، ثم يصف لنا مساحة المسجد ويطلعنا على مبلغ ما ينفق على كمية الزيت لايقاد المصابيح بهذا المسجد الذي زاد في بنائه الحكم المنتصر ، ومن ذلك بناؤه عدة ميضآت هناك ، وينبئنـا بأن عمل أهل قرطبة وأحكامها حجة في بلاد المغرب ، ثم يسوق روايات تتعلق بوصف مسجد قرطبة ، من حيث أصله ، والزيادة فيه ، وتاريخ اتمامه الـخ ... ثم يعود الى ذكر مصحف عثمان بـن عفان ومصيره ، واعتزاز أهل الاندلس به ، كما يعود الى وصف الزهراء ومسجدها ، ومنبـره، ووصف قناة قرطبة ، وذكر تاريخ عمارة الزهراء ، ومقدار المبلغ الــذي أنفق على بناء هذه المدينة ، ووصف الرخام والاحجار التي بنيت بها ، ثم ينبئنا بأن الناس قد قحطوا في آخر ولاية الناصر ، فاستسقى القاضـي المنذر بن سعيد بالناس ، فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بمـاء منهمر ، روى الثرى ، وطرد المحل ، ثم ينقل الينا المقري فقرات من خطبة المنذر ، وأخبارا تتعلق بالمنذر المذكور ، وهناك يستطرد أخبارا خاصـة بدثور الزهراء ، ثم يستطرد بيتين من شعر محمد هشام المهدي السابق ذكره في الباب الثالث من هذا التلخيص ، ثم يســوق الينـا رواية ابن خلدون فيما شيده الناصر من المباني ، وينتقل الى وصف الزاهرة التي شيد مبانيها المنصور ابن ابي عامر ، ويحدد لنا تاريخ بنائهـا وتاريـخ انتقال المنصور اليها ليسكنها ، وينقل الينا أشعارا لبعض الشعراء أنشدوها فـي

وصف الزاهرة ، كما يخبرنا بعناية المنصور بدوابه ومبانيه ، ثم يستطـــرد
أخبار الوزير ابي مروان عبد الملك بن ادريس الخولاني ، ثم يعود بنا الـى
أخبار المنصور ابن أبي عامر ، وينتقل بنا الى دثور الزاهرة وذهاب مـا
فيها من الذخائر الثمينة • ثم يسرد نبذة من أخبار المهـدي الثائـر على
العامريين ، ويخبرنا بأن المنصور قد حجر على هشام المؤيد ، بحيث لم يره
الناس منذ ولي الحجابة ، وينتقل بنا الى ترجمة الحاجب جعفر المصحفي ،
ثم يعود ادراجه الى أخبار المنصور ومناقبه ومآثره ، وبهذه المناسبة ينقل
الينا رسالة من ابن عبد الله النميري الى المنصور ابن أبي عامـر ، ثـم
يسترسل في سرد أخبار المنصور المذكور • ويعود فينقل نماذج من أشعار
جعفر المصحفي ، ثم ينبئنا بمـآل مصحف عثمان بن عفان الذي كان بمسجد
قرطبة في الاندلس ، وتنقله من يد الى أخرى • ويختم كلامه عن المصحف
بوصف لصوانه ، ثم يقفز الى ذكر تاريخ بناء مسجد مراكش وأخباره ،
وينقل الينا أبياتـا شعرية من نظم عبد الحق بن عطية في توديع مدينـة
قرطبة ، ثم يروي لنا نبذة من أخبار الزاهرة نقلا عن الوزير أبي المغيرة ابن
حزم • ويستطرد حكاية وقعت للرشيد مع ابنه المأمون محوارها جارية من
جواريه • وينقل الينا ترجمة الوزير أبي المغيرة المذكور ، وترجمة الوزيـر
أبي عامر أحمد بن شهيد الأشجعي ، ثم ينبري راجعا الى أخبار الزهراء ،
والى وصف منتزهات قرطبة ، ثم يترجم الوزير أبا الوليـد ابن زيـدون
ويصف بعض المنتزهات الاندلسية ، ثم ينقل الينا موشحة ابن الوكيل المذيلة
بقصيدة ابن زيدون النونية • ويتبعها بقصيـدة الوزيـر ابي بكر بن
«القبطرنة» ، ويصف لنا «حيرالزجالي» ــ وهو بستان خارج «باباليهود»
بقرطبة ــ ثم يعرفنا بابن «القبطرنة» ومنزله ووزرائهم ، ويحدثنا عن ذي
الوزارتين أبي الحسن ابن اليسع ، كما ينقل الينا ترجمة الوزير أبي الفضل
ابن حسداي ، مع وصفه لمجلس أنسه ، ثم يصف لنا احتفال المؤتمن بالله
لمـا أعرس ابنه المستعين بالله بينت الوزير أبي بكر ابن عبد العزيز ،كما

يصف أحد مجالس المستعين المذكور ، وينتقل بنا الى ترجمة العالم أبي محمد عبدالله ابن البطليوس، صاحب «شرح أدب‌الكاتب»، معوصفين لمجلس الناعور بـ«طليطلة»، من انشاء الوزير أبي الفضل ابن حسداي المذكور ، الذي وصف الخمر هناك وصفاً رائعاً • ثم يذكر قدوم البطليوسي على المستعين وامتداحه اياه ، وينقل الينا وصفا لمجلس أبي عيسى ابن ليون ووصفا آخر لمجلس عبد الرحمن الظافر بن ذي النون ، وكلا الوصفين من انشاء ابن حسداي ، ويردف ذلك بترجمة الاديب النحوي أبي القاسم ابن العطار • ثم يذكر لنا ترجمة أحمد بن عمار في وصف مجلس أنس، نقلا عن الفتح بن خاقان، ويتبع ذلك بنقل قصيدته الرائية المشهورة في مدح المعتضد بالله ، ويتبع ذلك بترجمة عبد الجليل بن وهبون المرسي أثناء وصف نزهة في نهر «اشبيلية» • ثم ينقل الينا وصفا لمجلس أنس بمنية المنصور ابن ابي عامر بـ«بالنسبة»، من انشاء الفتح بن خاقان الذي أثبت له في هذا الباب كتابا ، بعث به الى بعض الملوك في وصف منتزه ، وينقل الينا ــ أيضا ــ وصفا رائعا لقصر الشراجيب أثناء ترجمة الراضي بالله من انشاء الفتح بن خاقان ، الذي وصف لنا مجلس أنس حدث بعد توالي جدب وتوبة أثناء ترجمته لابن الأفطس المتوكل على الله • وهكذا يستمر المقري في نقل نصوص نثرية ونظمية ، تتعلق بوصف مجالس الاندلس ورياضها ومنتزهاتها الــخ ••••

ويختم هذا الباب بقصيدة لنور الدين علي بن سعيد يتشوق فيها الى «اشبيلية» (١) •

---

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٢ . ص: ٤ ــ ٢١٢ .

الباب الخامس

من القسم الاول

يتحدث المقري ـ في هذا الباب ـ عن العلماء والادباء الذين نزحوا من الاندلس الى المشرق ، ويترجم كل واحد منهم ، كما يستقصي جميع أخباره وما يتصل به ، وهناك بعض الاشخاص قد أطال فيترجمتهم مثل : ترجمة أبي الحسن علي بن سعيد ، صاحب كتاب «المغرب في أخبار المغرب» (١) ، وفي أثناء سياق تراجم هؤلاء الاشخاص يحدثنا عن رحلته الاولى الى دمشق الشام التي أورد ـ في مدحها ـ نصوصا نثرية ، ومقطعات شعرية ، ويتبع ذلك بايراد مطارحات علمية ومخاطبات أدبية قد دارت بينه وبين علماء دمشق وأدبائها . وهذه المخاطبات وتلك المطارحات عبارة عن عدة قصائد قد مدحه بها أهل دمشق ، وبعض الاراجيز التي استجازه بها تلامذته ، وحتى العلماء الذين يثقون به ، وكذلك نقل الينا بعض قصائده ومقطعاته التي أنشدها هو ـ بدورة ـ في مدح الشام وأهله ، مع اجازاته النظمية التي أجاز بها من طلب اجازته ، ولا يفوته أن ينقل الينا عدة رسائل وقصائد وصلته من الشام والمغربين: الاوسط والاقصى، وهو ـ اذ ذاك ـ بمصر القاهرة. ويفيدنا المقري بأن هناك بعض العلماء والادباء قد رحلوا من الاندلس متوجهين صوب المشرق ، فقعد بهم عزمهم وبقوا بالعدوة دون أن يصلوا الى المشرق ، ومن بين هؤلاء الباقين بالعدوة أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني . وهكذا يفتتح المقري الباب الخامس بترجمة عبد الملك بن

---

١ ـ المقري، نفح الطيب . ج: ٣ ص: ٢٩ ـ ٥٨

حبيب السلمي ، ويختمه بترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن الازرق، صاحب كتاب «بدائع السلك ، في طبائع الملك» ، وكتاب «روضة الاعلام، بمنزلة العربية من علوم الاسلام» ، وغيرهما (١) .

البـــاب السادس

من القسم الاول

اذا كان المقري أفرد الباب الخامس لترجمة أشخاص نزحوا مـــن الاندلس الى المشرق ، فقد أفرد هذا الباب لاشخاص آخرين أتوا مـــن المشرق الى الاندلس ، حيث أقاموا بنية التوطن ، وقد ترجم كل شخص، واستقصى اخباره وجميع ما يتصل بشخصيته ، حسبما تيسر له ذلك . فمنهم من كانت ترجمته قصيرة، مثل: ترجمة عياض بن عقبة الفهري (٢)، ومنهم من أطنب في ترجمته مثل : ترجمة الخليفة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، المعروف بـ«عبد الرحمن الداخل» . وقد تعرض المقري ــ في هذا الباب والذي قبله ــ للحديث عن بعض الاشخاص الذين لهم صلة بالنازحين . ولم نذكر ــ في هذا التلخيص ــ أسماء جميع النازحين من هنا أو هناك ، لكثرة عددهم ، وختم المقـــري الباب بترجمة يوسف الدمشقي الشاذلي ، كما افتتحه بترجمة الصحابي الجليل المنيذر اليمني (٣) .

---

١ ــ المقري، احمد، نفح الطيب . ج: ٢ ص: ٢١٣ ج: ٣ ص: ٤٥٨
٢ ــ م. س. ج: ٤ ص: ٩
٣ ــ م. س. ج: ٤ ص: ٤ ــ ١٤٥

البـاب السابع

من القسم الاول

يتناول المقري ــ في هذا الباب ــ الحديث عن فضائل أهل الاندلس، وأخلاقهم الحسنة ، وسلوكهم المستقيم ، فيخبرنا بأنهم عرب في أنسابهم• متصفون بالعزة ، والكرامة والانفة ، وعلو الهمة ، وطيب النفس ، واباء الضيم والسماحة ، والنزاهة ، فلا يتحملون الذل ، ولا يرضون بالخضوع، كما لا يأتون الدنية، ويتصفون بفصاحة اللسان ، وحب العلم ، وضبطهم له رواية ودراسة •

ولهم رقة في طبائعهم ، ونباهة في أذهانهم وافهامهم • وكذلك يعتنون بالنظافة والفلاحة ، والصناعة • ولهم خبرة بالفروسية وركوب الخيل ، ومهارة في طعن الرماح ، وضرب السيوف ، وهلم جرا ••• ثم يأخذ المقري في ايراد مختلف النصوص والاشعار المشتملة على مدح أهل الاندلس واطراء أفعالهم • فيورد لنا نص رسالة ابن حزم التي تضم فضائل علماء الاندلس، وحسن تاجهم، ومكارم ملوكها، واستمرار عدلهم، وامتثال عرعيتها ، واستقامة سلوكهم الخ •• وبعد ايراد هذه الرسالة ينقل الينا تذييلا لها من انشاء أبي الحسن علي بن سعيد الذي أكمل به ما غفل عنه ابن حزم• ثم يتبع ذلك بايراد رسالة الشقندي التي تناول فيها صاحبها ذكر محاسن مدن الاندلس ، وفضائل أهلها، وهذه الرسالة طويلة النفس ، بليغة الاسلوب نظما ونثرا • وقد رد بها الشقندي على من فضل بر العدوة على جزيرة الاندلس ، واتي فيها بالعجب العجاب • ثم يجلب لنا المقري جبلا كثيرة ونصوصا وافرة من حكايات علماء الاندلس ، وأشعارا زاخرة لأدبائها ، تتناول مواضيع مختلفة فيما يخص

الادب الاندلسي ، سواء كان جديا أو هزليا • وفي أثناء ذلك يتعـــرض للحديث عن المذهب الفقهي لأهل الاندلس ، منذ أول الفتح الاسلامي، فيثبت لنا بانهم كانوا منذ ذلك العهد متبعين لمذهب الأوزاعي الى زمان ولاية الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، حيث عدلوا عن مذهب الامام مالك بن انس بأمر الحكم نفسه واختياره لهذا المذهب • ويعلل المقري ذلك بزيارة علماء الاندلس للمدينة المنورة ، والتقائهم بالامـــام مالك هناك ، فلمـا رجعوا الى الاندلس وصفوا فضله ، وسعـة علمه ، وجلالة قدره ، واستقامة رأيه ، ثم يسترسل المقري في جلب النصوص النثرية ، والمقطعات والقصائد الشعرية ، ونقـل المساجـلات العلميـة والنوادر الادبية ، مطعما ذلك بتراجم بعض العلماء والادباء ، والـوزراء والملوك ، وأخبار مـا يتصل بكل منهم • ونستطيعُ أن نقول : ان جـل هذا الباب ينطوي على عصارة أفكار علماء الاندلس ، وثـمار مشاعـر ادبائها وأحاسيسهم (١) •

البـاب الثامن

من القسم الاول

يفتتح المقري كلامه — في هذا الباب — بذكر أسباب خروج جزيرة الاندلس من قبضة أيدي المسلمين ، وأسباب تألب الافرنج وتغلبهم عليهم، ويؤيد قوله بايراد روايات بعض المؤرخين ، مثل : رواية عيسى بن أحمد الرازي ، ورواية المسعودي وغيرهما • ويفيدنا بأن «طليطلة» أول مدينـة استردها الاسبان من يد ذي النون • ثم يورد روايات تاريخ استردادها، وينقل الينا بعض الابيات الشعرية التي قيلت بهـذه المناسبة ، وبعض

---

١ — المقري، احمد. نفح الطيب ، ج: ٤ ، ص: ١٤٦ — ٤١٢ ، ج: ٥ ، ص: ٤ — ٣٩٩ ، ج: ٦ ، ص: ٤ — ٨١ .

النصوص النثرية في وصف هذه المدينة وحصونها ، ثـم يطلعنـا علـى الرسائل المتبادلة بين يوسف بن تاشفين بالمغرب وبـين أمـراء المسلمـين بالاندلس ، وعلى رأسهم المعتمد ابن عباد الذي أنابه هؤلاء الامراء فـي مراسلة ابن تاشفين من أجل دخولهم تحت طاعته ، ان هو أسرع لنجدتهم، وعبر البحر لانقاذهم منجيوش ملكالافرنج «الاذفونش»، ويطلعناعلى الحروب التي دارت رحاها بين المسلمين وبين الاسبان في الاندلس ، ثـم يخبرنا بعبور يوسف بن تاشفين البحر الى الاندلس ، وبانتصاراتهالمتوالية على الافرنج ، ثم ينقل الينا بعض أخبار المعتمد ابن عباد التي من بينهـا غدر ابن تاشفين به كما غدر بصاحب غرناطة: عبدالله بن بلكين . ثـم ينتقل بنـا الى ولاية علي بن يوسف بن تاشفين ، وثورة محمد ابنتومرت عليه ، ثم ولاية عبد المؤمن بن علي بالاندلس وأخبار حروبه مع الافرنـج هناك . ثم ولاية عبد المؤمن واخباره ، ثم ولاية يعقوب المنصور ابنيوسف بن عبد المؤمن واخباره ، ثم ولاية محمد الناصر ابن يعقوب المنصور .وفي عهده تمكن الاسبان مناسترداد عدةحصون ومدن، لا سيما بعد «وقعة العقاب» المشهورة ، والتي خسر فيهـا المسلمون زهاء خمسة آلاف قتيل. ثم ولاية عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ، وهو عم ابي محمدالناصر المذكور أعلاه ، ولم تدم ولايتـه طويلا ، بل خلع وخنق بمراكش ، ثـم ولاية العادل ابن المنصور الذي ثار عليه الافرنج بالاندلس ، فركبالبحر وفر الى مراكش ، حيث قبض عليه الموحدون . ثم يسوق الينا المقـري بعض الاخبار عن بني الاحمر ــ عرضا ــ ويتخلص بعد ذلك الى الحديث عن دولة بني مرين ، وعلى رأسهم السلطان ابو الحسن المرينـي ، الذي أثبت له المقري رسالته المطولة التي بعث بها الـى سلطان مصر والشام والحجاز : محمد بن قلاوون الصالحي ، كما أثبت جواب هذا الاخير الـى أبي الحسن المذكور ، وكان هذا الجواب من انشاء خليـل الصفـدي ، شارح «لامية العجـم» ، ثم يفيدنا بأن السلطان أبا الحسن كتب ثلاثـة

مصاحف بخطه ، وأرسلها ـ هدية ـ الى المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ، كما وقف عليها أوقافا ذات قيمة ، ثم ينقل الينا المقري بعض الفقرات من نص هذا الوقف ، ويتبع حديثه بوصف شخصية السلطان أبي الحسن المريني من انشاء أحد المشارقة لم يذكر اسمه . ثم يحدثنا عن هدية السلطان المريني التي بعث بها الى السلطان ابن قلاوون ، ويصف لنا ما اشتملت عليه هذه الهدية وهدايا أخرى الى ملوك آخرين ، وينقل الينا عدة رسائل من انشاء لسان الدين ابن الخطيب ، أمر بتحريرها سلطانه في شأن «جبل الفتح» من جزيرة الاندلس ، وحال الافرنج بها ، وضيق المسلمين هناك ، ومن الرسائل ما يتعلق باستنهاض الرعايا المسلمين وملوكهم لنصرة الاندلس ، ومنها ما يتعلق بتهنئة ابي عنان لابنه الامير عند ما قلده «جبل الفتح» بالاندلس ، وهلم جرا ... ثم يتابع المقري حديثه عن المدن والقواعد التي دخلت في قبضة يد الاسبان ، الواحدة تلو الاخرى ، وعن الفظائع التي أرتكبها عندما استولى عليها هذا الاخير . ويطعم المقري كلامه بتراجم بعض ملوك المسلمين وعلمائهم ، كما ينقل الينا عدة نصوص نثرية ، وقصائد شعرية قيلت في رثاء الاندلس المسلوبة ، ويختم هذا الباب بالحديث عن السلطان أبي عبد الله محمد بن الاحمر الذي انقرضت بدولته مملكة الاسلام بالاندلس ، ذاكرا لنا رسالة مطولة كتب بها المخلوع السلطان المذكور الى سلطان فاس : الشيخ الوطاسي ، وهي من انشاء أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي الذي تكلم عنه المقري بعض الشيء ، وأثبت له عدة أبيات في آخر هذا الباب (١) .

القسم الثاني

يتعلق بلسان الدين ابن الخطيب ، من حيث التعريف به والتقصي عن

١ ـ المقري ، أحمد ، نفح الطيب ، ج: ٦ ، ص: ٨٢ ـ ٢٠٧ .

أنبائه ، وذكر أرومته ، وما يمت الى أخبار أسلافه ، ويضم هذا القسم ثمانية أبواب كسابقه .

الباب الاول

من القسم الثاني

يفتتح المقري هذا الباب بترجمة أبي عبد الله محمد المشهور بـ«لسان الدين ابن الخطيب»، فيسرد لنا اسمه ونسبه ، وينقل الينا نصوصا لعدد من المؤرخين في هذا الشأن ، ثم يتحدث عن جده الأعلى : سعيد ويوالي الحديث عن فرع هذا الجد الى أن يصل بنا الى أبيه واخيه اللذين لقيا حتفهما في «وقعة طريف» ، ورثاهما أبو محمد عبد الله الازدي بقصيدة بائية ، وبعث بها الى ابن الخطيب الذي رد عليه هو الآخر بقصيدة مماثلة لها في الوزن والقافية ، ويذكر لنا المقري تفصيل «وقعة طريف» ، ثم يعود بنا الى الحديث عن أولية أسلافه ، فيركز كلامه عن والده ، وينقل الينا في شأنه جملة نصوص نثرية ، وعدة مقطعات شعرية ، ويفضي به الحديث الى ايراد ترجمة أبي بكر محمد بن عاصم من انشاء ابنه القاضي أبي يحيى بن عاصم . ثم يعود بحديثه الى ذكر ابن الخطيب وأسلافه ، وتجره المناسبة الى نقل نونية الفشتالي التي أنشدها بين يدي السلطان أحمد المنصور السعدي بمراكش ، والى نقل نونية أبي الفتح عبد السلام التونسي نزيل دمشق الشام، ثم يعود ، فيتحدث عن لسان الدين ابن الخطيب ، ويثبت له قصيدة في مدح السلطان أبي سالم المريني ، وتهنئته بفتح مدينة تلمسان ، كما يثبت له — أيضا — نص رسالة في نفس الغرض ، قد كتبها ابن الخطيب الى السلطان المذكور حين أنباه بفتح تلمسان على يديه . وتجره المناسبة — أيضا — الى نقل نونية الفقيه عمر الزجال ، ويعتذر عن ايرادها لما فيها من مجون .

لذلك نجده يردفها بنونية عبد الله بن زمرك ، التي يقول عنها : «ونجعلهـا مكفرة لمـا مـر في قصيدة الفقيه عمر من مجون ٠٠٠» (١) ٠ ثم يعـود الى الحديث عن ابن الخطيب وتجره المناسبة الى ترجمة أبي عبد الله محمد بن ادريس بن علي ، المعروف بـ «ابن مرج الأكحل» ، فينقل الينا قصائـد ومقطعات من شعره ، وبعد ذلك يتحفنا بقصيدة رائية مـن انشاء شمس الدين ابن الكوفي الواعظ ٠ ثم يعود الى سرد شعر ابن مرج الاكحـل وايراد نثره ٠ ويفاجئنا بنقل خطبة نكاح من انشاء ابي بحر صفوان بـن ادريس ، الذي ترجمه المقري وأعقب ترجمته بذكر جملة من نظمه ونثره ٠ ثم يجنح بـه فرس الاستطراد الى ايراد كافية ناهض بن محمد الاندلسي في رثاء سيدنا الحسين — رضي الله عنه ! — ٠ وهكذا يختم المقـري هذا الباب بعدة أبيات في شتى الاغراض ، من انشاء صفوان المذكور(٢) ٠

الباب الثانـي

من القسم الثاني

يفتتح المقري هذا الـباب بالحديث عن مولد لسان الدين ابن الخطيب، ونشأته ، وترقيه في مراتب السمو ، وهلم جرا ٠٠ وفي هذا الشأن يـورد لـ عدة نصوص لعددمن العلماء والمؤرخين٠ وفي مقدمة هذه النصوص نص ابن الخطيب نفسه الذي يتحدث فيه عن شخصيته ، وبعد ذلك ينتقل بنـا الى ترجمة السلطان ابي الحجاج يوسف بن اسماعيل الخزرجي الذي رثاه ابن الخطيب — بعد موته — بقصيدة ميمية ، ثم يأخذ في الحديث عن خلع السلطان محمد الغني بالله ، وينقل الينـا في هذا الشأن نص ابـن الخطيب ، ويردف ذلك بقصيدة أنشدها ابن الخطيب المذكور بين يـدي

---

١ — المقري، احمد. نفح الطيب ٠ ج: ٦ ٠ ص: ٣٥٠٠.
٢ — م٠ س٠ ج: ٦ ٠ ص: ٣١٠ — ٣٧٦٠.

السلطان أبي سالم المريني بمدينة فاس ، ثم يورد لنا خطاب ابن الخطيب ــ أيضا ــ ، بعد عود سلطانه محمد المخلوع الى ملكه . وفي هذا الخطاب يتحدث ابن الخطيب عن هذا الخلع ويوضح أسبابه . ولم يفت المقري أن ينقل الينا رواية عبد الرحمن بن خلدون في شأن خلع السلطان المذكور ، وروايته ــ أيضا ــ في نشأة لسان الدين ابن الخطيب ، ونهايته ، ومحنته الخ .. ثم يعود فينقل الينا أبياتا أنشدها ابن الخطيب عندما كان مسجونا ، ويردف ذلك بايراد تخميس لهذه الابيات نسب الى أحد الاشخاص من بني الصباغ ، وتجره المناسبة الى ايراد نص لابي الخطاب في العبرة والاعتبار . ثم يأخذ المقري في الحديث عن التهمة التي ألصقها أعداء ابن الخطيب بشخصيته ويشرح لنا أسباب تلك التهمة . ثم يسوق الينا حكاية ابن الخطيب مع رسول ملك النصارى ، وبعد ذلك يذكر لنا مدح لسان الدين ابن الخطيب للقاضي أبي الحسن النباهي ، ثم ذمه اياه بعدما تعكر الجو بينهما ، ولم يفت المقري أن يثبت لنا نص عتاب القاضي المذكور لابن الخطيب . ثم يورد لنا نص المرسوم الصادر في شأن تولية ابي الحسن النباهي القضاء ، ونص المرسوم الصادر في شأن توليته الخطابة مضافة الى القضاء ، ونص المرسوم الصادر في شأن تولية ابي عبد الله بن زرك كتابة السر . وهذه المراسيم الثلاثة من انشاء لسان الدين ابن الخطيب . ثم يتأسف المقري على مكافأة ابن زمرك والقاضي النباهي للسان الدين ابن الخطيب ، ويصب جام عتابه على الاولين . وبعد ذلك يتخلص الى ذكر مقدرة ابن الخطيب على الذم والمدح . ويؤيد رأيه بنصوص من نثره وشعره جاءت في هذا الغرض . ثم يورد لنا نص رسالة الابن الخطيب في شأن خدمة الدولة ، وحال رجالها ، ومصيرهم ، وهلم جرا .. وقد بعث بهذه الرسالة الى أبي عبد الله بن مرزوق . ثم ينقل الينا مرثية ابن صابر المنجنيقي برمتها ، ويتبعها بمطلع مرثية ابن عبدون الاندلسي لابن الأفطس ، ويردف ذلك بأبيات من مرثية أخرى لم يسم صاحبها . ثم ينقل

الينا عدة أبيات أنشدها السلطان أبو علي المريني في العبرة والاعتبار . ثم ينبئنا المقري بأنه قد زار قبر لسان الدين ابن الخطيب بفاس المحروسة مرات عديدة، ثم يخطر بباله أن ينقل الينا رسالة كتبها أحد أئمة المغرب في عزاء الوزير أبي جبير الأندلسي الى بنيه . وبهذه المناسبة يسوق الينا عدة أبيات في هذا الغرض ، منها بعض أبيات لابي فرج ابن الجوزي الذي ترجمه هناك وأورد بعض أخباره ونبذة من نصوصه النظمية والنثرية . ثم يعود الى أخبار ابن الخطيب ، فينقل الينا نبذة من نظمه في مختلف الأغراض . ويتبع ذلك بقصيدة طويلة النفس — من انشاد ابن زمرك — في مدح الغني بالله السلطان محمد، وتهنئته بفتح المغرب على يد السلطان أحمد المريني . ثم يعود الى أنباء لسان الدين ابن الخطيب وما يتصل به، وبعد ذلك يسوق الينا خبر نكبة الوزير ابي جعفر بن عطية على يد عبد المؤمن بن علي ، وينقل الينا اعتذارات الأول الى الاخير بدون جدوى. ويختم المقري هذا الباب بنبذة من أخبار ابن عطية الذي يقول فيه : «وبالجملة، فالرجل كان نسيج وحده — رحمه الله تعالى وسامحه ! — وقصة لسان الدين تشبه قصته ، وكلاهما ذاق من الذل بعد العز لعصته ، وبدل الدهر نعمه من الوزارة ومحنته ، بعد أن اقتعد ذروة الأمر ومنصته ، رحم الله تعالى الجميع ، انه مجيب سميع !» (١) .

الباب الثالث

من القسم الثاني

جعل المقري كلامه في هذا الباب يدور حول مشايخ ابن الخطيب وأخبارهم وما يتصل بهم ، منذ ولادتهم الى وفاتهم . وقد ترجم منهم

---

١ — المقري، احمد، نفح الطيب ، ج: ٧ ، ص: ٤ — ١١٥ .

عددا لا يقل عن ستة وعشرين شيخا ، فبدأ حديثه بترجمة قاضي الجماعة أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني السبتي ، وبعد حديث طويل عن هذا الشيخ نقل الينا المقري مرثية ابن زمرك التي رثى بها شيخه المترجم به ، كما نقل الينا نصا من انشاء أحمد بن قنفذ القسنطيني يتضمن ترجمة هذا الشيخ . ثم انتقل بحديثه الى أولاد الشيخ فترجم ولديه : أبا المعالي ، وأبا العباس . ثم استأنف كلامه عن أشياخ ابن الخطيب ، فترجم الشيخ شمس الدين أبا عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي ، ونقل الينا نصوصا وروايات تتعلق بترجمة هذا الشيخ . وفي نهاية هذه الترجمة أورد لنا عدة أبيات أنشدها ابن الخطيب لبعض المتصوفة من أشياخه دون ان يسميه . ثم ترجم الشيخ أبا عبد الله محمد بن محمد المقري الجد ، وأطلق عنان قلمه في أخبار أسلافه وما يتصل بشخصيته ، من حيث نسبه ، ومولده ، ونشأته ، وثقافته ، ووظائفه ، ومشايخه ، وتلاميذه ، ومؤلفاته : نظما ونثرا . وقد أطنب المقري في ترجمة جده اطنابا استغرق مائة واثنين وثلاثين صفحة من صفحات «النفح» .

ثم يعود المقري الى ترجمة أشياخ ابن الخطيب ، فيترجم الشيخ أبا محمد عبدالحق بن سعيد قاضي «مكناسة الزيتون» ، والشيخ يونس بن عطية الوانشريسي والشيخ أبا علي عمر بن عثمان الوانشريسي ، والشيخ ابا جعفر أحمد بن محمد الأوسي الجنان ، والشيخ أبا عبد الله بن أبي رمانة ، والشيخ أبا علي الحسن ابن عثمان بن عطية الوانشريسي ، والشيخ أبا العباس أحمد بن عاشر ، دفين «سلا» ، والشيخ أبا عبد الله محمد بن علي الفخار البيري . وقد أطنب المقري في ترجمة هذا الشيخ شيئا ما ، غير أنه قطع هذه الترجمة بترجمة الشاعر الأديب أبي عبد الله محمد بن خميس التلمساني الذي أطلق عنان قلمه في أخباره ، ونقل نماذج من أشعاره الفنانة . ثم يعود الى اتمام ترجمة ابن الفخار ، وبعد ذلك يترجم الشيخ أبا عبد الله بن عبد الولي العواد ، والشيخ أبا

عبد الله ابن بيبش ، والشيخ أبـا عبد الله محمد بن يحيى ابن أبي بكـر الاشعري ، والشيخ أبا اسحاق ابراهيـم بن عبد الرحمـن التسـولي ، والشيخ محمد بن أحمد الصنجالي الهاشمي ، والشيخ أبا عبد الله محمد ابن أحمد بن مرزوق الخطيب • وقد أطنب المقري في ترجمةهذا الشيخ، ونقل عدة نصوص لبعض العلماء والمؤرخين تتعلق بأخباره ، كما أورد لنـا نماذج من نثره ونبذا من أشعاره • وبهذه المناسبة يورد لنا ترجمة ابـي عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف ، وترجمة عالم الدنيا أبـي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد • وقد أطال الكلام عن شخصية هـذا الاخير ، وأورد لنا نصوصا وروايات تتعلق بأخباره • ثم يتابـع المقري ترجمته لأشياخ ابن الخطيب فيترجم الشيخ ابا الحسن علي بن الجياب، وينقل الينا جملـة من أشعاره التي أنشدها في مختلف الاغراض ، ويردف ذلك بقصيدة ابن الخطيب في رثاء هذا الشيخ ، وكذلك عدة أبيات مقتطفة من مراثي بعض العلماء لهذا الشيخ• ثم يعود الى الحديث عن الرئيس ابن الجياب ، فيورد لـه نصوصا من النثر الفني ، ونمـاذج من الشعـر في مختلف الاغراض ، مقحما في ذلك ترجمة عبد الله بن عبد البر بن علي الرعيني • ثم يستمر المقري في ترجمة من تبقى من أشياخ ابن الخطيب ، فيترجم الشيخ أبـا محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي ، ويطنب فـي ترجمته • ويورد ترجمة ولديه : أبي سعيد محمد ، وعبـد المهيمن ابـن أبي سعيد • ثم يتابع ترجمته لاشياخ ابن الخطيب • فيترجم الشيخ أبـا البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقي الذي أطال ترجمته ، وينقـل الينا نماذج كثيرة من أشعاره ، والشيخ أبا زكريا يحيى بن هذيل الذي أورد لـه أشعارا كثيرة أيضا •

والشيخ أبا بكر محمد بن عبد الرحمن الرندي الذي مدحـهالرئيس ابن الجياب بقصيدة هائية أثبتها المقري هنا• والشيخ أبا الحسن علي بن عمـر القيجاطي الذي نقل الينا جملة من أشعاره • والشيخ أبا سعيدفرج

ابن قاسم بن لب الذي أورد لنا جملة من أشعاره أيضا • والشيخ أبا القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الذي أورد لـه أشعارا كثيرة ، وتجره المناسبة الى ترجمة أبنائه : أبي بكر أحمد ، وأبي عبد الله محمد، وأبي محمد عبد الله ، ويورد لهم أشعارا كثيرة ، ونصوصا نثرية ، ثـم يسترسل في ترجمة باقية الشيوخ ، فيترجم أبا بكر بن شيرين ذاكرا لـه أشعارا كثيرة في مختلف الاغراض • والشيخ أبـا عثمان سعد بن أحمد ابن ليون التجيبي الذي أورد لـه سيلا من الاشعار في شتى الاغراض ، وقد نقل أغلبها من كتب ابن ليون ، مثل كتاب : «نصائح الاحبـاب ، وصحائح الاداب» ، وكتاب : «أنداء الديم ، في المـواعظ والوصـايا والحكم» ، وكتاب : «الابيات المهذبة ، في المعاني المقربة» • ويختم المقري هذا الباب بايراد نص ابن الخطيب المشتمل على أغلب شيوخه ، منقـولا من كتابه : «الاحاطة ، في أخبار غرناطة» (١) •

الباب الرابـع

من القسم الثاني

خص المقري هذا الباب برسائل العلماء والادباء والوزراء والملـوك التي خوطب بها لسان الدين ابن الخطيب ، كما أودعه ردود هذا الاخيـر على تلك الرسائل ، ثم تراجم بعض الاشخاص ، وغيرذلك من الاستطرادات المفيـــدة •

وافتتح المقري كلامه بنقل خطاب بعث بـه السلطان أبـو زيـان محمد بن يعقوب المريني الى ابن الخطيب ، ثم أردف ذلك بترجمة هذا السلطان الذي أصبح ممدوحا هناك بقصيدة من انشاد ابن الخطيـب •

---

١ ـ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٧ . ص: ١١٦ ـ ٤٠٨ . ج: ٨ . ص: ٤ ـ ١١٦

ومن الذين خاطبوا ابن الخطيب
ابن ابراهيم المرشي الذي كتب اليه ابن الخطيب برسالتين ، وفي مدرج الرسالة الثانية قصيدة في مدح المرسل اليه ، ثم أورد لنا المقري ترجمة السلطان ابي سالم المذكور ــ نقلا عن «الاحاطة» ــ ، وترجمة ابن الخطيب ــ نقلا عن «نثير الجمان» لابن الاحمر ــ ، ثم ثناء الباعوني على ابن الخطيب ، ولم يفت المقري أن يرد على من أتهم لسان الدين ابن الخطيب بالاغتياب ، كما أفادنا بتقدير السلطان محمد الغني بالله لشخصية ابن الخطيب ، ثم يعود الى صميم الموضوع ، فينقل الينا ثلاث رسائل كتبها ابو جعفر بن خاتمة : احداها الى ابن جزي والاخريان الى ابن الخطيب الذي أجاب عن احداهما ، ثم يتبع ذلك بجملة أبيات من شعر ابن خاتمة ، ويردف ذلك بنص لابن الخطيب ضمنه جملة من نظم أحمد بن صفوان الذي أثبت المقري نص اجازته لابن الخطيب ، الباعث اليه من لدن الفقيه أبي جعفر ابن عبد الملك العذري بأبيات في بعض الاغراض ، ثم ينقل الينا رسالتين من ابن الخطيب ، احداهما الى ابي عبد الله ابن نفيس ، والثانية الى ابي القاسم ابن رضوان الذي أجاب عنها في الحين ، ثم يورد لنا بيتين من شعر ابن الخطيب ، فاتح بهما الشيخ أحمد بن محمد الجنان ، فأجابه لحينه ، ولم يفت المقري ايراد ترجمة الجنان المذكور ، مع سرد جملة من نظمه في مختلف الاغراض وتدفع به المناسبة الى اثبات جملة من نظم ابي محمد الحسن المسفيومي ونبذة من نظم ابي فارس عبد العزيز الفشتالي الذي بعث برسالة بليغة الى صاحب «نفح الطيب» ، ثم يسوق الينا بعضا من أخبار أبي الحسن ابن الجياب ، وما دار بينه وبين ابن الخطيب الذي وجه اليه أبو يحيى محمد البلوي جملة من أشعاره ، وقد ترجم المقري محمدا البلوي ــ نقلا عن «الاحاطة» ــ ، ثم يتبع ذلك برسالة أبي عبد الله محمد بن مرزوق الى تلميذه ابن الخطيب الذي أجاب عنها مفتتحا

بترجمة ابن ...

زمرك ، وأشعار أبي عبد الله ابن سلبطور الهاشمي ...
ولم يفته أن يترجم ابن سلبطور المذكور ، مردفا ذلك بخطاب من أبي
عبد الله محمد بن راجح الى ابن الخطيب ، ثم يورد لنا ترجمة الاول
مع ما دار بينهما من مخاطبات شعرية . وأثبت لنا — أيضا — أبياتا
شعرية خاطب بها لسان الدين ابن الخطيب محمدا العتاب ومحمد بن
عبد الملك المراكشي . وقد ترجم المقري محمدا المراكشي — نقلا عن
«الاحاطة» — . ثم ينقل الينا قصيدة لابي عبد الله محمد المكودي في
مدح ابن الخطيب ، ورسالة شعرية كتبها أبو عبد الله محمد اليتيم الى
ابن الخطيب الذي أجاب عنها نثرا . وبعد ذلك يسوق الينا مداعبة
شعرية بين ابي عبد السلام وصديقه محمد اليتيم الذي ترجمه المقري —
نقلا عن «التاج المحلى» — ، كما ترجم — أيضا — أبا عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن الكرسوطي الذي خاطب ابن الخطيب ببيتين من الشعر.
ومن الذين كاتب ابن الخطيب — أيضا — ابو عمر محمد بن الزبير ،
الذي خاطب ابن الخطيب بقصيدة شعرية . ومن الذين خاطبوا ابن
الخطيب شعرا أبو عبد الله محمد بن علي بن عياش ، ومحمد بن
محمد الوادي آشي ، وعبد الله بن ابراهيم الازدي ، الذي أثبت له
المقري — بهذه المناسبة — جملة من أشعاره في أغراض شتى . ثم ينقل
الينا مخاطبة ابن الخطيب لابي القاسم ابن رضوان شعرا ، واجابة هذا
الاخير شعرا — أيضا — ، ويردف ذلك بترجمة ابن رضوان المذكور
الذي أثبت له المقري جملة من أشعاره ، ثم يسوق الينا مخاطبة
شعرية بين ابن الخطيب وبين أبي بكر بن عبد الملك الذي ترجمه المقري
هناك . ومن الذين خاطبوا ابن الخطيب شعرا ، عبد العزيز علي بن يشت

المترجم بـه ، والمثبت لـه جملة من شعره هنا • ومن الذين كاتبوا ابن الخطيب نثرا ، القاضي ابو الحسن النباهي ، الذي ترجمه المقري وأورد لـه جملة من أشعاره ، ويستطرد المقري مطارحات شعرية دارت بين ابن الخطيب وبين ابي الحسن الجياب ، ومن الذين خاطبوا ابن الخطيب شعرا ، سعيد بن محمد الغرناطي ، وابو الحسن علي بن محمد بن البناء الذي أجابه ابن الخطيب عن مخاطبته ، وترجمة المقري • ومـن الذيـن خاطبوا ابن الخطيب شعرا ــ أيضا ــ أبو الحسن علي بن يحيى المعروف بـ «ابن البرزي» ، وابو القاسم قاسم الحرالي المالقي المترجم بـه ، والحجاج يوسف بن موسى الرندي ، الذي وصل نظمه بنثرة ، والذي أجابه ابن الخطيب عن مخاطبته ، وترجمه المقري وأورد لـه جملة مـن أشعاره • ثم ينقل الينا المقري نصين في مدح ابن الخطيب ، أحدهمـا من انشاء ابراهيم بن أحمد الباعوني الدمشقي ، وثانيهما من انشاء الوزير ابي يحيى محمد بن عاصم ، الذي ترجمه المقري وأورد لـه نبذة مـن نثره وجملة من شعره ، مقحما في ذلك قصيدة ابن الازرق في مدح ابن عاصم المذكور • ويختم المقري هذا الباب بنص «الظهير» المحرر فـي شأن تولية ابن عاصم منصب النظر في شؤون الفقهاء والقضاة والكتـاب وغيرهـم •••

وأما ما يخص المؤلفات التي ألفت باسم ابن الخطيب وقدمت اليه، فقد أكد المقري ذلك بنقل نص ابن الخطيب نفسه من «احاطته» ، معللا هذا التزلف بقوله : «وهي سنة الله ــ سبحانه وتعالى ! ــ في عبـاده ، اذ السلطان سوق يجلب اليها ما ينفق فيها ، والله ــ سبحانه وتعالى !ــ ولي المكافأة ، لا اله غيره ، ولا مأمول سواه» (١) •

---

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٨ . ص: ١١٧ ــ ٢٦٩ .

الباب الخامس

من القسم الثاني

يضم هذا الباب نماذج كثيرة من نثر ابن الخطيب ونظمه ، وأزجاله وموشحاته ، وبعض الاستطرادات التي جاءت بها المناسبات • ومن نصوص نثر ابن الخطيب التي أوردها المقري هنا ، نص التحميد الذي افتتح بـه كتابه في تاريخ دولة بني نصر ، ونص التحريض على الجهاد لاعلاء كلمة الله ، ونص يتضمن ذكر أولية الشرفاء واستيطانهم بمدينة فاس، ومن نثره ـ أيضا ـ نص ترجمته لابي عبدالله محمد بن بدرالدين عبد الحق الطوسي ، مصدرا بابيات شعرية ، ثم نص ترجمته لابي زيد عبد الرحمن بن خلدون ، بعده رسائل مطرزة بابيات شعرية كتب بها الى ابن خلدون المذكور ، وأورد له ـ أثناء ترجمته اياه ـ جملة من أشعاره ، ثم يتحدث المقري عن ابن خلدون معتمدا على نصوص بعض العلماء والمؤرخين تتعلق باخبار المتحدث عنه • ومن نثر ابن الخطيب في هذا الباب ترجمته ليحيى بن ابراهيم البرغواطي ، ورسالته المفتتحة بقصيدة سينية ، كلاهما الى السلطان أبي حمو موسى بن يغمراسن الزياني• ومن نثره الذي أورده المقري ـ أيضا ـ ما كاتب به أبا عبدالله محمد بن مرزوق الخطيب ، وهنأ به أبا عبدالله ابن أبي القاسم ابن أبي مدين ، مخاطبا به قاضي الجماعة يشكو اليه ما ناله من مشقة ، ثم ما خص به أحد الفضلاء ، والسلطان ابا عبد الله ابن نصر ، ومحمد بن نوار يهنئه بعرس وعامر بن محمد بن علي الهنتاني ، موطئا لخطابه بابيات شعرية • ومن نثر ابن الخطيب نصه المورد هنا في وصف جزيرة الاندلس وبلاد المغرب•

وفجأة ينتقل بنا المقري الى بلدة «مكناسة الزيتون» ، فيصفها لنا ويحدثنا عن زيارته لها • ثم يورد لنا بعض أخبار السلطان أبي الحسن المريني — نقلا عن ابي عبد الله محمد بن غازي ، وابي عبد الله محمد الأبي نثرا ونظما • ويردف ذلك بنبذة من نثر ابن الخطيب المتبوع بقصيدة شعرية في تأبين السلطان أبي الحسن المريني عندما زار محل وفاته • ومن نثر ابن الخطيب المثبت هنا في هذا الباب نص يتضمن وعده بتصنيف كتاب طويل وعريض في التاريخ ، ثم نصوص أخرى تحتوي على تراجم عديدة لاشخاص كثيرين ، تتخللها جملة من الاشعار ، ثم يسوق الينا المقري نصا طويل النفس من انشاء ابن الخطيب في وصف كتابه : «روضة التعريف ، في الحب الشريف» ، متبوعا بخطاب على لسان سلطانه الى الامير «طبغا» ، وبخطاب خاطب به بعض الموثقين الذين امتنعوا عن أكل طعامه ببلدة «سلا» • ومن نثره المنقول هنا نص خطبته وخاتمته لكتاب له في المحبة ، ثم عدة نصوص — تتخللها أشعار — في المواعظ والارشاد ، ثم رسالة بعث بها الى ابن تفراجين شيخ الموحدين بتونس ، ثم نص خطبته التي بشر فيها بفتح الاندلس ، ثم نص خطاب كتبه على لسان سلطانه الى سلطان فاس ، ثم خطاب على لسان الامير سعد ابن السلطان الغني بالله ، ثم نص «ظهير» في شأن تولية الامير يوسف ابن السلطان الغني بالله مشيخة الغزاة على لسان والده • ثم نص «ظهير» آخر يتضمن تقليد الامير سعد ابن السلطان المذكور شؤون الدولة • ومن نثر ابن الخطيب الذي أورده المقري هنا نص في تهنئة سلطانه لما عاد الى ملكه ثم خطاب كاتب به أبا عبد الله محمد بن عمر التونسي ، ثم رسالة متوجة بقصيدة كتبها على لسان سلطانه ابي الحجاج يوسف الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم ! — ثم يردف ذلك برسالة مفتتحة بقصيدة — أيضا — كتبها على لسان مخدومه السلطان الغني بالله في نفس الغرض المتقدم • ثم رسالة في العزاء خاطب بها سلطان المغرب ،

ثـم ينشىء لنا المقري صاحب «نفح الطيب» ، خطبة في العبرةوالاعتبار ، وقد سلك فيها سبيل ابن الخطيب ، من حيث الجزالة والسجع ، ثم يعود الى نثر ابن الخطيب ، فينقل الينا رسالتين منه الى أبي زيان سلطـــان المغرب ، ورسالة خاطب بها شيخ الدولة يحيى بن رحو ، ورسالتـين خاطب بهما شيخه أبـا عبدالله محمد بن مرزوق فـي شأن شفاعـة ، ثم رسالتين ــ أيضا ــ احداهما خاطب بهـا أبا زيد عبد الرحمن بـن خلدون ، والاخرى خاطب بها أخاه ابا زكرياء يحيى بن خلدون . ثـم رسالة بعث بها الى شيخ العرب مبارك بن ابراهيم . ثم يعود بنا المقري الى مخاطبة ابن الخطيب لشيخه ابن مرزوق ، فينقل نص رسالة مـن التلميذ الى الشيخ . ثم يتبع ذلك بنص «ظير» من انشاء ابن الخطيبعلى لسان سلطانه الغني بالله ، ثم رسالة خاطب بها أبا الحسن سلطان بنـي مرين ، ثم رسالتين الى وزير المغرب يهنئه فيهما بمناسبة انتصاره وتغلبه على محاربيه ، ولم يسم المقري هذا الوزير ، ثم نص تعزية بعث بها الـى عامر بن علي الهنتاني يعزيه في أخيه عبد العزيز ، ثم نص تهنئته لشيـخ الدولة عندما أبل من مرضه ، ثم رسالتين بعث بهما الى شيخه أبي عبـد الله محمد بن مرزوق ، ثم نص اجابته عن كتاب بعث بـه اليه محمـد بن قيس الثغري ، ثم نص طويل يتضمن سياسة هارون الرشيد ، ويتبع ذلك بنماذج قصار من نثره في مختلف الاغراض . ثم ينتقل بنا المقري الى نظم ابن الخطيب ، فيسوق الينا جملة من قصائده ، وكثيرا مـن مقطوعات شعره التي أنشدها في شتى الاغراض والمناسبات وبعـد ما أورد لنا أمداحه النبوية ، قطع سرد هذه الاشعار بترجمة سيدي أحمد ابن عاشر دفين بلدة «سلا» بضواحي الرباط . ثم يعود بنا الى أشعـار ابن الخطيب ، ثم يقطع ذلك بنص من انشاء ابي عبد الله محمد التنسي في وصف احتفال السلطان ابي حمو موسى بالمولد النبوي ، ثم يقفي على ذلك ببعض المقطوعات الشعرية من انشاد أبي زكريا يحيى بـن

خلدون ، صاحب كتاب : «بغية الرواد ...» . ثم ينتقل بنا الى الحديث عن الموشحات الاندلسية ، من حيث تاريخ وجودها وبعض قواعدها ، واسم أول من فاه بهـا ، والذين اشتهروا بانشادها ، وايراد جملـة منها ، مع ذكر أسماء اصحابها ، ومن بينهم لسان الدين ابن الخطيب وهلم جرا ... وقد اعتمد المقري في ذلك على ما جاء في مقدمة ابن خلدون . وبعد ذلك يسوق الينا تراجم عديدة لاشخاص أندلسيـين مع ايـراد أخبارهم ، وبعض أشعارهم وآثارهم . ثم يعود بنا المقري الى الحديث عن الموشحات فيسوق الينا جملة من انشاد المغاربة والاندلسيين وعلـى رأسهم لسان الدين ابن الخطيب الذي ألف في هذا الفن كتابا أسماه : «جيش التوشيح» . وقد ذيله أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي المغربي . وبهذه الموشحات المختلفة الاغراض يختم المقري الباب الخامس من القسم الثاني لكتابه : «نفح الطيب» (١) .

البـاب السادس

من القسم الثاني

يتحدث المقري في هذا الباب عن مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب ومصنفاته ، سواء منها الشعرية والنظمية والتامة والمبتورة ، وقد أطلعنا على مواضيع هذه المؤلفات والمصنفات ، ووصف لنا جلها وصفا أغنانا عن قراءتها ، كما أطلعنا ــ أيضـا ــ على ما قاله فيها العلماء والنقاد ، مدحا وذمـا . ثم يردف ذلك بترجمة أبي اسحاق ابراهيم الغرناطي النميري ، الذي أورد لـه جملة من نظمه ، متبعا ذلك باشعار كثيرة لاشخـاص عديدين . ثم تجره المناسبة الى وصفه لتلمسان وذكـر معنـى لفظة

---

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٨ . ص: ٢٧٠ . ج: ٩ . ص: ٤ ــ ٣٠١ .

«تلمسان» في لغة البربر ، نقلا عن «بغية الرواد» • وبهـذه المنـاسبة يحدثنا المقري عن مولده ونشأته ، وتقلباته في البلدان المغربية والمشرقية، ثم يختم هذا الباب بترجمة طويلة لسيدي أبي مدين شعيب بن الحسن الاندلسي دفين «العباد» بضواحي تلمسان • ويعلل المقري ترجمته لهذه الشخصية بقوله : «وانما ذكرت ترجمة سيدي الشيخ أبي مدين للتبرك بـه ، ولكونه شيخ جدي (عبد الرحمن) ، فانا في بركته لقول جدي : انه دعا لـه ولذريته بمـا ظهر قبوله ، ولأنا ذكرنا في هذا التأليف كثيرا من أبناء الدنيا ، فأردنا كفارة ذلك بذكر الصالحين ، والله الموفق بمنـه وكرمـه آمين» (١) •

الباب السابع

من القسم الثاني

يحدثنا المقري في هذا الباب عن بعض تلامذة ابن الخطيب ويذكر تاجهم المنثور والمنظوم، ولم يفته أن ينوه بعقوق بعضهم ، كما يشيد بطاعة البعض الآخر • فيفتتح كلامه بترجمة أشهر تلامذة ابن الخطيـب ووارث منصبه من بعده ، وهـو الوزير أبو عبدالله محمد بن زمـرك الذي أطنب في ترجمته وأثبت لـه أشعارا كثيرة في شتى الاغـراض الادبية • وبهذه المناسبة يترجم أبا العباس أحمد بن جعفر السبتي الخزرجي دفين مراكش ويورد أخباره وكراماته ، ويعود المقري بنـا الى الحديث عن التلميذ ابن زمرك ، وايراد أشعاره • ثم يترجم التلميذ ابن المهنـا الطبيب شارح الفية ابن سينا ، والتلميذ القاضي أبا بكر ابن جـزي

---

١ ــ المقري، احمد، نفح الطيب ، ج: ٤ ، ص: ٢٠٢ ــ ٢٥١ •

الكلبي ، والتلميذ ابا عبد الله محمد الشريشي ، مؤدب أولاد الملـــوك ومعلمهم القرآن والحديث الشريف ، والتلميذ أبا محمد عطية بن يحيـى المحاربي ، الذي أثبت لــه المقري جملة من نظمه • ويختم المقري هذا الباب بترجمة التلميذ أحمد بن سليمان بن فركون (١) •

الباب الثامـن

من القسم الثاني

يتحدث المقري في هذا الباب عن أولاد ابن الخطيب ، مــن حيث تراجمهم ، وأوصافهم ، ووظائفهم ، وتتاجهم وهلم جرا •• ويسوق الينـا استطرادات كثيرة دعت الى جلبها المناسبات •

فقد فتح كلامه بترجمة قصيرة لمحمد ابن لسان الدين ويعتذر عـن عدم اطنابه فيها ، بحجة أنه لم يجد في المشرق الكتب التي تكلمت عـن هذه الشخصية وأنه قد تركها في المغرب مع جملة كتبه • ثم يشير اشارة خفيفة الى الابن : علي ، ليتخلص الى ترجمة الابن : عبد الله التي اعتمد فيها على نصوص ابن الخطيب الوالد ، نقلا عن احاطته • ويورد لــه أشعارا في مختلف الاغراض ثم يرجع بنا الى ترجمة علي ابن لسان الدين، فيبنيـا بأنه كان شاعرا وأديبـا ، وكان مصاحبا للسلطان ابي سالـم المريني ثم يثبت لــه تذييلات على «احاطة» أبيه • وينتقل بنا الى ترجمة محمد بن أحمد الهواري الشهير بـ «ابن جابر» فيورد لنا بعض أخباره متلوة بجملة من أشعاره المختلفة الاغراض ، ويقفي على ذلك بعدةقصائد لجماعة أرادوا معارضة قصيدة ابن جابر التي تتضمن التورية بســور

١ ــ المقري، احمد، نفح الطيب ، ج: ٢ ص: ٢١٣

القرآن الكريم • ومن بين قصائد هؤلاء المعارضين قصيدة القلقشندي •
ثم يشنف أسماعنا بنص خطبة القاضي أبي الفضل عياض في التورية
بسور القرآن أيضا ، وبنص خطبة عمه أبي عثمان سعيد المقري في
نفس الغرض • وتدعوه المناسبة الى جلب ابيات من انشاد ابي عبد
الله محمد ابن زمرك في مدح شيخه ابن الخطيب • ثم يلتفت الى أخبار
علي ابن لسان الدين ، فينقل الينا نصا من انشاء احد العلماء يتضمن
ترجمة علي المذكور ، مردفا ذلك بخطبة ابراهيم بن علي الكفعمي ــ
شرح بديعيته ــ في التورية بسور القرآن ، مشفعة بقصيدة على هذا
النمط في مدح سيد الآنام عليه الصلاة والسلام ! ثم يترجم الكفعمي
المذكور ، ويختم حديثه عنه بايراد نص رسالته التي كتبها الى قاضي
القضاة أبي العباس ابن الفرفوري ، مذيلة بقصيدة ولدها منها • ثم
يسوق الينا المقري جملة من نظم ابن جابر السابق ، ونظم رفيقه ابي
جعفر أحمد ، وبيتين من شعر ابن عنين يخاطب بهما الملك المعظم ، وابياتا
أخرى لغير هؤلاء المذكورين • ثم يعود بنا الى أخبار علي ابن لسان
الدين ، فيسوق الينا نصوصا من منثوره ، وبعد ذلك يورد لنا نص وصية
لسان الدين ابن الخطيب لاولاده ، ونص وصية محمد بن جيان المرسي،
مع نبذة من نظمه ، ثم ترجمة لشخصيته ــ نقلا عن «الاحاطة» و«عنوان
الدراية» ــ • ثم يردف ذلك بتخميس لابن جيان المذكور في مدح الرسول
ــ صلى الله عليه وسلم ! ــ • ثم يسوق الينا عدة قصائد ومقطوعات
شعرية في نفس الغرض ، من ذلك قصيدة لأحد المغاربة ، لم يذكر اسمه،
وتخميس لقصيدة ابن جيان المجردة من التخميس ، ثم تخميس لابي علي
ادريس بن موسى القرطبي ، ثم قصيدة لابن جيان قرظ بها التخميس
السابق ، ثم يعود المقري الى سرد الامداح النبوية فينقل الينا قصيدة
مخمسة من انشاد ابي اسحاق ابراهيم بن شهل الاشبيلي ، وأخرى من
انشاد بعض المغاربة ، وأخرى لمالك بن المرحل المالقي ، وأخرى لأبي

عباس أحمد بن محمد المغربي ، ومثلها لأبي العباس أحمد بن القاسم الاشبيلي المشهور بـ «القصير» ، ثم أبيات في هذا الغرض لجمال الدين ابن جلال الدين الجوزي ، ثم تسديسان لمحمد بن العفيف الحسني الصفوي ، ثم تسديسان آخران مع عدة قصائد من انشاد أبي عبد الله محمد بن العطار الجزائري ، ثم جملة من الامداح النبوية أنشدها ابن المريف ، وأبو عبدالله محمد بن عمران ، ثم يرجع المقري القهقري ليجلب الينا جملة من أشعار ابن جيان السابق ، وأبي القاسم سعد بن محمد ، وأبي زيد الفزاري وغيرهم .

وهكذا يختم المقري هذه الامداح النبوية بقصيدة من انشاد أبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشافري الاندلسي ، وبها تم الباب الثامن من القسم الثاني ، وهو آخر باب في هذا الكتاب (١) .

ولعل هذا الملخص سيكون عونا لنا وللقارىء على معرفة منهج المقري في تأليف نفحه ، وطريقته في الترجمة ، وأسلوبه فيه الخ .. وذلك ما سنتناول الحديث عنه في الفصل الثالث من الباب الثالث لهذه الدراسة ــ ان شاء الله ! ــ

---

١ ــ المقري ، أحمد ، نفح الطيب ، ج: ١٠ ، ص: ١٤٩ ــ ٣٦٤ .

الفصل الثالث

منهج تأليفه وطريقة الترجمة فيه

خصائصه :

الاطناب ـ عدم التحري ـ التكرار ـ الاستطراد
الانتقادات ـ الامانة العلمية ـ الترجمة
الذاتية ـ الترجمة العامة .

لكل مؤلف منهج يسير عليه في تأليفه ، وطريقة يسلكها في تصنيفه . وذلك مظهر من مظاهر شخصيته الثقافية ، يكاد يلازمه في جميع نتاجه .

والمقري ـ كغيره من المؤلفين ـ له منهج في هذا المضمار . ولعلنا في امكاننا أن نتبين هذا المنهج من خلال قراءتنا لكتبه ، لا سيما كتاب «نفح الطيب» الذي أوحى الينا ببعض الخصائص التي اختص بها المقري في هذا التأليف ، حسبما نرى :

الخاصية الاولى : الاطناب في نقل النصوص المتعددة الاغراض ، التي قرأها في الكتب القديمة والمعاصرة ، والتي سمعها من أفواه رجال العلم والأدب . وهذه الخاصية تكاد تلازمه في جميع مؤلفاته النثرية ؛ ولا سيما «أزهار الرياض» و «نفح الطيب» اللذان يعدان نموذجاصادقا

لمناهجه التي قد سلكها في تأليف كتبه ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على سعة اطلاعه وكثرة حفظه ، الذي جعل من المقري شخصية جامعة راوية أكثر منها باحثة محققة ، سالكة طريق الانتجاع في رواية الاخبار ، ولم يجنح الى سبيل التحليل والتركيز الا نادرا ، والنقل عند المقري يختلف بحسب ما يراه مناسبا للمقام ، فتارة ينقل الينا لفظ النص المنثور كما كتبه كاتبه ، ويروي لنا صيغة البيت الشعري كما أنشده ناظمه ، وتارة يعمد الى النص فيختصره أو يلخصه ، ثم ينقل الينا مختصره أو ملخصه ، والطريقة الاولى هي التي جرى عليها في القسط الاكبر من نقله ، وهذه النصوص المنقولة والابيات المروية تختلف هي الاخرى ، من حيث القلة والكثرة والقصر والطول ، فنجده مرة يقتصد في نقله ، وأحيانا يطلق عنان قلمه في ايراد النصوص ورواية الاشعار ، مثلما فعل ذلك عندما ترجم جده أبا عبد الله محمدا المقري ، فقد نقل الينا من كتابه : «المحاضرات» نصوصا استغرقت أربعا وعشرين صفحة ونصف صفحة (١) ، كما نقل الينا — أيضا — من كتابه : «الحقائق والرقائق» ما لا يقل عن سبع عشرة صفة (٢) ، مردفا ذلك بنظم لنفس الجد استغرق احدى عشرة صفحة (٣) ، ومن نقله المطول أشعار لسان الدين ابن الخطيب التي شغلت سبعا وعشرين صفحة (٤) ، ونص اسماعيل ابن الاحمر في ترجمة أبي عبد الله بن زمرك ، فقد استغرق تسع صفحات ونصف صفحة ، أما شعر ابن زمرك فقد أفرد له ستا وتسعين صفحة (٥) ، ومن النصوص المطولة — أيضا — وصية علي ابن

---

١ — المقري، احمد، نفح الطيب ، ج: ٧ ، ص: ٢٠٧ — ٢٣١
٢ — م، س، ج: ن، ص: ٢٣٢ — ٢٤٩
٣ — م، س، ج، ن، ص: ٢٤٩ — ٢٦٠
٤ — م، س، ج: ٩ ، ص: ١١٦ — ١٨٢
٥ — م، س، ج: ١٠ ، ص: ٢٢ — ١٢٦

لسان الدين ابن الخطيب التي شغلت خمس عشرة صفحة (١) ، ووصية أبيه لسان الدين التي كتبت في أربع عشرة صفة (٢) . ثم نظم أبي عبد الله محمد بن جابر الذي خصه باحدى وعشرين صفحة (٣) ، ونظم أبي عبدالله محمد بن العطار الجزائري الذي شغل سبع عشرة صفحة(٩) ونظم أبي عثمان سعيد بن أحمد بن ليون التجيبي الذي تطلب ستا وخمسين صفحة (٥)، أما كتاب علي بن حزم ، الذي رد بـه على كتاب الحسن بن الربيب ، فقـد استغرق ست عشرة صفحة (٦)، كلهـا فـي فضائل الاندلس وثقافة علمائها وتاجهم . وهكذا نجد المقري يجنح في تاليفه الى كثرة النقل وايراد نصوص العلماء والأدباء على اختلاف نزعاتهم . وربما أتحفنا بفصول من احدى الكتب أو بمؤلفـات صغيرة برمتها ، أو بقصائد طويلة بعناوينها ، مثلما فعل ، عندما نقل الينا تسعة فصول من كتـاب «درر السمط ، في خبر السبط» لابن الابار ، في مدح آل البيت (٧)، وفصلا عن الهجاء مـن كتاب «الذخيرة» لابـن بسام (٨)، وملخصا من مقدمة ابن خلدون، يحتوي على احدى عشرة صفحة فيما يخص الموشحات الاندلسية (٩)، ورسالة تسمى «الروض العاطر الانفاس ، في التوسل الى الامام سلطان فاس» ، كتبهـا السلطان المخلوع أبو عبد الله محمد بن الأحمر الى سلطان فاس الشيخ الوطاسي،

---

١ ـ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ١٠ ص: ٢٣٢ ـ ٢٤٧
٢ ـ م. س. ج: ١٠ ص: ٢٤٧ ـ ٢٦١
٣ ـ م. س. ج: ١٠ ص: ٢٠٥ ـ ٢٢٦
٤ ـ م. س. ج: ١٠ ص: ٣٢٧ ـ ٣٤٤
٥ ـ م. س. ج: ٨ ص: ٥٨ ـ ١١٤
٦ ـ م. س. ج: ٤ ص: ١٥٤ ـ ١٧٠
٧ ـ م. س. ج: ٣ ص: ١٥٤ ـ ٢٥٣
٨ ـ م. س. ج: ٣ ص: ٢٥٤ ـ ٢٥٦
٩ ـ م. س. ج: ٩ ص: ١٩ ـ ٢٣٠

وهي من انشاء الكاتب أبي عبدالله محمد العقيلي (١). ونونية الفقيه عمر الزجال التي تسمى «تسريح النصال»، فـي مقاتل الفصال» (٢)، وقصيدة عامر القرطبي في منتزهات قرطبة ، وتعرف عند أهل الاندلس بـ«كنز الأدب» (٣)، وقصيدة «غرامي صحيح» المتضمنة لالقاب أنواع الحديث ومصطلحه (٤)، الى غير ذلك مما شحن بـه المقري نفحـه .
وأحيانا نجده يتصرف في النصوص ويختصرها اختصارا بليغا يتميزبثلاث ميزات : الاستقصاء في الصفة ، والاتمام في المعنى ، والايجاز في اللفظ.
وتعابير المقري تختلف في افتتاح النصوص المنقولة واختتامها ، فمن ذلك قوله في الافتتاح : «قال فلان ...» . «قال فلان في تاريخ كذا ..» ، «قال فلان في كتاب كذا ما صورته : ... ما معنـاه ..» ، «قال مـا نصـه ...» ، «قال بعضهم ..» ، «قال بعض علماء الاندلس» ، «قال رجل من البصرة ما ملخصه ..» ، «وعن بعض الرؤسـاء ..» ، «قال بعض علماء المغرب ..» ، «قال بعض المؤرخين ..» ، «قال جماعة ..» ، «قال غير واحد ..» ، «قال بعض مؤرخي المغـرب ..» ، «قال بعض مؤرخي المشرق ..» ، «وفي بعض كتب تاريخ الاندلس ..» ، «وذهب جماعة من أهل التاريخ الى ..» ، «ونص محل الحاجة منـه ..» ، الى غير ذلك من تعابيره الكثيرة عند شروعه في نقل نصوص غـيره . أما التعابير التي تدل على انتهاء النص المنقول ، فنقتصر منهـا على ما يلي : «انتهى» ، «انتهى النص» ، «انتهى كلام فلان» ، «انتهى ما نقلته مـن الكتاب المذكور» ، «انتهى كلام فلان وبعضه بالمعنى» ، «انتهى كلام فلان ملخصا» ، «انتهى باختصار» ، «انتهى بالمعنى» ، «انتهت الترجمـة» .

---

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٦ ص: ٢٨١ ــ ٣٠٢
٢ ــ م. س. ج: ٦ ص: ٣٤٥ ــ ٣٤٩
٣ ــ م. س. ج: ٢ ص: ٨٠ ــ ٨٢
٤ ــ م. س. ج: ٣ ص: ٢٨٣

وعندما يريد المقري انشاء نص من كلامه ، يفتتحه غالبا بعبارة «قلت» • وهي الحد الفاصل بين نصه وبين نص غيره • ومن خلال عبارات الافتتاح المبهمة يتضح لناجليا أنمن الصعب جدا أن نطلععلى جميع المصادرالتي اعتمدها المقري في تصنيفه لكتابه «نفح الطيب» • وهـذا الذي كلفنا جهدا كبيرا عندما أردنا معرفة تلك المصادر وأسماء أصحابهـا • ولعل المقري معذور في ذلك، اذ كان ينقل الينا كل ماعلق بحفظه من نصوص مؤلفات، قد نسي عناوينها وأسماء مؤلفيها • وفـي نظـرنا أن شغف المقري بالنقل يعود الى سببين اثنين •

أولهما : كثرة حفظه الذي طغى على شخصيته فـي جل مؤلفاته، وألزمه ان يفرغ شاحنة حافظته المملوءة بشتى التعابير المختلفة المشارب العلمية والادبيـة •

ثانيهما : موضوع «نفح الطيب» نفسه يتطلب من مؤلفه أن يكون ناقلا أكثر منه منشئا ، لأن الهدف من هذا التأليف هو تقصي أخبارجزيرة الاندلس ووزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، وتتبع حقائق حوادث تلك البلاد وأهلها • وهذا لا يتم ــ طبعا ــ الا عن طريق نقل الاخبار المتفرقة وايراد الروايات المتنوعة • ومهما يكن من أمر ، فان سيل النقل قد طغى على شخصية المقري في نفحه ، وصيره مصنفا أكثر منه مؤلفـا ، ومقلدا أكثر منه مفكرا •

وقبل أن ننهي حديثنا عن الخاصية الاولى لمنهج تأليف «النفح» ، يجدر بنـا أن نقابل بعض النصوص المنقولة في هذا الكتاب بأصولها ، لنعرف وجه التماثل والتخالف بينها ، وبالأحرى ، لنطلع على مدى تحري المقري في النقل والرواية • وقد أخترنا لهذا الغرض أربعـة نصوص من أربعة كتب مطبوعة وهي : «قلائد العقيان» للفتح بن خاقان المتوفي سنة ٥٣٥ هـ (١١٤١ م) • و«عنوان الدراية ، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» لابي العباس أحمد الغبرينـي المتـوفي سنة ٧١٤ هـ

(١٣١٥ م) • و «الوفيات» لابي العباس أحمد بن قنفذ القسنطيني المتوفي سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٨ م) • و«التعريف بابن خلدون ورحلته غرباوشرقا» لابي زيد عبد الرحمن بن خلدون المتوفي سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) •

وبعد مقابلتنا نصوص «النفح» المنقولة بالتي هي موجودة في الكتب المذكورة تبين لنا أنها متفقة في المعنى تماما ، وفي اللفظ تقريبا ، اذ وجه التباين لا يعدو أن يكون في بعض الحروف أو الكلمات القليلة جدا • ولعل السبب في ذلك يعود الى تحريف وقع على أيدي النساخ أو آلات الطباعة • ففي نص ابن خلدون ــ الذي يتحدث فيه عن نفسه وعمن لقيه من أصحابه وشيوخه ــ وقع التباين في أربع كلمات قد جاءت في «الرحلة» هكذا : «ولما ••• » • «ثجه ••» ، «كيف هذه القاهرة ؟ ••» ، «وحضر صاحبنا قاضي المعسكر بفاس ••» (١) • بينما جاءت في «النفح» هكذا : «لما ••» ــ بحذف الواو ــ • «ثبجه••»، «كيف هي القاهرة ••» • وحضرت صاحبنا قاضي المعسكر بفاس••»(٢)•

وفي نص الفتح بن خاقان الذي تحدث فيه عن أبي الوليد الباجي وقع التباين في أربع كلمات أيضا • وردت في «القلائد» كما يلي : «تنتجع أنجاده ••» • «وبدا في أفقه ملتاحا ••» • «في سبل العلم ••» • «فيما يرتبه له ويجريه ••» (٣) •

غير أنها وردت في «النفح» كما يلي : «تنتجع نجوده» ، «وبدا بأفقه ملتاحا ••»، «في سبل الهدى ••»، «فيما يرتبه ويجريه ••» (٤) ــ بحذف كلمة «له» •

---

١ ــ ابن خلدون ، عبد الرحمن . التعريف بابن خلدون . ص: ٢٤٦
٢ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٧ ص: ١٧٧
٣ ــ ابن خاقان ، الفتح . قلائد العقيان . ص: ١٩٧ ، ١٩٨
٤ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٢ ص: ٢٧٩ ــ ٢٨١

وفي نص الغبريني الذي ترجم بـه أبا محمد عبد الحق ابن سبعين، وقع التباين في خمس كلمات واحدى الفقرات جاءت في «عنوان الدراية» كما يلي : «ولقيه من أصحابنا اناس ٠٠» ، «وهي نوع من الرموز ٠٠» ، «ولقد مشى له المغاربة والحرم الشريف ٠٠» ، «وكان أصحاب مكة ــ شرفها الله ! ــ وأقوامهم يهدون بأفعاله ، ويعتمدون على مقاله» (١)٠

بيد أنها في «النفح» جاءت كما يلي : «ولقي من أصحابنا ناسا٠٠»، «هي من الرموز ٠٠» ــ بحذف الواو في أول الجملة ــ ، «ولقد مشىبه للمغاربة فيالحرم الشريف ٠٠»، «وكان أهلمكة يعتمدون على أقواله، ويهتدون بأفعاله» (٢) ٠ وقد أردف المقري هذا النص بقوله : «انتهى ببعض اختصار» ٠ ولعله يشير الى اختصاره للفقرة الاخيرة من النص ٠

وفي نص ابن قنفذ الذي ترجم به أبا القاسم محمد بن أحمد الشريف ، وقع التباين في ثلاث كلمات ، وردت في «الوفيات» هكذا : (الحسني السبتي ٠٠) ٠ (وله شرح الخزرجية ٠٠) ٠ (وقدم عليها ٠٠٠) (٣) ٠ أما في «النفح» فقد وردت هكذا : «الحسني ٠٠» ، ــ بحذف كلمة السبتي ــ ، «وله الشرح على الخزرجية ٠٠» ٠ وأقدم عليها ٠٠» (٤)٠ وعلى ضوء هذه الموازنة يتضح لنا أن المقري لم يكتب جميع كتابه من حفظه ، كما هو شائع في صفوف بعض العلماء والأدباء ، ولكن يحتمل أن يكون جل ما فيه من املاء حافظته ٠ ولعل التمييز بين

---

١ ــ الغبريني ، احمد . عنوان الدارية ، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية . تحقيق : محمد بن شنب . الجزائر : المط. الثعالبية . ١٣٢٨ هـ/١٩١٠م٠ ص: ١٣٩ ــ ١٤٠ .

٢ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٢ . ص: ٣٠٢ ٠٤

٣ ــ ابن قنفذ، احمد. الوفيات . تحقيق (هنري بيريس) . القاهرة معط. مصرية . بلا تاريخ . ص: ٥٨ ٠

٤ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٧ ص: ١٢٣

ما هو منقول لفظا ومعنا وبين ما هو محفوظ معنا فقط ، يتجلى لنا في تعابيره التي يفوه بها قبل النصوص المنقولة وبعدها • وقد تقدم لنا — قريبا — أن ذكرنا بعض النماذج من هذه التعابير ونضيف الى ذلك قوله — عند ترجمته القاضي محمد بن بشير المعافري — : «وقد استوفى ترجمته بقدر الامكان القاضي عياض في «المدارك» ، فليراجعها من أرادها ، فان عهدي بها في المغرب (١) • فعبارة : «فان عهدي بها في المغرب» دليل واضح على اعتماده على حفظه • ونضيف الى ذلك — أيضا — قوله : — عندما ترجم أبا عبد الله ابن العطار ، نقلا عن ابن سعيد — : «انتهى كلام ابن سعيد من كتابه «القدح المعلي» فيما أظن ؟» (٢) • وقوله : — عندما تحدث عن بناء «الزاهرة» — : «وقال غيره (أي غير ابن خلدون) وأظنه صاحب المطمح ؟ ••» (٣) • فعبارتا «فيما أظن، وأظنه» تدلان — قطعا — على أنه اعتمد على حفظه • وأمثال هذين العبارتين كثيرة في «النفح» • ومع ذلك كله ، يصعب علينا جدا في بعض الاحيان أن نميز بين ما هو للمقري وبين ما هو لغيره، لعدم وجود أحد التعابير المذكورة أو دليل آخر يرشدنا الى ذلك ، لا سيما الاشعار الكثيرة التي أدرجها في المقدمة دون أن يشير الى منشديها • وقد سلك المقري بهذا الصنيع مسلك من تقدمه من الادباء (٤)، اذ كثيرا ما كانوا يقحمون في كلامهم أشعار غيرهم ، مهملين أسماء منشديها بحجة أن القراء مطلعون على أصحاب تلك الاشعار المجلوبة ، وأن ذكر أسماء الاشخاص قد يحول دون ارتباط الجمل وتناسق الاسلوب، الذي هو العنصر الاساسي في فن الأدب •

---

١ — المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٢ ص: ٣٤٨
٢ — م• س• ج: ٢ ص: ٣٢٥
٣ — م• س• ج: ٢ ص: ٣٣١
٤ — ومن هؤلاء الادباء ابو هلال الحسن العسكري في كتابه : «كتاب الصناعتين : الشعر والنثر» •

. **الخاصية الثانية** : عدم التحري للنصوص المنقولة والروايات المسموعة ، التي يكاد مدلولها يعد من الخرافات أو المستحيلات . ومن ذلك ما نقله المقري عن ابن اليسع فيما يخص بلدة «شنترة» من «أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوما من زراعتهما ... قال لي أبو بكر الباكوري — وكان ثقة — : أبصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من أهل شنترة أهدى اليه أربعا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها ، دور كل واحدة خمسة أشبار ..» (١) .

فان صدقنا بأن التفاحة الواحدة يبلغ دورها خمسة أشبار ،فغير ممكن أن نصدق بحصد القمح والشعير بعد مضي أربعين يوما — فقط — من بذرهما . وأمثال هذه الاخبار والروايات كثيرة في كتب المقري ، لا سيما في القسم الاول من «النفح» ، مثل خبر اتصال أرض المغرب بأرض الاندلس في القديم . وأن الاسكندر هو الذي أمر بحفر ما بين طنجة والاندلس وأطلق البحر المحيط والبحر الشامي بين الارضين ، فكان ما كان ، ومثل الروايات التي ساقها فيما يخص مائدة سيدنا سليمان عليه السلام ! وهلم جرا ... واذا كان موقف المقري سلبيا أمام بعض الاخبار المشكوك فيها ، فقد كان اجابيا في البعض الآخر . ومن مواقفه الاجابية تفنيده قول صاحب «نشق الأزهار» عندما قال : «ان في جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر يحمل الف مصباح ، وفيه أشياء غريبة ، من الصنائع العجيبة ، يعجز عن وصفها الواصفون ، قيل: أحكم عمله في سبع سنين ، وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر ،مكتوب على الواحد اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف، وعلى الثالث صورة غراب نوح — عليه الصلاة والسلام ! — والثلاثة خلقها الله تعالى ولم يصنعها صانع» (٢) .

فعلق المقري على هذا الخبر بما يلي : «قلت : لم أر أحدا من محققي

---

١ — المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ١ . ص: ١٥٤ ، ١٥٥ .
٢ — م. س. ج: ٢ . ص: ٦١ .

المؤرخين للاندلس وثقاتهم ذكر هذا، على قلة اطلاعي، وهو عندي بعيد، لأنه لو كان لذكره الأئمة ، وقد حكى القاضي عياض في «الشفاء» أشياء وجد عليها اسم نبينا — صلى الله عليه وسلم ! — ولم يذكر هذا ، ويستبعد ان يكون بجامع قرطبة ولا يذكره ، والله تعالى أعلم بحقيقة الامر» (١) .

ومن مواقفه الاجابية — أيضا — ارتيابه في نص الخطبة المنسوبة الى القاضي عياض ، وذلك ما دفع به أن يفوه — بعد نقله اياها — بما يلي : «ومن نسبها للقاضي عياض الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ ابي العباس أحمد ابن ابي جمعة الوهراني ، وفي نفسي من نسبتها اليه شيء ، لأن نفس القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم ..» (٢) ومن هنا يتضح جليا أن المقري كان متتبعا لآثار القاضي عياض وغيره من فطاحل العلماء وفحول الادباء ، وقد لا يصدق المقري الروايات الشفوية والاخبار الشائعة في صفوف الناس ، فيقول : «قد شاع وذاع على ألسنة الجم الغفير من الناس في هذه البلاد المشرقية وغيرها أن في جامع قرطبة ثلاثمائة ونحو ستين طاقا ، على عدد أيام السنة ، وان الشمس تدخل كل يوم من طاق ، الى أن يتم الدور ثم تعود ، وهذا شيء لم أقف عليه في كلام المؤرخين من أهل المغرب والاندلس ، ولو كان كما شاع لذكروه وتعرضوا له ، لأنه من أعجب ما يسطر ، مع أنهم ذكروا ما هو دونه ، فالله أعلم بحقيقة الحال في ذلك ..» (٣) وعلى هذا النمط جرى المقري في تفنيد ما نقله عن ابن بشكوال بعض المؤرخين (٤) ، من أن منصور بن خزامة وأبا الحسن علي بن خطاب قد دخلا أرض الاندلس ، مؤكدا هذا التفنيد بقوله: «هذا كله لا اصل له، .. فاياك والاغترار بمثل ذلك مما يوجد في كتب كثير من المؤرخين بالمشرق والاندلس ..» (٥) .

---

١ — المقري، احمد. نفح الطيب ، ج: ٢ ، ص: ٦١
٢ — م. س، ص ج: ١٠ ، ص: ١٩٣ — ١٩٤
٣ — م. س. ج: ٢ ، ص: ٦٠
٤ — م. س. ج: ٤ ، ص: ٩ — ١٠
٥ — م. س. ج: ٤ ، ص: ١٠

وقد فند ــ أيضا ــ ما ادعاه ابن بشكوال وابن سعيد وغيرهما ، من أن الاندلس فتحت بأمر عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ! ــ فقال : «قلت : عهدة هذه الامور على ناقلها ، وانا بريء من عهدتها ، وان ذكرها بن بشكوال وصاحب «المغرب» وغير واحد ، فانها عندي لا اصل لها ، وأي وقت بعث عثمان الى الاندلس ؟ مع أن فتحها بالاتفاق ، انما كـان زمان الوليد ، وانما ذكرت هذا للتنبيه عليه ، لا غير ، والله أعلم» (١).

وكثيرا ما كذب المقري مضمون النصوص التي أوردها في كتابه ، بيد أنـه لم يعتمد في ذلك على الحجة المنطقية والبحـث العلمي . بل كان في الغالب يعتمد على ضعف رواية أصحاب النصوص المنقولة التي لم ترد في كتب ثقات المؤرخين . أما السبب في نقله للنصوص المشكوك في صحتها ، فذلك ما يسفره قوله : «... وربما ينظر المتأمل هذا الكتـاب فيجد في بعض الاخبار تخالفا ، فيحمل ذلك على الغلط ، وليس كذلك ، وانما السبب الحامل لذلك جلب كلام الناس بعباراتهم ، والناقد البصير لا يخفاه مثل هذا ، وربما يقع التكرار ، وذلك من أجل ما ذكر . والله أعلـــم» (٢) .

فالمقري ينقل الينا جميع ما اطلع عليه من النصوص المتعلقة بالموضوع الذي يبحث فيه ، وغالبا لا يتعرض لتمحيص الاخبار وغربلة الروايات ، بل يترك ذلك لذكاء القارىء المثقف وتبصر الناقد النزيه . ومن عدم تحري المقري لمـا ينقله الينا ــ أيضا ــ نقله بعض النصوص النثرية أو الابيات الشعرية التي لا حظ لها في ميدان البلاغة ، ولم يتوخ بذلك سوى فائدة الاخبار بها والاطلاع على مضمونها . ومما جاء على هذا النمط النظم المنسوب الى محمد محيي الدين بن عربي الذي علق عليه المقري بقوله : «قلت : لست على يقين من نسبة هذا النظم الى الشيخ ــ رحمه ! ــ ؛

١ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ١ . ص: ١٩٠.
٢ ــ م. س. ج: ٢ . ص: ٦٨

فان نفسه أعلى من هذا النظم ، ولكني ذكرته لما فيه من الفائدة ،ولأن بعض الناس نسبه اليه ، فالله تعالى أعلم بحقيقة ذلك » (١) .

ومن ذلك ـ أيضا ـ أبيات محمد بن عبد الرحمن الغرناطي التي عقب عليها المقري بقوله : «وكتبت هذه الابيات وان لم تشتمل على بلاغة لما فيها من الفائدة، ولأن بعض الناس سألني فيها لغرابتها ، والاعمال بالنيات» (٢) . والمقري لا يتحاشى عن نقله نصوص الادب المكشوف، مثلما تحاشى عن نقلها غيره من بعض الادباء ، مثل ابراهيم الحصري في كتابه «زهر الآداب» مثلا ، بل راح ينقل الينا ـ بدون تحفظ ـ نصوصا تفسح بعبارات الفحش والخنى،فمن ذلك عبارة ابن مالك صاحب الالفية التي أجاب بها فتى الحمام ، عندما سأله عن شيء لا يعنيه وهو يغتسل هناك . وقد أردف المقري نص العبارة بقوله : (قال بعضهم : وهذا مما يستبعد على دين ابن مالك ، والعهدة على ناقله ، قال الصفدي : ولا يستبعد ذلك من لطف النحاة وطباع اهل الاندلس (٣) .

ومما نقله الينا من نصوص الأدب المكشوف أبياتا انشدها علي بن سعيد صاحب كتاب «المغرب في حلى المغرب» ، عندما افتض بكرا ،واخرى قالها في التغزل بغلام عجمي وسيم (٣) ، وهلم جرا ..

ولقد فعل المقري ـ أمين الأدب ـ خيرا يشكر عليه اذ لولا جسارة قلمه ما كنا نعرف الا النزر من الادب المغربي المكشوف ، لا سيما منه الاندلسي النزعة . الذي كشف أبو العباس عن قناعه ، وأبرز مخبآته ؛ لنكون على بينة من نتاج الاندلسيين وحياتهم الادبية والاجتماعية . ولعل غرض المقري من ايراد هذه النصوص يفسره قوله : «وأسال من

---

١ ـ المقري، احمد. نفح الطيب ج: ٢ ص: ٣٦٨
٢ ـ م. س. ج: ٦ ص: ٤٤
٣ ـ م. س. ج: ٢ ص: ٤٢٤ ، ٤٢٥
٤ ـ م. س. ج: ٣ ص: ٥٧ ، ٥٨ ـ ٩٨

مبلغ السائلين ما يرجون : ان يصفح عن زلاتي ويسامحني فيما أوردت في هذا الكتاب من الهزل والمجون ، الذي جرت المناسبة اليه — والحديث شجون — ، وما القصد منه الا ترويح قلوب الذين يسوقون عيسى الاسمار ويزجون ، ...» (١) ؛ وكذلك يفسره قوله — عندما أورد نص نونية عمر الزجال التي سماها صاحبها «تسريح النصال الى مقاتل الفصال» — : «وليس قصدي — علم الله — بجلب هذه القصيدة ما فيها من المجون ، بل ما فيها من التلميحات التي يرغب في مثلها أهل الأدب والحديث شجون،على أن أمثال هؤلاء الاعلام، لا يقصدون بمثل هذا الكلام الا مجرد الاحماض ، فينبغي أن ينظر كلامهم الواقف عليه بعين الاغضاء عن النقد والاغماض ، ولا يبادر بالاعتراض من لم يعلم في الاصول برهان القطع والافتراض ، والله سبحانه المسئول في التجاوز عن الزلات ، والنجاة من الامور المضلات ، فعفوه — سبحانه ! — وراء جميع ذلك ، والله تعالى المطلع على أسرار الضمائر ، والخبير بما هنالك ، لا رب غيره ، ولا خير الا خيره» (٢) .

فمن خلال هذين النصين يتبين لنا مدى تواضع المقري ، واعتقاده الخير في العلماء والادباء ، وحمله اياهم على المحامل الحسنة والنيات الطيبة . وحسبما يبدو لنا أن مدلول الأدب — في نظره — لا يعدو أن يكون صورة صادقة للحياة الاجتماعية ، ومظهرا شاملا للتطورات الطبيعية والتصرفات البشرية ، لا فرق عنده بين الغث والسمين ، والحسن والقبيح ، من حيث التعبير الصحيح واللفظ الصريح ، فلا عاطفة دينية تعترض الشعور الامين ، ولا تزمت يكبح لسان الحق المبين ، وانما لكل مقام مقال ، فالدين عند المقري اعتقاد ثم عمل ، أما الادب فقول صادق

---

١ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ١ . ص: ١٢١

٢ — م . س . ج: ٦ . ص: ٣٤٩ ، ٣٥٠

وشعور حي وتعبير فني لمقتضى الحياة ، اذ لولا صراحة لهجات الادباء ماكنا نعرف تطور الأمم ، من حيث مظاهر أفكارهم ونزعاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والادبية عبر العصور والاجيال ، تلك وصمة ينبغي أن يجتنبها كل أديب أمين على مهنته ، مخلص لابناء جنسه مطواع لايحاء شعوره ، فالاديب الحساس لا يماري ولا يداجي ، بل لا يدع كبيرة ولا صغيرة من مظاهر الحياة تمر أمامه ، دون أن يحصيها احصاء، ثم يبرزها للعيان في فقرات متقنة التركيب ، فنية المبنى ، سامية التخيل قريبة المعنى ، فالأديب النزيه بمثابة «عدسة» لقاطة ينطبع عليها جميع ما يمر أمامها ، من عوارض متحركة وأجرام ثابتة في عالم الوجود ، فلا فرق — عند الاديب الصريح — بين زقزقة الطيور ، ونهاق الحمير ، وغناء المسرور، وبكاء الحزين ، وخرير الجداول ، وصفير الرياح ، وجد الرفيع ، وعبث الوضيع ، وطغيان المتجبر ، وتذلل المقهور ، تلك كلها سواسية لدى الاديب الشجاع ، من حيث ابرازها للجمهور في قالب جذاب الاسلوب ، موسيقى المقاطع ، غني الخيال ، مواكب للزمان ، ملائم للمقام ، وان شئنا قلنا : ان الأديب الحق شبيه بمعرض عالمي لنتاج الفكر الانساني والشعور البشري ، كيفما كان وحيثما بان . وكان المقري متوقعا انتقادات ستوجه اليه من طرف بعض المعترضين عليه فيما جاء به من الهزل في في مؤلفاته الادبية :

«قلت : كان بمنتقد ليس له خبرة يسدد سهام الاعتراض ويتولى كبره ، ويقول : ما لنا وادخال الهزل في معرض الجد الصراح ؟ فنقول في جوابه على الانصاف : لم تزل كتب الاعلام مشحونة بمثل هذه الاوصاف ، وليس مرادهم ايثار الهزل على غيره ، وانما ذلك من باب ترويح القلب ، وهو أعون على خيره ، وللسلف في مثل ذلك حكايات يطول جلبها ، ولا يقدح ذلك في سكينتهم ، ولا يتوهم لسببه سلبها ، ويرحم الله تعالى عياضا ، اذ قال :

قل للأحبة والحديث شجون ما ضر أن شاب الوقار مجون

.. وليس قصدنا نحن بهذا ــ علم الله ــ غرضا فاسدا ، تنفق منه في سوق الهزل كاسدا ، وانما غرضنا صحيح ، وزندنا غير شحيح» (١) .

واذا كان المقري قد أورد في كتابه بعض عبارات الهزل والمجون ــ نزولا عند رغبة الادب والاحماض ــ فاننا كثيرا ما نجده ساعيا في محو ذلك وتكفيره بما جاء بـه من المواعظ الحسنة ، وحكايات الاوليـاء والصالحين ، ومدائح خاتم الانبياء والمرسلين : «وقد رأيت أن أكفر مـا تقدم ذكره من الهزل ــ الذي أتينا به على سبيل الاحماض ــ بما لا بـد منه من الحكم والمواعظ وما يناسبها » (٢) .

الخاصية الثالثة : التكرار في النصوص والمعاني ، فلا نكاد نقـرأ بابا من أبواب «النفح» دون أن تعترضنا نصوص ، ذكر لفظها أو تقـدم معناها فيما سبق من الابواب . ولا نود أن ننقل نماذج كثيرة فيما يخص هذا الشأن ، لأن القارىء لكتاب «النفح» يمكنه ــ بسهولة ــ أن يطلع على هذه النماذج ، ورغم ذلك فاننا نرشد القراء ــ على سبيل الاجمال ــ الى بعض النصوص المكررة والمعاني المعادة ، مثل بيتي ابن الخطيب ، يشكو فيهما صروف الدهر . وقد اردفهما المقري بقوله : «وقد سـبق هذان البيتان عندذكر بعض نظم لسان الدين ــ رحمه الله تعالى ــ»(٣) وأبيات الشيخ أبي بكر المخزومي التي أنشدها في محاسن قرطبـة أو غرناطة (٤) ، وأبيات ابن خفاجة في وصف الاندلس (٥) وأبيـات ابن

١ ــ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج: ٢ ص: ٢٢٧ ، ٢٢٨
٢ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج: ٦ ص: ٥٠ .
٣ ــ م . س . ج: ١ ص: ١٦١
٤ ــ م . س . ج: ١ ص: ١٤٨ ــ ١٦٥
٥ ــ م . س . ج: ١ ص: ١٥٨ ــ ١٩٥

سفر المريني في نفس الغرض (١) •

ومن المعاني المعادة وصف أرباض قرطبة (٢) ، وأخبار مصحف عثمان بن عفان (٣) ، وقصة الجوهري التاجر مع النصور ابن أبيعامر، التي أردفها المقري بقوله :«ثم ذكر هذا المؤرخ (ابن حيان)قصةالجوهري التي قدمنا نقلها من «مغرب» ابن سعيد ، ولكنا رأينا اعادتها بلفظ هذا المؤرخ (ابن حيان) ، لأنه أتم مساقا ••» (٤) • ومن المعاني المعادة أيضا ـ حكاية المستعين ابن هود ملك «سرقسطة» ، وقد عقب عليها المقري ـ بعد نقلها ـ بقوله : «وقد ذكرنا هذه الحكاية في غير هذا الموضع ، بلفظ الفتح في «القلائد» ، ولكنا أعدناها هنا ، لتعبير صاحب «البدائع» عنها ، محاكيا لطريقته» (٥) ، يعني أسلوب الفتح ابن خاقان • ولعل التكرار عند المقري قد كان عن عمد لا عن ذهول أو نسيان ـ كما ظن بعض المعاصرين (٦) ـ ، بدليل أنه كلما أعاد نصا سبق ذكره نبه عليه وأردفه بأمثال هذه العبارات : «وقد تقدمت هذه الابيات» • «وقد تقدمت هذه القصيدة» • «كما مر ذلك» • «وقد سبق كذا عن ذكر كذا» • أما الاسباب التي دفعت بالمقري الى ارتكابه عمل التكرار ،فانها ماثلة في قوله : «وربما كررنا الكلام لارتباط بعضه ببعض ، أو لنقل صاحبه المروي عنه ، أو لاختلاف ما ، أو غير ذلك من غرض سديد» (٧) وعندما أورد بيتين من شعر أبي الوليد الباجي وعنى له أن يوردهما

---

١ ـ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج: ١ ص: ١٩٤ ـ ٢١١ ، ٢١١

٢ ـ م. س. ج: ٢ ص: ٧ ـ ١٣ ـ ٧٨

٣ ـ م. س: ج: ٢ ص: ٨٦ ـ ٩٩ ـ ١٣٥

٤ ـ م. س. ج: ١ ص: ٣٧٨ ، ٣٨٨

٥ ـ م. س: ج: ٤ ص: ٢٥٠

٦ ـ امثال محمد عبد الغني حسن في كتابه «المقري صاحب نفح الطيب» ، ص: ٩٣ ـ ٩٧

٧ ـ المقري، احمد. نفح الطيب ، ج: ١ ص: ٢١٣

مرة ثانية ضمن نص «قلائد العقيان» للفتح بن خاقات ، نبهنا بقوله : «وقد ذكرناهما فيما يأتي قريبا من كلام الفتح ، لكوننا نقلنا كلامه بلفظه»• (١)• فسبب تكرار هذين البيتين هوكونهما موجودين فيءنص «القلائد» ، الذي دعت ترجمة الباجي الى جلبه • وربما دعا الى هذا التكرار اتمام نص ذكر في السابق مبتورا : «قلت : رأيت بخط أبي الحسن علي ابن لسان الدين ــ رحمهما الله تعالى ! ــ على هامش هذه الترجمة (ترجمة ابي عبد الله بن زمرك) ــ من «الاحاطة» ، كلاما في حق ابن زمرك ، رأيت أن أذكره بجملته الآن ، وان تقدم بعضه في هذا الكتاب» (٢)• وقد يكتفي المقري عن التكرار بتنبيه القاريء الىأشياء قد سبق له أن ذكرها في مكان آخر من الكتاب ، فيقول : «فقد أشرنا في الباب الاول الى كثير مما يتعلق بقرطبة ــ أعادها الله تعالى للاسلام ! ــ ، فأغني عن اعادته ، وان كان ذكره هنا أنسب ، لان ما تقدم انما هو في ذكرها مع غيرها من بلاد الاندلس ، وهذا الباب لها بالاستقلال» (٣)• واذا أتى بتكرار بعض المعاني التي لا تفي بمضون النصوص المتقدمة أنبأنا بأنه قد ذكر هذه المعاني بأكملها فيما تقدم من النصوص المطولة • مثل قوله : «وقد تقدم كلام أبي الخطاب ابن دحية في هذا المعنى بطوله في الباب الثاني من هذا القسم، فليراجع ثمة» (٤) واذا تحدث عن موضوع ولم يتم حديثه عنه أشعرنا بأنه سيعود اليه مرة ثانية ضمن أحد الابواب القادمة ، مثل قوله ــ عندما تناول الكلام عن صفات أهل الاندلس وأخلاقهم ــ : «•• وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم، من ذلك وغيره ما يشفي ويكفي» (٥)• واذا كرر الحديث

١ ــ المقري، احمد . نفح الطيب. ج: ٢ ص: ٢٧٩

٢ ــ م• س• ج: ١٠ ص: ٢٠

٣ ــ م• س• ج: ٢ ص: ٨٠ ــ ٨٢

٤ ــ م• س• ج: ٩ ص: ٨٤

٥ ــ م• س• ج: ١ ص ١٧٧

عن شيء تقدم الكلام عن بعضه ، وفي نيته أن يعود اليـه مرة ثالثة ، أخيرة بقوله : «ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة اهل الاندلس ، وان مرت من ذلك جملة، وستأتي ـ ايضا ـ زيادة على الجميع» (١)، ولم يفت المقري ان يرشدنا الى المواضيع التي استوفى الحديث عنها في كتبه الاخرى من غير «النفح» مثل «ازهـار الرياض» و «روضـة الآس» ، و «فتح المتعال» وغيرها .

ومهما يكن من امر فان المقري لم يجنح الى التكرار ، الا من اجل توضيح المبهم ، او اكمال الناقص ، او تاكيد المشكوك فيه ؛ ورغم ذلـك كلـه ، فان التكرار وصمة ينبغي للمؤلف ان يتجنبها ، لا سيما فيعصرنا الحاضر الذي اصبحت فيه المنهجية تقتضي اجتنابه .

الخاصية الرابعة : كثرة الاستطراد ، وهذه الخاصية تكـاد تلازم المقري في جميع مؤلفاته ، ولا سيما «أزهار الرياض» ، و «نفح الطيب»، اللذان شحنهما وحشاهما بكمية وافرة من الاستطرادات المتنوعة المشارب والاغراض الحسنة ، وكان ذلك منه عن قصد وروية ، وما دفع به الـى ذلك سوى شجون الحديث وتوارد المناسبات . وليس المقري بدعا فيما ذهب اليه ، بل كثير من قدامى الكتاب والمؤلفين قد سـاروا على هذا السمت في مؤلفاتهم ، وحتى في حلقات دروسهم أيضا .

وليس المقري بغافل عن هذا ، بل أنبأنا بذلك في خاتمة مقـدمة «أزهار الرياض» ، حيث قال : «وقد ذكرت في هذا الكتاب حكايـات مختلفة ، وفنونا مفيدة يزداد الناظر بها معرفة حسبما جرت بذلك عادة كثير من الائمة في مصنفاتهم ، ومجالس دروسهم ، وقد قال الماوردي ، أقضى القضاة في كتاب «آداب الدين والدنيا» (٢): القلوب ترتاح الى الفنون المختلفة ، وذكر ان المأمون كان ينتقل في قصره من موضـع الى

موضع ، وينشد قول أبي العتاهية :

لا يصلح النفس إن كانت مدّبرة (١) الا التنقل من حال الى حال

وقال أبو حنيفة : الحكايات من العلماء أحب الي من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم . وقال الشيخ سيدنا أبو القاسم الجندي — رضي الله عنه ، ونفعنا ببركاته ! — : الحكايات جند من جنود الله ، يقوي الله بها أبدان المريدين . وقال الامام المواق في كتابه «سند المهتدين» — عن شيخه المنتوري ، بسنده الى أبي العباس بن العريف ، قال — : كنت في مجلس أستاذي أبي علي الصدفي أقرأ عليه الحديث، فقرأ يوما الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل يحكي حكايات الصالحين ، فوقع في نفسي : كيف يجيز الشيخ أن يقطع حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم ! — ويحكي الحكايات ؟ ! قال : فما تم لي الخاطر حتى نظر الي الشيخ شزرا ، وقال : يا أحمد ، الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب العارفين من عباده . قال : فما بقي في جسدي شعرة الا قطر منها العرق . فلما رآني دهشت ، قال لي : يا أحمد ، أين مصداق ذلك من كتاب الله ؟ قلت : الشيخ أعلم ، قال : قوله تعالى : «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل» الآية . انتهى» (٢) ..

فعلى ضوء هذا النص يتضح لنا أن المقري كان شغوفا بسرد الحكايات المفيدة ، ميالا الى الحديث عن سير الاولياء والصالحين والصوفية المتعبدين ، وان أدى به ذلك الى الاطناب في الاستطراد الذي يرى فيه راحة للنفوس ، وترويحا للقلوب ، وانعاشا للأذهان .

واذا كنا غير مجبرين على سرد نصوص الاستطرادات التي أوردها

---

١ — مدبرة — بكسر الباء وتشديدها — : مهمومة .
٢ — المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج : ١ ص : ٢١ ، ٢٢ .

المقري في نفحه ، فلسنا بغافلين عن الاشارة الى بعض أماكنها في هـذا الكتـاب .

فمن ذلك استطراد استغرق أربعا وسبعين صفحة ، قطع بها المقـري متابعة حديثه عن تراجم الراحلين من الاندلس الى المشرق ، ليحدثنا فيها عن رحلته الى دمشـق ، وعما دار بينه وبين علمائها وأدبائها مـدة اقامته هناك . وكان الداعي الى هذا الاستطراد الطويل النفس ،مناسبة امتداح الرحالة ابن جبير وغيره لدمشق الشام . ولما أحس المقري باطنابه في ذلك ختم حديثه بقوله : «وقد خرجنا بالاستطراد الى الطول ، وذلك منا استرسال مع جاذب الادب فلنمسك العنان ، والله المستعان» (١) .

ومن الاستطرادات المستفيضة في هذا الكتاب ترجمة أبي عبد اللـه محمد المقري التي ذكرت بمناسبة الحديث عن شيوخ لسان الديـن ابن الخطيب . وقد استغرقت هذه الترجمة وما يتبعها من الاستطراد ـ ايضا ـ مائة واثنين وخمسين صفحة (٢) . ومن الاستطرادات المفيـدة حديثه عن تاريخ الموشحات الاندلسية ، وقواعدها المستحدثة ، نقلا عن ابن خلدون . وذلك بمناسبة ذكر أشعـار ابـن الخطيب (٣) . ومـن الاستطرادات ـ كذلك ـ ايراد قصة نجاة عبد الرحمن بن خلدون من بأس الطاغية (تيمور لنك) الذي تغلب على الشام وأحوازه ، وقد أورد المقري هذه القصة عندما تعرض لترجمة يوسف بن يحيـى الاندلسي الازدي ، المعروف بـ «المغامي» ، وهو أحد الراحلين من الاندلس الـى المشرق . وختم المؤلف هذا الاستطراد بقوله : «وقد كدنا نخرج عـن

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٣ ص : ١٤٢ ـ ١٦٨
٢ ـ م . س . ج : ٧ ص : ١٢٩ ـ ٢٧١
٣ ـ م . س . ج : ٩ ص : ١٩ ـ ٢٢٠ .

المقصود في هذه الترجمة ، فلنصرف العنان ، والله المستعان !» (١) •
ومن الاستطرادات الاخبارية حديث المؤلف عن اتصال روايته بأبي حيان محمد الغرناطي من طرق عديدة • وقد ذكر ذلـك بمناسبة ترجمة أبي حيان المذكور (٢) • ومن الاستطرادات الطارئة ايراد عدة تقاريظ قرظ بها عدد من العلماء كتاب «نسيم الصبا» ، لابن حبيب ، وذلك بمناسبة ترجمة أبي عبد الله محمد بن جابر أحد المقرظين للكتاب المذكور (٣) •
ومن الاستطرادات اللغوية حديث طويل عن ضبط كلمة «المسهب» (٤) من عنوان كتاب «المسهب في أخبار المغرب» للحجاري ، وحديث طويل — أيضا — عن «المسألة الزنبورية» التي جرت بـين سيبويـه وبين الكسائي ، وكذلك أمور أخرى تتعلق بسيبويه وكتابه في النحـو ،وكل ذلك ذكر عقب ترجمة جعفر ابن الاعلم وأبيه محمد الاعلم النحوي (٥) •
ومن الاستطرادات القصيرة ذكر سند المؤلف المرتفع الى أبي عبد الله محمد بن الابار ، وذلك بمناسبة ترجمة هذا الاخير (٦) • وسنده المرتفع الى الحفيد أبي عبد الله محمد بن مرزوق بكل مروياته وتآليفه • وذلك بمناسبة ترجمة ابن مرزوق المذكور (٧) •

ونكتفي بهذه الاشارات التي تعد غيضـا من فيض بالنسبة الـى الاستطرادات الكثيرة التي كادت تطغى على نصوص «النفح» وأبوابه ، بل كادت تذهب بمدلول موضوعه ، ومقصود مؤلفه • ولعلنا قد أضأنا السبيل لمن يريد أن يتعرف دوافع الاستطـرادات ويطلع علـى أهدافها

---

١ — المقري ، أحمد . نفح الطيب . ج : ٣ص : ٢٧٥ — ٢٧٧ •
٢ — م • س • ج : ٣ • ص : ١٣١ — ١٣٢
٣ — م •س • ج : ٣ • ص : ٤٢٢ — ٤٢٨ •
٤ — سنشبع الكلام عن هذه اللفظة عندما نتنـاول الحديث عـن الخاصية الخامسـة — ان شاء الله ! —
٥ — م • س • ج : ٥ • ص : ٢١٦ — ٢٢٤
٦ — م • س • ج : ٦ • ص : ٥٤ •
٧ — م • س • ج : ٦ ص : ص : ٣٤٧ •

المقصودة . وفي الختام نود أن نذكر بعض العبارات التي يستعملها المقري في بداية الاستطراد ونهايته . فمن عبارات البداية : «قلت ..»، «وقد ذكرت عند كتبي كذا ..» ، «وبعد كتبي لكذا رأيت أن أذكر كذا ..» ، «وقد تذكرت هنا ، والشيء بالشيء يذكر ..» ، «وتذكرت بهذا الموضع ..» ، «قلت : وقد أذكرني كذا ..» ، وهلم جرا ..

أما عبارات النهاية التي يربط بها المقري نصوص ما قبل الاستطراد بالتي بعده ، فنذكر منها ما يلي : «رجع» ، «رجع الى ماكنا بصدده ..» ، «رجع الى أخبار فلان ..» ، «رجع الى ما كنا فيه من كلام كذا ..» ، «رجع الى ما كنا فيه من أحوال فلان ..» ، «رجع الى ما كنا بسبيله ..» ، «عود الى أخبار كذا ..» ، «عود الى صفات كذا ..» ، وهلم جرا .. بيد أننا نرى كلمتي «قلت» و «رجع» قد طغتا على جميع العبارات التي جعلها المقري الحد الفاصل بين صميم الموضوع وبين الاستطراد الدخيل .

الخاصية الخامسة : الانتقادات النزيهة ، والتحقيقات المفيدة ، والتعاليق الطريفة ، التي قلما طرزت كتابا أدبيا وتوجت مؤلفا تاريخيا مثل كتاب «النفح» . ولعل هذه الخاصية تعطينا صورة واضحة على مدى اعتناء المقري بكل ما يقرأ وجميع ما ينقل ، وتدبره لمحتوى النصوص والكتب ، وفهمه لمعاني الكلمات والجمل ، وانتباهه الى ماتحتويه هذه وتلك من الملاحظات الدقيقة ، والدقائق الخفيفة ، وهذا ما تلمحه جليا في عباراته الموجزة التي كثيرا ما يقفي بها على نصوص المواضيع المطروقة في كتابه . فمن ذلك تقفيه على كلمة «فرح» عندما ترجم الصفدي أبا العباس احمد بن «فرح» اللخمي الاشبيلي ، فعقب المقري على هذه الترجمة بقوله : «وظاهر كلامه (يعني الصفدي) ابن فرح ـ بفتح الراء ـ والذي تلقيناه عن شيوخنا أنه بسكون الراء ..» (1) . فاكتفى

---

1 ـ المقري ، احمد ، ج : ٣ ص : ٢٨٤ .

المقري بالتسليم لشيوخه فيما تلقاه عنهم دون أن يبين أسباب ترجيح سكون الراء . ولعل معتمده في ذلك هو السماع ، ثم تقفيته على لفظة «المسهب» (١) بقوله : «وعلى ذكر «المسهب» فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية ، لما قال غير واحد : ان «المسهب» انما هـو بفتح الهاء ، كقولهم «سيل مفعم» ـ بفتح العين ـ والفقرة الثانية وهي «المغرب» تقتضي أن يكون بكسر الهاء ، ولم يزل ذلك يتردد في خاطري الى أن وقفت على سؤال في ذلك ، رفعه المعتمد ابن عباد سلطان الاندلس الى الفقيه الاستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بـن عيسـى النحوي الشنتمري المشهور بالاعلم» (٢) ، ثم يورد المقـري نص جواب الاعلم المذكور ، مردفا ذلك بأبيات للاعلم نفسه ، لخص فيها جوابه النثري الذي أثبت فيه معنيين للفظة «مسهب» ، فاذا جاءت بفتح الهاء فهي صفة لمـن أكثر في غير صواب ، وان جاءت بكسر الهاء فهي صفة لمن أكثر وأصاب، بيد أن المقري لم يطمئن الى هذا الجواب ، بل راح يعلق عليه بقـوله : «قلت : رأيت في بعض الحواشي الاندلسية : أن ابن السكيت ذكر في بعض كتبه ، في بعض ما جعله بعض العرب فاعلا وبعضهم مفعولا : رجل مسهب (بكسر الهاء) ومسهب (بفتح الهاء) لكثير الكلام . وهذا يـدل على أنهما بمعنى واحد ، انتهى» (٣) .

ومن تحقيقات المقري تحديد مدفن القـاضي أبي بكـر محمد بن العربي المغافري بخارج «باب المحروق» بفاس ، خلافا لجماعة منهم ابن الزبير في «صلته» ، من أن مدفنه بـ «باب الجيسة» (٤) بفاس ، وقـد أشبع المقري الكلام عن هذا الموضوع في كتابه «أزهار الرياض» ،عندما

---

١ ـ المسهب : ماخوذ من عنوان كتاب : «المسهب ، في اخبار المغرب» للحجـاري .

٢ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٥ ص : ١٦

٣ ـ م . س . ج : ٥ ص : ٢١٩

٤ ـ م . س . ج : ٢ ص : ٢٣٧ .

تدول ترجمة القاضي المذكور (١) • ومن تحقيقاته المفيدة أن أبا بكر البقلاني وأبا الحسن الاشعري مالكيا المذهب ، ذكر ذلـك عقب ترجمة أبي ذر الهروي عبد ابن احمد الانصاري المالكي (٢) • ومن تحقيقاتـه أن الابيات الخمسة التي قيلت في منار الاسكندرية من انشاد الوزير أبي محمد بن عبد ربه : حفيد صاحب «العقد الفريد» (٣) • ومن تعاليقه الطريفة قوله ــ في أبيات أبي عبد الله بن جـزي ، التي وصف فيهـا تنازع ذوي الاقلام وأصحاب السيوف في تشبيه العـذار ــ : «وهذه الغاية التي لا تدرك مع البديهة ولزوم ما لا يلزم» (٤) • ولم يزد المقري على هذا التعليق القصير ، مع أن مضمون الابيات وشكلها يستحقـان مزيد التحليل من الوجهة البيانية • ومن تعاليقه المفيدة أن محي الديـن بن عربي كان يعرف في المغرب بابن العربـي ــ بالالف واللام ، ثـم اصطلح أهل المشرق على حذف الالف واللام ، فاصبـح معروفـا لديهم بـ«ابن عربي» ، فرقا بينه وبين القاضي ابي بكر ابـن العربـي (٥) • والمقري كثير الانتباه للكلمات التي تستحق التفسير والشرح ، مثلما فعل ذلك في كلمتي «البهنانة» و «الرعبوب» ، الواردتين في قصيدة الشاعر يحيى ابن الحكم المعروف بـ «الغزال» ، اذ قال في معناها : «والبهنانة»: المرأة الطيبة النفس والارج ، كما في «الصحاح» ، وقيل : اللينة فـي منطقها وعملها وقيل : الضاحكة المتهللة ، و(الرعبوب) : السبطةالبيضاء، والسبطة : الطويلة» (٦) • وقد فسر لنا ــ أيضا ــ لفظة (الزواكـرة)

---

١ ــ المقري ، احمد . ازهار الرياض في اخبار عياض . ج : ٣ . ص : ٦٤ ــ ٦٥

٢ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٢ . ص : ٢٧٦

٣ ــ م ٠ س ٠ ج : ٢ . ص : ٣٢٠

٤ ــ م ٠ س ٠ ج : ٢ . ص : ٣٨٩ .

٥ ــ م ٠ س ٠ ج : ٢ص : ٢٧٣

٦ ــ م ٠ س ٠ ج : ٣ ص : ٢٣ .

الواردة في نص ابي الحسن علي ابن لسان الدين : بقوله : «الزواكرة: لفظ يستعمله المغاربة ، ومعناه ـ عندهم ـ المتلبس الذي يظهر النسك والعبادة : ويبطن الفسق والفساد» (١) • ولعله يقصد بالمغاربة أهل المغرب الاقصى • ومن تحقيقاته المفيدة أن أبا حيان النحوي الاندلسي هو نفسه منشد البيتين :

«اذا وضع الاحسان في الخبّ لم يفد   سوى كفره،والحريجزي به شكرا
كغيث سقي أفعى فجاءت بسمّها   وصاحب أصدافا فاثمرت الدرا »

خلافا لمن عزاهما الى غيره (٢) • ومن تحقيقاته الناجعة أن أبا عبد الله محمد بن الابار وأبا الحسن حازم بن محمد-القرطاجني قد كانا فرسي رهان في جميع الفنون ما عدا فن الحديث ، فان ابن الابار أكثر منه رواية (٣) • ومن تحقيقاته العجيبة أن قصيدة أحمد بن زيدون التي أنشدها في ولادة ، بعدما يئس من لقياها ، والتي مطلعها :

« اضحى التنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طيب دنيانا تجافينا .. »

لم يذكرها صاحب «قلائد العقيان» (٤) وغيره تامة • وانما ذكرت هناك مبتورة ، ينقصها تسعة أبيات أكملها المقري ، ونقل الينا القصيدة برمتها في نفحه ، ثم اردفها بقوله : «وانما ذكرت هذه القصيدة ــ مع طولها ــ لبراعتها ، ولأن كثيرا من الناس لا يذكر جملتها ، ويظن أن ما في القلائد وغيرها منها هو جميعها ، وليس كذلك ، فهي ــ وان اشتهرت بالمشرق والمغرب ــ لم يذكر جملتها الا القليل» (٥) •

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٨ ص : ١٢٤
٢ ــ م • س ، ج : ٢ ص : ٣٢٩ ، ٢٤٠ .
٣ ــ م • س • ج : ٣ص : ٢٤٦
٤ ــ ابن خاقان ، الفتح . قلائد القعيان ص : ٨٤
٥ ــ المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ٤ ص: ٢٥٩ •

ومن تعاليقه المهمة توضيحه لمعاني بعض الاسماء المنسوبة ، مثل : قوله ــ عندما أورد أبياتا للشاعرة أم العلاء الحجارية ، وأخرى للشاعرة الغسانية البجانية ــ : «والحجارية ــ بالراء المهملة ــ نسبة الى وادي الحجارة ... والبجانية ــ بالنون ــ نسبة الى بجانة ، وهي كورة عظيمة ..» (١) . ومن تحقيقاته السديدة تعليقه على البيت الثالث من انشاد الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية ارتجالا بين يدي أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الموحدي :

« ياسيد الناس يا من ... يؤمّل الناس رفده

أمنن عليّ بطرس ... يكون للدهر عدّه

تخط يمناك فيه : ... « الحمد لله وحده »

فكان تعليق المقري ما يلي : «وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين ، فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشورة : «الحمد لله وحده» (٢) .

وليس المهم عند المقري تفسير معاني بعض المفردات ، أو تبيين مرامي بعض الابيات ، فهذا عمل قد قام بـه من تقدمه من المؤلفين والكتاب ، وانما المهم كونه قد وفق الى ما يجدر بالتفسير والتبيين. أليس من التوفيق تعليقه على هذين البيتين :

ــ اذا ما القوت يأتي لـ ... ـك والصحة والأمن

وأصبحت أخا حزن ... فلا فارقك الحزن ــ

بقوله : «وكل ذلك أصله الحديث النبوي : «من أصبح في سربه ،

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٥ . ص : ٣٠٢

٢ ــ م . س . ج : ٥ . ص : ٣٠٣ .

معانى في بدنه ، معه قوت يومه ، فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها»(١).

ومن انتقاداته النزيهة تخطئته أبا الطيب المتنبي في مطابقة الليل بالصبح ، عند قوله :

«أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثنى وبياض الصبح يغري بي»

لأن الليل كلي والصبح جزئي ، فالمطابقة بينهما فاسدة من الوجهة اللفظية في فن البلاغة . وقد سبق الى هذا الرأي المعتمد ابن عباد ، الذي رد عليه الصفدي بحجة أن المطابقة كانت صحيحة من حيث المعنى ، وأورد المقري نص كل منهما ، بيد أنه علق على نص الصفدي بقوله : «قلت : كان يختلج في صدري ضعف ما قال الصفدي ، حتى وقفت على ما كتبه البشتكي ومن خطه نقلت ما صورته : هو (٢) ما انتقد عليه(٣) المعنى ، انما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح فان ذلك فاسد . فحمدت الله على الموافقة» (٤) . ويبدو لنا أن المقري كان يعتمد — في نقده — على أقوال العلماء الثقات ، ولا يحكم العقل الا نادرا ، لأن اللغة العربية وأساليبها مبنية على السماع الذي هو الاصل في وضع قواعدها النحوية والبيانية . ومن تحقيقاته المصيبة أن هذين البيتين :

يخفى الفقير ويغشى الناس قاطبة باب الغني ، كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم يرون حيث مصابيح الدنانير

من انشاد أبي المتوكل الهيثم بن أحمد السكوتي الاشبيلي ، خلافا

١ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٦ . ص : ٦٤ .
٢ — الضمير يعود على المعتمد ابن عباد .
٣ — الضمير يعود على المتنبي .
٤ — م . س . ج : ٥ . ص : ٣٩٤ .

لمن نسبهما الى عبد المهيمن الحضرمي (١) • ومن تحقيقاته الفريدة فيما يخص نونية صالح بن شريف الرندي التي أنشدها في رثاء الاندلس(٢)، قوله ـ بعدما أورد القصيدة الحقيقية ـ : «انتهت القصيدة الفريدة ، ويوجد بأيد الناس زيادات ، فيها ذكر «غرناطة» و «بسطة» وغيرهما ، مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف ، وما اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبيه ، ومن لـه أدنى ذوق علم أن ما يزيدون فيها من الابيات ليست تقاربها في البلاغة ، وغالب ظني أن تلك الزيادة لما أخذت «غرناطة» وجميع بلاد الاندلس ، اذ كان أهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب ، فكأن بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك الزيادات ، وقد بينت ذلك في أزهار الرياض ، فليراجع» (٣) •

فمن خلال هذا النص يتبين لنا مدى تعمق المقري فيما يقرأ ، ومقدار الثقة بـه فيما ينقل ، وكثرة اطلاعه على نتاج العلماء والادباء ، ومن تحقيقاته التاريخية أن «باب المحروق» ـ بفاس ـ سمي بهذا الاسم من أجل احراق ثائر هناك ، قد ثار على الدولة في عهد الموحدين، وليس كما يزعم جل عوام فاس ، من أنـه سمي بذلك بسبب احراق لسان الدين ابن الخطيب ، بعدما أخرجه بعض أعدائه من مدفنه ، اذ هذه التسمية وقعت قبل وجود لسان الدين وأبيه (٤) • ومن تحقيقاته العميقة أن البيتين :

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٦ . ص : ٦٧ .

٢ ـ مطلع القصيدة :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان

وختامها :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وايمان

٣ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٧ . ص : ٨٣

٤ ـ م . س . ج : ٧ . ص : ٩٥ .

« قف كي ترى مغرب شمس العلا   بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله دفينا بـــه   كان مليك العصر في المغرب»

لم يقالا في لسان الدين ابن الخطيب أو هما من انشاده هو نفسه، كما هو مزعوم وشائع على ألسنة أهل المشرق والمغرب ، بـل قيلت في غيره ، بدليل أن لسان الدين قتل في جوف الليل ، وليس بـين صلاة العصر والمغرب ، كما في الشطر الثاني من البيت الاول ، وأنه لم يكـن «مليك العصر في المغرب» ، كما في الشطر الثانـي من البيـت الثاني ايضا • وقد أيد المقري رأيه هذا بنقل بعض الفقرات من نصـوص بعض العلماء فيما يخص هذا الشأن • ومن تحقيقاتـه الموفقة أن وفاة أبـي سعيد فرج بن لب كانت ليلة السبت لسبع عشرة ليلـة مضت من ذي الحجة عام اثنين وثمانين وسبعمائة هجرية ، خلافا لابن حجـر الذاهب بوفاته الى عام ثلاثة وثمانين وسبعمائة هجرية • وقد اعتمد المقري فـي تحقيقه هذا على قول المنثوري تلميذ ابن لب ، وهو المقصود بـ«صاحب البيت» في قوله : «لكن صاحب البيت أدرى ، اذ المنثوري تلميذه»(١) •
وبمناسبة حديثنا عن تحديد زمان وفاة ابن لب نذكر قول المقري فيوفاة أثير الدين محمد ابي حيان النحوي الاندلسي ، ما نصه : «وما وقع في كلام كثير من أهل المغرب : أن أبا حيان توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة غير ظاهر ، لأن أهل المشرق أعرف بذلك ، اذ توفي عندهم ، وقد تقدم أنه توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، فعلى كلام أهـل المشرق في هذا المعول ، والله أعلم» (٢) • فعبارة هذا النص تدلنـا على أن أبـا العباس قد كان عادلا في حكمه ، أمينا في نقده ، يميل حيث يرى الحق بارزا ، وينتصر لمـن تمثـل فيه ، سـواء في ذلـك عنـده المشرقي والمغـربي •

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٨ ص : ٢٧
٢ ـ م • س • ج : ٤ص : ٣١٥ •

ويبدو لنا أن المقري كان يكتفي بالاشارة الخفيفة في نقده لآراء العلماء وتقويمه لنتاج الادباء ، تاركا التعمق في ذلك لزكانة الناقد النزية ، وحصافة القارىء المتدبر • فمن ذلك تقويمه لقصيدة ابن حديس الصقلي التي وصف بها دارا بناها المنصور ابن أعلى الناس ببجاية ، ونقده لبيت ختم به أربعة أبيات في مدح المنصور المذكور (١)، فقال : «قلت : لم أر لهذه القصيدة من نظير ، في معناها اليانع النضير، ولفظها العذب النمير ، الذي شمر فيه قائلها عن ساعد الاجادة أي تشمير ، غير أن فيها ــ عندي ــ عيبا واحدا ، وهو ختمها بلفظة «التدمير» ، وعلى كل حال فالحسن والاحسان ، يقادان في أرسان ، لعبد الجبار بن حمديس المذكور ذي المقاصد الحسان ، وخصوصا في وصف المباني والبرك ، فما أبقى لسواه في ذلك حسنا ولا ترك» (٢) •

فلفظة «التدمير» ــ في نظر المقري ــ تعد عيبا في فن البلاغة • وذلك من وجهتين اثنتين :

الوجهة الاولى : مقام المقال ، من حيث موضوع القصيدة ، ومكانة الشخص الممدوح • فموضوع القصيدة يتبلور في وصف محاسن هذه الدار بما احتوت عليه من برك محفوفة بأشجار مصنوعة من ذهب وفضة ترمي فروعها بمياه متدفقة من أفواه أسود مصطفة على حافات تلك البرك • أما مكانة الشخص الممدوح فهو ملك البلاد وسيد العباد • اذن ، فمقام المقال الذي يوحي بالتفاؤل والانشراح غير ملائم للفظة «التدمير» التي تبعث التشاؤم والانقباض في النفوس •

الوجهة الثانية : حسن الخاتمة ، فخاتمة الكلام أخر شيء يبقى في الاسماع ويلصق بالنفوس ، وربما رسخت في الاذهان من دون سائر

---

١ ــ ونص البيت :

فعمرتها وملكت كل رياسة   منها ودمرت العدا تدميرا

٢ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٢ . ص : ٣٩ .

الكلام ، لقرب العهد بها ، فان حسنت حسن ، وان قبحت قبح«والاعمال بخواتمها» .

ومن ذلك قوله ــ في عبارة ابن الخطيب التي صدر بها قصيدة أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني عند نقله اياها ــ : «قلت : قول لسان الدين في حق هذه القصيدة : «انها من الشعر المنسوب الى محاسنه» (١) ، تعريض خفي بأن هذه القصيدة يحتمل أن تكون قيلتعن لسانه حسبما جرت بذلك عادة الاكابر والرؤساء أن ينسب اليهم ما ليس من كلامهم في نفس الامر ، وليس الواقع عندي كذلك ، لأن باع ابن مرزوق في النظم والنثر مديد ، فأنى يقصر عن هذا القصيد ، ومن يصدر منه على البديهة :

« أنظر الى النوار في أغصانه   يحكي النجوم اذا تبدّت في الحلك »

ــ الابيات السابقة في اللوز (٢) ــ لا يستغرب منه مثل هذا ، ولذا كتب ابن لسان الدين علي قول والده (من الشعر المنسوب الى محاسنه) ما صورته : حضرت انشاءها وانشادها ليلة الميلاد الشريف في التاريخ المذكور ، واستحسنها شعراء الغدوتين ، وهي مما لا تنكر على مدارك سيدي أبي عبد الله (بن مرزوق) ورسوخه في علم النظم والنثر، قاله علي ابن الخطيب ! هـ» (٣) .

---

١ ــ الضمير يعود على ابن مرزوق .

٢ ــ والابيات بتمامها :

انظر الى النوار في اغصانه   يحكى النجوم اذا تبدت في الحلك
حيا امير المسلمين وقال : قد   عميت بصيرة من بغيرك مثلك
يا يوسفا حزت الجمال باسره   فمحاسن الايام تومى هيت لك
انت الذي صعد به اوصافه   فيقال فيه ذا مليك او ملك

(نفح الطيب ، ج : ٧ ، ص : ٣١٤ ــ ٣١٥) .

٣ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٧ ، ص : ٣٢٢ .

ومن ذلك تعقيبه على نظم أبي بكر أحمد بن لب التي صدر به أعجاز قصيدة امرىء القيس بن حجر الكندي ، فقال : «ولا خفاء ببراعة هذا النظم واحكام هذا النسج ، وشدة هذه العارضة» (١) . ومن ذلك رده على من أتهم لسان الدين بالاطناب ، فقال : «قلت : هذا الانتقاد غير مسلم ، فان لسان الدين وان أطنب وأسهب ، فقد سلك من البلاغة اجتناب الاطناب والتحاشي عن الاسهاب ، وأن «خير الكلام ما قل ودل» . ولم يفت المقري أن يرد على اسماعيل بن الاحمر عندما عزا لسان الدين الى اللهو وارتكاب الذنوب . فقال : «ومثل هذا في لسان الدين لا يقدح ، وما زالت الاشراف ، تهجي وتمدح ، وعلى تقدير صدور ما يخدش وجه جانبه الرفيع ، فالاولى أن ينشد :

« وإذا الحبيب أتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بألف شفيع (٢) »
...

وينتقد المقري مبنى خمسة أبيات جعلها أبو عبد الله محمد بن زمرك خاتمة رسالة بعث بها الى لسان الدين ابن الخطيب فيقول : «قلت هذه غاية في معناها ، لولا خروجها عن القواعد في ترتيب قافيتها ومبناها» (٣) . وكان أبو العباس يفضل الكلام الجزل والاسلوب القوي المتين ، سواء كان مسجعا أو مرسلا ، لذلك نجده يعقب على مقامة ابن الخطيب في وصف الاندلس ، فيقول : «وقد سلك في هذه المقامة وصف بلدان المغرب بالسجع والتقفية ، ووفاها من المدح وضده أكمل توفية ، وعكس هذه الطريقة في «نفاضة الجراب» ، فوصف فيها

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٨ ص : ٣٤
٢ ــ م ـ س ـ ج : ٨ ص : ١٣٧
٣ ــ م ـ س ـ ج : ٨ ص : ١٩٠

الاماكن بكلام مرسل جزل غير مسجع ، مع كونه أقطع من السيف اذا بان عنه القراب» (١) . ثم يعلق على رسالة لابن الخطيب خاطب بها أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون ، فيقول : «قلت : هذه الرسالة الرافلة في حلل البلاغة ، لم أر مثلها ولم أقف عليه ، فرحم الله تعالى لسان الدين ووجه سحائب الرحمة اليه ! فلقد كان آية الله في النظم والنثر وجميع العلوم على اختلافها» (٢) . كما يعلق على نص نقله من كتاب «نظم الدرر العقيان ، في شرف بني زيان ، وذكر ملوكهم الاعيان» لابي عبد الله محمد التنسي ، فيقول ـ مكتفيا بهذه العبارة القصيرة ـ : «وهو أتم مساقا مما في «راح الارواح» (٣) . وكتاب «راح الارواح ، فيما قاله المولى ابو حمو من الشعر وقيل فيه من الامداح ، وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح» . من مؤلفات التنسي أيضا . ومن انتقادات المقري النزيهة قوله فيما يخص محمد ابن زمرك : (قلت : أما ما ذكره ابن لسان (٤) الدين من أن أباه كان ينظم لابن زمرك فذلك ـ والله أعلم ـ كان في ابتداء أمره ، والا فقد جاء ابن زمرك في آخر أيام لسان الدين وبعد موته بالبدائع التي لا تنكر ، كما سنذكره ..» (٥) . فالمقري لم يغمط حق ابن زمرك هنا ، كما لم يترك ما عثر عليه من جيد نثره ونظمه ، الا نقله في كتبه ، مع أنه كان هو السبب الاوحد في قتل لسان الدين ، الذي لولاه ما كان المقري يسعى في تحبير كتاب «نفح الطيب» .

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٨ ص : ٣١٦

٢ ـ م . س . ج : ٩ ص : ٩٩

٣ ـ م . س . ج : ٩ ص : ٢١٧

٤ ـ هو : ابو الحسن علي ابن لسان الدين ابن الخطيب .

٥ ـ المقري ، احمد ، نوح الطيب . ج : ١٠ ص : ٢٢ .

ومن عباراته الوجيزة في النقد قوله ــ معقبا على قصيدة الشيخ القلقشندي التي عارض بها قصيدة ابن جابر في مدح الرسول ــ : «وهذه القصيدة ــ وان لم تلحق بلاغة قصيدة ابن جابر ــ فهي مما يتبرك بها والاعمال بالنيات» (١) • ثم يقول : «ووقفت على أخرى من هذا النمط هي بالنسبة الى هذه كنسبة هذه الى قصيدة ابن جابر» (٢) • وعلى هذا النمط ــ أيضا ــ جرى في نقده لبيتي ابراهيم بن نصر الحموي المعروف بـ «ابن الفقيه» ، فيقول ــ بعد أن أوردهما ــ : «وهذه تورية بديعة للغاية في التعصب والتقنع ، مع حلاوة النظم ، وجودة السبك وخفة الوزن» (٣) • ونص البيتين ما يلي :

يا زمانا كلما حا — ولت أمرا يتمنع
ان تعصبت فاني — باصطباري أتقنع

وبما أن المقري يتمتع بحاسة نقدية ، وله اطلاع واسع على نتاج العلماء والادباء ، أصبح يشك في نسبة خطبة التورية بسور القرآن ــ الى القاضي عياض ــ فيقول : «وممن نسبها للقاضي عياض الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي جمعة الوهراني ، وفي نفسي من نسبتها له شيء ، لأن نفس القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة • والله تعالى أعلم» (٤) • ولم يفت المقري أن ينبهنا الى أوجه الاعراب التي تعتري الكلمة الواحدة ضمن النص ، فيقول ــ معقبا على

---

١ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب • ج : ١٠ ص : ١٨٩
٢ ــ م • س • ج : ١٠ ص : ١٨٦
٣ ــ م • س • ج : ٢ ص : ٦٤
٤ ــ م • س • ج : ١٠ ص : ١٥٩ ، ١٦٠ •

لفظة «عون» في البيت الرابع (١) من الابيات المتولدة من رسالة ابراهيم الكفعمي الى أبي العباس بن الفرفوري ـ : «هـذا ، ويصـح أن يقرأ «عونا» على الحالية، وهو الذي رأيته بخطه أعني الكفعمي» (٢) .

ونكتفي بهذا القدر ممـا أوردناه من نقد المقري وتحقيقاته وتعاليقه التي هي أكثر من كثير في نفحه ، مع الملاحظة بأنهـا ـ في الغالب ـ سطحية ، يعوزها العمق والتفكير . ولعلنا بهذه النماذج نكون قد كشفنا الغطاء عن بعض الاتجاهات النقدية التي سلكها المقري في تأليفه .

الخاصّية السادسة : الامانة العلمية ، التي تتبلور صافية النزعة في النصوص والوثائق التي ينقلها الينا بحذافيرها عن الادبـاء ، من شعراء وكتاب ، وعن العلماء ، بمـا فيهم من مؤرخين وفقهاء وصوفية وعقائديين، وعن الفلاسفة والمتفلسفين ، وعن الامراء والوزراء والملوك ، دون تشويه يشوب أمانة النقل في مبنى النص ، أو انحراف مغرض يتمخض عن عاطفة تذهب بمضمون المعنى المراد . فاذا اختصر نصا أردفه بقوله : «انتهى كلام فلان ببعض اختصار» (٣)، أو «باختصار يسير» (٤)، واذا لخص نصا

---

١ ـ ونص الابيات الاربعة ما يلي :

سلام محب لو بـدا عشر شوقـه — لطبق مـا بين السـموات والارض
تـراه لكـم بالامن والسـعد واعيـا — وهذا الدعا لا شك من لازم الغرض
وانجاك في دنيـاك مـن كـل شدة — وارضاك في يوم القيامة والعرض
كما انت لي عـون وغوث وعـدة — ووفرت لي مالي ووفرت لي عرض

(نفح الطيب . ج : ١٠ . ص ٢٠٥) .

٢ ـ المقري ، احمد ، نفح الطيب ج : ١٠ . ص : ٢٠٥

٣ ـ م ، س ، ج : ١ ص : ٢٢

٤ ـ م ، س ، ج : ١ ص : ٤٢٣ .

طويلا قفى عليه بقوله : «انتهى كلام فلان ملخصا» • (١) واذا ارتاب في صحة النص المنقول عقب عليه بقوله : «قلت : عهدة هذه الامور على ناقلها ، وأنا بريئ من عهدتها» (٢) ، واذا نسي اسم صاحب النص نبه عليه بقوله: «ولم يحضرني الآن اسمه» (٣)، واذا لم يتسن له العثور على كتاب بأكمله أنبأنا بقوله: «ولم أقف على كل هذا الكتاب المذكور بل على بعضه» (٤)، واذا أورد نصا وأرتاب في نسبته الى هذا أو ذاك ، علق عليه بقوله: «قلت : وعندي الآن شك في صاحب هذه القصيدة ؛ هل هو قاضي الجماعة بغرناطة محمد بن الازرق ، أو ابن الازرق الثاني (٦) القائل فيما يكتب على السيف ؟:

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب ... فشم بها بارقاً من لماضي إيماضي

وان نوت حركات النصر أرض عدا ... فليس للفتح إلا فعل الماضي

والله — سبحانه ! — أعلم» (٧) • وهلم جرا ••

واذا نحن وصفنا المقري بالامانة العلمية — وهذا ما نعتقده — فهناك أحد الكتاب المعاصرين قد جرده منها ، ووصفه بأنه «يضلل القارىء» • ذلك الكتاب هو الدكتور شوقي ضيف الذي قال — بالحرف الواحد —: «••• ويسجرد أن يخرج هذا النص (٨) للباحثين سيرون رأى العين أن

---

١ — المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ١ ص : ٢٠٩ .

٢ — م • س • ج : ١ • ص : ١٩٠

٣ — م • س • ج : ٨ • ص : ١٣٦

٤ — اسم الكتاب : «شنف السامع بوصف الجامع» . لمؤلفه طاهر بن حبيب ؛ المتوفي سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) .

٥ — م • س • ج : ٣ • ص : ١٥٠

٧ — ابن الازرق الثاني : هو ابو عبد الله محمد بن الازرق الاندلسي ، نزيل تلمسان ومؤلف — كتاب «بدائع السلك ، في طبائع الملك» . توفي سنة ٨٩٦ هـ (١٤٩١ — ١٤٩٠ م) .

٨ — هو محتوي كتاب «المغرب في حلى المغرب» لابن سعيد الاندلسي .

«نفح الطيب» ـ اذا استثنينا مقدمة المقري عن رحلته الى المشرق وبعض من ترجم لهم ممن حجوا البيت الحرام ، وما كتبه في خاتمته عن اخراج المسلمين من الاندلس ـ ليس الا نقولا عن «المغرب» .

وأخذ المقري هذه النقول دون أن يعين مصدرها من «المغرب» في الكثير الاعم منها ، حقا انه سمي علي بن سعيد عشرات المرات ، ولكنه حاول في أغلب الاحوال أن يضلل القارىء ، فنقل عنه دون أن يسميه مرارا وتكرارا . وأحيانا كان ينقل عنه ويزعم أنه ينقل عن الحجاري في «المسهب» . ونحن نعرف الآن أن «المسهب» تسلمه عبد الملك بن سعيد، ولم يخرج الى الناس الا في هذه الصورة الجديدة من «المغرب» التي أعطاها شكلها النهائي علي بن موسى بن سعيد . وعلى شاكلة ما صنع المقري بالحجاري صنع ببقية المصنفين الذين ينقل عنهم مؤلف «المغرب» من مثل الرازي وابن حزم وابن حيان وابن غالب والشقندي وغيرهم ممن يزخرف بهم كتابه .

ونحن انما نلفت النظر الى ذلك ليتضح أن هذا النص الذي ننشره يحمل بين دفتيه الاصل الحقيقي لما في «نفح الطيب» من أشعار الشعراء وأخبارهم ، حتى ينتفع به في اخراج نشرة جديدة «للنفح» تخلو من الاغلاط والاخطاء .

والحق أن «نفح الطيب» ـ اذا استثنينا منه ما أشرنا اليه آنفا وما فيه من نقول عمن تأخروا عن علي بن سعيد ، مثل : ابن خلدون وابن الخطيب ـ كان في مجموعه نقولا مضطربة عن «المغرب» . ونزعم أنها مضطربة ، لأن النص الذي بين أيدينا صنف هذا التصنيف المعقد على البلدان ، وصاغه مؤلفه على شكل تراجم وضعت في طبقات ورتبت لها مقدمات جغرافية وتاريخية . وجمع المقري هذه المقدمات ، وضمها متلاصقة متجاورة في الجزء الاول من «النفح» ، ولم يحتفظ الا بقليل

من التراجم . أما بعد ذلك فنجد ركاما من أخبار الشعـراء وأشعارهم يسوق بعضها بعضا ، كأننا أمام سيل لنهر كبير ، وليس هذا النهر الا كتاب «المغرب» الذي كانت قطراته منعقدة في مقدمـات وطبقات ، فسالت ، وأصبحت نثرا لا نظـام لهـا : خبر من هنا وخبر من هناك ، وشعر من هذه الصحيفة وشعر من تلك في فوضى لا مثيل لها من حيـث التصنيف والتأليف . وما أشبه المقري ـ في ذلك ـ بشخص عمـد الـى نسيج متصل ملتحم ، ففصل بين خيوطه ، بل قل نقضها أنكـاثـا مـن بعد قـوة ...» (١) .

فهذا النص ينطوي على ستة مغامز رئيسية ، ألصقها كاتبنا بصاحب «النفح» ، مع أنه بريء منها براءة الذئب من أكل يوسف بن يعقوب ـ عليهما السلام ! ـ

تلك المغامز هي :

١ ـ ان ما في النفح من نصوص جلها منقول عن كتاب «المغـرب في حلى المغرب» لمؤلفه أبي الحسن علي بن سعيد .

٢ ـ ان المقري أهمل ـ في غالب الاحوال ـ ذكر كتاب «المغرب» مع أنه مصدر نقوله ومرجعه الرئيسي في تأليفه .

٣ ـ أنه ـ في الغالب ـ «حاول أن يضلـل القـارىء» فيمـا ينقـل .

٤ ـ انه ينقل عن ابن سعيد في «المغرب» ، ثـم يزعم أنـه نقل من المصادر التي نقل منها هذا الاخير ، مثل «المسهب» لمؤلفـه الحجاري ، وكتابي «المقتبس» و «المتين» لابن حيان .

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج١ . ص ٧٤ .

٥ ــ انه لم يطلع على المصادر التي يزعم أنه نقل منها مباشرة ، ومن بينها «المسهب» الذي لم يحصل عليه سوى عبد الملك بن سعيد ، فادرجه ضمن كتاب «المغرب» الذي أكمله الحفيد علي بن سعيد نهائيا .

٦ ــ ان ما يحتوي عليه «النفح» من أشعار وأخبار فيه أخطاء وأغلاط وتشتت واضطراب ، وفوضى في التصنيف والتأليف .

ونحن ــ وان كنا نحترم شخصية الدكتور شوقي ضيف العلمية ، ونقدرها حق قدرها ــ فاننا لا نوافقه ــ البتة ــ فيما ذهب اليه ؛ كما لا يمكننا أن نقف موقفا سلبيا تجاه هذه المغامز والاتهامات ؛ لأن موضوع بحثنا يفرض علينا أن نقف موقفا صريحا ، «حتى يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود» ، وتعود المياه الى مجاريها باعطاء كل ذي حق حقه .

أ ــ فمما يفند المغمز الاول مئات المصادر التي اعتمدها المقري في «نفحه» ، وصرح بها عند ايراده نصوصها هناك . وهي غير موجودة ــ قطعا ــ في كتاب «المغرب» ، ولا هي من مصادره . ولا نود أن نذكر عناوينها ، لأنها كثيرة جدا ؛ فهي تنيف على الالفين وقد ذكرنا بعضها في الفصل الثالث من الباب الثالث لدراستنا هذه .

وحسبنا أن نحيل شوقي ضيف على «النفح» و«المغرب» ليتمعن في محتواهما ؛ فيجد ــ بدون شك ــ نقول المقري طويلة النفس متعددة الاشخاص ؛ بينما يجد نقول ابن سعيد قصيرة النفس متحدة الاشخاص في غالب الاحوال ؛ زيادة على استيفاء المقري لمواضيعه بحثا ، واخلال ابن سعيد بها . فمن ذلك ــ على سبيل المثال ــ ترجمة عبد الرحمن الناصر لدين الله ؛ فقد استغرقت في «النفح» ــ في القسم الذي يزعم شوقي ضيف أنه كله نقل عن ابن سعيد ــ ٢٨ صفحة (1) ؛ بينما هي

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ١ ص : ٣٣ ــ ٣٥٨ .

لم تتجاوز ٤ صفحات ونصف صفحة فـي «المغرب» (١) • ولعلنـــا لسنا بمغالين اذا ما قلنـــا : ان كتاب «المغرب» بالنسبة الى مصادر «النفح» يعتبر بمثابة قطرة في بحر أو رملة في بيداء •

ب ــ ومما يفند المعمز الثاني أن المقري قد كرر ذكر كتاب «المغرب» عشرات المرات ، حسبما يقتضي الحال ذكر الكتاب ، بل سمى كتبا أخرى لابن سعيد من غير «المغرب» قد كانت من مصادر «نفح الطيب» ــ أيضا ــ ، مثل «ريحانة الادب في المحاضرات» ، و«الطالع السعيد • في تاريخ بني سعيد» ، و«لشهب الثاقبة ، في الانصاف بين المشارقة والمغاربة» ، و «عدة المستنجز وعقدة المستوجـز» ، و «القـدح المعلي ، في التاريخ المحلي» ، وبعض الاشعار من ديوانه وغير ذلك •

ولعل المقري كان معتزا بما ينقله عن ابن سعيد ، لأنه ــ في نظره ــ شخصية فذة في العلم والادب ، أمينة في جميع ما جاءت به ، وذلك مـا دفع به أن يترجمها ترجمة ضافية استغرقت مائة وخمس صفحات ، نقلا عن ابن الخطيب في «الاحاطة» ، وابن النديم في «تاريخ حلب» ، وعن المترجم بـه في «المغرب» ، وغيره • وقد تطرق في هذه الترجمة الى ايراد نبذة من أخبار أجداد ابن سعيد وأحفاده ، كما أورد بعضا من نصوصه النثرية وجملة من مقطوعاته الشعرية في مختلف الاغراض • وتطرق ــ أيضا ــ الى وصف كتاب «المغرب» وتلخيص أغراضه وتوضيح مراميه، وتفصيل مراحل كتابته (٢) • وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أمانة المقري العلمية التي أوحت اليه بأن يعزز كتابه بعدد من النصـوص المتحـدة الموضوع المتعددة المؤلف ، عازيا كلا منهـا الى صاحبه ، تصريحـا ان استحضر ذلك ، وتلميحا ان خانته الذاكرة • فكيف ــ اذن ــ لا يصرح بكتاب «المغرب» عند أخذه منه ما هو في حاجة الى أخـذه ؟ ثم كيف

---

١ ــ ابن سعيد علي ، المغرب ، ج : ١ ص : ١٧٦ ــ ١٨١

٢ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج : ٢ ص : ٢٩ ــ ١٣٤ •

ـ اذن ـ يتعمد اغفال ذكر هذا المصدر من توج باسم مؤلفه أول جملة خطها ـ بعد المقدمة ـ في «نفحه» (١) ؟ !

كلا ، ان المقري قد دلنا على كتاب «المغرب» كلما نقل عنه أو رجع اليه ، ولم يكتف بذلك ، فحسب بل راح ـ أحيانا ـ يحدد لنا المواضيع التي نقل منها في غضون الكتاب ، مثل قوله : «وقال في أثناء خطبة «المغرب» ما نصه ٠٠» ، و «قال ـ أيضا ـ في الخطبة ٠٠» ، و «قالفي أثناء الكلام لبعض المغاربة ٠٠» ، «وجد بخطه ـ رحمه الله تعالى ! ـ آخر الجزء من كتاب «المغرب» ما نصه ٠٠» (٢) ، وهلم جرا ٠٠

ولم يحدد المقري ذلك كله الا من أجل أمانة العلم وارضاء الضمير ٠

ج ـ ومما يفند المغمز الثالث أن المقري بعيد من أن يوصف بتضليل القارىء ، بعد الضب من اليم والنون من البيداء ، فكيف يوصف بذلك وينسب الى نفسه نقول غيره من يورد للموضوع الواحد عدة نصوص لمؤلفين عديدين ؟ ! وكيف يوصف بصفة التضليل من يفصل ـ غالبا ـ تعاليقه عن كلام غيره بقوله : «قلت» ؟! ثم كيف يوصف بهذه العبارة النابية من يمزج تلك النصوص المنقولة ببعضها ويلبسها ثوبا قشيبا من عباراته ، ثم يسوقها في أسلوب جديد من عنده ؟ ! والمقري لم يكن أول من سلك سبيل المزج في تأليفه ، بل سلكه ـ قبله وبعده ـ كثير من جهابذ العلماء ومصاقع الادباء ٠

وليس من خدمة العلم أن نقر شوقي ضيف على هذه التهمة الموجهة ضد المقري البريء ما دام لم يدعمها ـ على الاقل ـ بنصوص صريحة

---

١ ـ انظر : نفح الطيب ٠ ج : ١ ص : ١٢٤
٢ ـ م ٠ س ٠ ج : ٣ ص : ٩٤ ، ٩٥ ـ ٩٧ ٠

تثبت أدعاء التفاليل المزعوم .

د ــ ومما يفند المغمز الرابع أن المصادر المشتركة بين المقري وابن سعيد ، نجدها في «النفح» أتم نصا وأكمل صيغة من التي هي في «المغرب» بل توجد نصوص منها في «النفح» ليست هي موجودة ــ البتة ــ في «المغرب» . ومن يمعن النظر في كلا الكتابين يلف فروقا شاسعة بين نقول هذا وبين نقول ذاك . ولعل نصوص الباب السادس من «النفح» تعطي القارىء صورة واضحة تبلور اختلاف النصوص المشتركة بين الكتابين كما وكيفا . وبعد هذا كله ، هل يصح في الاذهان ان تنقل نصوص من كتاب ليست هي موجودة فيه ؟ ! وهل يرمى بالزعم من قال : اني نقلتها من مصادرها الاصلية مباشرة ؟ ! اوليس معنى هذا أن المقري كان ينقل جميع النصوص من مصادرها الاصلية مباشرة ، عند تاليفه كتاب «النفح» ، بل منها ما هو كذلك ، ومنها ما أملاه من حافظته ــ كما سبقت الاشارة اليه ــ ومنها ما قيده في تقاييده أيام وجوده بالمغرب . وهذا ما نلمحه في صريح قوله ــ عند ترجمته محمد بن عبد الله الليثي ــ : «ورأيت بخطي في بعض مسوداتي ما صورته .. واظن اني نقلته من كتاب ابن الابار الحافظ ، والله أعلم» (1) .

ان ابن سعيد لم يستوف أخبار الاندلس في «مغربه» ؛ بل لم يذكر منها سوى النزر القليل [illegible] ذكره المقري في «نفحه» ، الذي [illegible] تعجب المقري من اغفال [illegible] أبا عبد الله [illegible]

هـ ــ ومما يفند المغمز الخامس ــ زيادة على ما قدمنا أعلاه ــ أن شوقي ضيف يرجع غالبا الى «النفح» عند تحقيقه لكتاب «المغرب» ، مع اعترافه بأن النسخة التي نقل منها المقري مفقودة ، وهي تزيد بكثير على التي حققها ونشرها ، وما دام شوقي ضيف معترفا بذلك ، فكيف أمكنه أن ينفي وجود تلك المصادر الاخرى في عهد المقري ، ولم يصدق بأخذ هذا الاخير منها مباشرة ؟ ! مع أنها مصادر مغربية أندلسية ، وأديبنا قضى ردحا بالمغرب حيث المكاتب غاصة بالمخطوطات العلمية والادبية ،ولا سيما مكتبة السلطان زيدان السعدي التي ضمت تناج المغاربة والاندلسيين في جميع الفنون المعروفة بين صفوف العلماء والادباء آنذاك، وما قيل في امكان وجود هذه المصادر يقال في امكان وجود «المسهب» أيضا . ومما يدلنا على نأ المقري كان ينقل مباشرة من هذه المصادر تعقيبه على نص ابن سعيد ــ فيما يخص قصة التاجر الجوهري مع المنصور ابن أبي عامر ــ بنص ابن حيان ، فقال : «ثم ذكر هذا المؤرخ (ابن حيان) قصة الجوهري التي قدمنا نقلها من «مغرب» ابن سعيد ، ولكنا رأينا اعادتها بلفظ هذا المؤرخ (ابن حيان) لأنه اتم مساقا ..» .

أليس هذا كافيا لتفنيد ادعاء من يتهم المقري بأنه ينقل عن ابن سعيد ويزعم أنه ينقل عن غيره ؟ . !

و ــ أما ما يفند المغمز السادس فيتمثل في شهادة العلماء والادباء بفضل كتاب «النفح» ، وصحة ما يحتويه ، ورجوعهم اليه واشتغالهم به ، منذ زمان صاحبه الى يومنا هذا ، ثم تزكيتهم له في مؤلفاتهم ومجامعهم العلمية . اذ لولا هذا الكتاب لعميت علينا أخبار الاندلس ولضاعت منا تراجم جل رجالاتها ولعفت آثارهم ، ولاصبح تاجهم نسا منسيا . ولو تدبر شوقي ضيف مليا في موسوعة «النفح» لما تردد [illegible] الادباء والاقرار لصاحب هذه

«الموسوعة» بما لـه من فضل ويد بيضاء على الادب الاندلسي ورجاله، بل على الادب العربي وادباء العرب على وجه العموم ، ولو أنصف شوقي ضيف مقاصد المقري الحسنة لما وصفه بالفوضى في التصنيف والتأليف، وكيف يوصف بذلك من رسم خطة لكتابه قبل ان يكتبه ولخص كل باب منه قبل أن يشرع في تفصيل محتواه ؟ !

ولو قدر مجهوداته المبذولة في سبيل تأليف هذا الكتاب لما سلقه بقوله : «وما أشبه المقري ــ في ذلك ــ بشخص عمد الى نسج متصل ملتحم فصل بين خيوطه ، بل قد نقضها أنكاثا من بعد قوة» . ولو كان شوقي ضيف يؤمن حقا بكثرة الاغلاط والاخطاء المزعوم وجودها في كتاب «النفح» لما اعتمده وجعله على رأس مصادره الرئيسية عند تحقيقه لكتاب «المغرب» ، بل كثيرا ما نجده في «المغرب» يحيل القراء على كتاب (النفح) ! !

وكم تمنينا أن يستبدل شوقي ضيف أمثال هذه العبارات النابيـة بعبارات أخرى تليق بمقامه العلمي وتنطبق على شخصية المقري ونفحه . ولعله يستدرك تلك بهذه في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب «المغرب» ، وان كانت الاخرى . فلسنا بمصدقين اياه ما دام ادعاؤه خاليا من الادلة الصحيحة والحجج الدامغة ، ولسنا بملتفتين الى كلامه ما دام مجردا من مقارنة نصوص «النفح» بنصوص «المغرب» وغيره ، من المؤلفات الاخرى التي سبقت «النفح» الى الوجود .

ولعل القراء سيجدون الجواب الكافي عن هذه المغامز والاتهامات ضمن الخصائص الست المتقدمة في هذا الفصل ، فيطمئنون ــ اذ ذاك ــ لما أثبتناه هناك، ويذكرون قول المقري في نفحه: «.. فاني قد جمعت فيه ما يندر جمعه في غيره ، وكل الصيد في جوف الفرا» (1) . هذا ما

---

1 ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج ، ١٠ ص : ٣٦٣ .

أمكننا من ذكر منهج «النفح» تفصيلا ، بعدما أجمل ذكره مؤلف هـذا الكتاب آخر مقدمته وأول كل باب من أبوابه .

طريقته في الترجمة

لم يلتزم المقري طريقة واحدة في تراجم الاشخاص لأن ذلك تابع لنوعية الترجمة المترجم بأصحابها . وكتاب «النفح» يحتوي على نوعين اثنين من أنواع الترجمة ، وهما :

ترجمة ذاتية ، وترجمة عامـة .

١ ــ الترجمة الذاتيـة

وهي أن يحدثنا الشخص عن نفسه بنفسه ، وأن يسجل لنا ما يريد تسجيله ، من ذكريات طفولته ، وشبابه ، وأعمال كهولته ، وأخباره مع الناس وتقلباته في معترك الحياة ، مؤثرا طورا ، ومتأثرا أطوارا ، وهلـم جـرا ... وهذا النوع من الترجمة تتضمنه مقدمة «النفح» التي تحدث فيها المقري عن نفسه ونسبه ، وبسط فيها القول عن رحلته من المغرب الى المشرق ، موضحا لنا أسبابها ودوافعها ، متشكيا من الغربة وما تحمله من مصاعب بسببها . وقد سلك في هذه الترجمة سبيل الصراحة في القول والتأنق في التعبير ، فأصبحت ترجمة أدبية من حيث الاسلوب ، واقعية من حيث المدلول . فهي ممتعة ومفيدة في آن واحد . ولم يلتزم المقري الموضوع ، بل كثيرا ما نجده تجرفه سيول الاستطراد الى خضم الاخبار والاشعار ، ثـم يعود الى الموضوع ، وهكذا .. وقد تعرض المقري للحديث عن نفسه مرارا عديدة في «النفح» ، زيادة على ما في المقدمة، مثل حديثه عند زيارته لدمشق الشام (١) ، وحديثه عند ترجمته لجـده

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٣ ص : ١٦٨ ــ ٢٤٢ .

محمد المقري (١) ، وعند ذكره لتلمسان مسقط رأسه (٢) ، وهلم جرا .. ولولا ترجمة المقري لنفسه ما عرفنا عنه شيئا مما قد عرفناه ، خصوصا ما يتصل بشخصيته في المشرق العربي . واذا كتم عنا أشياء ، ولم يبح لنا بها ، فانه قد جاد علينا بعبارات التشاؤم الدالة على أمور قد ضاق بها صدره ولم ينطلق لسانه . ورغم ذلك كله فان المقري كان متحفظا شيئا ما في هذه الترجمة الذاتية . ولم نطلع على أسباب هذا التحفظ ، ولعلها أسباب نفسية لا يعلمها سوى من أوحت اليه بالتحفظ .

٢ ـ الترجمة العامة

وهي أن يتحدث الشخص عن أشخاص آخرين من غير شخصيته، سواء اتحدوا في الطبقة والمهنة والزمان والمكان ، أو اختلفوا في ذلك ، ولكنهم لا بد أن تجمعهم صفة واحدة ؛ ألا وهي صفة الجدارة والاستحقاق بالترجمة لهم .

وكتاب «النفح» يضم أشتاتا من هؤلاء الاشخاص : كالملك والامير، والفقيه والصوفي ، والعقائدي والفيلسوف ، والمفسر والمحدث ،والكاتب والشاعر ، وهلم جرا ..

ولم يرتب المقري الاشخاص المترجم بهم في كتابه ترتيبا طبقيا ، مثل : «الطبقات» لابن سعد المتوفي سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٥ ــ ٨٤٤ م) . أو حسب القرون ، مثل : «الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ ــ ١٤٤٧ م) ، أو حسب السنوات ، مثل : «عيون التواريخ» لابن شاكر الكتبي المتوفي سنة

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب ج : ٧ ص : ٢٩ ــ ١٦١
٢ ــ م ٠ س ٠ ج : ٦ ص : ٣٤٢ .

٧٦٤ هـ (١٣٦٣ — ١٣٦٢ م) أو حسب الحروف الهجائية ، مثل : «وفيات الاعيان»لابن خلكان المتوفي سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٣ — ١٢٨٢ م)، بل لم يلتزم فيه أية طريقة من الطرق المتبعة في كتب التراجم ، والسبب في ذلك أن كتاب «النفح» لم يوضع مبدئيا — لتراجم الاشخاص ،وانما وضع لتاريخ أدب الاندلس على وجه العموم ، وسيرة وزيرها لسان الدين ابن الخطيب الذي يشكل جزءا من موضوع الكتاب وعنوانه . وما عدا ذلك من التراجم المذكورة في «النفح» لم تكن مقصودة لذاتها، وانما قد جاءت بها المناسبات المواتية وشجون الحديث .

والمقصود بالذات من تلك التراجم عند المقري هو ذكر جملة من أخبار اصحابها ، وبعض تاجهم : العلمي والادبي ، ولذلك نجده — عند ترجمته لبعض الاشخاص — يملأ عشرات الصفحات من أشعار المترجم به وأثاره (١) . ولعل ذلك راجع الى المكانة العلمية والقيمة الادبية المتحلى بهما ذلك الشخص . ولو ذلك ما أفرط في ترجمتي القاضي عياض ولسان الدين ابن الخطيب ، بل أفرد كلا منهما بكتاب حوى أخبار صاحبه وتضمن كل ما يتصل به .

ولم يسر المقري في تراجم الرجال على طريق الاسناد مثلما سار عليه البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ — ١٠٧٠ م) وابن عساكر المتوفي سنة ٥٧١ هـ (١١٧٦ — ١١٧٥ م) . بل سلك مسلك المتأخرين : فلم يذكر سوى اسم الشخص المترجم به ، أو اسم الذي نقل عنه نصا يتعلق بترجمة ذلك الشخص . مع أن المقري كان من رجال الحديث المحافظين على صيغة الاسناد .

ومن حسنات المقري في فن الترجمة أنه يورد عدة تراجم للشخص

انظر : نفح الطيب . ج : ٣ص : ٢٩ — ١٣٤ . ج : ٧ ص : ١٢٩ — ٢٧١ . ج : ٩ ص : ١٩ — ٢٣٠ .

الواحد من مصادر متعددة ، لاكمال النص الناقص بالكامل ولاطلاعنا على مدى اعتناء العلماء والادباء بالشخصية المترجم بها ، ولم يفته أن يقارن بين الروايات الواردة في تلك المصادر ليستخرج منها الراجح من المرجوح، ثم يبدي رأيه في الموضوع، فمن ذلك قوله ــ عندما ترجم أبا علي اسماعيل ابن القاسم القالي صاحب كتاب «الامالي» ــ : «وبعض المؤرخين يزعم أن وفادة أبي علي القالي انما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالاندلس ، لا في خلافة أبيه الناصر ، والصواب أن وفادته في أيام الناصر ، لما ذكره غير واحد من حضره وعيه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج كما ألمنا به في غير هذا الموضع» (١) . وقوله ــ عندما ذكر وفاة المنصور ابن أبي عامر سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٩ ــ ١١٩٨م) بالاندلس ، بعدما استخلف ولده محمدا وقرر له الامر ــ : «قلت :بهذا وأمثاله تعلم فساد ما زعمه غير واحد أن يعقوب المنصور هذا تخلى عن الملك ، وفر زاهدا فيه الى المشرق ، وأنه دفن بالبقاع ، لأن هذه مقالة عامية لا يثبتها علماء المغرب ، وسبب هذه المقالة تولع العامة به ، فكذبوا في موته وقالوا : انه ترك الملك ، وحكوا ما شاع الى الآن وذاع مما ليس له أصل» (٢) .

فمن خلال هذين النصين وأمثالهما يتبين لنا أن المقري شديد التروي في أخبار الذين يترجمهم ويعرف بهم . ومن كانت هذه شيمته فانه يتمتع بحاسة الناقد النزيه والمؤرخ الحقيقي ، دون ريب في ذلك . وهذا ما نلمحه جليا في قوله ــ عندما عرف بالقاضي عياض ، وظهر له غلط ابن خلكان في تعداد آباء القاضي المذكور ــ : «ورأيت في تاريخ الشمس ابن خلكان المسمى بـ «وفيات الاعيان» ، في تعداد آباء القاضي عياض ، خلاف ما سبق ، ولا أدري : هل ذلك تحريف من الناسخ

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ١ . ص : ٣٤١ وما بعده . ج : ٤ . ص : ٧١ .

٢ ــ م ــ س . ج : ٤ . ص : ١٠٢ .

أو وهم من المؤلف ؟ .. على أن ابن خلكان وغيره من المشارقة ربما يقع لهم الغلط في تاريخ أهل المغرب ، لبعد الديار ، ولغير ذلك ، مما لا يخفى على من مارس علم التاريخ ، كما أن كثيرا من المغاربة لا يحررون تاريخ المشارقة لما ذكرناه» (١) .

والمقري كثير الانتباه للالفاظ التي تستحق الشرح أو التعليق أثناء تراجم الاشخاص ، مثل تعليقه ــ عقب ترجمة أبي محمد عبدالله الرشاطي ــ : «والرشاطي» ــ بضم الراء، وفتح الشين المخففة ــ وذكر هو أن احد أجداده كان في جسمه شامة كبيرة ، وكانت حاضنته عجمية ، فاذا لاعبته قالت : رشاطة وكثر ذلك منها ، فقيل له :الرشاطي ، انتهى ملخصا من «وفيات الاعيان» ، وبعضه بالمعنى» (٢) . وتعليقه ــ عقب ترجمة أبي ذر عبد بن أحمد الهروي المالكي ــ : (واعلم أن «هراة» المنسوب اليها الحافظ أبو ذر ليست بـ «هراة» التي وراء النهر نظيرة «بلخ» وانما هي «هراة بني شيبانة» بالحجاز وبها كان سكنى أبي ذر، والله تعالى أعلم» (٣) .

والى جانب هذا نجد المقري لا يكتم عنا ما وصله من أخبار الشخص المترجم به ، سواء كانت أخبارا ترفع من شخصيته أو تحط من قيمتها الاجتماعية وهذا ان دل على شيء فانما يدل على الامانة العلمية ، وشدة الحرص على عرض الحقائق كما هي ، ووصف الاشخاص بصفاتهم الاصلية والعرضية ، فلا يدع كبيرة ولا صغيرة يعلم أن لهما اتصالا وطيدا بثقافة الشخص المترجم به ، فهو يجمع بين الاخبار الجدية وبين النكت الفكاهية التي لم يتلكأ عن تقييدها في «نفحه» ، مثل قوله ــ عند ترجمته لابي عثمان سعد بن أحمد بن ليون التجيبي ــ: «ومما حكي عن بعض

---

١ ــ المقري ، احمد . ازهار الرياض . ج : ١ . ص : ٢٥
٢ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٦ . ص : ٢٠٦ .
٣ ــ م . س . ج : ٢ . ص : ٢٧٦ .

كبراء المغرب أنه رأى رجلا طوالا فقال لمن حضره : لو رآه ابن ليـون لاختصره، اشارة الى كثرة اختصاره للكتب» (١)٠ وربما أطلعنا المقري على الاسباب التي دفعت به الى الاطناب في ترجمة بعض الاشخاص ، فيقول: «ولنقتصر من كلام ابن جابر فيهذا الموضوع علىهذا المقدار، وانما أطنبت فيه لما تقدم من الاعتراض على لسان الدين في عدم توفيته في حق المذكور وحق رفيقه (٢) ، مع أنه أطال فيمن دونهما مـن أهل عصره، وأيضا فان كلاهما غريب عندنا بالمغرب، لكونهما ارتحلا قبل ان يشتهرا كل الاشتهار ، وكان خبرهما في الشرق أشهر» (٣) ٠ وأحيانا تدفع بـه الى ترجمة أحد الاشخاص ، عاطفة دينية ونزعة نفسية عقائدية، فيبوح بذلك عندما يقول : «وانما ذكرت ترجمة سيدي الشيخ ابي مدين للتبرك به ، ولكونه شيخ جدي (عبد الرحمن) ، فأنا في بركته لقـول جدي : انـه دعا لـه ولذريته بما ظهر قبوله ، ولأنا ذكرنا في هـذا التأليف كثيرا من أبناء أبناء الدنيا ، فأردنا كفارة ذلك بذكر الصالحين ، والله الموفق بمنه وكرمه آمين» (٤) ٠

ونرى المقري ــ عندما يتعرض لتراجم الاولياء والصالحين ــ يقف بجانبهم موقف المحامي المخلص والمدافع المستميت في الذب عنهم واثبات كراماتهم أحياء كانوا أم أمواتا ، وذلك ما يتجلى لنا ــ مثلا ــ فيانتصاره لمحي الدين عربي وردوده على من أنكر عليه أقواله وفسرها على ظاهرها،

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٨ . ص : ٥٨

٢ ــ الضمير يعو على محمد بن احمد الهواري المعروف بـ «ابـن جابر الكفيف» . والرفيق هو ابو جعفر احمد الالبيري الذي كان ملازمـا لابن جابر ملازمة الظل لصاحبه ، وكانت وظيفة الكفيف النظم ، ووظيفة البصير الكتب ، زيادة على النظم ايضا .

٣ ــ م ٠ س ٠ ج : ١٠ ٠ ص : ٢٢٧

٤ ــ م ٠ س ٠ ج : ٦ ٠ ص : ٣٥١ ٠

مع أنها مؤولة ولها محامل حسنة تليق بصاحبها (١) ، كما تتجلى لنا — أيضا — في انتصاره لأبي مدين الغوث ورده على المغدي فـي هـذا الشـأن ، (٢) وهلم جرا ..

وكما أن المقري تناول بالترجمة جما غفيرا من العلماء والادبـاء ، فقد تحدث — ايضا — عن جماعة من الملوك والامراء والوزراء ، وركز كلامه عنهم على مـا يتصل بحركاتهم العلمية والادبية ، زيادة على ذكر بعض أخبارهم العامة : «وقد ذكرت في هذا الكتاب جملة من أخبار ملوك الاندلس ، ممـا يصـح للمذاكرة ، وربمـا سرحت طرف القلـم في بعضهم» (٣) . ولم يفت أبـا العباس أن يتحفنا بجملة من تراجم الحرائر والجواري اللواتي ضربن بسهم وافر في ميدان الأدب الاندلسي ، واذا كان قد أغفل تحديد زمان ولادتهن ووفاتهن ، فانه لم يبخل علينا بمـا لهن من أخبار لطيفة ، وآثار خفيفة ، وأشعار طريفة (٤) . ولعل أهـم شيء يلفت الانتباه بالنسبة الى طريقة المقري في فن الترجمة، انه يولـد عدة تراجم من ترجمة واحدة، فمثلا يترجم شخصا ما ثم تجره ترجمته له الى ذكر شيوخه ، فيترجمهم والى ذكر تلا مذته ، فيترجمهم أيضا ، ثـم يترجم شيوخ شيوخه وتلامذة تلامذته ، وهلم جرا ..

ولعل أصدق نموذجا على ذلـك ترجمة ابن الخطيب ومـا تولد عنها ، وكثيرا ما تجد في كتاب «النفح» تكرارا في تراجم الاشخاص ، مثل ترجمة ابن الابار وغيره (٥) . ولم يلتزم المقري في الترجمة العـامة

---

١ — انظر (نفح الطيب) . ج٢ . ص ٣٦٧ ؛ ٣٦٨ — ٣٨٩ .
٢ — م. س. ج ٣ . ٣٢٢ .
٣ — م. س. ج ١ . ص ٢٨١ .
٤ — م. س. ج ٣ ص ٣١٥، وما بعدها. ج ٥ ص ٢٢٩، وما بعدها.
٥ — م. س. ج ٣ ص ٢٤٨ . ج ٥ ص ٢٨٢ . ج ٦ ص ٥٤ .

أسلوبا واحدا أدبيا ، مثلما التزم ذلك في الترجمة الذاتية ، بل تارة كان علميا وتارة كان أدبيا . والسبب في ذلك أن أسلوب التراجم العامة لم يكن من انشاء المقري وحده ، بل أكثره نقول عن غيره ، ونصوص لمن سواه ، فان كان أصحابها أدباء ـ مثل : ابن خاقان وابن بسام وابن الخطيب ـ جاءت في أسلوب أدبي ، وان كان أصحابها علماء ـ مثل : عبد الرحمن بن خلدون وأحمد بابا التنبكتي ، واحمد بن قنفذ القسنطيني ـ جاءت في أسلوب علمي .

أما أسلوب المقري هنا فقد جاء بالصيغتين ، أيضا ، بيد أن الصيغة العلمية يغلب عليها ـ هي الاخرى ـ الطابع الادبي ، وطريقة الترجمة في «نفح الطيب» هي نفس الطريقة التي جرى عليها المقري في كتابه : «أزهار الرياض» . أما كتابه : «روضة الآس» فقد خصصه لتراجم من لقيهم بمراكش وفاس ، وأخذ عنهم هنا وهناك . وقد التزم في هذا الكتاب الموضوعية مثلما اجتنب الاستطراد والتكرار ، عكس ما فعله في «النفح» و «الازهار» .

الفصل الرابع

اسلوبه العلمي – اسلوبه الادبي .

لكل كاتب أسلوب يتميز به صاحبه عمن سواه ، وتتمثل فيه شخصيته الثقافية بما هي عليه . ولعل ذلك راجع الى عنصرين اثنين اساسيين : موضوع الكتابة ، وشخصية الكاتب .

فكل موضوع يتطلب اختلافا في الاساليب حسبما يلائم طبيعته ، ويوافق أهداف الفن الذي اختاره الكاتب ليعبر به عما يختلج في نفسه ، وكل شخصية لها أسلوبها الخاص بها : حسب ذوقها وتفكيرها وتخيلها وتصورها وانفعالها ورقتها وخشونتها ودرجة مواهبها ، وثقافتها وظروفها ومجتمعها ، وهلم جرا .. .

وقد سبق لنا أن تحدثنا – في الفصل الثاني من الباب الثاني لدراستنا هذه – عن أسلوب المقري بصفة عامة ، وذلك عندما بسطنا الحديث عن ثقافته . أما هنا فسنحصر كلامنا في أسلوب «نفح الطيب» ليس غير .

واذا كان موضوع «النفح» يبحث طورا في التاريخ (1) ، وطورا

---

1 – هذا على مذهب من قال بان التاريخ علم يشبه علم طبقات الارض (الجيولوجيا) ، وموضوعه تجميع الحقائق الواقعية ونقدها نقدا موضوعيا .

في الادب، فان نصوص تعابيره تشمل كلا النوعين للأسلوبين : العلمي والادبي • وأسلوب المقري ــ فيما عدا مقدمة هذا الكتاب ــ يبدو ضئيلا جدا بالنسبة الى النقول والنصوص التي طغت على شخصية مصنفه •

ا ــ اسلوبه العلمي :

اذا كان أسلوب المقري ــ في نفحه ــ ضئيلا جدا على وجه العموم، فان أسلوبه العلمي أشد ضالة وأندر وجودا هناك على وجه الخصوص ، والسبب في ذلك ــ زيادة على ما تقدم من طغيان نصوص غيره ــ أنه شديد الميلان الى الاسلوب الادبي ، بل أصبح فيه سجية لا تكاد تفارقه في جميع كتاباته • وفي امكان القارىء أن يتبين النصوص التي صيغت باسلوب علمي في عدة مواضع من كتاب «النفح» ، لا سيما في القسم الاول منه ، الخاص بأخبار جزيرة الاندلس ، وتراجم الراحلين منها الى المشرق والنازحين من المشرق اليها ، وكذلك في التعابير التي قدم بها المقري نصوص غيره أو علق عليها بها ، وهلم جرا ••

ولعلنايمكننا أننطلع علىبعض الميزاتالتي يشتمل عليهاهذا الاسلوب عندما نورد منه نصوصا هنا • ونقتصر على ايراد ثلاثة نماذج منها :

النموذج الاول : نص في التاريخ • النموذج الثاني : نص في الترجمة ، النموذج الثالث : نص في التعليق •

نص النموذج الاول : «قلت : وحدثني عمي الامام سيدي سعيد المقري ــ رحمه الله تعالى ! ــ أن العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس ، في بعض الرسائل السلطانية ، طلب منه أهل تونس أن يقرأ لهم في التفسير بحضرة السلطان ، فاجابهم الى ذلك ، وعينوا له محل البدء ، فطالع فيه ، فلما حضروا قرأ القارىء غير ذلك ، وهو قوله تعالى : «فمثله كمثل الكلب» الآية ، وأرادوا بذلك افحام الشيخ والتعريض

بـه ، فوجم هنيهة ، ثم تفجر بينابيع العلم ، الى أن أجرى ذكر ما فـي الكلب من الخصال المحمودة ، وساقها أحسن مساق ، وأنشـد عليها الشواهد ، وجلب الحكايات ، حتى عد من ذلك جملة ، ثم قال في آخرها : فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله ، غير أن فيـه خصلة ذميمة ، وهي انكاره للضيف ، ثم افترق المجلس • واخبرني أنه أطال في ذلك المجلس من الصبح الى قرب الظهر • وقد طال عهدي بالحكاية ، وانما نقلتها بمعناها من حفظي ، وهي من الغرائب • ولولا الاطالـة لذكرت ما وقع له مع بعض علماء «برصة» بالحجاز ، حسبما ذكره في مناقب شيخه المصمودي رحم الله الجميع» (١) •

فاسلوب هذا النص يمتاز بالدقة في أداء الافكار وتحديد المعانـي بالالفاظ الموضوعة لها وضعا أوليا مع سلاسة في التركيب ووضوح في التعبير المجرد من العاطفة والخيال • وبهذا استطاع المقري أن ينهي الينا خبرا عن طريق العقل ، لا عن طريق العاطفة ، والدليل على ذلـك أننـا عند قراءتنا لهذا النص لم يهيج عواطفنا وشعورنا ، وانما تبقى مدلولاته راسخة في أفكارنا وعقولنا ما دمنا أصحاء العقول والافكار •

نص النموذج الثاني : «ومنهم (٢) أبو جعفر أحمد بن عبد الملـك بن عميرة بن يحيى ، الضبي • من أهل «لورقة» رحـل حاجا ، وكان منقبضا ، زاهدا ، صواما ، قواما • وأقرأ القرآن ، وأسمع الحديث • وممن حدث عنه الحافظ أبو سليمان أبو محمد بن حوط الله • ولقيه أبو سليمان بـ «لورقة» سنة ٥٧٥ ، وتوفي ــ رحمه الله تعالى ! ــ سنة ٥٧٧ ، وقد قارب المائة » (٣) •

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٧ . ص : ٢٥٢
٢ ــ ضمير الجمع يعود على الراحلين من الاندلس الى المشرق .
٣ ــ المقري ، أحمد . نفح الطيب . ج : ٣ . ص : ٣٥٧ .

فالمقري ــ هنا ــ حريص كل الحرص على تجسيد بعض المعاني في الفاظ بسيطة التركيب لا تحتمل سوى دلالتها على بعض الاوصاف لأبي جعفر الضبي ، كما لا ينصرف الذهن بها الى مفهوم آخر ، لـم يكن للمقري في الحسبان . فهذا النص لم يتكون من غير الفكرة والعبارة ، اللتين هما العنصران الاساسيان للاسلوب العلمي ، الذي لـم يكلف القارىء جهدا في فهم محتواه .

نص النموذج الثالث : «قلت: وانما أتيت به (١) لوجوه: أحدها ما يتعلق بلسان الدين ، اذ وقعت الاشارة الى مرتبته في آخره . والثاني ما اشتمل عليه من الانشاء الغريب . والثالث معرفة حال الـرئيس ابي يحيى ابن عاصم (٢) وتمكنه من الرئاسة؛ لأنابنينا هذا الكتاب على ذكر ما يناسبه من أنباء أهل المغرب ، لكون أهل هذه البلاد المشرقية ليس لهم بها عناية . والرابع أن بعض أكابر شيوخنا ممن ألف فـي طبقـات المالكية لما عرف بأبي يحيى ذكره في نحو أسطر عشرة ، وقال : هـذا الذي حضرني من التعريف . والخامس أن ابن عاصم المذكور ــ كمـا قاله الوادي آشي وغيره ــ كان يدعى في الاندلس بابن الخطيب الثاني، ويعنون بذلك البلاغة والرئاسة والسيادة » (٣) .

فعبارات هذا النص قد جاءت ــ هي الاخرى ــ واضحة الاهداف، خالية من عنصر العاطفة والانفعال محدودة الالفاظ ، محصورة الافكار والمعاني ، مرتبة ترتيبا منطقيا . فلا حشو يعكر تنسيق الاسلوب ، ولا

---

١ ــ الضمير يعود على الظهير (المنشور) الذي صدر في شأن تقـديم ابي يحيى محمد بن عاصم وتعيينه رئيسا على الفقهاء والقضاة وغيرهم .

٢ ــ هو الوزير ابو يحيى محمد بن عاصم القيسـي الاندلسـي ، الغرناطي ، قاضي الجماعة بها . وهو ابن صاحب (التحفة) المعروفـة بـ (العاصمية) في احكام القضاء . ولي القضاء سـنة ٨٢٨ هـ (١٤٢٥ ــ ١٤٢٤ م) . وتوفي سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) .

٣ ــ م٠س ، ج ٨ ، ص ٢٦٨ .

استعارة تخلق له عدة دلالات ، بل هو أسلوب مختار ، قد جمع بين وضوح التفكير وبين جمال التعبير ودقة التصوير ، وذلك ما يقتضيه الاسلوب العلمي الذي هو وسيلة لنشر المعارف وتغذية العقل .

ب ـ اسلوبه الادبي :

اذا كان الاسلوب العلمي وليد العقل فحسب فالاسلوب الادبي وليد العقل والعاطفة معا ، وهذا الاخير يشمل النثر والنظم الذي يزيد على شريكه بخاصيتي الوزن والقافية .

وقد تعاطى المقري كلا النوعين من هذا الاسلوب في «النفح» فنسج النثر الفني المعسول ، ونظم الشعر المقفى الموزون . ويوجد هذا النتاج متفرقا في عدة مواضع من هذا الكتاب ، لا سيما المقدمة (١) ، وشطر كبير في الباب الخامس من القسم الاول للكتاب ، عندما ذكر رحلته الى الشام وما دار بينه وبين علمائها وأدبائها (٢) . ولا نود أن نورد ـ هنا ـ نماذج من أسلوب المقري الادبي ، لاننا قد أوردنا منه جملة كافية خلال دراستنا هذه ، ولا سيما عندما تحدثنا عن ثقافته ، في الفصل الثاني من الباب الثاني لهذا البحث . ورغم ذلك فاننا لا نستغني عن ذكر بعض الميزات التي يتميز بها أسلوب صاحب «النفح» .

فمن ميزات أسلوبه في نسج النثر : متانة اللفظ ، ورنة المقاطع ، وسلاسة التركيب ، واختيار المعاني ، بل قد جمع فنون البلاغة واحتوى على مقتضاها ، ولا سيما الكناية ، والاستعارة ، والتشبيه ، والمحسنات اللفظية : من سجع ، وجناس ، واقتباس ، وتورية ، وطباق ، ومقابلة ، وحسن تعليل ، واللف والنشر ، وهلم جرا ...

غير أنه لم يخل ـ أحيانا ـ من جمل اعتراضية وأخرى طويلة

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ١ . ص: ١٧ ـ ١٢١

٢ ـ م.س. ج: ٣ . ص : ١٦٨ ـ ٢٤٢

النفس ، قد كانت سببا في صعوبة فهم المعنى المراد . وهـذا كله يبدو جليا في مقدمة «النفح» . وقد نهج المقري منهج السجع في جميع مقدمة «النفح» ، وفي جل نصوصه فيما تبقى من الكتاب . وكان مقلدا في ذلك لسان الدين ابن الخطيب ، الذي كان ــ هو الآخر ــ مقلدا لابن بسام صاحب «الذخيرة» ولابن خاقان صاحب «قلائد العقيـان» (١) . ولا نستطيع أن نعد السجع وصمة في أسلوب المقري ، لأن ذلك ميزة مـن ميزات عصره ، بل كان يتبارى به الادباء ويتفننون فيه آنذاك .

ومن ميزات أسلوبه في نظم الشعر ــ بالاضافة الى ما احتوى عليه النثر ــ التضمين ، نحو قوله : «وكما قلت مرتجلا أيضـا مضمنا الرابع والخـامس :

دمشق راقت رواء	وبهجة وغضـاره
فيها نسيم عليـــل	صحّ فوافت بشاره
وغوطـة كعـروس	تزهى بأعجب شاره
يا حسنها من رياض	مثل النضار نضاره
كالزهر زهراً وعنها	عرف العبير عباره
والجامع الفرد منها	أعلى الإله منـاره
وحاصل القول ، فيها	لمن أراد اختصاره
تذكيرها من رآهـا	عدنا وحسبي إشاره
دامت تفوق سواها	إنالة وأثاره » (٢)

والتذييل ببيت خامس ، عندما أورد أربعة أبيات من نظم أبي زكرياء يحيى بن سعيد بن مسعود القليني .

---

١ ــ المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج : ٨ ، ص : ٣٢٦ ، ج : ٩ ، ص : ٨٤

٢ ــ م ، س ، ج : ١ ، ص : ٦٨ .

ونص الجميع ما يلي :

« عفـــوك الله عنّا	خير شيء نتمنى
رب انا قد جهلنـا	في الذي قد كان منا
وخطينـا وخطلنـا	ولهـــونا ومجنـــا
ان نكن رب أسانا	ما أسانا بك ظنا
(فانلنا الختم بالحسـ	نى وانعاما ومنا) » (١)

ومن ميزات أسلوبه في نظم الشعر أيضا ، أنه اذا أنشد شعـرا لغيره ونسي منه بيتا أو أكثر ، فانه يتسمه من نظمه على حسب الـوزن والقافية • وقد سار على هذا السبيل عندما أكمل البيت الثالث من نظم عبد الملك ابن حبيب السلمي • ونص الابيات الثلاثة ما يلي :

« لا تنسى ـ لا ينسك الرحمن ! ـ عاشورا
واذكره لا زلت في التاريـــخ مذكورا
قـــال النبي ـ صلاة الله تشمله ! ـ
قولا وجدنا عليه عليه الحق والنـــورا
(فيمن يوسع في انفـــاق موسمـــه
أن لا يزال بذاك العام ميسورا) » (٢)

وقد عقب المقري على البيت الاخير بقوله : «وهذا البيت الثالث نسيت لفظه ، فكتبته بالمعنى والوزن ، اذ طـال عهدي بـه ، والله تعالى أعلـــم» (٣) •

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٦ . ص : ٨١
٢ ـ المقري ، احمد م٠ س٠ ج : ٢ . ص: ٢١٤
٣ ـ المقري ، احمد م٠ س٠ ج٠ ن . ص ، ن٠

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على الامانة العلمية والاستجابة الى صوت الضمير .

وقد جرى على هذا النمط عندما أورد قصيدة لأحد الشعراء في معارضة قصيدة محمد بن جابر في التورية بسور القرآن . اذ لما وجدها خالية من «سورة الناس» عقب عليها وأكملها بثلاثة أبيات من نظمه . وهذا نص الابيات مسبوقة بالتعقيب :

«ولم أقف على غير هذه الابيات من هذه القصيدة . وقد سقط منها كما رأيت «سورة الناس» ؛ فقلت — مكملا على نظمه — :

ويا مالك الناس اني لائذ بعفوك فاغفر عمد عبدك والجهلا

ويا رب عاملنا بما أنت أهله من الجود والرحمى وان لم نكن أهلا

وصل على مسك الختام محمد أتم صلاة تملا الحزن والسهلا (١) »

ومن ميزات أسلوب المقري في نظم الشعر أنه كثيرا ما يوطىء شعره لشعر غيره ؛ فمن ذلك قوله : — وهو يتألم لفراق وطنه — :

«وقولي موطئا للثالث ؛ وقد تغير لي فيمن تغير حارث (٢) :

لم أنس معهدنا والشمل مجتمع والعيش غض وروض الانس معطار

فيا لأبعد بعد عنه في قلق وقد نبت بي أرجاء وأقطار

تمضي الليالي واشواقي مجددة

وما انقضت لي من الاحباب أوطار)» (٣)

---

١ — المقري ، احمد ، نفح الطيب ، ج : ١٠ ، ص : ١٩١ ، ١٩٢ .

٢ — السجعة الثانية هي صدر بيت لابراهيم بن العباس الصولي ، وهو :

« تغير لي فيمن تغير حارث وكم من أخ قد غيرته الحوادث »

٣ — م ، س ، ج : ١ ، ص : ٣٩ .

ولعل أبرز ميزة في أشعار المقري التي أودعها «نفحـه» هي ميزة التخميس والتسديس ، وقد تقدم أن أوردنا نماذج من ذلك ، عندما تناولنا الحديث عن ثقافته خلال الفصل الثاني من البـاب الثاني لهـذه الدراسة، كما أضفنا الى ذلك نماذج أخرى في مختلف أشعاره كالمزدوجة وغيرها • ولسنا بمغالين ان وضعنا أسلوب المقري ـ سواء منه العلمي والادبي ـ في درجة الاساليب التي قد حازت قصب السبق في ميـدان البلاغة والانشاء في ذلك العصر • وهذا باعتراف علمـاء عصره وأدباء وقته ، وعلى رأسهم أحمد الخفاجي الذي يقول في أديبنا : «•• أمـا الشعر فهو أصمعي باديته ، وسلمان بيته ، وحسان فصاحته • فما مس قصب الاقلام الا سجدت شكرا ، اذ رأته قبلة الآمـال وأقسمت ان من البيان لسحرا ، لكنه السحر الحلال ، وهو من قوم تعاويذهم الصوارم ، وآثارهم في كل جيد تمائم ••» (١) • وكما أن المقري قد حظي بشعور الاديب الحساس وعقل العالم المتبصر ، فانه قد منح ـ أيضا ـ حاسـة التمييز وحسن الاختيار ، فراح يختار أحسن نصوص البلغـاء وأجمل أشعار الآدباء ، ويضعها في «نفحه» ليغذي بها شعور الاديب البليغ ، وينمي بها تفكير العالم المتدبر ، فتصبح مصداقا لقولـه : «واعلم أن هذا الكتاب معين لصاحب الشعر ، ولمـن يعاني الانشـاء والنثر من البيان السحر ••» (٢) •

وليس من السهل أن يوفق الكاتب الـى اختيار ما هـو صالح من النصوص ، واجتناب ما هو رديء منها • فذلك يقتضـي ذوقا سليما وحاسة بصيرة ، وشعورا حيا ، كما يتطلب عقلا ناضجا ، وفكرا ناقـدا وعلما واسعا بقواعد البلاغة وفنون الادب •

---

١ ـ الخفاجي ، احمد . ريحانة الالبا . ص ٢٨٥

٢ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ١٠ . ص : ٣٦٢ •

الفصل الخامس

مصادره

المصادر الاثرية ـ المصادر العيانية ـ المصادر الشفوية ـ الرسائل ـ الكتب .

لقد ارتأينا ـ بعد دراستنا لكتاب «النفح» ـ أن نقسم ما توصلنا اليه من مصادره الى خمس فئات .

الفئة الاولى : مصادر أثرية ، الفئة الثانية : مصادر عيانية ، الفئة الثالثة : مصادر شفوية ، الفئة الرابعة : رسائل ، والفئة الخامسة : كتب .

١ ـ المصادر الاثرية :

وهي المباني التي نقشت عليها شتى العبارات النثرية والشعرية ، فقرأها المقري هناك وقيدها ضمن تقاييده ، ثم أثبتها في «نفحه» ،لتصبح مصدرا من مصادره . ومن هذه العبارات عدة أبيات رآها مكتوبة على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها ابن تاشفين الزياني ،وأخرى رآها مكتوبة في الاستار الذهبية التي ستر بها أبو العباس أحمد المنصور الذهبي النواحي الاربع في القبة الكبيرة ب«البديع» (١) ، وهلم جرا ...

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٨ . ص :١٥٦ ، ١٥٧ .

٨ ـ المصادر العيانية :

وهي مشاهدات المقري المباشرة للاشياء التي تلعب دورها في هذه الحياة، فتأثر بها وأعطاها أكبر أهمية في نفسه • ومما لا شك فيه أن هذا التأثر يتجلى لنا في عباراته التي ساقها في كتابه بمناسبة زياراته العديدة لقبور الاولياء والعلماء، وبمناسبة رحلته من المغرب الى المشرق، الذي راح يتنقل فيه ويزور مدنه وقراه وعواصمه ، التي أوحت اليه بما سجله لنا في «نفحه» •

اذن ، فمصادر العيان هي تقلبات الطبيعة ، ومتطلبات العصر ، ومتمخضات المجتمع • فكل ذلك قد اثر في نفس المقري ، فراح يسجل لنا انطباعاته في تآليفه •

٣ ـ المصادر الشفوية :

هي النصوص التي تلقاها المقري مباشرة عن عدة اشخاص معاصرين لـه ، مثل : عمه العطوف وشيخه الاوحد ابي عثمان سعيد المقري (١) ، وشيخه النصوح أبي عبد الله محمد القصار (٢) ، وصديقه الحميم وزير القلم عبد العزيز الفشتالي (٣) ، والطبيب أبي القاسم بن محمد الوزير الغساني الاندلسي (٤) وتلامذته وأصدقائه بالمغرب والمشرق ، فقد تلقى من أفواه هؤلاء وغيرهم نصوصا نثرية وشعرية وأثبتها في نفحه ، فاصبحت جزءا هاما من مصادره •

٤ ـ الرسائل :

هي الرسائل الودية التي كان يبعث بها الى المقري أصدقاؤه، وتلامذته

---

١ ـ المقري ، احمد . نفح الطيب • ج : ٧ • ص : ١٣٢ ـ ٣٥٢

٢ ـ م• س• ج: ٦ • ص : ٦٣

٣ ـ م• س• ج: ٨ • ص: ١٥٨ ـ ٦٤ • ج٦ • ص، ٢٢٧ ـ ٢٢٢
ج ٩ • ص : ٢٧٨ •

٤ ـ م• س• ج: ٢ • ص : ١٨

من مختلف الانحاء ، فأثبت نصوصها في «نفحه» . ومن بين تلك الرسائل رسالة تلميذة أحمد الشاهيني التي بعث بها اليه من الشام (١) . ورسالة صديقه الشيخ محمد بن يوسف التأملي التي بعث بها اليه من المغرب الاقصى (٢). ورسالة تلميذه وصديقه علي بن عبد الواحد الانصاري التي بعث بها اليه من فاس بالمغرب الاقصى ايضا (٣). ورسالة الشيخ عبد الكريم الفكون مفتي مدينة قسنطينة بالجزائر ، التي بعث بها من هناك اليه (٤) . ورسالة صديقه الحميم عبد العزيز الفشتالي ، التي بعث بها اليه من مراكش ، والمقري حينئذ بفاس (٥) . أما ما عداها من الرسائل المذكورة فقد تلقاها من أصحابها وهو قاطن بمصر القاهرة .

٥ ــ الكتب :

يدخل تحت هذا القسم من المصادر جميع ما هو مخطوط بقلم حبر على أوراق ونقله المقري في «نفحه» مباشرة ، أو عن طريق حافظته باللفظ والمعنى ، أو بالمعنى فقط ، سواء كان كتبا علمية أو أدبية ، أو رسائل ودية أو رسمية ، أو علمية ، أو تقاييد متنوعة ، أو وثائق معتمدة، أو دواوين شعرية أو حكومية ، وهلم جرا ..

ولم يجنح المقري الى سبيل من أحصى المصادر في مقدمة تأليفه ، مثلما فعل لسان الدين ابن الخطيب ــ المتوفي سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) ــ في مقدمة كتاب «الاحاطة» ، وياقوت الحموي ــ المتوفي سنة ٦٢٦ هـ (١٣٢٩ م) ــ في مقدمة كتاب «معجم الادباء» ، بل سلك سبيلا آخر ،

---

١ ــ المقري ، احمد . نفح الطيب . ج : ٣ص : ٢١٨ ــ ٢٢٩
٢ ــ م. س. ج: ٣ . ص: ٢٢٩ ــ ٢٣٦
٣ ــ م. س. ج: ٣ . ص: ٢٣٦ ــ ٢٣٨
٤ ــ م. س. ج : ٣ . ص : ٢٣٨ ــ ٢٤٠
٥ ــ م. س. ج: ٨ . ص : ١٦٥ ــ ١٦٨ .

وهو سبيل من ذكر المصادر في متن تأليفه ، عندما ينقل منها ما هو في حاجة الى نقله هناك ، مثلما فعل أبو محمد عبد الله بن قتيبة — المتوفي سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) — في كتابه «عيون الاخبار» ، وشمس الدين محمد الذهبي — المتوفي سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) — في كتابه «سير أعلام النبلاء» .

غير أن المقري — في غالب الاحيان — لم يوضح المصادر التي اعتمدها توضيحا يزيل الاحتمالات ، ويريح القارىء من التنقيب والبحث في كتب التراجم وبطون المعاجم ، فتارة يذكر عنوان المصدر مبتورا دون ذكر اسم المؤلف ، وتارة يذكر اسم المؤلف فقط أو لقبه فقط أو كنيته فقط دون ذكر المصدر ، وتارة يذكر اسم الكاتب مبهما نحو قوله : «قال : بعض علماء الاندلس» (١) ، أو «قال : بعض مؤرخي المغرب» (٢) ، أو «قال : بعض المؤرخين» (٣) ، أو «قال : بعض الرؤساء» (٤) ، أو «قال : رجل من البصرة» (٥) ، أو «قال : غير واحد» (٦) ، أو «قال : بعضهم» (٧) .

وتارة يورد النص دون أن يذكر مصدره وصاحبه معا ، وهذا كثيرا ما نجده في الاشعار التي أوردها في مقدمة «النفح» . ورغم هذا كله

---

١ — المقرى ، احمد . نفح الطيب . ج : ١ . ص : ١٤٦

٢ — م . س . ج : ١ . ص : ٢٨٣

٣ — م . س . ج : ١ . ص : ٣٢٧ — ٣٧١

٤ — م . س . ج : ١ . ص : ١٩٥ ، ١٩٦

٥ — م . س . ج : ١ . ص : ١٨١ ، ١٨٢

٦ — م . س . ج : ١ . ص : ٢٠٦ — ٢١٢

٧ — م . س . ج : ١ . ص : ١٥٩ .

فقد استطعنا أن نصل الى احصاء جل المصادر الرئيسية التي اعتمدها المقري ونقل منها نصوصا كثيرة عند تأليفه لكتابه ، وذلك بفضل المقارنة الدقيقة والبحث الطويل في المظان الموثوق بها • ولم نتمكن ــ بعد البحث الجدي ــ من التوصل الى احصاء مصادر الاشعار الكثيرة والرسائل العديدة والنصوص المتنوعة ، للاسباب السالفة الذكر • وقد رتبنا عناوين ما أحصيناه من المصادر ترتيبا هجائيا وذكرنا بجانب كل مصدر اسم صاحبه وتاريخ وفاته حسب العام الهجري والميلادي ، ان امكن ذلك • وها هي عناوين المصادر المذكورة ــ مع أسماء مؤلفيها ــ مرتبة حسبما ذكرناه أعلاه :

١ ــ أبيات الابيات ــ ابن الخطيب ، محمد المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) •

٢ ــ الابيات المهذبة، في المعاني المقربة ــ ابن ليون، سعد المتوفى سنة ٧٤٠هـ (١٣٣٩ ــ ١٣٤٠ م) •

٣ ــ اتحاف أهل السيادة، بضوابط حروف الزيادة (نحو) ــ المقري أحمد المتوفى سنة ١٠٤١ هـ (٣١ ــ ١٦٣٢ م) •

٤ ــ الاحاطة ، في أخبار غرناطة ــ ابن الخطيب ، محمد المتوفى سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٥ م) •

٥ ــ أحكام القرآن ــ ابن العربي ، محمد المتوفى سنة ٥٤٣ هـ (٤٨ ــ ١١٤٩ م) •

٦ ــ أدب الكاتب ــ ابن قتيبة ، عبد الله المتوفى سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) ، أو ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) •

٧ ـ الاودية المفردة ـ ألفه جماعة من العلماء منهم ابن أبي الاشعث ، أحمد المتوفى سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) .

٨ ـ الارشاد والتطريز ، في فضل ذكر الله وتلوة كتابه العزيز ـ ابن أسعد ، عبد الله المتوفى سنة ٧٧١ هـ (١٣٦٩ ـ ١٣٧٠ م) .

٩ ـ أزهار الرياض ، في أخبار عياض ـ المقري ، أحمد المتوفى سنة ١٠٤١ هـ (٣١ ـ ١٦٣٢ م) .

١٠ ـ الازهار المنثورة ، في الاخبار المأثورة ـ ابن السماك ، محمدابن أبي العلي العاملي الاندلسي المتوفى سنة ؟

١١ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ ابن عبد البر ، يوسف المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ ـ ١٠٧١ م) .

١٢ ـ الأسفار ـ ابن عربي ، محيى الدين (محمد) المتوفى سنة ٦٣٨هـ (١٢٤٠ ـ ١٢٤١ م) .

١٣ ـ اظهار الصدق والمودة ، في شرح قصيدة «البردة» ـ ابن مرزوق، محمد المتوفى سنة ٨٤٢ هـ (١٤٤٣٨ ـ ١٤٣٩ م) .

١٤ ـ اعلام الاعلام ـ ابن الخطيب ، محمد المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) .

١٥ ـ أعيان العصر ، وأعوان النصر ـ الصفدي ، خليل المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) .

١٦ ـ الاغتباط ، بمعالجة ابن الخياط . (١) ـ الفيروز بادي، محمد المتوفى سنة ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) .

---

١ ـ كتاب في اجوبة مسائل ، سئل عنها بحق محيي الدين ابن عربي الاندلسي

١٧ ــ افادة الافادة ــ ابن عبد البر ، يوسف المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ ــ ١٠٧٠ م) .

١٨ ــ الاكليل الزاهر ، فيما فضل من نظم تاج الجواهر ــ ابن الخطيب، محمد المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) .

١٩ ــ الالفاظ ــ ابن السكيت ، يعقوب المتوفى سنة ٢٤٤ هـ (٨٥٩ ــ ٨٥٨ م) .

٢٠ ــ أنباء الغمر ، في أبناء العمر ــ ابن حجر ، أحمد المتوفى سنة ٨٥٢هـ (١٤٤٨ م) .

٢١ ــ أنداء النديم : (في المواعظ والوصايا والحكم) ــ ابن ليون ، سعد المتوفى سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ ــ ١٣٣٩ م) .

٢٢ ــ الانس الجليل ، في تاريخ القدس الخليل ــ ابن اليمين ، عبد الرحمن الحنبلي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ (١٥٢١ م) .

٢٣ ــ أنس الفقير ، وعز الحقير : (في تراجم رجال من أهل التصوف) ــ ابن قنفذ ، أحمد القسنطيني المتوفى سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ ــ ١٤٠٨ م) .

٢٤ ــ الانشادات والافادات : (في طرف وتحف وملح) ــ ابو اسحاق، ابراهيم الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م) .

ــ ب ــ

٢٥ ــ البحر المحيط ــ ابو حيان ، محمد الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٥ ــ ١٣٤٤ م) .

٢٦ ـ بدائع البدائة ـ ابن المظفر ، علي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م).

٢٧ ـ بدائع السلك ، في طبائع الملك ـ ابن الازرق ، محمد المتوفى سنة ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م) .

٢٨ ـ بديعة العميان (الحلة اليسرى في مدح خير الورى) ـ ابن جابر، محمد المتوفى سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ م) .

٢٩ ـ البديع في فضل وصف الربيع ـ ابن الاحمر ، يوسف المتوفى سنة ٧٧١ هـ (١٣٦٩ ـ ١٣٧٠ م) .

٣٠ ـ بداية المحاسن وغاية المحاسن ـ ابن خاقان ، الفتح المتوفى سنة ٥٣٥ هـ (١١٤١ م) .

٣١ ـ البرنامج : (فهرس لمشايخه) ـ الرعيني ، محمد بن سعيد المتوفى سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) .

٣٢ ـ بغية الرواد ، في أخبار ملوك بني عبد الواد ـ ابن خلدون ، يحيى المتوفى سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) (١) .

٣٣ ـ بغية المستطرف وغنية المتطرف ـ ابن عميرة ، أحمد المتوفى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .

٣٤ ـ بغية الملتمس ، في تاريخ رجال الاندلس ـ الضبي ، أحمد المتوفى سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ ـ ١٢٠٣ م) .

---

١ ـ قال اخوه عبد الرحمن بن خلدون صاحب (كتاب العبر) :
«وكان لي اخ اسمه يحيى اصغر مني».
(التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا . ص: ٩٧) .

ــ ت ــ

٣٥ ــ التاج المحلى ، في مساجلة القدح المعلى ــ لسان الدين ، محمد بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) .

٣٦ ــ تاج المفرق ، في تحلية علماء أهل المشرق ــ البلــوي ، خالــد الاندلسي المتوفى سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ ــ ١٣٣٧ م) .

٣٧ ــ تاريخ أخبار الاندلس ــ الحضرمي ، عبد المهيمن السبتي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ ــ ١٣٤٩ م) .

٣٨ ــ تاريخ الاسلام ــ الذهبي ، محمد المتوفى سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٦ ــ ١٣٤٥ م) .

٣٩ ــ تاريخ افريقية والمغرب ــ الرقيق ، ابراهيم القيرواني المتوفى سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) .

٤٠ ــ تاريخ علماء العالم ــ الصفدي ، خليل المتــوفى ســنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) .

٤١ ــ تاريخ مصر وافريقية والاندلس ــ ابن يونس ، ؟

٤٢ ــ تاريخ البخاري الكبير ــ البخاري ، محمد المتوفى سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) .

٤٣ ــ تاريخ ابن جماعة ــ ابن جماعة ، ؟

٤٤ ــ تاريخ الجزري ــ الدمشقي ، محمد بن محمد المتوفى سنة ٨٣٣ هـ (١٤٣٠ ــ ١٤٢٩ م) . أو الدمشقي ، محمد ابن ابراهيم المتــوفى

سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٩ — ١٣٣٨ م) .

٤٥ — تاريخ حلب — ابن العديم ، عمر ابو حفص المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) .

٤٦ — تاريخ دمشق — ابن عساكر ، علي المتوفى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٦ — ١١٧٥ م) .

٤٧ — تاريخ علماء الاندلس — ابن الفرضي ، عبد الله المتوفى سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠ — ١٠٠٩ م) .

٤٨ — تاريخ قضاة الاندلس . (لعله المرقبة العليا في مسائل القضاء والفتيا) — النباهي ، علي الغرناطي المتوفى سنة ٧٩٢ هـ (١٣٨٩ م) .

٤٩ — تاريخ مكة — ابن النجار محمد البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) .

٥٠ — تحفة الحكام ، ونكت العقود والاحكام — ابن عاصم ، محمد الاندلسي المتوفى سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٦ م) .

٥١ — تحفة القادم (في التاريخ) — ابن الابار ، محمد المتوفى سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) .

٥٢ — تحفة المغرب ببلاد المغرب — الفشتالي ، أحمد المتوفى سنة ؟

٥٣ — تحفة النظار ، وغرائب الامصار وعجائب الاسفار : (رحلة ابن بطوطة) — ابن بطوطة ، محمد المتوفى سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٦ — ١٣٧٥ م) . أو سنة ٧٧٩ (١٣٧٨ — ١٣٧٧ م) .

٥٤ — التذكرة الصفدي ، خليل المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) .

٥٥ ــ التذكرة ، في أمور الآخرة ــ القرطبي ، محمد المتوفى سنة ٦٧١هـ (١٣٧٠ ــ ١٣٦٩ م) .

٥٦ ــ التذييل : (في النحو) ــ أبو حيان ، محمد الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٥ ــ ١٣٤٤ م) .

٥٧ ــ ترتيب رحلة ابن بطوطة ــ ابن جزي ، ؟

٥٨ ــ ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة أعلام مذهب مالك ــ عياض ، القاضي أبو الفضل المتوفى سنة ٥٤٤ هـ (١١٥٠ ــ ١١٤٩ م) .

٥٩ ــ تفسير القرطبي ــ القرطبي ، محمد المتوفى سنة ٦٧١ هـ (١٣٧٠ ــ ١٣٦٩ م) .

٦٠ ــ التشوف ، في رجال التصوف ــ البادلي ، يوسف المراكشي المتوفى ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ ــ ١٢٣٢ م) .

٦١ ــ تكملة الصلة (صلة بشكوال) ــ ابن الابار ، محمد المتوفى سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) .

٦٢ ــ تمهيد السالك ، الى شرح ألفية ابن مالك ــ ابن مرزوق ، محمد المتوفى سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٩ ــ ١٤٣٨ م) .

ــ ج ــ

٦٣ ــ جذوة المقتبس ، في تاريخ الاندلس ــ الحميدي، محمد المتوفى سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) .

٦٤ ــ جيش التوشيح ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى

سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) ٠

٦٥ ــ الحديقة في البديع ــ الحجاري ، عبد الله المتــوفى سنة ٥٨٤هـ (١١٨٨ م) ٠

٦٦ ــ الحقائق والرقائق : (في التصوف والحكم) ــ المقري ، محمــد أبو عبد الله المتوفى سنة ٧٥٩ هـ (١٣٧٩ م) ٠

٦٧ ــ الحلة السيراء ، في أشعار الامراء ــ ابن الابار ، محمد المتوفى سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) ٠

٦٨ ــ الحلى التيجانية ، والحلل التيجانية ــ التيجاني ، محمد ابــو الفضل المتوفى سنة ؟ كان حيا سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٩ م) ٠

ــ خ ــ

٦٩ ــ خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر ــ صاعد ، محمد الاصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠١ م) ٠

٧٠ ــ خطرة الطيف ، ورحلة الشتاء والصيف ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) ٠

٧١ ــ خلع الرسن ، في وصف القاضي أبن الحسن ــ لسان الديــن ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) ٠

ــ د ــ

٧٢ ــ دحية الحافظ ــ ابن دحية ، عمر ابو الخطاب المتوفى سنة ٦٣٣هـ (١٢٣٦ ــ ١٢٣٥ م) ٠

٧٣ ــ درة الاسلاك ، في دولة الاتراك ــ ابن حبيب ، حسن الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٨ ــ ١٣٧٧ م) .

٧٤ ــ الدرة المكنونة ، في نوازل مازونة ــ المازوني ، يحيي ابن أبي عمران المتوفى سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٨ م) .

٧٥ ــ درر الدرر ــ ابن العطار ، محمد الجزائري ، المتوفى سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ ــ ١٣٠٨ م) .

٧٦ ــ درر السمط ، في أخبار السبط ــ ابن الابار ، احمد الخولاني المتوفى سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤٢ ــ ١٠٤١ م) .

٧٧ ــ درر القلائد ، وغرر الفوائد ــ السلمي ، ؟

٧٨ ــ الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة ــ ابن حجر ، أحمد العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) .

٧٩ ــ الدر المنضد ، في وفيات اعيان محمد ــ ابن دقمان ، ابراهيم المتوفى سنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٧ ــ ١٤٠٦ م) .

٨٠ ــ الديباج المذهب ، في علماء المذهب (المالكي) ــ ابن فرحون ، ابراهيم المتوفى سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٧ ــ ١٣٩٦ م) .

ــ ذ ــ

٨١ ــ الذخائر والاعلاق ، في آداب النفوس ومكارم الاخلاق ــ الباهلي، سلام بن عبد الله المتوفى سنة ؟

٨٢ ــ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ــ ابن بسام ، علي المتوفى سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) .

٨٣ ـ ذهبية القصر ، في أعيان العصر ـ العمري ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٨٣ ـ ٨٢ م) ٠

٨٤ ـ ذيل تاريخ بغداد (١) ـ السمعاني ، عبد الكريم المتوفى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) ٠

٨٥ ـ ذيل تاريخ نيسبور (٢) ـ ابن اسماعيل ، عبد الغافر المتوفى سنة ؟

٨٦ ـ الذيل على الروضتين ـ ابو شامة المتوفي سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ ـ ١٢٦٦ م)

٨٧ ـ ذيل مرآة الزمان ٠ او (مختصر مرآة الزمان) ٠ ـ اليونيني ، موسى البعلبكي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م)

٨٨ ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ـ ابن عبد الملك ، محمد المراكشي المتوفى سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ ـ ١٣٠٣ م)

ـ ر ـ

٨٩ ـ راح الأرواح ، فيما قاله المولى ابو حمو من الشعر ، وقيل فيه من الامداح ، وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح ٠ ـ التنسي محمد المتوفى سنة ٨٩٩ هـ (١٤٩٤ ـ ١٤٩٣ م)

٩٠ ـ رحلة ابن جبير ـ ابن جبير ، محمد المتوفى سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م)

٩١ ـ رحلة ابن عبد ربه ـ ابن عبد ربه ، احمد المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

---

١ ـ صاحب (تاريخ بغداد) هو الخطيب البغدادي ٠
٢ ـ صاحب (تاريخ نيسبور) هو الحاكم ابو عبد الله بن البيع ٠

٩٣٩ م)

٩٢ ـ رحلة السرخسي ـ السرخسي ، عبدالله ، المولود سنة ٥٧٣ هـ (١١٧٧ ـ ١١٧٨ م)

٩٣ ـ رحلة العبدري ـ العبدري ، محمد البلنسي ، كانت رحلته الى الحجاز سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م)

٩٤ ـ رحلة القلصدي ـ القلصدي ، علي الاندلسي المتوفى سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م)

٩٥ ـ رحلة التميري ـ التميري ، ابراهيم المتوفى سنة ؟

٩٦ ـ الرسالة • ـ ابن خفاجة ، ابراهيم المتوفى سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٩ ـ ١١٣٨ م)

٩٧ ـ الرسالة • ـ ابن ظافر ، علي بن حسين المتوفى سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م)

٩٨ ـ الرسالة • ـ ابن سبعين ، عبد الحق المتوفى سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٠ م)

٩٩ ـ رسائل ابن المطرف • ـ ابن المطرف ، المتوفى سنة ؟

١٠٠ ـ رسالة الظرف : (في تفضيل الاندلس ، وبيان محاسن أهلها)• الشقندي ، اسماعيل المتوفى سنة ٦٢٧ هـ (١٢٣٠ م) أو ٦٢٩ هـ (١٢٣٢ م)

١٠١ ـ رقم الحلل ، في نظم الدول • ـ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م)

١٠٢ ــ روح الشعر ، وروح السحر • ــ ابن الجلاب ، محمد الفهري المتوفى سنة ؟

١٠٣ ــ روضة الآس (في التراجم) • ــ المقري ، احمد التلمساني المتوفى سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ ــ ١٦٣١ م)

١٠٤ ــ الروض الأريض ، في تراجم ذوي السيوف والاقلام والقريض ــ ابن عاصم ، محمد العرقاطي المتوفى سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)

١٠٥ ــ روضة الازهار ، وبهجة النفوس ونزهة الابصار • ــ ابن شاكر محمد الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م)• أو ابن قلاقس ابو الفتح نصرالله بن عبدالله المتوفى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧٢ ــ ١١٧١ م)•

١٠٦ ــ روضة الاعلام ، بمنزلة العربية من علوم الاسلام • ــ ابن الازرق ، محمد المتوفى سنة ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م)

١٠٧ ــ روضة التعريف ، بالحب الشريف • ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م)

١٠٨ ــ الروض المعطار في ذكر المدن والاقطار (او في اخبار الاقطار) ــ ابن عبد المنعم ، محمد الحميري المتوفى سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٥ ــ ١٤٩٤ م)

١٠٩ ــ رياض النفوس النقية ، في علماء مشايخ افريقية•ــ القيرواني عبدالله بن محمد القرطبي المتوفى سنة ٤٠٣ هـ(١٠١٣ ــ ١٠١٢م)

١١٠ ــ ريحانة الأدب ، في المحاضرات • ــ ابن سعيد ، علي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)

١١١ ــ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب • ــ لسان الـدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م)

١١٢ ــ الريحان والريعان • ــ ابن خيرة ، محمد المتوفى سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٥ ــ ١١٧٤ م)•

ــ ز ــ

١١٣ ــ زاد المسافر ، وغرة السافر • ــ صفوان ، ابو بحـر المتوفى سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ ــ ١٢٠١ م)

١١٤ ــ زبدة الفكرة ، فـي تاريـخ الهجرة ــ الدواداري ، بيبرس المتوفى سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م)

١١٥ ــ زهر الآداب • ــ الحصري ، ابراهيم المتوفـى سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م)

١١٦ ــ الزهر الباسم • ــ الوانشريسي ، احمد المتوفى سنة ٩١٤ هـ (١٥٠٩ ــ ١٥٠٨ م)

ــ س ــ

١١٧ ــ سرح العيون ، في شرح رسالة بن زيدون • ــ ابن نباتـة ، محمد الشاعر المتوفى سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م)

١١٨ ــ سقيط الدرر ، ولقيط الزهر • (فـي شعر بنـي عباد) ــ ابن اللبانة ، محمد الاندلسي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ (١١١٤ ــ ١١١٣ م)

١١٩ ــ سمط الجمان ، وسقط اللالىء وسقط المرجان • ــ ابن الامام

عثمان الاندلسي المتوفى سنة ؟٠٠٠

ـ ش ـ

١٢٠ ـ شذور الذهب ، في صروم الخطب ٠ ـ ابن الزيات ، احمد المتوفى سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٨ م)

١٢١ ـ شرح ألفية ابن مالك ٠ ـ الراعي ، محمد الغرناطي المتوفى سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م)

١٢٢ ـ شرح بديعية ابن جابر ٠ ـ الرعيني ، احمد رفيق ابن جابر المتوفى سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٨ ـ ١٣٧٧ م)

١٢٣ ـ شرح بديعية صفي الدين الحلي ٠ ـ الثعالبي ، عبيد المغربي المتوفى سنة ؟

١٢٤ ـ شرح بديعية الكفعمي : (نـور حدقة البديـع ، ونور حديقة الربيع)٠ ـ الكفعمي ، ابراهيم المتوفى سنة ؟

١٢٥ ـ شرح حكم ابن عطاء الله ٠ ـ ابن عبـاد ، محمـد الرندي المتوفى سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م)

١٢٦ ـ شرح قصيدة ابن عبدون ٠ ـ ابن بدران عبد الملك المتوفى

١٢٧ ـ شرح صحيح مسلم ٠ ـ الأبي ، محمـد بن خليفة التونسي المتوفى سنة ؟

١٢٨ ـ شرح الصغرى ٠ ـ السنوسي ، محمد (بفتح أوله) المتوفى سنة ٨٩٥ هـ (١٤٩٠ م)

١٢٩ ـ شرح مقامات الحريري ٠ ـ الشريشي ، احمد المتوفى سنـة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م)

١٣٠ ــ الشفا ، بتعريف حقوق المصطفى • ــ عياض ، ابو الفضل اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ (١١٥٠ ــ ١١٤٩ م)

١٣١ ــ شنف السامع ، بوصف الجامع : (جامع بني امية بدمشق) ــ ابن حبيب ، طاهر المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ ــ ١٤٠٥ م)

١٣٢ ــ الشهب الثاقبة ، في الانصاف بين المشارقة والمغاربة • ــ ابن سعيد ، علي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)

ــ ص ــ

١٣٣ ــ الصلة • ــ ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك المتوفى سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٣ ــ ١١٨٢ م)

١٣٤ ــ صلة الصلة • ــ ابن الزبير، احمد المتوفى سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٩م)

١٣٥ ــ العيب والجهام • ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة (١٣٧٥ م)

ــ ض ــ

١٣٦ ــ الضوء اللامع، لاهل القرن التاسع • ــ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٧ ــ ١٤٩٦ م)

ــ ط ــ

١٣٧ ــ الطالع السعيد ، في تاريخ ــ ابن سعيد ، علي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)

١٣٨ ــ طبقات الامم • ــ القرطبي ، صاعد بن أحمد المتوفى سنة

٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م)

- ١٣٩ ــ طبقات الشافعية الكبرى . ــ السبكي ، عبد الوهاب المتوفى سنة ٧٧١ هـ (١٣٧٠ ــ ١٣٦٩ م)

- ١٤٠ ــ طبقات الصوفية . ــ السلمي ، المتوفى سنة ٤١٢ هـ (١٠٢٢ ــ ١٠٢١ م).

١٤١ ــ طرد الجياد في الميدان ، وتنازع اللدات والاخدان ، في تقديم «مرسية» على غيرها من البلدان . ــ صفوان ، ابو بحر المتوفى سنة ٥٩٨ هـ (٠١ ــ ١٢٠٢ م)

١٤٢ ــ طرف العصر ، في دولة بني نصر : (دولة بنـي الاحمر) . ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م)

- ١٤٣ ــ طوق الحمامة . ــ ابن حزم ، علي الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٧٤ ــ ١٠٧٣ م)

ــ ع ــ

١٤٤ ــ عائد الصلة . ــ لسان الدين ، محمد ابن الطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م)

١٤٥ ــ عجائب المقدور ، في نوائب تيمور . ــ ابن عربشاه ، احمـد الحنفي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ (١١٥٩ م)

١٤٦ ــ عجالة المستوجز المستجاز ... ــ لسان الـدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م)

١٤٧ ــ عدة المستنجز ، وعقلـة المستوجز . ــ ابن سعيد ، علـي بن

موسى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)

- ١٤٨ ــ العقد الفريد • ــ ابن عبد ربه ، احمد المتوفى سنة ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م)

١٤٩ ــ عمل من طب ، لمن حب • ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م)

١٥٠ ــ عنوان الافادة : (شرح آجرومية) • ــ الراعي ، محمد الاندلسي المتوفى سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م)

- ١٥١ ــ عنوان الدراية ، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ــ الغبريني ، احمد المتوفى سنة ٧١٤ هـ (١٣١٥ م)

١٥٢ ــ عيون التاريخ : (تاريخ الكتبي) ــ الكتبي ، محمد بن شاكر المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ ــ ١٣٦٢ م)

ــ ف ــ

١٥٣ ــ فتاوى ابن مرزوق • ــ ابن مرزوق ، محمد المتوفى سنة ٨٤٢ هـ (٣٨ ــ ١٤٣٩ م)

١٥٤ ــ فتح الباري ، بشرح البخاري • ــ ابن حجر، احمد العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م)

١٥٥ ــ فتح الحجب المستورة ، عن محاسن المقصورة • ــ ابو القاسم محمد بن أحمد السبتي المتوفى سنة ٧٦١ هـ (١٣٦٠ م)

١٥٦ ــ فتح المتعال ، في مدح النعال • ــ المقري ، احمد المتوفى سنة ١٠٤١ هـ (٣١ ــ ١٦٣٢ م)

١٥٧ ــ الفتح المنير ، في بعض ما يحتاج اليه الفقير • ــ الراعي ،

محمد الغرناطي المتوفي سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م)

١٥٨ ـ فرحه الانفس ، للاثار الاولى التي بالاندلس • ـ ابن غالب ، محمد (الوزير) المتوفى سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ ـ ١٣٦٥ م)

١٥٩ ـ الفصوص في اللغة • ـ صاعد اللغوي البغدادي المتوفى سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٣ م)

١٦٠ ـ الفهرس • ـ السكوني ، محمد بن خليل المتوفى سنة ٧١٦ هـ (١٣١٦ م)

١٦١ ـ الفهرس • ـ ابن غازي ، محمد المكناس المتوفى سنة ٩١٧ هـ (١٥١١ م)

١٦٢ ـ فوائد الباجي • ـ الباجي ، سليمان ابو الوليد المتوفى سنة ٤٧٤ هـ (١٠٨٢ ـ ١٠٨١ م)

ـ ق ـ

١٦٣ ـ قانون التأويل : (ترتيب رحلة) • ـ المغافري ، محمد الاشبيلي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ (١١٥٢ ـ ١١٥١ م)

١٦٤ ـ اقتباس الانوار ، والتماس الازهار ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار • ـ الرشاطي ، عبدالله المتوفى في حدود ٥٤٢ هـ (١١٤٨ ـ ١١٤٧ م)

١٦٥ ـ القدح المعلى ، في التاريخ المحلى • ـ ابن سعيد ، علي بن موسى المتوفى ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)

١٦٦ ـ قطب السرور ، في أوصاف الخمور • ـ الرفيق ، احمد بن

القاسم المتوفي سنة ٤٨٨ هـ (٩٩٨ م)

١٦٧ ــ قمع الحرص بالزهد والقناعة ، ورذل السؤال بالكف والشفاعة ــ القرطبي ، محمد المتوفى سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ ــ ١٢٧٣ م)

١٦٨ ــ قلائد العقيان ، في محاسن الاعيان • ــ ابن خلقان ، الفتح المتوفي سنة ٥٣٥ هـ (١١٤٠ ــ ١١٤١ م)

١٦٩ ــ القواعد • ــ المقري ، محمد ابو عبدالله المتوفى سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م)

ــ ك ــ

١٧٠ ــ الكامل : (كامل التواريخ) • ــ ابن الاثير ، علي الجزري المتوفي سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ ــ ١٢٣٣ م)

١٧١ ــ كتابات في الجغرافيا • ــ الرازي (١) ، احمد المتوفى سنة

---

١ ــ الرازي : اسم لثلاثة اعلام من مؤرخي الاندلس .

اولهم : محمد بن موسى بن بشير بن جناد الرازي ، نسبة الى بلدة «الري» من اعمال فارس ، وفر من هناك الى قرطبة حوالي منتصف القرن الثالث الهجري بقصد التجارة ، وتوفي هناك في ربيع الاخر سنة ٢٧٣ هـ (٥ سبتمبر أو ٣ اكتوبر ٨٨٦ م) ، ومن مؤلفاته «كتاب الرايات» تناول فيه فتح المسلمين للاندلس .

ثانيهم : احمد بن محمد المذكور في صلب الكتاب ويلقب «التاريخي» ، ولد بالاندلس سنة ٢٧٤ هـ (٨٨٨م ؟) ، وتوفي بها في التاريخ المذكور في صلب الكتاب ، ومن مؤلفاته : «تاريخ ملوك الاندلس» «كتاب في وصف قرطبة» ، «كتاب الاستيعاب ، في انساب عرب الاندلس» ، و «كتابات في جغرافيات الاندلس» .

ثالثهم : عيسى بن احمد بن محمد ، له «كتاب الحجاب للخلفاء بالاندلس» ، واكمل كتاب ابيه احمد في تاريخ الامويين بالاندلس ، وتوسع فيه مستعينا بمصادر لم تكن في متناول ابيه .

(احمد الشنتناوي ، وغيره . دائرة المعارف الاسلامية . ج: ٩ . ص: ٤٤٧ ــ ٤٥١) .

٣٤٤ هـ (٩٥٥ — ٩٥٦ م)

١٧٢ — كتاب الصحابة — الرعيني ، عيسى الاندلسي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ — ١٢٣٥ م) .

١٧٣ — كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ... — ابن خلدون، عبد الرحمن المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ — ١٤٠٦ م) .

١٧٤ — كتاب النسب — الحازمي ، محمد بن موسى المتوفى سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) .

١٧٥ — الكتيبة الكامنة ، فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة — لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) .

١٧٦ — كناسة الدكان — لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى ٧٧٦ هـ .

— ل —

١٧٧ — اللمحة البدرية ، في الدولة النصرية — لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) .

١٧٨ — لمح الملح — ابن القطاع ، علي بن جعفر الصقلي المتوفى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) .

١٧٩ — لطائف المنن ، في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه ابـي

الحسن ــ ابن عطاء الله، أحمد الشاذلي المتوفى سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٨ ــ ١٣٠٧ م) .

ــ م ــ

١٨٠ ــ المباخر الطيبة ، في المفاخر الخطيبة ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) .

١٨١ ــ المتين ــ ابن حيان ابو مروان حيان المتوفى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) .

١٨٢ ــ مثلى الطريقة ، في ذم الوثيقة ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) .

١٨٣ ــ مجاني العصر ــ أبو حيان ، محمد الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ ــ ١٣٤٥ م) .

١٨٤ ــ المحاضرات ــ المقري ، محمد ابو عبد الله المتوفى سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) .

١٨٥ ــ المحكم والمحيط الاعظم : (في اللغة) ــ ابن سيدة ، علي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) .

١٨٦ ــ مختصر ابن الحاجب : (في علم الاصول) ــ ابن الحاجب ، عثمان المتوفى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) .

١٨٧ ــ مدد الجيش : (ذيل على جيش التوشيح لابن الخطيب) ــ عبد العزيز محمد الفشتالي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ (١٦٢١ م) .

١٨٨ ــ مرآة الزمان ، في تاريخ الاعيان ــ ابو المظفر ، يوسف سبط بن

الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) .

١٨٩ ـ المرقبة العليا ، فيمن يستحق القضاء والفتيا ـ النباهي ، علي الغرناطي المتوفى سنة ٧٩٢ هـ (١٣٨٩ م) .

١٩٠ ـ مركز الاحاطة ، في أدباء غرناطة : (مختصر لاحاطة ابن الخطيب) ـ البشتكي ، محمد بن ابراهيم المتوفى سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٧ م) .

١٩٢ ـ مزية المرية ، على غيرها من البلاد الاندلسية ـ ابن خاتمة ، المتوفى سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) .

١٩٢ ـ مزية المرية ، على غيرها من البلاد الاندلسية ـ ابن خاتمة ، احمد ابو جعفر المتوفى سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٩ م) .

١٩٣ ـ مسالك الابصار ـ ابن فضل الله ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ م) .

١٩٤ ـ المسالك والممالك ـ البكري ، عبد الله الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) .

١٩٥ ـ المسالك والممالك ـ ابن حوقل ، محمد البغدادي كان حيا سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ ـ ٩٧٨ م) .

١٩٦ ـ المسامرات : (في التصوف) ـ ابن عربي ، محمد (محيي الدين) المتوفى سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ ـ ١٢٤١ م) .

١٩٧ ـ مسند الصحابة ـ ابن رشد ، أحمد ابو جعفر المتوفى سنة ؟

١٩٨ ـ المسند الصحيح الحسن ، من أخبار السلطان ابي الحسن ـ

ابن مرزوق ، محمد الخطيب المتـوفى سـنة ٧٨١ هـ (١٣٧٩ — ١٣٨٠ م) ٠

١٩٩ — المسهب ، في غرائب المغرب — الحجاري ، عبد الله الاندلسـي المتوفى سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) ٠

٢٠٠ — مشاحذ الافكار ، في مآخذ النظار — ابو بكر محمد بن عبـد الله القرطبي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ — ١١٧٢ م) ٠

٢٠١ — مشارق الانوار ، على صحاح الآثار — عياض ، بن موسى ابو الفضل المتوفى سنة ٥٤٤ هـ (١١٥٠ — ١١٤٩ م) ٠

٢٠٢ — مطالع الانوار ، ومنابع الاسرار — ابن العريف ، أحمد الصنهاجي المتوفى سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ — ١١٤٢ م) ٠

٢٠٣ — المطرب ، من أشعار أهل المغرب — ابن دحية ، عمر ابو الخطاب المتوفى سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ — ١٢٣٦ م) ٠

٢٠٤ — مطمح الانفس ، ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس — ابـن خاقان ، الفتح ابـو النصر المتوفى سـنة ٥٣٥ هـ (١١٤٠ — ١١٤١ م) ٠

٢٠٥ — المعالم — الـرازي ، أحمـد المتـوفى سنة ٣٤٤ هـ (٥٥ — ٩٥٦ م) ٠

٢٠٦ — معجم أشياخ الذهبي — الذهبي ، محمد المتوفى سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ — ١٣٤٦ م) ٠

٢٠٧ — معجم أشياخ عياض — عياض ، بن موسى ابو الفضل المتوفى سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ — ١١٥٠ م) ٠

٢٠٨ ــ معجم أصحاب الصدفي ــ ابن الابار ، محمد المتوفى سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠ م) .

٢٠٩ ــ معجم السفر ــ السلفي ، احمد الاصبهاني المتوفى سنة ٥٧٦هـ (١١٨٠ ــ ١١٨١ م) .

٢١٠ ــ معجم الشيوخ ــ عيسى بن سليمان الرعيني المتوفى سنة ٦٣٢هـ (١٢٣٤ ــ ١٢٣٥ م) .

٢١١ ــ معجم الشيوخ ــ ابن مسدي ، محمد بن يوسف المتوفى سنة ٦٦٣ هـ (١٢٦٥ م) .

٢١٢ ــ معجم الصحابة ــ ابن قانع ، عبد الباقي المتوفى سنة ٣٥١ هـ (٩٦١ م) .

٢١٣ ــ المعيار المغرب ، في الجامع المغرب ، في فتاوى افريقية والاندلس والمغرب ــ الوانشريسي ، احمد المتوفى سنة ٩١٤ هـ (١٥٠٨ ــ ١٥٠٩ م) .

٢١٤ ــ المغرب في أخبار محاسن اهل المغرب ــ ابن حزم ، يسع الاندلسي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) .

٢١٥ ــ المغرب في حلى المغرب ــ ابن سعيد ، علي بن موسى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) .

٢١٦ ــ المقتبس : (في التاريخ) ــ ابن حيان ، حيان ابو مروان المتوفى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) .

٢١٧ ــ مقراض الاعراض ــ ابن عنين ، محمد المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) .

٢١٨ ــ ملء العيبة ، فيما جمع بطول الغيبة ، في الوجهة الوجيهة الى الحرمين : مكة وطيبة ــ ابن رشيد ، محمد السبتي المتوفى سنة ٧٢١ هـ (١٣٢١ م) ٠

٢١٩ ــ المنتظم ، وتاريخ الملوك والامم ــ ابن الجوزي ، عبد الرحمن المتوفى سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ ــ ١١٨٤ م) ٠

٢٢٠ ــ المنتقى في شرح الموطأ ــ الباجي ، سليمان ابو الوليد المتوفى سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨١ م) ٠

٢٢١ ــ منتهى السول ، في سيرة الرسول ــ ابو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) ٠

٢٢٢ ــ المنح الغريب ، في الفتح القريب ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) ٠

٢٢٣ ــ منهاج الفكر في الحيل ــ ابن الوراق ، محمد المتوفى سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ ــ ٩٩٢ م) ٠

ــ ن ــ

٢٢٤ ــ نثير فرائد الجمان ، فيمن نظمني واياهم الزمان ــ ابن الاحمر ، اسماعيل المتوفى سنة ٧٧١ هـ (١٣٦٩ ــ ١٣٧٠ م) ٠

٢٢٥ ــ النجم الثاقب ، فيما لأولياء الله تعالى من المناقب ــ ابن صعد ، محمد التلمساني المتوفى سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٥ ــ ١٤٩٦ م) ٠

٢٢٦ ــ النجم ، من كلام سيد العرب والعجم ــ التجيبي ، أحمد المتوفى سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) ٠

٢٢٧ ــ النزهة ، في التعريف بشيوخ الوجهة ــ ابــن عات ، أحمد المتوفى سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) .

٢٢٨ ــ نشق الأزهار ، في عجائب الاقطار ــ ابن اياس ، محمد الحنفي المتوفى سنة ٩٣٠ و (١٥٢٤ م) .

٢٢٩ ــ نصائح الاحباب ، في صحائح الآداب ــ ابن ليــون ، سعيــد التجيبي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ١٣٦٨ ــ ١٣٦٩ م) .

٢٣٠ ــ نظم الدرر ، في مدح سيد البشر ــ ابن العطار ، محمد الجزائري المتوفى سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ ــ ١٣٠٨ م) .

٢٣١ ــ نظم الدرر والعقيان ، في شرف دولة بني زيان ــ التنسي ، محمد التلمساني المتوفى سنة ٨٩٩ هـ (١٤٩٣ ــ ١٤٩٤ م) .

٢٣٢ ــ نظم الســلوك ، في مواعظ الملوك ــ ابن اللبانة ، محمد الاندلسي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ ــ ١١١٤ م) .

٢٣٣ ــ نظم الآلي ، في سلوك الاماني ــ المقري ، محمد ابو عبد اللــه المتوفى سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) .

٢٣٤ ــ نفاضة الجراب ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتــوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) .

٢٣٥ ــ نقط العروس ، في تواريخ الخلفاء بالاندلس ــ ابن حزم ،علي الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٧٣ ــ ١٠٧٤ م) .

٢٣٦ ــ نكت الهميان ، في نكت العميان ــ الصفدي ، خليل المتــوفى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٢ ــ ١٣٦٣ م) .

٢٣٧ ــ نهج الوضاعة ، لأهل الخلاعة ــ ابن المظفر ، عبيد الله المتوفى سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) .

٢٣٨ ــ النور البدري ، في التعريف بالفقيه المقري ــ ابـن مرزوق ، محمد الحفيد المتوفى سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ ــ ١٤٣٩ م) .

٢٣٩ ــ نيل الابتهاج ، بتطريز (الديباج) ــ التنبكتي ، أحمـد بابـا السوداني المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ (١٦٢٣ م) .

ــ و ــ

٢٤٠ ــ واجب الأدب ــ ابن سعيد ، موسـى بن محمـد المتـوفى سـنة ؟

٢٤١ ــ الواضحة ، في مذهب مالك ــ ابن حبيب ، عبد الملك السلمي المتوفى سنة ٢٣٨ هـ (٨٥٣ م) .

٢٤٢ ــ الوافي بالوفيات ــ الصفدي ، خليل المتـوفى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) .

٢٤٣ ــ الورقة المحمدية ، والفصول الدانية : (في الرد على استاذه ابن سبعين ــ ابن سليمان ، يحيى بن محمد المتـوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) .

٢٤٤ ــ الورد العذب المعين ، في مدح سيد الخلق أجمعين ــ ابن العطار ، محمد الجزائري المتوفى سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ ــ ١٣٠٨ م)

٢٤٥ ــ الوسيط : (في فروع الفقه) ــ الغزالي ، محمد ابو حامد المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) .

٢٤٦ ــ الوصول لحفظ الصحة في الفصول ــ لسان الدين ، محمد ابن الخطيب المتوفي سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) .

٢٤٧ ــ وفيات الاعيان ــ ابن خلكان ، احمد المتوفي سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ ــ ١٢٨٣ م) .

٢٤٨ ــ الوفيات ــ ابن قنفذ أحمد القسنطيني المتوفي سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ ــ ١٤٠٨ م) .

ــ ي ــ

٢٤٩ ــ يتيمة الدهر ــ الثعالبي ، عبد الملك النيسابوري المتوفي سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ ــ ١٠٣٨ م) .

ونكرر ــ مرة أخرى ــ أن هذه المصادر لم تأت في «النفح» كلها بالنص الذي أثبتناه هنا ، وانما بعضها جاء ــ هناك ــ مبتورا ، وبعضها محرفا ، وبعضها صحيحا . وقد تمكنا ــ بعد جهد جهيد ــ من اكمال المبتور واصلاح المحرف ، وابقاء ما هو صحيح ، وذلك كله بفضل مقابلة نصوص «النفح» بالتي في كتب التراجم ومعاجم المؤلفات الموثوق بأصحابها . ورغم ذلك فلسنا بمدعين أننا استوفينا ذكر جميع المصادر التي ذكرت في «النفح» . فهي تزيد على الالفين فاحصاء جميعها « دونه خرط القتاد » (١) .

---

١ ــ قد بينا أسباب عجزنا عن احصاء جميع مصادر هذا الكتاب ، في مستهل حديثنا عن **الفئة الخامسة** من المصادر ، ضمن الفصل الثالث لهذه الدراسة .

الفصل السادس

نقـــــده

محاسنه : اقبال القــراء عليه ـ اعتناؤهم باختصاره وترجمته ـ انتشار مخطوطاته وطبعاتــه ـ

عيوبه : كثرة الاستطراد ـ كثرة التكرار ـ بتر اسم صاحب النص او اغفال ذكره ـ بتر عناوين المصادر او اغفـال ذكرها ـ اقحـام بعض النصوص فـي بعضها بعض ـ طغيان كثـرة النصوص المنقـولة علـى شخصية المؤلف .

ا ـ محاسنه :

تجلى لنا محاسن كتـاب «نفـح الطيب» فـي مظهرين اثنين أحدهما داخلي ، وثانيهما خارجي .

١ ـ **المظهر الداخلي :** يتبلور لنا هذا المظهر في محتوى الكتاب الذي قد أصبح من المراجع الرئيسية لتاريخ جزيرة الاندلس ، وأخبار أهلهـا ، وخصائص مجتمعها ، وتراجـم رجالاتها ، وطرائف أدبائها ، ونزاهة علمائها ، وسير ملوكها ، وسلوك وزرائها .

وما يزيد في قيمة هذا الكتاب انه غدا مرتعا لفنون العلـم والأدب ، اذ حوى من النصوص أحسنها ، ومـن الافكار أصوبها وأضحى موسوعة علمية أدبية ، لم يهتد الى تصنيفها وتأليفها غيـر أديبنا وعالمنا أبي العباس المقري صاحب الذوق السليم ، والفكـر الناضـج .

ولولا هذه الموسوعة الميمونة لضاعت جل أخبار الاندلس وسكانها ، وكيف لا ؟! وجل المصادر التي اعتمد عليها ونقل منها أصبحت ــ الآن ــ عديمة الوجود ، وما تبقى منها لم يضم من أخبار الاندلس سوى النزر بالنسبة الى ما يضمه كتاب «النفح» .

ولا نود أن نطلق عنان القلم في هذا المضمار ، لأننا قد أطنبنا في الحديث عما يتصل به ، ابان توضيحنا لمنهج تأليف الكتاب وأسلوبه وطريقة تراجم الاشخاص الموجودين فيه .

٢ ــ **المظهر الخارجي** : يتمثل لنا هــذا المظهــر فيما حظي بــه الكتاب من حيث اقبال القراء عليه واشتغالهم به ؛ ولا سيما كبــار العلماء وفطاحل الادباء الذين درسوه وقرضوه ، وراحوا يزفون الــى صاحبه عبارات الاطراء والمدح ، سواء في العصر القديم أو الحديث. ومن الذين اعتكفوا على تدريسه في القديم العلامة الاستاذ ابو مهدي عيسى الثعالبي الجعفري الجزائري ، المتوفي سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م)؛ اذ كان يدرسه لطلبته بمكة المكرمة . قال العياشــي : «... وسمعت منه (أي : الثعالبي) خطبة كتاب «نفح الطيب ، فــي أخبار الاندلس وابي عبدالله ابن الخطيب» ، للحافظ المتفنن سيدي أحمــد المقري ، وهو كتاب حافل ، جمــع فيه مــن أخبار علمــاء الاندلس وشعرائها وأحوالها شيئا كثيرا ، واستوفى فيه أخبار لسان الدين ابن الخطيب وكان هو المقصود أولا بالتأليف . وهذا التأليف ــ فيما قيل لــي ــ يطلع في نحو من أربعة أسفار ، ولم أشاهده كله . وقد أجاد فــي خطبته غاية ، وجمع فيها من علوم البلاغة ما سحر العقول . فلا يمــل سامعها سماعها ، مع طولها ، لما اشتملت عليه من النثر الرائق والنظم الفائق . وسمعت من لفظه (أي : الثعالبي) ــ أيضا ــ وصية لســان الدين ابن الخطيب لأولاده الثلاثــة وهي من جملة مــا اشتمل عليــه

التأليف المتقدم ... (1) ».

فهذا النص يدل دلالة واضحة على مدى اهتمام العلماء والطلبة بهذا الكتاب الذي راح يقرضه أبو سالم العياشي المشهور بغزارة العلم وكثرة الصراحة . ولعل أصدق دليلا على مدى قيمة «النفح» في الاوساط العلمية اشتغال بعض العلماء بتلخيصه ، واختصاره نذكر منهم ستة أشخاص .

أولهم : ابو الحجاج يوسف بن محمد، المعروف بـ«ابن الوكيل»، فقد لخصه سنة ١١١٤ هـ (١٧٠٢ م) وقد سمى تلخيصه «تغريد العندليب ، على غصن الاندلس الرطيب ».

ثانيهم : أبو الحسن علي بن احمد الحريشي الفاسي .

ثالثهم : أبو العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني المغربي، وقد سمي تلخيصه : «اللؤلؤ المصيب ، من نفح الطيب» ، وقد طبع منه الجزء الاول سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) بتطوان وما تبقى منه لم يطبع حتى الآن .

رابعهم : الشيخ احمد دحلان . وقد طبع تلخيصه أخيرا .

خامسهم : الشيخ احمد الجزائري وتوجد نسخة من هذا المختصر بـ«المتحف البريطاني» .

سادسهم : الشيخ حمودة بن محمد النوري ، وقد اطلع على هذا المختصر الاستاذ الحبيب الجنحاني ، ووصفه بأنه «يحتوي على ١٧٠ ورقة ، وهو بخط مختصره . وكان الفراغ منه أواخر رمضان سنة

---

١ ـ العياشي ، عبد الله ، ماء الموائد (الرحلة) ، ج٢ ، ص: ١٧٧ .

١٢٧٠ هـ (١) »•

ولولا قيمة هذا الكتاب العلمية والادبية لما اهتم علماء الافرنج بترجمته الى لغاتهم نذكر من بينهم المستشرق الاسباني «بسكوال غاينغوس» المتوفي سنة ١٨٩٨ م (١٣١٥ — ١٣١٦ هـ) ، الذي قام بترجمة مختصرة للقسم الاول منه الى اللغة الانجليزية ، تحت عنوان « تاريخ الدول الاسلامية باسبانيا »• وقد ظهرت هذه الترجمة فيما بين سنتي ١٨٤٠ — ١٨٤٣ م•

ومن علامة قيمة هذا الكتاب اقبال جمهور المثقفين على انتساخه، وطبعه عدة طبعات ، رغم ضخامة حجمه وتعدد أجزائه ؛ ولولا ذلك ما انتشرت نسخة المخطوطة والمطبوعة في المكتبات الخاصة والعامة • ومن أجل اتمام الفائدة ينبغي لنا أن نختم الكلام عن قيمة هذا الكتاب بسرد بعض المخطوطات الموجودة في مختلف مكتبات المعمورة ؛ ثم نقفي على ذلك بذكر جميع الطبعات مع التنويه بما لها وما عليها •

بعض مخطوطاته :

١ — نسخة بالمكتبة السليمانية (قسم أسعد أفندي) باسطنبول، تحت رقم : (٢٢٣٩) • نسخها محمد رفيع الاشعاري سنة ١٠٥٥ هـ (١٦٤٥ م) بالمدينة المنورة •

٢ — نسخة بمكتبة راغب باشا باسطنبول، تحت رقم : (١١٧٣)• نسخها أحمد الحموي الدمشقي سنة ١١٤٥ هـ (١٧٣٢ م) ، عن نسخة بخط المؤلف •

---

١ — انظر ما يخص تلخيص (نفح الطيب) ما كتبه الاستاذ عبد السلام بن سودة ، في كتابه : (دليل مؤرخ المغرب الاقصى) ، ج: ١ ، ص : ٢٢١ ، ٢٢٢ •

وما كتبه الاستاذ الحبيب الجنحاني في كتابه (المقري صاحب نفح الطيب) ، ص: ٧٧ •

٣ ــ نسخة بمكتبة نور عثماني باسطنبول ، تحت رقم : (١١٤٠ ــ ٣١٦٤): نسخها محمد الحموي الدمشقي سنة ١١٣٣ هـ (١٧٢١ م)

٤ ــ نسخة بمكتبة نور عثماني باسطنبول ، تحت رقم : (٣١٦٣ ــ ٣١٦٦) . نسخها يوسف بن عبدالله سنة ١١١٤ هـ (١٧٠٢ ــ ١٧٠٣ م) .

٥ ــ نسخة بمكتبة سليم آغا باسطنبول ، تحت رقم : (٨٥٦ ــ ٨٥٨). نسخ القسم الاول محمد العمري سنة ١١٢٢ هـ (١٧١٠ م) ، ونسخ القسم الثاني والاخير موسى العجلوني سنة ١١٦٤ هـ (١٧٥١ م) .

٦ ــ نسخة بمكتبة كابرولي (قسم محمد باشا) باسطنبول تحت رقم : (١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤). نسخها محمد الحنفي سنة ١٠٨٣ هـ (١٦٧٢ م) .

٧ ــ نسخة بالمكتبة السليمانية (قسم رئيس الكتاب) باسطنبول، تحت رقم : (٩٤٠) . نسخها خليفة الحموي سنة ١١٥١ هـ (١٧٣٨ م).

٨ ــ نسخة بمكتبة السليمانية (قسم أيا صوفيا) باسطنبول ، تحت رقم : (٣٥٠٥ ، ٣٥٠٦ ، ٣٥٠٧) . نسخها محمد البحري سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩) .

٩ ــ نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط (المغرب الاقصى)، تحت رقم: (٦٢٧٣) . ومن الراجح أنها بخط المؤلف .

١٠ ــ نسخة بالمتحف البريطاني ، تحت رقم : (٦٦٩) .

١١ ــ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس ، تحت رقم : (٥٨٢٨)

١٢ ــ نسخة بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم : (٣٧٥)
١٣ ــ نسخة بمكتبة القرويين بفاس ، تحت رقم : (١٣٠٥)
١٤ ــ نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر (العاصمة) ، تحت رقم : (١٧٣٠)

طبعاتــه

طبع كتاب (النفح) ــ حسبما نعلم ــ ست طبعات ، تختلف احداها عن الاخرى في الجودة ، والرداءة ، وها هي مرتبة حسب الزمـــان :

طبعاتــه

١ ــ طبع القسم الاول منه في جزأين مـا بين سنتي ١٨٥٥ ــ ١٨٦١ م فـي «ليدن» (هولاندا) ، بعناية أربعـة أساتذة مستشرين : (دوزي Dozi) ، و (دوغات Dugat) ، و (كريـهل Krehl) ، و (ليم رايت W. Right) . مع مقدمة طويلة تحليلية بقلم (دوغـات Dugat) باللغة الفرنسية ، وترجمة للمقري نقلت حرفيا من كتـاب «خلاصة الأثر» للمحبي . وهذه الطبعة جيدة ، خالية مـن الاغلاط ، مفهرسة بفهرس الاعلام والكتب ، وعليها تعاليق مفيدة ، مع شكـل بعض الاعلام والكلمات ، وهي أحسن طبعة لو كانت تامة .

٢ ــ طبع سنة ١٢٧٩ هـ بمطبعة بولاق بالقاهرة في أربعة أجزاء بعناية الشيخ محمد بن عبـد الرحمن ، المعروف بـ «قطة العدوى» . وهذه الطبعة تجارية وليست علمية .

٣ ــ طبع سنة ١٣٠٢ هـ بالمطبعة الازهرية بالقاهرة في أربعـة أجزاء ، وبهامش الأجزاء الثلاثة الاولى «مروج الذهب» للمسعودي ،

وبهامش الجزء الرابع والأخير كتاب « تحفة الاحباب ، وبغية الطلاب، في الخطط والمزارات ، والتراجم والبقاع المباركات »، وهذه الطبعة تجارية أيضا ، وهي دون طبعة بولاق المتقدمة .

٤ ــ طبع القسم الاول منه سنة ١٣٣٦ هـ في تسعة أجزاء صغار سلسلة ، بمطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ، مع تعاليق ضافية ومفيدة جدا وتصحيح الأخطاء، بالاضافة الى شكل بعض الالفاظ الغامضة وترجمة للمقري نقلت حرفيا من كتاب «خلاصة الاثر» للمحبي . وقد قام بذلك كله الاستاذ أحمد يوسف نجاتي . وهذه الطبعة تعتبر أحسن طبعة قام بتصحيحها أحد علماء المسلمين ، بيد أنها توقفت عند انتهاء الجزء التاسع من السلسلة التي لم تف جميعها بربع الكتاب .

٥ ــ طبع سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م) بمطبعة السعادة بالقاهرة ، في عشرة أجزاء بتحقيق الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، مع مقدمة له في التعريف بصاحب الكتاب . وهذه الطبعة لم ينهج محققها منهجا أكاديميا في تحقيقها ، من حيث الفهارس الضرورية والتعاليق المفيدة ، بل شحنه عن ذلك شروح لغوية وتفسيرات بلاغية، ليس من الضرورة ايرادها وترك ما هو أولى وأجدر . ورغم ذلك فانها تعد أجود الطبعات السالفة وأكملها ، ولذلك كان اعتمادنا عليها في دراستنا هذه بالدرجة الاولى . وقد أعيد طبع هذا الكتاب بنفس التحقيق مرة ثانية بمطبعة دار الكتاب العربي ببيروت ، ولم تزد هذه الطبعة عن سابقتها كما لم تنقصها أيضا . ويبدو أنها مصورة عن النسخة المطبوعة بالقاهرة .

٦ ــ طبع أواخر سنة ١٩٦٨ م بمطبعة دار صادر ، بيروت في ثمانية أجزاء ، سبعة منها تحتوي على المادة ، والجزء الثامن خاص

بالفهارس . وقد حقق هـذه الطبعة تحقيقا علميـا الدكتور احسان عباس وقدم لها بمقدمة ضافية ، عرف فيهـا بالمؤلف . وهذه الطبعـة أحسن الطبعات المتقدمة على الاطلاق . اذ تمتاز على غيرها بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة ، كمـا تحظى بالتثبت والتحقيقات النفيسة ، والتعاليق المفيدة والملاحظات المصيبة . وعذرنا في عدم الاعتماد على هذه الطبعة في بحثنا ، أن السبعة الاجزاء الاولى لم تصل الى الجزائر قبل سنة ١٩٧٠ م. أما الجزء الثامن الخاص بالفهارس فانه لم يصـل الى هناك الا في اوائل سنة ١٩٧٢ م، أي : بعـد انتهائنا مـن طبـع رسالتنا على آلالة الراقنة ، وتقديم نسخها الـى عمادة كلية الآداب ، من أجل مناقشتها .

ب ـ عيوبه :

كل تأليف ــ مهما بلغت قيمته ــ لا يخلو ــ فـي نظـر بعض النقاد ــ من عيوب ، ولعل تلك العيوب نفسها تعد مزايا في رأي نقاد آخرين ، وهكذا دواليك .

ومن هذا القبيل كتـاب «نفح الطيب» ، الـذي وددنـا أن لا نتعرض لما جاء فيه من عيوب نسبية ، لولا دافع منهاجية العصر ، التي فرضت علينا أن نتقيد بتوجيهاتها ، وأن لا نحيد عـن الخطة التـي رسمتها للكتاب والباحثين . لان تلك العيوب نفسها أصبحت في نظر المقري من المزايا والمحسنات لكتابه . وقد برهن على ذلك بأدلة لهـا نصيب من الصحة والاصابة ، ولا سيما بالنسبة الـى زمانه وعلمـاء عصـره .

وقد أشرنا الى كل ذلك فـي الفصل الثالث مـن الباب الثالث ، عندما تناولنا الحديث عن «منهج تأليف «النفح» وطريقة الترجمة فيه»

ومهما كان من أمر، فان مفاهيم عصرنا قد أوحت الينا بأن كتاب «النفح» قد اشتمل على عيوب لا يمكن أن يتغاضى عنها المنهج العلمي الذي سار عليه الباحثون المعاصرون والعلماء البارزون في فني التصنيف والتأليف . وتلك العيوب تتمثل في ستة مظاهر ، حسبما يبدو لنا .

المظهر الاول : كثرة الاستطراد لادنى مناسبة . وقد أفضى ذلك بالمؤلف الى الخروج عن الموضوع الذي عقد الكلام من أجله . ولما كان الاستطراد عنوانا على غزارة علم المؤلف وسعة اطلاعه ، فانه في نفس الوقت يقلق القاريء ويبلبل أفكاره ، ويزهده في متابعة قراءته ، وبالتالي يصبح سببا في ضياع النتيجة وافلات الهدف المقصود ، بيد أن المقري يحبذ الاستطراد ، ويراه من الاشياء التي تروح النفوس .

المظهر الثاني : كثرة التكرار وايراد الشيء الواحد في مواضع عديدة ، تلك وصمة في منهج التأليف ، يجب اجتنابها في المؤلفات ، ولا سيما ذوات الطابع العلمي والادبي ، مثل كتاب «النفح» ، ولكن المقري قد جعل لهذا التكرار مبررا ، يتمثل في جلبه النصوص العديدة لمختلف العلماء والادباء الذين دعت الى تكرار تاجهم المناسبات المواتية . ولو حذف الفقرات المكررة في النصوص المنقولة لسلم كتاب «النفح» من وصمة التكرار الممل . ولعله نزل عند رغبة ربط أجزاء الكلام بعضه ببعض ، اذ لو حذف تلك الفقرات لتسبب في قطع أوصال الكلام ، وضاعت الفائدة المنشودة .

المظهر الثالث : بتراسم صاحب النص المنقول تارة ، او اغفال ذكره كليا تارة أخرى . فمن الصورة الاولى ينتج الشك ، وعن الثانية الغموض . وكلاهما يفضيان بالقاريء الى الحيرة والارتباك .

المظهر الرابع : بتر عنوان المصدر تارة ، أو اغفال ذكره بالكلية تارة أخرى ، وما يترتب عن المظهر الثالث يترتب عن هذا المظهر . وقد

كلفنا هذان المظهران جهدا كبيرا ، عندما حاولنا البحث عن عناوين بعض المصادر وعزو كل منها الى صاحبه ومؤلفه .

ولعل عذر المقري في ذلك نسيانه لعنوان المصدر أو اسم صاحبه، غير أن هذا العذر لم يحظ بالقبول ، لكون المقري قد أغفل التنبيه عليه مثلما نبه على كثير من النصوص المتشابهة والمشكوك في أصحابها . وقد بينا ذلك في الفصل الثالث من الباب الثالث ، عندما تناولنا الكلام عن أمانته العلمية .

المظهر الخامس : ادخال بعض النصوص على بعضها ، دون الاشارة الى ما يفصل نص فلان عن نص فلان . ومن حسن الحظ أن هذه الوصمة لم تتكرر كثيرا في كتاب «النفح» ، مثلما تكرر غيرها من الوصمات المتقدمة الذكر . والسبب في ذلك حسبما يبدو لنا — أن كثرة حفظ المؤلف للنصوص العديدة وتراكمها في ذاكرته أنساه ذكر بعض أسماء أصحابها ابان تحبيره لكتابه .

المظهر السادس : كثرة ايراد النصوص التي كادت تطغي سيولها على شخصية المؤلف ، اذ لولا «المقدمة» وبعض النصوص والفقرات التي راح المقري يطعم بها كتابه من حين الى آخر لوضعناه في زمرة المصنفين ، وليس في صف المؤلفين . ولو سلك في نفحه سبيل التحليل والتعليل وجنح فيه الى ابراز الاسباب والمسببات ، لكان هذا الكتاب آية في الآفاق ونموذجا يحتذي في كل قطر وفي كل عصر وفي كل جيل ، ولكن المقري فضل أن يكون كتابه حافلا باخبار الاندلس المنكوبة ، جامعا لأشتات الاثار البليغة ، حاويا لمختلف الاشعار الجميلة ، رائدا «لصاحب الشعر ، ولمن يعاني الانشاء والنثر من البيان السحر ... (١) » .

---

١ — المقري، احمد. نفح الطيب . ج: ١٠ . ص: ٣٦٣

الخاتمة

وقبل أن نضع نقطة النهاية لبحثنا هذا ، نود أن نجمل ـ هنا ـ ملامحه الرئيسية ، ونبرز ما اهتدينا اليه من النتائج المأمول فيها أن تكون في خدمة التراث العلمي والادبي ، وفي خدمة الثقافة على وجه العموم .

اذ كان بحثنا مقسما الى قسمين اثنين زيادة على «المقدمة» التي بينا فيها النقاط الرئيسية للبحث، وأوضحنا فيها الطريقة التي سلكناها في التأليف ، وزيادة على التمهيد الذي تناولنا فيه الحديث عن عصر صاحب البحث ـ فكان القسم الاول منه منصبا على دراسة شخصية المقري وعلى كل ما يتصل بها وبنتاجها العلمي والادبي ، أما القسم الثاني فكان منصبا على دراسة كتاب «نفح الطيب» وتحليل محتواه .

وكان ما توصلنا اليه ـ في الفصول المندرجة تحت القسم الاول ـ هو ما يلي :

١ ـ الكشف عن بعض الشخصيات المهملة في أسرة المقري ، لا سيما شخصية أبيه الذي سكتت عنه جميع المصادر التي تناولت الحديث عن ابنه .

٢ ـ الكشف عن مقر الاسرة بتلمسان ومدفنها هناك بـ«العباد» أيضا .

٣ ـ التعريف بالمقري وتحقيق ضبط القاف في لفظة «مقرة» التي ينتسب اليها ، وتحديد موقعها ، بعد ايراد أقوال العلماء في ذلك ومناقشتها .

٤ ـ تحقيق زمان ولادته ، بعد ايراد جملة من أقوال العلماء الذين جلهم أخطأ في ذلك .

٥ ـ القاء بعض الضوء على منشئه ومراحل نشأته وقراءته وتأثره وتأثيره ...

٦ ـ الكشف عن مذهبه في التصوف واسم الطريقة المنتمي لها .

٧ ـ الكشف عن أسباب رحلته الاولى الى المغرب الاقصى بعد مناقشة أقوال بعض العلماء في ذلك وتفنيدها .

٨ ـ الكشف عن أخباره وتقلباته في المغرب الاقصى أثناء رحلته ، واحصاء جميع من لقيهم من العلماء والادباء واستفاد منهم هناك .

٩ ـ الكشف عن أسباب رحلته الثانية الى المغرب الاقصى وتفنيد آراء بعض الباحثين في ذلك بعد مناقشتها .

١٠ ـ الكشف عن حركاته العلمية والادبية بالمغرب ووظائفه الرسمية هناك ، وما حظي به من تقدير وتبجيل لدى الراعي والرعية .

١١ ـ الكشف عن أسباب رحلته الى المشرق بعد مناقشة ما ورد في ذلك ، وتفنيد آراء بعض العلماء الذين جعلوا السبب في ذلك أمرا سياسيا .

١٢ ـ تتبعنا لحركاته وتقلباته ، منذ نزوحه من المغرب الى وصوله الى المشرق ، حيث تقصينا أخباره في مصر والحجاز وبيت المقدس وغزة والشام . ولم يفتنا أن نشير الى الاتصالات التي كانت جارية بينه وبين شيوخه وتلامذته وأصدقائه شرقا وغربا . وقد استنتجنا من هذه الاتصالات أن المقري ترك زوجة له مع بنتها بفاس

وقد ملك أمر هذه الزوجة مرتين بواسطة رسالتين ، احداهما بعث بها الى شيخه ابي بكر الدلائي في هذا الشأن ، ثم انا بينا حظ المقري في المشرق ، وبهذه المناسبة تطرقنا الى ما لقيه بمصر ولم نحكم الدعابة مثلما حكمها بعض الباحثين وعلماء التراجم .

١٣ ــ تفنيد الاسباب التي ذكرها بعض الباحثين وعلماء التراجم في شأن تطليق زوجته الوفائية المصرية .

١٤ ــ تحقيق زمان وفاته ، بعد ايراد جملة من أقوال العلماء المتناقضة في ذلك ، وابراز الاخطاء التي وقع فيها بعض الباحثين والمؤرخين في القديم والحديث .

١٥ ــ انتهاجنا منهاجا جديدا في دراسة ثقافته ، حيث أرجعنا عناصرها الى بيئاته الثلاث : الوراثية والاجتماعية والجغرافية ، والى شيوخه ومواد دراساته ، كما أرجعنا مظاهر ثقافته الى تدريسه وتلامذته ومؤلفاته التي أحصينا جميع ما وصل الينا منها ، سواء كان مخطوطا أو مطبوعا ، وكذلك لم نهمل ذكر المؤلفات المفقودة التي عرفناها عن طريق المعاجم وكتب التراجم .

١٦ ــ الكشف عن قيمة شخصيته العلمية والادبية وميزاتها ، وتبيين منزلته لدى علماء عصره وأدباء وقته ، كل ذلك مؤيد بنصوص صريحة كتبت بأقلام هؤلاء الادباء وأولئك العلماء .

أما ما توصلنا اليه في الفصول المندرجة تحت القسم الثاني من بحثنا ، فهو كما يلي :

١ ــ الكشف عن فكرة تأليف كتاب «نفح الطيب» ، وعن زمان وجودها في ذهن أبي العباس ، عند ما كان بالمغرب وقبل نزوحه الى المشرق .

٢ ــ الكشف عن أسباب تأليف «النفح» ، وأهدافه ، وتاريخ اخراجه من مسودته ، وتبيين مدلول عنوان الكتاب ، أولا ، وثانيا ، وايراد صيغة لفظه في كلتا المرحلتين •

٣ ــ تلخيص محتوى الكتاب تلخيصا قد يغني القاري المستعجل عن مطالعته باكمله •

٤ ــ الكشف عن منهج التاليف في هذا الكتاب ، وعن طريقة الترجمة فيه ، وعن الاسلوب المكتوب به ، وعن الخصائص والميزات التي تفرد بها

٥ ــ الكشف عن جل المصادر المعتمد عليها في تاليف «النفح» واحصاؤها ، ثم اثباتها بعناوينها وأسماء مؤلفيها •

٦ ــ الكشف عن بعض محاسن الكتاب ، وعمن قرضه وأطراه أو لخصه واختصره ، أو ترجمه الى اللغات الافرنجية •

٧ ــ احصاء بعض مخطوطاته الموجودة في مختلف مكتبات العالم ، ثم اثباتها مع أرقامها الدالة عليها •

٨ ــ احصاء جميع طبعاته ، مع التنبيه الى ما هو مبتور منها وما هو كامل ، وما هو مطبوع طبعة علمية متقنة أو تجارية مشوهة •

٩ ــ الكشف عن عيوبه ، من حيث طريقة التاليف والتصنيف ، مع ذكر المبررات والدوافع التي دفعت بالمؤلف الى ارتكابها •

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت
وإليه أنيب !

محمد بن عبد الكريم

أهم المصادر والمراجع العربية

- ا -

وثائق مخطوطة

- أ -

١ - الادهمي ، أحمد أفندي . الكوكب السنية ، شرح القصيدة المقرية . نسخ عبد الفتاح المرقباني . ١١٤١ . مكتبة روجيب باشا . تركيا ، اسطنبول . (مخ) .

- أبو -

٢ - أبو المحاسن ، محمد العربي . كناشة . مكتبة محمد العابد الفاسي - المغرب الاقصى ، فاس : الفصل السابع . (مخ) .

- ح -

٣ - حاجي ، خليفة . خلاصة تحقيق الظنون في الشروح والمتون . ٣٢٤٥ . المكتبة الوطنية - فرنسا ، باريس . (مخ) .

٤ - الحوات ، سليمان . البدور الضاوية ، في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية . ٢٦١ د. الخزانة العامة - المغرب الاقصى ، الرباط . (مخ) .

- س -

٥ - السندوبي . أحمد . فتح رب البرية بشرح القصيدة المقرية . ٣٢٤٤ . المكتبة الاهلية . باريس . (مخ)

٦ - السندوبي ، أحمد . فتح رب البرية ، بشرح قصيدة المقرية . ٥٧٤ - ٢٧٢ - ٨٧٣ . مكتبة التيمورية . دار الكتاب - القاهرة . (خ) .

– ع –

٧ – العبدري ، محمد بن علي • رحلة العبدري • ٢٨٥ ٠٢ المكتبة الاهلية • باريس • (مخ) •

– ق –

٨ – قدورة ، محمد بن سعيد • جليس الزائر وأنيس السائر • مكتبة المهدي البو عبدلي • بطيوية • الجزائر (مخ)

– م –

٩ – المقري ، أحمد • اتحاف المغرم المغرى بتكميل شرح الصغرى • ٤٠٣ • مكتبة التيمورية• دار الكتب. القاهرة• ١٦٠ ورقة (مخ)

١٠ – المقري، أحمد• أزهارالرياض، في أخبار عياض• ٢٢٩ • الخزانة العامة (المكتبة الكتانية) – المغرب الاقصى، الرباط • (ج: ٢ • مـخ) •

١١ – المقري ، أحمد • أزهار الرياض ، في أخبار عياض • ٨٠٧٤ ح• مكتبة دار الكتب . – القاهرة • ٥٨٦ ورقة (مخ ، مصور)•

١٢ – المقري ، أحمد • أزهار الكمامة ، في أخبار العمامة ، في نبذة من ملابس المخصوص بالاسراء والامامة ، صلى الله عليه وسلم• نسخه ابراهيم بن أحمد ابن آدم • ٢٤٢٦٦ ب• مكتبة دار الكتاب •– القاهرة • (مخ) •

١٣ – المقري، أحمد • اضاءت الدجنة، في عقائد أهل السنة • ٥١٨ • مكتبة طلعت (دار الكتب المصرية) • – القاهرة . (مخ) •

١٤ ـ المقري ، أحمد ، اعراب القرآن ، ٦٧٠ ، مكتبة الاهليـة ، ـ باريس ، (مخ) .

١٥ ـ المقري ، احمد ، اضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة ، ٤٧٣٠ ، المكتبة الاهلية ، ـ باريس ، (خ) .

١٦ ـ المقري، أحمد، اعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الاجناس، الواردة من الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر بركة الزمان وبغيـة الناس ، ٣٦١ ، الخزانة العامة ، ـ المغرب الاقصى ، الربـاط (مـخ) .

١٧ ـ المقري ، أحمد ، الجمان من مختصر أخبار الزمان ، نسخ محمد الحسيني ، ٢٠٩٨ ، مكتبة لالولي ، تركيـا ، ـ اسطنبـول ، (مـخ) .

١٨ ـ المقري، أحمد، خطبة المقري (مجموعة)، ٥١٠٣ ، مكتبة مدريد ـ اسبانيا ، (مخ) .

١٩ ـ المقري ، أحمد ، سند المقري (مجموعة) ، ٥٣٣٥ مكتبـة دار الكتب ، القاهرة ، (مخ) .

٢٠ ـ المقري، أحمد، فتح المتعال في مدح النعال ، نسخ عبد الفتاح، ٧٧٩ ، مكتبة بايازيد (ولي الدين) ، تركيـا ، ـ اسطنبـول ، (مـخ) .

٢١ ـ المقري، أحمد ، فتح المتعال في مدح النعال ، ١٢١٥ ، الخزانة العامة ، ـ المغرب الاقصى ، الرباط (مخ) .

٢٢ ـ المقري، أحمد ، نفح الطيب ، من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (نسخ محمد الحموي الدمشقي عن الاصل) ، ١١٧٣ ، مكتبـة راغب باشـا ، تركيـا ، ـ اسطنبول ، (مخ) .

- ب -

كتب مطبوعه

- أ -

٢٣ ـ الادريسي ، الشريف . كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (وصف افريقيا الشمالية والصحراوية) تحقيق هنري بيريس . ـ الجزائر : المطبعة الرسمية . ١٩٥٧ م .

٢٤ ـ أدهم ، علي . بعض مؤرخي الاسلام . ـ القاهرة : مطبعة الرسالة . بدون تاريخ .

٢٥ ـ الالسوسي ، عمر شكري . بلوغ الارب ، في معرفة أحوال العرب . الطبعة الثالثة . شرح وتصحيح محمد بهجة الاثري . ـ القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي (١٣٤٢ هـ) ، ج : ١ .

٢٦ ـ الامير ، محمد . تحفة الزائر ، في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر . الطبعة الثانية . تحقيق ممدوح حقي . بيروت : مطـ. دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م . ج : ١ ، ٢ .

٢٧ ـ ابن اياس ، محمد . بدائع الزهور في وقائع الدهور . ـ القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٩٥١ م .

٢٨ ـ ابن بطوطة ، محمد . تحفة النظار ، في غرائب الامصاروعجائب الاسفار . بيروت : مطبعة صادر ، ١٩٦٠ م .

٢٩ ـ ابن تاويت ، محمد ـ عفيفي ، الصادق . الادب المغربي . ـ بيروت : مطبعة بيروت ، ١٩٦٠ م .

٣٠ ـ ابن جبير ، محمد . رحلة ابن جبير . ـ مطبعة صادر ، ١٩٥٩ م .

٣١ ـ ابن خاقان ، الفتح . قلائد العقيان . ـ القاهرة : مطبعة التقدم العلمية ، ١٣٢٠ هـ .

٣٢ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن . التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا . تحقيق محمد ابن تاويت الطنجي . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م .

٣٣ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة . تحقيق وتقديم علي عبد الواحد وافي . ـ القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٧ م . ج : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

٣٤ ـ ابن خلكان ، أحمد . وفيات الاعيان ، وأنباء أبناء الزمان .تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨ م .

٣٥ ـ ابن زاكور ، محمد . نشر أزهار البستان ، فيمن أجازني بالجزائر وتطوان . ـ الجزائر : مطبعة الجزائر ، ١٩٠٢ م .

٣٦ ـ ابن زيدان ، عبد الرحمن . اتحاف اعلام الناس ، بجمال أخبار حاضرة مكناس ـ فاس : المطبعة الوطنية ، ١٩٢٩ م. ج : ١ .

٣٧ ـ ابن سعيد ، علي ، وغيره . المغرب في حلى المغرب . تحقيق شوقي ضيف . ـ القاهرة : مطبعة دار المعارف ، ١٩٥٣ م . ج : ١ ، ٢ .

- ٣٨ ــ ابن سودة ، عبد السلام • دليل مؤرخ المغرب الاقصى • الطبعة الثانية • ــ الدار البيضاء : مطبعة دار الكتاب ، ١٩٦٥ م • ج : ١ ، ٢ •

- ٣٩ ــ ابن عبد الكريم ، محمد . حمدان خوجة الجزائري ومذكراته • ــ بيروت : مطبعة دار الثقافة (تحت الطبع) •

- ٤٠ ــ ابن عبد الكريم ، محمد • مقدمة «التحفة المرضية» • ــ بيروت : مطبعة دار الثقافة (تحت الطبع) •

- ٤١ ــ ابن علاء الدين ، محمد • الاعلام باعلام بيت الله الحرام • ــ القاهرة : مطبعة عبد الرزاق ، ١٣٠٣ هـ •

- ٤٢ ــ ابن عمران ، عبد الرحمن • تاريخ السودان • ــ باريس : مطبعة بيردين ، ١٩٦٤ •

- ٤٣ ــ ابن فرحون ، ابراهيم . الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب • ــ القاهرة : مطبعة المعاهد ، ١٣٥١ هـ •

- ٤٤ ــ ابن القاضي ، أحمد الفاسي • جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدين فاس • ــ فاس : مطبعة حجرية ، ١٣٠٩ هـ •

- ٤٥ ــ ابن قنفذ ، أحمد . الوفيات • تحقيق هنري بيريس • ــ القاهرة: مطبعة مصرية ، لا • ت •

- ٤٦ ــ ابن مريم ، محمد • البستان ، في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان• الجزائر : مطبعة الثعالبية ، ١٩٠٨ م •

- ٤٧ ــ ابن معصوم ، على صدر الدين . سلافة العصر ، في محاسن الشعر بكل مصر • ــ القاهرة : مطبعة مصرية ، ١٣٢٤ هـ •

٤٨ ــ ابن منظور ، محمد . لسان العرب . ــ القاهرة : مطابع كوستاتوسماس وشركاه . (مصورة عن طبعة بولاق) ج : ١ ،٢،

٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ــ ١٠ ــ ١١ ــ ١٢ ــ ١٣ ــ ١٤ ــ ١٥ ــ ١٦ ــ ١٨ ــ ١٩ ــ ٢٠ .

٤٩ ــ ابن هشام ، عبد الملك . السيرة النبوية . ــ القاهرة : مط . الجمالية ، ١٣٣٢ هـ ــ ١٩١٤ م ج : ١ ، ٢ .

٥٠ ــ ابو حامد ، محمد العربي . مرآة المحاسن ، من أخبار الشيخ ابي المحاسن . ــ فاس ، مطبعة حجرية . لا . ت .

٥١ ــ أبو الصلت ، أمية . الرسالة المصرية . ــ القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١ .

٥٢ ــ الباجي ، محمد . الخلاصة النقية ، في أخبار امراء افريقية . ــ تونس : مطبعة بيكار ، ١٣٢٣ هـ .

٥٣ ــ الباجي ، محمد . عقد الفرائد ، في تذييل الخلاصة وفوائد الرائد . ــ تونس : مطبعة بيكار ، ١٣٢٣ هـ .

٥٤ ــ بروكلمان ، كارل . تاريخ الشعوب الاسلامية . الطبعة الثالثة . ترجمة نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكي . ــ بيروت : مطبعة دار العلم للملايين ، ١٩٦١ م . ج : ٣ .

٥٥ ــ البستاني ، عبد الله . البستان . ــ بيروت : مطبعة الاميركانية ، ١٩٦٣ م . ج : ١ .

٥٦ ــ البغدادي ، اسماعيل باشا . اسماء المؤلفين وآثار المصنفين . ــ اسطنبول : مطبعة وكالة المعارف ، ١٩٥١ م . ج : ١ ، ٢ .

٥٧ ــ البغدادي ، اسماعيل باشا • ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، عن أسامي الكتب والفنون ، تصحيح شرف الدين بالتقايا ورفعت بيلكه • ــ اسطنبول : مطبعة وكالة المعارف ، ١٩٤٥ ــ ١٩٤٧ م • ج : ١ ، ٢ •

٥٨ ــ البغدادي ، عبد المؤمن • مراصد الاطلاع ، على أسماء الامكنة والبقاع • ــ القاهرة : مطبعة دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٥ م • ج : ١ ، ٢ ، ٣ •

٥٩ ــ البكري ، محمد توفيق • بيت السادات الوفائية • ــ القاهرة : مطبعة الحلبي • لا • ت •

٦٠ ــ بيهم ، محمد جميل • الحلقة المفقودة في تاريخ العرب • ــ القاهرة: مطبعة الحلبي • (١٣٦٩ هـ ــ ١٩٥٠م) •

٦١ ــ بيرم ، محمد التونسي • صفوة الاعتبار ، بمستودع الامصار • ــ القاهرة : ١٣٠٢ • ج : ١ •

ــ ت ــ

٦٢ ــ التنبكتي ، أحمد بابا • نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج • ــ فاس : مطبعة حجرية ، ١٣٢٧ هـ •

ــ ج ــ

٦٣ ــ جان ، سوفاجيه • دمشق الشام • ترجمة فؤاد افرام البستاني • ــ بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٦ م •

٦٤ ــ الجيلالي ، عبد الرحمن • تاريخ الجزائر العام • ــ الجزائر : المطبعة العربية ، ١٩٥٥ م ، ج : ٢ •

٦٥ ـ الجنحاني ، الحبيب . المقري صاحب نفح الطيب ودراسة تحليلية . ـ تونس ، مطبعة النهضة ، (١٩٥٥ م) .

٦٦ ـ الحجوي ، محمد . الفكر السامي ، في تاريخ الفقه الاسلامي . ـ الرباط : مطبعة الرباط ، ١٣٣٠ هـ ، ج : ١ ـ ٣ ـ ٤ .

٦٧ ـ حجي ، محمد . الزاوية الدلائية ، ودورها الديني والعلمي والسياسي . رسالة لنيل الدراسات العليا ، نشرت ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م . جامعة الرباط بالمغرب الاقصى ٨ ابريل ١٩٦٣ م .

٦٨ ـ حسن ، محمد عبد الغني . المقري صاحب نفح الطيب . ـ القاهرة : مطبعة الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ م .

٦٩ ـ الحصري ، ابراهيم . زهر الاداب ، وثمر الالباب . الطبعة الثالثة . شرح وتحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد . ـ مطبعة السعادة ، (١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م) ج : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

٧٠ ـ الحصري ، ساطع . البلاد العربية ، والدولة العثمانية . ـ بيروت: ـ مطبعة بيروت ، ١٩٦٠ .

٧١ ـ الحفناوي ، محمد . تعريف الخلف برجال السلف . ـ الجزائر : مطبعة فونتانا ، ج : ١ ، ٢ .

٧٢ ـ حقي ، احسان . الجزائر العربية ، أرض الكفاح المجيد . ـ بيروت : مطبعة منشورات المكتب التجاري ، ١٩٦١ م .

٧٣ ـ الحموي ، ياقوت . معجم البلدان . ـ القاهرة : مطبعة مصرية ، ١٩٠٦ ، ج : ٨ .

ـ خ ـ

٧٤ ـ الخفاجي ، أحمد شهاب الدين . ريحانة الالبا ، وزهرة الحياة الدنيا . ـ مصر : المطبعة العامرة العثمانية ، ١٣٠٦ هـ .

٧٥ ـ خليفة ، حاجي . كشف الظنون ، عن أسامي الكتب والفنون . ـ القسطنطينية : مطبعة دار السعادات ، ١٣١١ هـ ، ج : ١ ، ٢ .

ـ ر ـ

٧٦ ـ الرجراجي ، عبد الله . فهرس المخطوطات العربية في المكتبة العامة بالرباط . القسم الثاني . ـ باريس : مطبعة الجمهورية ، ١٩٥٤ م . ج : ١ .

ـ ز ـ

٧٧ ـ الزركلي ، خير الدين . الاعلام . ـ القاهرة : مطبعة كوستاتوماس وشركاه ، ١٣٧٨ هـ ، (١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ م) ؛ ج : ١ ، ٢ ، ٣ ـ ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

٧٨ ـ رضا ، أحمد . متن اللغة . ـ بيروت : مطابع دار صادر ، ١٩٥٨ م . ج : ١ ، ٢ .

ـ س ـ

٧٩ ـ سركيس ، يوسف البان . معجم المطبوعات العربية والمعربة . ـ القاهرة : مطبعة سركيس ، ١٩٢٨ م .

٨٠ ـ السهيلي ، عبد الرحمن . الروض الانف . ـ القاهرة : مطبعة الجمالية ، ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م ، ج : ١ ، ٢ .

٨١ ــ السيوطي ، عبد الرحمن . الجامع الصغير ، في أحاديث البشير النذير . ــ القاهرة : مطبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ م .

ــ ش ــ

٨٢ ــ الشبيبي ، محمد رضا . أدب المغاربة والاندلسيين ، في أصوله المصرية ، ونصوصه العربية . ــ القاهرة : مطبعة الرسالة ، ١٩٦١ م .

٨٣ ــ الشرقاوي ، محمود . المغرب الاقصى . ــ القاهرة : دار القاهرة للطباعة ، لا . ت .

٨٤ ــ شلبي ، أحمد . التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية . ــ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ م : ج : ٤ .

ــ ض ــ

٨٥ ــ الضبي ، أحمد . بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس . ــ مدريد ، مطبعة روخس ، ١٨٨٤ م .

ــ ظ ــ

٨٦ ــ ظافر ، محمد البشير . اليواقيت الثمينة ، في أعيان مذهب عالم المدينة . ــ القاهرة : مطبعة الملاجيء العباسية لجمعية العروة الوثقي ، ١٣٢٥ هـ .

ــ ع ــ

٨٧ ــ عبد الوهاب ، حسن حسني . خلاصة تاريخ تونس . الطبعة الثالثة . ــ تونس : مطبعة دار الفنون ، (١٩٥٣ م) .

٨٨ — عبد الوهاب ، حسن حسني • ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية •ـ تونس : مطبعة المنار ، ١٩٦٥ م ، القسم الاول •

٨٩ ـ عثمان ، حسن • منهج البحث التاريخي •ـ القاهرة : مطبعة دار المعارف ، ١٩٦٥ م•

٩٠ ـ عطية الله ، احمد • القاموس الاسلامي • مطبعة النهضة ، ١٩٦٣ م• ج: ١ ، ٢ •

٩١ ـ العقاد ، صلاح الدين • المغرب في بداية العصور الحديثة • (محاضرات) •ـ القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٣ م

٩٢ ـ علي ابراهيم حسن • استخدام المصادر وطرق البحث • الطبعة الثانية •ـ القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٦٣ م•

٩٣ ـ عليش ، محمد • شرح اضاءة الدجنة ، في عقائد أهل السنة •ـ القاهرة : مطبعة مصرية ، ١٣٠٦ هـ •

٩٤ ـ عنان ، عبدالله • تراجم اسلامية ، شرقية وأندلسية •ـ القاهرة: مطبعة دار المعارف (١٩٤٧ م)•

٩٥ ـ عنان ، عبدالله . نهاية الاندلس •ـ القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٤٩ م•

٩٦ ـ العنتري ، محمد الصالح • تاريخ قسنطينة • مطبعة جوند ، ١٨٤٦ م•

٩٧ ـ العياشي ، عبدالله • ماء الموائد ، (الرحلة العياشية) • فاس ، طبعة حجرية (١٣١٦ هـ) ج: ١ ، ٢ •

ـ غ ـ

٩٨ ـ الغبريني ، أحمد ، عنوان الدراية ، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق محمد بن شنب ـ الجزائر ، المطبعة الثعالبية ، ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م.

٩٩ ـ غوستاف ، لوبون ، حضارة العرب ، الطبعة الثالثة ، ترجمة عادل زعيتر ـ القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٥٦ م.

ـ ف ـ

١٠٠ ـ الفاسي ، محمد ، التعريف بالمغرب ـ القاهرة : مطبعة لجنة البيان ، ١٩٦١ م.

١٠١ ـ القادري ، محمد الطيب ، نشر المثاني ، لأهل القرن الحادي عشر والثاني ـ فاس : مطبعة حجرية ، ١٣١٠ هـ ج: ١-٢.

ـ ك ـ

١٠٢ ـ الكتاني ، عبد الحي ، فهرس الفهارس والاثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ـ فاس : المطبعة الجديدة ، ١٣٤٦ هـ ج: ١-٢.

١٠٣ ـ كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ـ دمشق: مطبعة البرقي، ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ ج: ١ ـ ١٣.

١٠٤ ـ الكعاك ، عثمان ، مراكز الثقافة في المغرب ، من القرن السادس عشر الى القرن التاسع ، تونس : مطبعة الكمالية ، ١٩٥٨ م.

١٠٥ ـ الكعاك ، عثمان ، المقري ، تونس : مطبعة الشركة التونسية

لفنون الرسم ، ١٣٧٤ هـ ٧٩ ص .

١٠٦ ــ الكعاك ، عثمان . موجز تاريخ العام للجزائر ، منذ العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي . تونس : مطبعة العرب ، ١٩٢٥م .

١٠٧ ــ كنون ، عبد الله . النبوغ المغربي . الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة . بيروت : مطابع دار الكتاب اللبناني ، (١٩٦١ م) . ج : ١ ، ٢ .

ــ ل ــ

١٠٨ ــ لسان الدين ابن الخطيب ، محمد . الاحاطة في أخبار غرناطة . تحقيق محمد عبد الله عنان . القاهرة : مطبعة دار المعارف ، ١٩٥٥ م . ج : ١ ، ٢ .

١٠٩ ــ ليفي ، بروفنسال . نخب تاريخية ، جامعة لاخبار المغرب الاقصى . فرنسا (شالون) : مطبعة برطرند ، ١٣٤٢ هـ ــ ١٩٢٣ م .

ــ م ــ

١١٠ ــ المؤقت ، محمد . ارشاد الشيخ والشاريخ ، لملخص بعض التواريخ . القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٤٩ هـ .

١١١ ــ المؤقت ، محمد . الاستبصار في ذكر حوادث الاعصار . القاهرة: مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٤٩ هـ .

١١٢ ــ المؤقت ، محمد . الضياء المنتشر ، في وفيات القرن الاول الى الرابع عشر . القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٤٩ هـ .

١١٣ ــ المؤقت ، محمد . المعرب عن مشاهير مدن المغرب . القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٤٩ هـ .

١١٤ ــ المؤقت ، محمد . نزهة المالك والمملوك ، في تراجم مشاهير الملوك . القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٤٩ هـ .

١١٥ ــ مبارك ، أحمد . تاريخ حاضرة قسنطينة . تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر . الجزائر : مطبعة «أفيسيال» ، ١٩٥٢ م .

١١٦ ــ المحبي ، أحمد . خلاصة الاثر ، في أعيان القرن الحادي عشر . القاهرة : مطبعة الوهابية ، ١٢٨٤ هـ .

١١٧ ــ مخلوف ، محمد . شجرة النور الزكية ، في طبقات المالكية . القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٥٢ هـ .

١١٨ ــ المدني ، أحمد توفيق . كتاب الجزائر . القاهرة : مطبعة دار المعارف ، ١٩٦٣ م .

١١٩ ــ المدني ، أحمد توفيق . محمد عثمان باشا . الجزائر : مطبعة جزائرية ، ١٣٥٦ هـ .

١٢٠ ــ المراكشي ، عباس ابراهيم . الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام . فاس : المطبعة الجديدة ، ١٩٣٦ م . ج : ١

١٢١ ــ مصطفى ، محمود . اعجام الاعلام . القاهرة : المطبعة الرحمانية ، ١٣٥٤ هـ ــ ١٩٣٥ م .

١٢٢ ــ المقري ، أحمد . أزهار الرياض ، في أخبار عياض . تحقيق مصطفى السقا وغيره . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف ، ١٩٤٠ م . ج : ١ ، ٣٧١ ص . ج : ٢ ، ٤٢٩ ص . ج: ٣ ، ٣٦٨ ص .

١٢٣ ــ المقري ، أحمد . حسن الثنا ، في العفو عمن جنى . القاهرة : مطبعة حجرية ، بدون تاريخ .

١٢٤ ــ المقري ، أحمد . روضة الآس ، العاطرة الانفاس ، في ذكر من

لقيتهم من أعلام الحضرتين : مراكش وفاس • تقديم وتصحيح عبد الوهاب بن منصور • الرباط : المطبعة الملكية ، ١٩٦٠ م •

١٢٥ ــ المقري ، أحمد • المزدوجة • القاهرة : المطبعة الازهرية الحجرية ، ١٢٩٩ هـ •

١٢٦ ــ المقري ، أحمد • نفح الطيب ، من غصن الاندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب • تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد • القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٤٩ م • ج : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ــ ٦ ــ ٧ ــ ٨ ــ ٩ ــ ١٠ •

١٢٧ ــ المنجد ، صلاح الدين • المشرق في نظر المغاربة والاندلسيين في القرون الوسطى • بيروت : مطبعة دار الكتاب ، ١٩٦٣ م •

١٢٨ ــ ميارة ، محمد • الدر الثمين والمورد المعين ، في شرح المرشد المعين • القاهرة : مطبعة حجازي ، ١٩٥١ م •

ــ و ــ

١٢٩ ــ وهبي ، محمد • خلاصة تاريخ المغرب الاقصى • الدار البيضاء : مطبعة الوحدة العربية ، ١٩٤٤ م •

ــ ى ــ

١٣٠ ــ اليعقوبي ، أحمد • كتاب البلدان (وصف افريقيا الشمالية) • تحقيق هنري بيريس • الجزائر : المطبعة الرسمية ، ١٩٦٠ م •

١٣١ ــ اليفراني ، محمد الصغير • نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي • تصحيح (هوداس) • فرنسا : مطبعة انجي ، ١٨٨٨ م •

١٣٢ ــ اليوسي ، الحسن بن مسعود • كتاب المحاضرات • فاس : مطبعة حجرية ، ١٣١٧ هـ •

ـ ح ـ

دوريـــات

ـ أ ـ

١٣٣ ـ أدهم ، علي . «المقري» . مجلة الثقافة . ٦٣ (يناير ١٩٥١ م) .

ـ ز ـ

١٣٤ ـ زمامة ، عبد القادر . «أبو العباس المقري التلمساني» . مجلـة المجمع العلمي العربي . المجلد التاسع والثلاثون . (تموز سـنة ١٩٦٤ م) ـ صفر سنة ١٣٨٤ م) .

١٣٥ ـ زمامة ، عبد القادر . تحقيقات لغوية لكلمات مغربية . مجلـة اللسان العربي . ذو القعدة سنة ١٣٩٠ هـ ـ يناير سنة ١٩٧١ م . مج : ٨ . ج: ٢ . ص : ١٧ .

ـ ش ـ

١٣٦ ـ الشرايبي ، عبد الهادي . «أبو العباس أحمد المقري» . مجلة الرسالة . ١٠١ ـ ١٠٣ (١٠ ـ ٢٤ يونيو سنة ١٩٣٥ م) .

ـ ع ـ

١٣٧ ـ عنان ، محمد عبد الله . «رحلة الى تلمسان والى دار ابنهـا المقري صاحب نفح الطيب» . مجلة العربي ، ١٠٧ . (٢٧ جمـادى الآخرة سنة ١٣٨٧ هـ ـ اكتوبر سنة ١٩٦٧ م) .

ـ ف ـ

١٣٨ ـ الفاسي ، محمد العابد . «المقري التلمساني» . مجلة المغرب الجديد . ٦ (١٩٣٥ م) .

ـ م ـ

١٣٩ ـ مؤنس ، حسين . «المقري» . مجلة العربي ٥٢٠ . (مارس ، ١٩٦٣ م) .

المصادر والمراجع الاجنبية

— B —

- 1 — BROSSELARD, Charles. «Tombeaux des Familles EL-MAKKARI et El-OKBANI» Revue Africaine Tome V (Novembre 1861).

2 — BROCKELMAN, Geschichte de Rarabischen Litterature. (Sweiter supplement band. V. II).

3 — BIGUET G. Faure (Général). Histoire de l'Afrique Septentrionale sous la Domination Musulmane (Paris). Imp. Librairie Militaire H. C. L. (Date ignorée).

4 — BENCHENEB, Mohamed: Etude sur les Personnages mentionnés dans l'Idjaza du Cheikh Abdelkader El-Fasy. France-Angers. Imprimerie A - Burdin et Cie. 1907.

— C —

- 5 — CARRA DEVAUX (Baron). Les Penseurs de l'Islam. Paris 1921. V. I.

6 — Cherbonneau. Documents Fournis pour la publication d'El-MAKKARI. (Journal Asiatique, 1855. V. p. 398).

— D —

7 — DIDIER L. (Général). L'Algérie et le développement de sa civilisation (Oran: Imprimerie Jeanne d'Arc. 1928) Tome I, II, III.

— E —

8 — Extrait de l'Encyclopédie Turque: Les Dirigeants de l'Algérie pendant la période Turque. Tome X.

— G —

- 9 — GALIBERT, L. L'Algérie Ancienne et Moderne. Paris; 1884.

— L —

10 — E. LEVI-PROVENCAL et autres Ecrivains. Encyclopédie de l'Islam : Leiden Imprimerie E. J. Brill; 1936. Tome III.

— M —

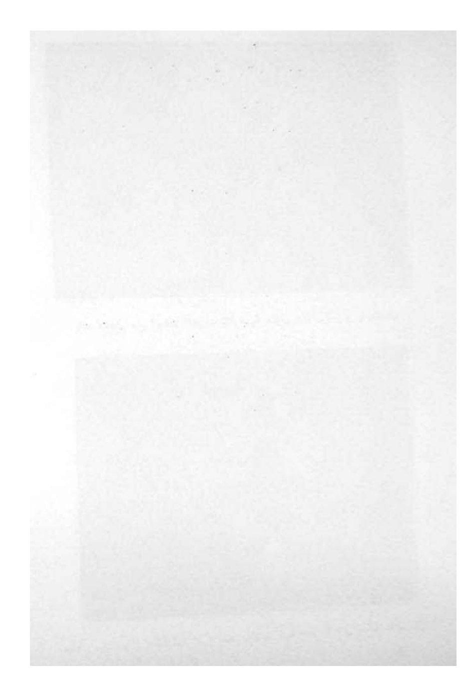
- 11 — MARCAIS, Georges. Manuel d'Art Musulman. (Paris : Edition auguste Picard; 1927). Tome 2 du XIII au XIX siècle.

— P —

12 — PECHOT, L. (Capitaine). Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830. (Alger: Imp. Editeur Gojosso; 1914). T. III.

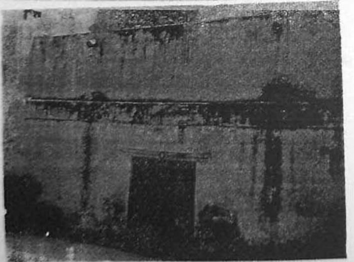
— 13 — Paul CAFFAREL : L'Algérie. (Paris; Imprimerie de l'Institut. 1883).

14 — Piquet Victor : Les Civilisations de l'Afrique du Nord. (Librairie Armand Collin; 1909).

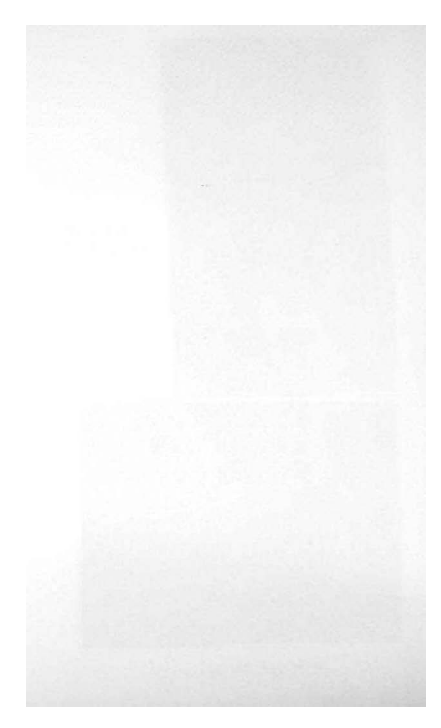


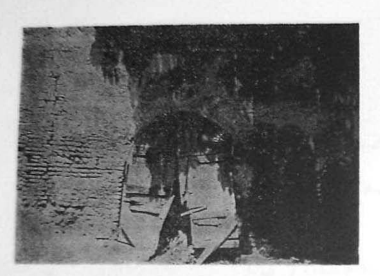


جانب من منزل
عائلة المقري بتلمسان

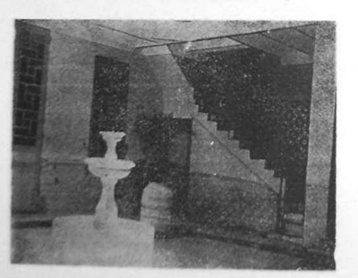


جناح من منزل عائلة المقري بتلمسان





باب محطم من ابواب الغرف الارضية لمنزل عائلة المقري بتلمسان



جناح من منزل عائلة المقري ، بعد تجديد بنيانه على ايدي عائلة «السقال» التي تسكنه الان بتلمسان .

لأ

فهرس الموضوعات

القسم الاول ـ الباب الاول ـ (حياة المقرى)

الباب الثاني (ثقافته)

القسم الثاني

الباب الثالث كتابه «نفح الطيب»
(دراسـة تحليليـة)

طبع
دار مكتبة الحياة
بيروت ـ لبنان

طبع
دار مكتبة الحياة
بيروت ـ لبنان